
Bibliotheca Alexandrina
0013977

قبائل المغرب
١

زناتة والخلافة الفاطمية

دكتور
سنوسي يوسف إبراهيم
كلية الآداب - جامعة عين شمس

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة سعيد رأفت
جامعة عين شمس

الطبعة الأولى

١٩٨٦

إهداء

الى روح والدى .. الذى كانت حياته عطاء

تقديم

بقلم الاستاذ الدكتور / محمود اسماعيل عبد الرازق
استاذ التاريخ الاسلامى
بجامعة عين شمس

يسعدنى أن أقدم لجمهور الباحثين المهمومين بمشكلات التاريخ الاسلامى فى بلاد المغرب بحثا جديدا فى موضوعه ومنهجه ، وباحثا يستهل عمله الأول بطول باع ورساخة قدم فى حقل كان ولا يزال بكرا رغم ماصنف فيه من لدن القدامى والمحدثين •

والموضوع الجديد ـ وهو رسالة الباحث للماجستير ـ يتعلق بالتأريخ لقبائل زناتة منذ الفتح العربى وحتى رحيل الفاطميين من المغرب واستقرارهم بمصر ، برغم ما يوحى به العنوان من الاقتصار على دراسة دور زناتة فى المغرب ابان الوجود الفاطمى • ووجه الأهمية والجدة فى هذا العمل ، موضوعا ومنهجا أنه يمثل ريادة فى مجال الاهتمام بالتاريخ الاجتماعى لبلاد المغرب الذى اقتصر دور الدارسين لها على الجوانب السياسية والعسكرية • صحيح أن باحثا جزائريا سبق الى ولوج هذا التاريخ للقبائل المغربية فى رسالة للدكتوراه عن قبيلة كتامة (١) • وصحيح أيضا أن مؤرخا مثل جوتييه (٢) قد اقتحم ميدان تفسير تاريخ المغرب الاسلامى من خلال منظومة الصراع بين زناتة وصنهاجة•وصحيح أخيرا أن ابن خلدون قد فطن الى التأريخ للقبائل المغربية ، لكن الانصاف يدعونا الى اثبات دور الباحث فى اختيار موضوعه الذى يعد ـ فيما نرى ـ اكثر الموضوعات ابهاما والغازا فى تاريخ المغرب الوسيط برمته • ومرد هذا الالغاز راجع الى أمرين :

---

(١) راجع : لقبال موسى بن علاوة ، دور قبيلة كتامة فى تاريخ الدولة الفاطمية •

(٢) Gua.ie', Le Passé de l'Afrique du Nord. Le Siecles Obscurs du Meghreb

أولهما : تغطية القبائل الزناتية لأرض بلاد المغرب من برقة الى المحيط الأطلسى مختلطة ببطون القبائل الأخرى • ناهيك عن كثـــرة قبائل وبطون زناتة نفسها بدرجة أعجزت كافة المؤرخين عن حصرهـــا ، كذا رصـــد دورها التاريخى •

ثانيهما : نمط الحياة البدوية الذى انعكس على الدور الزناتى فى تاريخ المغرب بحيث لم تشكل دولا ونظما سياسية ذات بال اذا ماقيست بالقبائل الحضرية الأخرى •

طبيعة هذا الدور الزناتى — اذن — شكل اشكاليات شتى ، أمكن للباحث ايجاد حلول لها بفضل قائمة ببليوجرافيا متكاملة ودأب وصبر على تتبع النصوص ومقارنتها واستكناهها سبرا لغور الحقيقة وغوصـــــا فى الكشف عنها • ولو لم يكن للباحث من فضـــل سوى تحديد الخريطة الاثنية لزناتة بقبائلهـــا ومضاربها وأنماط حياتها ، وتأثير ذلك كله فى تشكيل وصياغة دورها السياسى ، لكفاه ذلك اسهاما فى خدمة التاريخ الاسلامى ببلاد المغرب • لكن — والحق يقال — أضاف الى ذلك جهـــدا فى تتبع ماجريات التاريخ الزناتى المختلط والمتشابك بتواريخ القبـــائل الأخرى ، فوقف عليه ورصده مبينا انعطافاته وتحولاته وتأثيره فى منظومة التاريخ المغربى العام ان سلبا وان ايجابا •

ومن الانصاف أيضا أن نذكر للباحث — رغم طبيعة الموضـــــوع الملغزة — أنه تجاوز منزلق التفسير المعتمد على مقولة « العصبية » كما فسرها خطأ معظم شراح مبدعها ابن خلدون • بـــل ان فهمه للعصبية قاده الى ابراز فعاليات المعطيات الجغرافية والاقتصادية والمذهبية باعتبارها لا تتعارض مع الفهم العلمى لمقولة « العصبية الخلدونية » كما فسرها بعض الباحثين الثقاة (١) • لكن الانصاف أيضا يدفعنا الى اثبات بعض التجاوزات التى انزلق الباحث اليها عندما خانته الرؤية فى تعليل بعض الأحداث خاصـــة فى الفصلين الرابع والخامس ، اذ تأثـــر بالأقوال

---

(١) أنظر ، ايف لاكوست ، العلامة ابن خلدون • الجابرى ، العصبية والدولة •

المتواترة عن « جوتييه » ومدرسته التى ترى « العصبية » فى مفهومها الضيق ، لتفسر من خلالها موقف القبائل المغربية الكبرى من الفاطميين وأمويى الاندلس • ويغفر للباحث تداركه هذا الخطـأ عندما تابع دراسة دور زناتة فى تاريخ المغرب الى عصر المرابطين ، وذلك فى رسـالته للدكتوراه •

أما عن اسهامات الباحث فى ميدان التحقيق فحدث ولا حرج • فلا يكاد مبحث من مباحث الرسالة يخلو من تصويبات وتصحيحـات لأخطاء فى أسـماء القبائل والبطون وأنسابها وانتماءاتها ، فضلا عن التواريخ واسماء الأعلام والأماكن وما شابه •

وحسبى أن هذا العمل الذى رسـخ به الباحث قدمه فى ميـدان التاريخ الاجتماعى المغربى كان شهادة نبوغ وصك امتياز أثبته عملـه الثانى الذى تشرفت بالاشراف عليه ونال به الباحث درجة الدكتوراه • لذلك لم يكن جزافا أن ينال العملين معا أقصى درجات التقدير من لدن لجنتى المناقشـة •

أرجو أن يتقبل الدارسون هذا العمل بمـا يستحق من قبـول ، وأرجو للباحث مواصلة المسـيرة بذات الحمـاس والتفوق فى أعماله المقبلة ،

أ • د • محمود اسماعيل

تمهيد

مقدمة البحث :

أ ـ تقسيمات الموضوع

ـ تعريف المصادر

كانت قبيلة زناتة من أكبـر القبـائل البربرية التى سكنت شمالى أفريقيـا ، وكان لهـا الكثير من البطون التى امتدت مضاربها فى طولها وعرضـا بأقسامهـا الثلاثة : افريقية ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى • ولأن مسألة أصـول الشـعوب مسـألة دائما صعبة ، كان أصـل زناتة موضوع مناقشـة بين المؤرخين القدامى وعلى رأسـهم ابن خلدون ، كمـا أن المؤرخين المحدثين اختلفوا حول ذلك أيضـا • ولأن زناتة كانت من أكبر القبـائل البربريـة ، فقـد حدث خلط فى كتب المؤرخين قدامى ومحدثين ، فنسبوا بعض بطون البربر الأخـرى وقبائلها الى زناتة •

ولقد كانت قبيلة زناتة من أسرع قبائل البربر تحولا الى الاسلام ، فوقفت الى جانب العرب لاتمـام فتح المغـرب وفتح الأندلس ، ثـم اعتنقت مبادىء الفرق الاسـلاميـة المختلفـة من سـنة وخوارج ومعتزلة ، الا أن الاعتقـاد الغالب لافرادهـا كان مذهبـا الخوارج والمعتزلة ، فكان هذا الاعتقـاد المذهبى المتنوع سببا فى اضطراب علاقاتهـا بالخلافة الأموية التى حاربت الخوارج ، والخلافـة العباسية التى وقفت فى وجه مذهبى الخوارج والمعتزلة ، ولنفس السبب أيضـا لم ينجح الفاطميون الشيعة فى اكتسـاب أعـوان لهم من بـين بطون زناتة •

ولأن زنانة التى كانت من أشـد قبائـل البربر مراسـا وأنفة ، تميـل بطبيعتهـا البدوية الى الاستقلال ، فكانت دائمـا تثور على السلطة الشرعية ، اذا ما أساء ممثلو هذه السلطة معاملتهـا ، أو أغمطوها

حقـــا منحها الاسلام اياه ، فقامت زناتة بالفتن المتعددة فى بلاد المغرب، متمثلة فى فتنـــة البربر الكبرى التى قادتها زناتة ضد الخلافة الأموية ، ثم استمرت فى فتنهـــا على الخلافـــة العباســـية حتى قامت دول خارجية وعلوية مستقلة بأرض المغـــرب انضمت لهـــا زناتة ، وســـاندت دول الخوارج بالمغرب لاعتناقهـــا مذهبهم ، ووقفت الى جانب الأدارسة ، لمـــا كان لهم من أهـــداف استقلالية • وفى غضون حكم الادارســـــــة أصبحت لزناتة السيطرة على المغـــرب الأوسط ، بسبب وجود أقـــوى البطون الزناتيـــة به ، ولضعف سلطـــة الادارســـة على القبائل بعـــد اقتســـام الدولة بينهم ، فأقامت زناتة به امارات مستقلة •

ويهمنابطبيعة الحال موقف زناتة من الخلافةالفاطمية بأرض المغرب• فقـــد اتخذت زناتة موقفـــا معاديا للفاطميين بسبب العداء المذهبى فى الدرجـــة الأولى ، وبسبب الخوف على استقلالها بحكم ســـيطرتهـــا على المغرب الأوسط ، ولأن الخلافـــة الفاطميـــة ذاتها اعتمدت على قبائل البرانس ولم تكن زناتة من البرانس ، وانمـــا من البتر ، والعداء قديم ، والاحن والثارات مريرة بين البتر والبرانس اللذين كانت بينهما فوارق اجتماعيـــة واقتصـــادية ، فغالبيـــة البتر قبـــائل بدويـــة ترتحل وراء الانتجاعات ، ومعظم البرانس كانوا أهل زراعـــة واستقرار ونالوا قسطا من الحضـــارة • ولذا ظلت زناتة فى صراع دائم مـــع الفاطميين وأنصـــارهم من البرانس طوال فترة حكمهم لبلاد المغرب ، كمـــا وقفت حجر عثرة أمام رغبتهم فى مـــد سلطانهم على بقية بلاد المغـــــرب ، فلم يتمكنوا من اخضـــاع المغـــرب الأوسط ، وبالتالى المغرب الأقصى، الا بعد أن شتتوا شـــمل قبائـــل زناتة بمســـاعدة البرانس •

وكان هذا العداء بين زناتة والفاطميين ســـببا فى تقويـــة الروابط بين زناتة والأمويين فى الأندلس ، فاستغل خلفـــاء قرطبـــة الأمويون قبائل زناتة فى المغـــرب فى الصراع الذى نشب بينهم وبين الفاطميين ، كما شجع خلفـــاء بنى أميـــة هجرة القبائل الزناتية الى الأندلس للاعتماد عليهم فى جيشـــهم ، فكان ذلك ســـببا فى نقص جموع زناتة بالمغرب

وتفتيت قوتها ، مما أضعف مقاومتهم للفاطميين وحلفائهم من البرانس ، فتمكنت صنهاجة أقوى حلفاء الفاطميين من هزيمة زناتة ، وتشريد قبائلها فى صحراء المغرب ، بعد أن أخرجتها من مضاربها بالمغرب الأوسط الذى عرف بها .

وقصارى القول ، ان تاريخ زناتة قطعة هامة من تاريخ بلاد المغرب ، وحيث أنه لا توجد دراسة متكاملة عنها فقد اخترنا فترة من أخصب فترات تاريخها فى القرون الأربعة الهجرية الأولى ، وهو موقفها من الخلافة الفاطمية فى المغرب (٢٩٦/٩٠٩ — ٣٦٢/٩٧٣) ، وهى الفترة التى ظل فيها صوت زناتة مسموعا . حقيقة ان بعض كتب المؤرخين ضمت بين صفحاتها بعضا من دور زناتة فى تاريخ المغرب ، الا أن معالجتها لهذا الدور كان من خلال تاريخ المغرب العام أو من خلال تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ، ولا توجد دراسة تتناول موقفها من الحكم الفاطمى ببلاد المغرب بالذات الذى أختير موضوعا لرسالتنا .

ولقد أمكن بفضل ما جمع من مادة تاريخية دسمة عن هذا البحث أن نقوم بدراسته ، وأن نوزع مادته على الفصول الآتية :

الفصل الأول ، بعنوان : **زناته : بطونها ومضاربها ومذاهبها** ، ويتناول تقسيم البربر الى بتروبرانس ، وأصول زناتة كقبيلة بترية أى بدوية ، وما تفرع عنها من بطون ، ومضاربها بأقسام المغرب الثلاثة : افريقية ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى ، حيث أن لكل بطن من بطونها مواطن متعددة استقرت بها ، ثم تحولها الى الاسلام بمذاهبه المختلفة ، فقد تعددت المذاهب التى اعتنقتها زناتة على امتداد القرون الأولى ، الا أن غالبية بطونها كانت على مذهبى الخوارج والمعتزلة .

الفصل الثانى ، بعنوان : **دور زناتة السياسى قبل قيام الخلافة الفاطمية** ، ويتناول موقف زناتة من فتح العرب للمغرب ، ومساندتها لهم فى اتمام هذا الفتح ، ودورها فى فتح الأندلس ، ثم موقفها من

من الولاة الأمويين والعباسيين بالمغرب ، وثورتها عليهم حينما أساءوا معاملتها ، ثــم دور زناتة فى مساندة الدول المستقلة الخارجية والعلوية بالمغرب ، مما مهد لسيطرة زناتة على المغرب الأوسط •

الفصل الثالث ، بعنوان : **زناتة وقيام الخلافة الفاطمية** ، ويتناول انتشار المذهب الشيعى الاسماعيلى فى المغرب ، وقيــام الخلافــة الفاطميــة ، وموقف زناتة الذى اتســم بالعــداء ، والاغــارات التى شنهــا فرسان زناتة على الجيوش الفاطميــة ، ووقوف زناتة عقبة أمــام محاولات الفاطميين لاخضــاع جميــع بلاد المغرب ، ومحاولة عبيد الله المهــدى حصــار مضارب زناتة بالمغــرب الأوسط •

الفصل الرابع ، بعنوان . **ثورة زناتة الكبرى على الفاطميين** ، ويتناول ثورة أبى يزيــد مخلد بن كيداد الزناتى التى زلزلت أركان الخلافــة الفاطميــة بالمغــرب وأوقفت نشاطهم الخارجى ، التى استمرت فى عهــدى الخليفتين القــائم بأمر الله (٣٢٢/٩٣٤ — ٣٣٤ / ٩٤٥) والمنصور بالله (٣٣٤/٩٤٥ — ٣٤١ / ٩٥٢) ، فقــد كانت فتنة كبرى لم يحدث لها مثيل من قبل فى تاريخ الفاطميين منذ قيام دولتهم ، اذ استطاع أبو يزيد أن يجمع حوله الكثير من بطون زناتة ، وان اتخذت هذه الفتنة من مذهب الخوارج ستارا ، فانهــا فى حقيقتها احدى حلقات الصراع بين البتر تتزعمهم زناتة ، وبين البرانس من صنهاجة وغيرهــا ، واستيــلاء زناتة على المغربين الاوسط والاقصى من أيدى الفاطميين •

الفصل الخامس ، بعنوان : **الصراع بين زناتة وصنهاجة** ، ويتناول مراحل الصراع بين هاتين القبيلتين فى أثنــاء حكم الفاطميين فى المغرب ، حيث اتخذ هــذا الصراع مظهــر التأييد للفاطميين من قبيلة صنهاجة ، وموقف العداء لها من قبل زناتة ، وكيف أن الخليفة الفاطمى استغل هذا الصراع فى القضاء على مقاومة زناتة أقوى القوى المناوئة للفاطميين بين قبائل البربر ، ونجاح الفاطميين بمســاعدة صنهاجة من طرد بطون زناتة من المغرب الأوسط الى المغــرب الأقصى ثم تشريدها من المغرب الأقصى الى الصحارى •

الخاتمــة : وتتناول ما توصلت اليه من نتائج فى هــذا البحث من تفرق كلمــة زناتة وعــدم اجتماعهــا حول زعامــة واحدة وأسباب الموقف العدائى الذى اتخذته بطونها تجاه الخلافة الفاطميــة ، ونتيجة هذا الموقف على كل من الفاطميين وزناتة ، اذ كان هذا العداء ســـببا فى عــدم سيطرة الفاطميين على بلاد المغــرب ، كمــا كان سببا فى تشريد قبائل زناتة من المغربين الأوسط والأقصى •

ولقد اعتمدت فى بحث هــذا الموضوع على كل ما أمكن الحصــول عليه من المصــادر والمراجع المختلفــة ، قسمتهــا حسب خطــة تقوم أساســا على تقسيمها الى مصادر عامة واقليميــة ، رتبت العامة منهــا على حسب أقدميتها ، أما الاقليميــة فرتبت حسب أهميتها بالنســبة لموضوع البحث ، وان كان أغلب مصادر البحث كتابيــة ، الا أنه قــد توفرت له بعض مصادر لهــا أهميــة خاصــة •

فمن حسن الحظ توجد بعض الوثائق (١) التى تهم موضــوع بحثنا ، متمثلة فيمــا ورد فى كتاب سيرة جوذر ، والتى عاصرت فتــرة الحكم الفاطمى فى شــمالى أفريقيــا ؛ اذ هى رســائل متبادلة بــين الخليفتين الفاطميين المنصور بالله ، والمعز لدين الله ، وبين الكاتب جوذر الذى كان يمثــل الشخصــية الثالثة فى الدولة الفاطميــة بعــد الخليفة وولى العهــد (٢) ، وقد أورد جوذر هذه الوثائق بنصهــا ولفظها الدقيق على حسب قوله (٣) ، ولا غرو فقــد كان جامع هذه الوثائق كاتبا لجوذر نفســه ، وكان جوذر يستحفظه على ما يجرى بينــه وبين الخلفاء الفاطميين من الأسرار « مما تضمنته التوقيعات وجرت بــه المشافهات والكتب الواردات عليه من كل الجهــات » (٤) ، حسبمــا ذكر لنا ذلك •

---

(١) عن اهمية الوثائق فى البحث التاريخى ، انظر ماجد مقدمة ، ص ٢٠ •

(٢) انظر ، شعيرة ، ومحمــد كامل حسين ، محققــا ، ســيرة جــوذر ، ص ٢ •

(٣) نفس المصدر والصفحة •

(٤) جوذر ، ص ٣٣ ، وقد أطلق على المراسلات فى الدولة الإسلامية اسماء مختلفة منها : كتاب ، وثيقة ، سك ، سند ، سجل ، ظهير ، وكان الفاطميون يفضلون استخدام كلمة ظهير أثناء فترة حكمهم فى المغرب ، وكلمة سجل بعد =

وهذه الوثائق قد أمدتنا بوصف نادر للمعركة التى انتصر فيهـا المنصور بالله الخليفـة الفاطمى الثالث على أبى يزيـد أحـد زعمـاء زنـاتة فى فترة الحكم الفاطمى للمغـرب ، بل حددت تاريخـا للمعركة غير ما أجمعت عليه المصادر الأخرى . كذلك توجـد فى كتاب جوذر وثائق أخرى لها أهميتهـا ، تتناول حملة جوهـر الصقلى قائـد المعز لدين الله الفاطمى على المغرب الأقصى لاسترداده من أيـدى زناتة ، وأسباب الخلاف بين جعفـر بن على الأندلسى الذى كان من أهم الشـخصـيات فى الدولة الفاطميـة بالمغـرب وبين الخليفـة الفاطمى المعز لدين الله، ممـا كان سببا فى خروجه على الخـلافة الفاطميـة وانضمـامه الى زناتة .

أما عن السـكة فلا يوجـد منهـا ما هو خاص بقبيلـة زناتة ، لأنها لم تستطع اقامة دولة مستقلة . وان كان لهـا امارات ضعيفـة السـلطة قبيل قيام الخلافة الفاطميـة بالمغرب ، الا أن الخلافة الفاطمية كان لها عملاتها الخاصـة بها ، وقـد أمكننا الاستفـادة منهـا فى تأكيد بعض الحقـائق الغامضـة ، اذ أوضحت العملة التى ضربهـا الخليفـة الفاطمى الأول عبيد الله المهـدى سنة ٢٩٧/٩١٠ (٥) أنه لـم يتخـذ

= انتقالهم الى مصر، أما خطابات التولية أو التعيين فقد اتخذت أسماءأخرى منهـا : بيعة ، وعهـد ، وتقليـد ، وتفويض ، ومرسوم ، وتوقيع ، ومنشور ، ولم تكن هذه الأسماء متسـاوية الدرجة ، فالعهـد للوظائف الهامـة رفيعة الدرجة ، أما التوقيع فلتعيين صغار الموظفين ، والتوقيع يعنى امضـاء الحـاكم أسفل الوثيقـة ، انظـر . Ency of Isl (Art Diplomatic 2ed. t2, PP. 302-303 . وكانت الرسـائل تعـرف باسـم الكتب أو المكـاتبـات ، لذا وجـد ديوان عرف باسم ديوان الرسـائل أو ديوان المكاتبـات . وقد عرف هذا الديوان فى العصر الفاطمى أيضـا ، وعرف بديوان الانشـاء ، وقـد قسـم هـذا الديوان الى ثلاثة أقسام رئيسية ، وأقسـام أخرى صغيرة ومن الأخيرة ما عرف بقسم المكاتبات الى أمراء الدولة وكبرائها ، انظر Ency of Isl. (Art Diwan, 2ed t2, P. 328. وحيث أن جامع الوثائق فى كتاب سيرة جوذر لم يذكـر لنا اسم الديوان الذى خرجت منه هذه الوثائق ، فربمـا كانت قـد خرجت من القسم الخاص بالمكاتبات الى أمراء الدولة وكبرائهـا .

(٥) أنظر . Lane-Poole, Catalogue of the collection of Arabic
Lane Poole, Catalogue of the collection of Arabic

فيهـــا لقب أمير المؤمنين حين مبايعته ، فى حين وجـــد هذا اللقب على عملة أخرى ضربت سنة ٩١٣/٣٠٠ (٦) ، كمـــا أن هاتين العملتين خاليتين من عقيدة الشيعة ممـــا يوضح لنا أنه ربمـــا أراد أن يتدرج فى تحويـــل رعاياه الى مذهب الشـــيعة ولا يعلنـــه صراحـــة منذ البدايـــة • كمـــا أكـــدت أول عمـــلة ضربهـــا المنصور بالله وذلك فى عـــام ٩٤٧/٣٣٦(٧) أنه أخفى موت والده القائم بأمـــر الله ، ولم يتخذ لقب الخلافـــة ولم يغير البنود أو العملة حتى قضى على ثورة أبى يزيـــد مخلد الزناتى ، اذ كان المفروض أن تكون أول عملـــة للمنصور مؤرخة بسنة ٩٤٥/٣٣٤ وهى الســـنة التى توفى فيها القائم وتولى المنصور السلطة • أمـــــا الدينار الذى ضرب فى عهد المعز وليس عليـــه عقيدة الشيعة (٨) فيؤكـــد من جديد أن الفاطميين لـــم يريدوا فرض مذهبهم قسرا على رعاياهم ، ولا سيما أن آثار ثورة أبى يزيـــد لـــم تكن قـــد اختفت نهائيا •

وقد تناولت بعض المصادر العامـــة المغرب الاسلامى كولاية من ولايات العـــالم الاسلامى ولذلك لـــم تهتم هذه المصادر بتاريخ القبائـــل البربرية بمـــا فيها قبيلة زناتة ، وانما تكلمت عن تاريخ المغرب الاسلامى عامة ، كما أن معظم مؤرخى هذه المصادر مشـــارقة ، فنظـــروا الى سكان المغرب نظرتهم الى المتمردين على الســـلطة الشرعيـــة لكثرة ما قاموا به من فتن وثورات فى وجه الخلافة المشرقيـــة • الا أن ذلـــك لا يقلل من أهميـــة هـــذه المصادر ، اذ أمدتنـــا بمعلومات ذات قيمـــة ودلالة كبيرة بالنسبة لموضوع البحث ، كمـــا أعانتنـــا على تفهم تاريخ العـــالم الاسلامى فى تلك الفترة حيث أن المغرب جزء منه ، بالاضـــافة الى أن مؤلفى أغلبهـــا اعتمدوا على كتابات المغاربة التى فقـــدت ، كمـــا أن بعضها يصـــل فى أهميته الى مرتبة المصـــادر الاقليميـــة وربمـــا فاقهـــا بمـــا أمدنا به من معلومات عن تاريخ قبيلة زناتة ومـــا احتواه

---

(٦) انظر • Lane-Poole, Catalogue of the Collection of Arabic Coins in the British Museum, Vol. 4, P. 2.

(٧) Ibid, P. 6.

(٨) انظر • ماجد ، ظهور الخلافة ، الطبعة الثانية •

من تفاصيل لم تذكرها المصادر الاقليمية • والمصادر العامة بعضها يتناول الأحداث التاريخية والأخرى الجغرافية ، وقد رتبنا أهم المصادر تاريخية ثم جغرافية حسب قدمها •

كتاب جمهرة أنساب العرب (٩) لابن حزم (ت ٤٥٦/١٠٦٣) ، وهو أهم كتب الأنساب وأوثقها ، والمصدر الذى اعتمد عليه ابن خلدون وغيره من المؤرخين والجغرافيين فى تحقيق أنساب القبائل البربرية ، وقد أمدنا بمعلومات هامة عن أصول زناتة وتشعب بطونها ، وبعض مضاربها ، كما أمدنا بمعلومات أخرى عن المذاهب الدينية التى اعتنقتها بطون زناتة •

ثم نذكر كتاب **الكامل فى التاريخ** (١٠) لابن الأثير (ت شعبان سنة ٦٣٠ / سنة ١٢٣٣) (١١) الذى أمدنا بمعلومات عن مقاومة الكاهنة الزناتية للفتح الاسلامى فى بلاد المغرب ، ومعلومات عن دور زناتة فى فتن البربر ضد الخلافة الأموية والعباسية ، ورتب أحداث هذه الفتن ترتيبا دقيقا وفى اختصار • وقد انفرد ابن الأثير بذكر أسماء وتواريخ ومعلومات عن ثورة أبى يزيد مخلد الزناتى لم ترد فى أى مصدر آخر من المصادر التاريخية السابقة أو اللاحقة ، كما أمدنا بمعلومات ذات أهمية خاصة عن الصراع بين زناتة وصنهاجة،

---

(٩) تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ١٩٦٢ ، وابن حزم شغل عدة مناصب سياسية فى الأندلس مما أتاح له فرصة الاطلاع على ماكتبه سابقوه من المغاربة من أمثال محمد بن يوسف الوراق الحافظ لأخبار المغرب ، (ابن حزم جمهرة ، ص ٤٩٥) وقد اعتبر كتاب ابن حزم أهم مصدر للأنساب ، خاصة وأن العلماء العارفين بأنساب زناتة وأخبارها وآثارها كانوا قد هلكوا ، (ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣) •

(١٠) طبعة سنة ١٨٧٣ م •

(١١) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٣٤٨ ، ويعتبر ابن الأثير أحد المؤرخين المشارقة القليلين الذين كتبوا عن تاريخ المغرب بتفصيل ، وذلك لأنه اعتمد فى كتاباته على تآليف الثقات من المؤرخين المغاربة كما ذكر ذلك بنفسه مرارا ، ابن الأثير ، الكامل ، ٣ ص ١٩٩ ، ٤ ص ٢٢٨ ، انظر •
Sauvaget, Introduction to the History of the Muslim East, P. 217.

وخلاصة القول ان الأجزاء ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ من كتاب الكامل تعتبر من أهم مصادر البحث .

ونذكر كتاب **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** (١٢) لابن خلكان (ت ٦٨١ / ١٢٨٢) الذى أمدنا بمعلومات عن ثورة أبى يزيد الزناتى ، وأخرى عن الصراع بين جعفر بن على الأندلسى الذى كان شخصية هامة بالنسبة للفاطميين ، وبين زعيم صنهاجة الذى ناصر الفاطميين فى صراعهم مع زناتة ، ما كان سببا فى خروج جعفر هذا على الخلافة الفاطمية وانضمامه الى زناتة ، بالاضافة الى ما ذكره عن سنى توليه ووفاة الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، كما حفظ لنا وصية المعز لدين الله الفاطمى الى بلكين بن زيرى زعيم صنهاجة ونائب المعز فى حكم المغرب ، والتى أوصاه فيها بالنيل من زناتة .

وكتاب **نهاية الأرب فى فنون الأدب** (١٣) للنويرى (ت سنة ٧٣٢ / ١٣٣٢) (١٤) أمدنا بمعلومات هامة لا سيما الجزئين الثانى والعشرين ، والسادس والعشرين ، وكلاهما لا يزال مخطوطا ، عن فتن زناتة ضد الولاة العباسيين ، وأخرى عن انتشار الدعوة الاسماعيلية الفاطمية بالمغرب حتى قيام الخلافة الفاطمية ، أما أهمية كتابات النويرى فترجع الى ما أمدنا به من معلومات فريدة عن بداية ظهور صنهاجة كقوة لها وزنها فى المغرب ، والمعلومات الوافية عن أصول الصراع بين زناتة وصنهاجة ، ومدى تقدير الخليفة الفاطمى المعز لدين الله لدور زعيم صنهاجه بعد هزيمته لزناتة وقتل الكثير من فرسانها

(١٢) بدون تاريخ

(١٣) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

(١٤) انظر ، احمد عبد الرازق ، دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة ص ٣٢ ، ومما يزيد من أهمية كتابات النويرى انه اعتمد فى الجزء الخاص بتاريخ المغرب من كتابه على ماكتبه الثقات من المؤرخين المغاربة مثل الرقيق مؤرخ افريقية الأول ، ومحمد بن يوسف الوراق الحافظ لأخبار المغرب ، وقد فقدت كتاباتهما ، انظر ، المنجى الكعبى ، تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٩ .

الا أن النويرى لم يهتم بأحداث ثورة أبى يزيد الزناتى • ولأهمية كتابات النويرى عن المغرب فقد ترجم المستشرق De Slane الجزء الخاص بتاريخ المغرب تحت عنوان : Histoire de Berberes

وكتاب **كنز الدرر وجامع الغرر** (١٥) لابن أيبك الدوادارى (ت بعد سنة ١٣٧٦/٧٣٦) (١٦) ولا سيما الجزء السادس منه أمدنا بالروايات المختلفة حول نسب الفاطميين ، كما أمدنا بتواريخ تولية الخلفاء الفاطميين بالمغرب وسنى وفاتهم ، بالاضافة الى بعض المعلومات عن تاريخ الفاطميين بالمغرب متواترة عند غيره من المؤرخين •

ثم كتاب **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء (١٧)** للمقريزى (ت ٨٤٥ / ١٤٤١) الذى أمدنا بمعلومات عن انتشار المذهب الاسماعيلى الفاطمى بأرض المغرب وقيام الخلافة الفاطمية بعد قضائها على الدول المستقلة هناك ، كما أمدنا بمعلومات هامة عن ثورة أبى يزيد الزناتى على الخلافة الفاطمية ، وأخرى عن الصراع بين زناتة وصنهاجة أثناء حكم الفاطميين فى شمالى افريقيا •

ونذكر كتابه الآخر **البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب(١٨)** الذى أمدنا فيه ببعض المعلومات عن أصل زناتة ، وأسماء بعض بطونها ، أما أهمية الكتاب فترجع الى أن مؤلفه ذكر جميع أسماء القبائل البربرية التى صاحبت الجيش الفاطمى لفتح مصر ، والتى جاءت الى مصر بعد الفتح ، ولم يذكر ضمن هؤلاء قبيلة زناتة أو أحد بطونها ، مما يؤكد عدم خضوع زناتة للفاطميين أو انضوائها تحت رايتهم •

---

(١٥) الجزء السادس ، تحقيق صلاح المنجد ، القاهرة ، ١٩٦١ م •

(١٦) لا يعرف متى ولد ابن أيبك أو سنة وفاته ، وكل ما عرف عنه أنه بدء فى كتابة تاريخه سنة ١٣٠٩/٧٠٩ وانتهى منه سنة ١٣٣٦/٧٣٦ ، انظر ، احمد عبد الرازق ، المرجع السابق ، ص ١٨ — ١٩ •

(١٧) تحقيق جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٨ •

(١٨) تحقيق عبد المجيد عابدين ، الطبعة الأولى ، ١٩٦١ •

وكما توجد كتب تاريخية عامة توجد كتب جغرافيـــة عامة أيضا لها أهميتهـــا بالنسبة لموضوع البحث ، اذ قـــام الجغرافيون المسلمون برحلات متعددة جابوا فيهـــا أقطـــار العـــالم الاسلامى ، ولـــم يقصر الجغرافيون المشـــارقة رحلاتهم على بلاد المشرق ، وانمـــا جالوا فى أرض المغرب أيضـــا ، وان اقتصر بعضهم فى كتاباته عن شـــمالى افريقيـــا على ذكر البلدان وذكـــر المســـافات بينها ، فان آخرين منهم أمدونا بمعلومات هامـــة عن طبيعـــة بلاد المغرب وأحوالهـــا وعادات قبائل زناتة وتقاليدها ومضاربها ، « وذكـــر الأحوال العامة للأمصار أسس تنبنى عليهـــا كتابة التاريخ » (١٩) • كمـــا أن هذه المصـــــادر الجغرافيـــة لـــم تخل من بعض المعلومات التاريخية الهامة والفريدة فى بعض الأحيان ، بالاضـــافة الى أن بعضهم قـــد تعرض للحيـــاة القبليـــة للقبائل البربرية • وان اقتصر بعض الجغرافيين المشـــارقة على ذكر بلدان المغرب والمســـافات بينهـــا فان آخرين من المغـــاربة لم يكتبوا عن مواطنهم ، وانصب كل اهتمامهم على بلاد المشرق الاســـلامى التى خرجوا اليهـــا للحج أو الرحلة ومن هؤلاء المغاربة ابن بطوطة وابن جبير • وقصـــارى القول ، ان دراسة جغرافيـــة المغرب ضرورية ولازمة لمن يهتم بدراســـة تاريخ القبائل البربرية ، لمـــا للبيئـــة الجغرافيـــة من أثـــر على حياة القبائل ، ولأن الحياة القبليـــة كانت عصب تاريخ المغرب فى العصور الوسطى • ومن المصادر الجغرافيـــة العامة نذكر :

كتاب البلدان (٢٠) لليعقوبى (ت ٢٨٤ / ٨٩٧) (٢١) أفادنا فى تحقيق أنســـاب بعض البطون الزناتيـــة ، وأعاننا على تحديد مضـــارب

---

(١٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٠ •

(٢٠) الطبعة الثالثة ، النجف ، ١٩٥٧ م •

(٢١) انظر ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ٤ ص ٢٣٦ ، ومن الجدير بالذكر أن أهميـــة كتابات اليعقوبى ترجع الى أن وصفه لبلاد المغرب كان اعتمادا على مشـــاهداته الخاصـــة ، اذ اقام ببلاد المغرب ، ولأن اقامته ببلاد المغرب كانت قبيـــل قيـــام الخلافـــة الفاطميـــة هناك (انظر ، متز ، الحضـــارة الاسلاميـــة ، ٢ ص ٣ ـ ٤ ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ٤ ص ٢٣٦ — ٢٣٧) •

هذه البطون ، وهو تحديد لم يسبقه اليه أحد غيره من المؤرخين مشارقة أو مغاربة ، وقد أمدنا بمعلومات عن مذاهب بعض بطون زناتة • انفرد اليعقوبى بمعلومات غاية فى الأهمية عن امارات زناتية قامت بأرض المغرب الأوسط ، وظلت على حالها حتى قضت الدولة الفاطمية بعد قيامها على استقلالها •

ثم نذكر **كتاب صورة الأرض** (٢٢) لابن حوقل (ت النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) الذى عاصر مؤلفه الفترة التى يهتم بها البحث ، ووصف بلاد المغرب وصف شاهد عيان ، فأمدنا بمعلومات عن بعض بطون زناتة مع تحديد مضاربها تحديدا بالغ الدقة ، كما أجمل ابن حوقل أسماء الكثير من بطون زناتة • وقد أمدنا ابن حوقل ببعض المعلومات التى ساعدتنا فى تصحيح بعض الأخطاء التاريخية التى أوردها الكثير من المؤرخين عن انتقال اسماعيل المنصور بالله الخليفة الفاطمى الثالث الى عاصمته الجديدة، المنصورية ، كما أمدنا ابن حوقل بمعلومات عن ثورة أبى يزيد مخلد الزناتى ، الا أنها يجب أن تؤخذ بحذر لأن ابن حوقل شيعى المذهب (٢٣)

وكتاب **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم** (٢٤) للمقدسى (ت ٣٧٨ / ٩٨٨) (٢٥) أمدنا بمعلومات عن مضارب بعض بطون زناتة بالمغرب الأقصى ، أما أهم ما أمدنا به من معلومات فهى عن المكاييل التى استخدمت فى المغرب فى الفترة التى قامت فيها الخلافة الفاطمية بحكم المغرب ، الا أن بالكتاب بعض الأخطاء التاريخية اذ ينسب بناء عدوة الأندلسيين بمدينة فاس الى خلفاء بنى أمية بقرطبة ،

---

(٢٢) طبعة بيروت ، بدون تاريخ •

(٢٣) ابن حوقل ، صورة ، ص ٢٤ ، ٧٣ ، (انظر ، محمد الطالبى ، تاريخ قفصة ، ص ٩٠) ، ويعتبر البعض ان كتاب ابن حوقل هو الذروة فيما بلغه الغرب فى وصف البلدان ، وأن ابن حوقل كان باحثا يتحرى الدقة والتمحيص فيما ينهل ، (انظر ، متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢ ص ٤ـ٨) •

(٢٤) الطبعة الثالثة ، ليدن ، ١٩٠٩ •

(٢٥) يعتبر البعض أن المقدسى من الجغرافيين الثقات لا يروى الا ما رأى أو سمع عن الثقات ، (انظر ، الطالبى ، تاريخ قفصة ، ص ٩١) •

وحقيقـة الأمر أن الأدارسـة هم الذين أنشئوا مدينـة فاس بعدوتيها قبـل أن يتخـذ حكـام قرطبة الأمويين لقب الخلافة بمـا يقـرب من قرن من الزمان .

وكتاب **الاستبصـار فى عجائب الأمصار** (٢٦) لمؤلف مجهول (ت القرن السـادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) (٢٧) أمدنا بمعلومات وافيـة عن مدن وقرى كل قسـم من أقسـام المغرب الثلاثة : افريقية ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى ، مما سـاعدنـا عـلى دراسـة ثورة أبى يزيد الزنـاتى على الفاطميين ، بالاضـافة الى ما ذكـره من معلومات عن هذه الثورة . كما أمدنـا بمعلومات عن مدينة افكان التى أنشـأتهـا زناتة وخربهـا الفاطميون . ثـم قيـام زناتـة بتجديدها مرة أخرى بمسـاعدة أموى الأندلس .

وكتاب **معجم البلدان** (٢٨) لياقوت الحموى (ت ٦٢٦/١٢٢٩)(٢٩) أمدنا بمعلومات عن صفات البربر عامـة ، وأخرى عن قيـام الدولـة الفاطميـة بالمغرب ، كمـا أمدنا بتفاصيل هامة عن معاملة أبى يزيـد الزناتى لأهل المدن بعـد أن استولى عليهـا من الفاطميين . أمـا أهم ما أمدنا به من معلومات فهى عن بناء مدينة أشير التى أقيمت لتكون مركزا لتجمـع قبيلة صنهاجة ، ولتكون حاجزا أمام هجمات زناتة عـلى ممتلكات الخلافـة الفاطميـة بالمغرب . وقـد أمدنا أيضا بمعلومات عن مضارب بعض بطون زناتة بالمغرب وأسماء مدن بالأندلس حملت اسـم زناتة ونسبت اليها ، مما يؤكـد مشـاركة زناتة فى فتح الأندلس ، وهجـرة بطون زناتية اليها مع الفاتحين وبعد الفتح أيضـا .

---

(٢٦) نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميـد ، الاسكندرية ١٩٥٨م .

(٢٧) لم يعرف مؤلف الكتاب أو سنة وفاته ، الا أن المعلومات الواردة بالكتاب تدل على أن كاتبه مغربى الاصـل ، وانه كان يعمل فى ديوان أبى يوسـف يعقوب المنصور ، وذلـك لما فى الكتاب من تفصيلات عن مـدن المغرب (انظر ، السـيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١١٣) .

(٢٨) تصحيح محمـد أمين الخانجى ، الطبعة الأولى ، القـاهـرة ، ١٩٠٦ م .

(٢٩) ابن خلكـان ، وفيـات ، ٢ ص ٢١٤ .

ثم نذكر كتاب **مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار**(٣٠) لابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٨ / ١٣٤٧) (٣١) الذى أمدنا بمعلومات عن أسماء بعض بطون زناتة ومضاربها ، وأخرى عن حياتهم الاجتماعية وقيامهم بالاغارة ، بالاضافة الى معلومات توضح مدى فروسية رجال زناتة وشجاعة فرسانها ٠

والمصادر الاقليمية متنوعة فى مادتها ، فمنها التاريخية والجغرافية والطبقات والتراجم ، وهذه المصادر تعتبر أهم مصادر البحث على الاطلاق، فقد كتب معظمها مؤرخون عاشوا فى بلاد المغرب ، فعرفوا طبائع سكانه وحياتهم ، ولذا آمدونا بالكثير من التفاصيل عن الحياة الاجتماعية والسياسية للقبائل البربرية ، كما أمدونا بالمعلومات التى ساعدتنا على معرفة دور زناتة فى تاريخ المغرب وموقفها من الخلافة الفاطمية ، وأخرى عن بطون زناتة ومذاهبها وأعلامها ، ولأن زناتة كانت أكبر القبائل البربرية عددا وأوفرها بطونا ، وأكثرها مشاركة فى أحداث المغرب ، فقد نالت أكبر قسط من اهتمام المؤرخين والجغرافيين المغاربة ٠ وخلاصة القول ان مؤلفى هذه المصادر كرسوا كل جهدهم لكتابة تاريخ المغرب الاسلامى وحده ، ولم يشتتوا جهدهم فى كتابة تاريخ كل ولايات العالم الاسلامى ، فخرجت كتاباتهم عن قبائل المغرب أكثر دقة وتفصيلا ، ولأن هذه المصادر تمثل العمود الفقرى للبحث ، ولأنها تتفاوت فى القيمة رتبناها تاريخية ثم طبقات ثم جغرافية كل حسب أهميتها بالنسبة لموضوع البحث وليس حسب قدمها ، ومنها نذكر :

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر (٣٢) لابن خلدون (ت ٨٠٨ /

---

(٣٠) مخطوط بدار الكتب المصرية ، الجزء الخامس ، رقم ٤٣٧٦ ج ٠

(٣١) كان العمرى فى معرفته « بالمسالك والممالك وخطوط الاقاليم والبلدان وخواصها امام وقته » (ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، ١ ص ٧ ، طبعة القاهرة ، ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م) ٠

(٣٢) طبعة بيروت مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ٠

١٤٠٦) (٣٣) الذى يعتبر العمود الفقـــرى لموضوع البحث ، وذلـــك لأن ابن خلدون من أول من اهتم بتاريخ القبائل البربرية ، فقـــد أفـــرد الجزئين السادس والسابع من كتابه العبر لتاريخ قبائل المغــــرب ، بالاضافة الى ماذكره من تاريخها فى اجزاء أخرى من كتابه حينما تنـــاول تاريخ الدول التى قامت بالمغرب ، ويعتبر الجزآن اللذان أفردهمـــا ابن خلدون لتاريخ قبائل المغرب أنفس أجزاء كتابه العبر ، وأقواهـــا عرضا وتحقيقـــا (٣٤) • ومن هذين الجزئين خصص ابن خلدون جزءا كاملا وهو السابع لتاريخ قبيلة زناتة ، تكلم فيه عن أصلها وبطونهـــا ومضــــاربها ومذاهبها وتاريخها ، فانفرد ابن خلدون بالكثير من المعلومات الهامة عن زناتة ، وان كان يؤخـــذ عليه ما فى كتاباته من أخطاء تاريخية كثيرة ، وكذلك التضارب فى ذكـــر الحادثة التاريخية الواحدة وتاريخ حدوثهـــا ، اذ يذكرها فى أكثر من موضع بأكثـــر من تاريخ ومع اختلاف فى الأحداث (٣٥) الا أن ذلك لا يقلل من قيمـــة وأهمية كتابات ابن خلدون بالنسبة لموضوع البحث • وقصـــارى القول ، ان ما أمدنا به ابن خلدون من معلومات ساعدتنا فى كل فصـــل من فصول البحث بل كانت صاحبة النصيب الأوفى فى كل الفصـــول ، مما لا يمكننا أن نعرض لمـــا استفدناه من الأجزاء ٣، ٤ ، ٦ ، ٧ من كتاب العبر فى ســـطور أو حتى فى صفحات •

ثم نذكر **المقدمـــة** (٣٦) لكتاب العبر التى أمدنا فيها ابن خلدون

---

(٣٣) نشأ ابن خلدون فى بيئـــة علميـــة ، واشـــتغل بالسياسة ، وتقلب فى خدمة الدول التى قامت على أرض المغرب ، فكان مركزه الاجتماعى والمناصب العليـــا التى شـــغلهـــا ، همـــا الوسيلة التى أتاحت لـــه الاطـــلاع على أمهات تاريخ المغرب ، وكان علمه وملكـــه المؤرخ العبقرى الموهوب همـــا ساعداه فى الاستفادة من هذه المصـــادر ، (انظـــر ، على عبد الواحـــد ، ابن خلدون ، ص ٤٠ ومـــا بعدهـــا ، عنان ، ابن خلدون ، ص ٦١ وما بعدهـــا ، الجابرى ، العصبيـــة والدولة ، ص ١٩٠) •

(٣٤) أنظر ، عنان ، ابن خلدون ، ص ١٣٢ •

(٣٥) وضع ابن خلدون منهجا لكتابة التاريخ فى مقدمته ، الا انه لـــم يطبق هذا المنهج فيمـــا كتبه من تاريخ فى كتابه العبر ، (انظـــر ، الجابرى ، العصبيـــة والدولة ، ص ١٩٠) •

(٣٦) طبع بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٦٥ •

بمعلومات عن نسب الفاطميين وأخرى عن بطون زناتة وصراعها بعضها مع بعض ، مما فتت من وحدتها وضعضع من قوتها ، الا أن أهم ما أمدنا به هو دراسته للعصبية القبلية التى ساعدتنا فى دراسة ثورة البربر الكبرى التى قادتها زناتة ، وثورة أبى يزيد الزناتى على الخلافة الفاطمية ، وفى دراسة الصراع بين زناتة وصنهاجة • فان كانت دراسة ابن خلدون للعصبية القبلية ليست بقانون عام يصدق على كل زمان ومكان الا أنها أصدق ما تكون على قبائل البربر ، لأن ما استنبطه ابن خلدون من نظريات فى مقدمته كان نتيجة دراسته لتاريخ المغرب (٣٧) ، ولأنه كان يدرك روح مواطنيه من البربر ادراكا صادقا ، فجاءت احكامه عن القبائل البربرية صادقة كل الصدق (٣٨) ، ومما يزيد من أهمية كتابات ابن خلدون عن العصبية بالنسبة لموضوع البحث ، أنه لا يفتأ يذكر زناتة كلما أراد الاستدلال على شىء أو تأكيده ، وكأنه استقى نظرياته عن العصبية من دراسته لتاريخ بطون زناتة •

ثم كتاب **البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب (٣٩) لابن** عذارى (ت بعد سنة ٧٢١/١٣٢١) (٤٠) الذى أمدنا بالكثير من المعلومات التى يصعب عدها ، اذ يعتبر ماكتبه ابن عذارى من أهم مصادر البحث (٤١) ، بعد كتابات ابن خلدون ، ومما أمدنا به من معلومات ما ذكره

---

(٣٧) انظر ، سعد زغلول ، المغرب ، ص ١٧ م •

(٣٨) انظر ، حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ١٠ •

(٣٩) الجزء الأول نشر بروفنسال وكولان ، ليدن ١٩٤٨ م ، الجزء الثانى ، نشر دوزى ، ليدن ١٨٤٩ م ، الجزء الثالث ، نشر بروفنسال ، باريس ١٩٣٠ م •

(٤٠) لم تعرف سنة وفاة ابن عذارى على وجه التحديد ، ولكن المؤكد انه الف كتابه سنة ٧٢١/١٣٢١ ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٩) •

(٤١) يجمع الدارسون لتاريخ المغرب على ان كتاب ابن عذارى اهم مصادر تاريخ المغرب رغم تأخره النسبى ، (انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١٠٠ ، سعد زغلول ، المغرب ، ص ١٢ م ، الكعبى ، محقق تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٧ ،

Sauvaget, Op. Cit, P. 217.

عن الأعداد التى شاركت فى احدى فتن البربر مبينا أن أكثـــر من ثلثى البربر الذين شـــاركوا فى هذه الفتنـــة كانوا من قبيلة زناتة • وينفـرد ابن عذارى بمعلومات هامة ودقيقة عن الصراع بين زناتة والخـلافة الفاطمية بعيد قيامها بالمغرب ، مما يبين أن زناتة أعلنت عدائها للفاطميين منذ بداية وجودهم بالمغرب ، كما انفرد أيضا بتفاصيل هامة عن ثـورة أبى يزيـــد الزناتى على الخلافة الفاطمية ، الا أنه أغفـل بعض الأحداث الهامة للثورة ، كما اضطربت روايته لها ، وانفرد أيضا بذكر أســماء أمراء وقواد زناتة الذين شاركوا فى الصراع ضـد الفاطميين وصنهاجة • هذا الى جانب متابعته لهجرة البطـون الزناتية من المغرب الى الأندلس ، مما كان سببا فى نقص جموع زناتة بالمغرب وبالتالى ضعف قوتها • وخلاصة القول ان ماكتبه ابن عذارى يعتبر أقرب مصادر تاريخ المغرب الى التكامل ، ولأهميته قـام المستشرق E. Fagnan بترجمـة الجزء الأول منه تحت عنوان Histoire de l'Afrique du Nord et del'Espagne (1901 - 1904).

وكتاب **مفاخر البربر** (٤٢) وهو مجهول المؤلف (ت بعد ســنة ٧١٢/١٣١٢)(٤٣) أمدنا بمعلومات عامة عن بعض بطـون زناتة ومضاربها أما أهميـــة الكتاب فتجىء من ترتيبه لأحداث الصراع بين زناتة وصنهاجة ترتيبا يختلف عن غيره من المؤرخين ، كمـا أضـاف أسبابا أخرى لخروج جعفر بن على الأندلسى على الفاطميين وانضمامه الى زناتة ، وقد انفرد مؤلف الكتاب بذكر بعض التفاصيل عن غزوة بلكين بن زيرى زعيـــم صنهاجة الأخيرة للمغربين الأوسط والأقصى ، والتى شتت فيها شـمل قبيلة زناتة ، وأخرجت من مواطنها الى صحارى المغرب • وفيمـا عدا ذلك فان ما ذكره من أحداث تاريخيـــة متواتر عند الكثير من المؤرخين •

---

(٤٢) نشر وتصحيح بروفنسال تحت عنوان : نبذ تاريخيـة فى أخبار البربر فى العصور الوسطى ، الرباط ١٩٣٤ م •

(٤٣) لم نعرف سنة وفاة المؤلف الا انه ذكـر انه الف كتابه ســنة ٣١٢/٧١٢ ، (مجهول ، نبذ ، ص ٤٤) وقـد اعتمـد ابن خلدون على هـذا المصدر اذ ينقـل منه نقـلا حرفيـا فى بعض الأحيان •

وكتاب **الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** (٤٤) لابن أبى زرع (ت النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) (٤٥) أمدنا بمعلومات هامة عن دور زناتة فى مساندة الأدارسة منذ قيام دولتهم ، وتحول بعض بطون زناتة عن مذهب الخوارج الى مذهب أهل السنة فى فترة حكم الأدارسة ، أما أهم ما أمدنا به من معلومات فهى ما ذكره عن الاضافات التى أنشأها أحد أمراء زناتة فى جامع القرويين بفاس ، كما أمدنا ببعض المعلومات عن علاقة زناتة بأموى الأندلس ، وان كانت بعض معلوماته يشوبها الخطأ ، فان ذلك لا يقلل من قيمة كتاباته •

وكتاب **المقتبس** (٤٦) لابن حيان (ت ربيع الأول سنة ٤٦٩ / اكتوبر سنة ١٠٧٦) (٤٧) أمدنا بمعلومات وافية عن أصل جعفر بن على الأندلسى ونسبة ، وانضمام أسرته الى الدعوة الاسماعيلية منذ بدء انتشارها فى المغرب ، وقد انفرد ابن حيان بذكر بعض أسباب الصراع بين جعفر بن على وبين زعيم صنهاجة ، ومعلومات أخرى أوضحت العلاقة بين جعفر بن على وبين زناتة قبل خروج جعفر على

---

(٤٤) الجزء الأول ، تحرير وتعليق محمد الهاشمى الفيلالى ، الرباط ١٩٣٦ م •

(٤٥) لقد عمل ابن أبى زرع كاتبا للسلطان ابى سعيد عثمان المرينى (٧١٩ / ١٣١٩ — ١٣٣١/٧٣١) خامس ملوك دولة بنى مرين ، مما اتاح له فرصة الاطلاع على الكثير من تواليف المغاربة ، بالاضافة الى أن عصره كان مليئا بالمؤلفات عن تاريخ المغرب التى فقدت بعد ذلك ، (انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١١٤) •

(٤٦) وجد من الكتاب عدة أجزاء ، اما الجزء الذى يهم موضوع البحث فهو الذى نشره وحققه عبد الرحمن الحجى تحت عنوان : المقتبس فى اخبار بلد الأندلس ، بيروت ١٩٦٢ م •

(٤٧) انظر ، جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٢٠٨ — ٢١١ ، وقد عمل ابن حيان كاتبا للمنصور بن أبى عامر مما أتاح له فرصة الاطلاع على ماكتبه سابقوه ، « وكان ابن حيان صاحب لواء التاريخ فى الأندلس ، وأفصح الناس فيه وأحسنهم نظما له » (ابن بشكوال ، الصلة ، ١ ص ١٥١ ، انظر ، وبالنثيا ، المرجع السابق ، نفس الصفحات •

الفاطميين ، كما انفرد أيضا بوصف غاية فى الدقة عن استقبال الحكم المستنصر خليفة قرطبة الأموى لأمراء زناتة بعد أن هزموا صنهاجة وقتلوا زعيمها زيرى بن مناد وأتوه برأسه • وقد أمدنا أيضا بمعلومات هامة عن محاولات الخليفة الأموى الحكم المستنصر خليفة الأندلس (٣٥٠ / ٩٦١ — ٣٦٦ / ٩٧٦) لاستعادة نفوذ الأمويين على أرض العدوة بالمغرب بمساعدة قبائل زناتة ، وأخرى عن الصراع بين زناتة وصنهاجة • وخلاصة القول ان كتابات ابن حيان شيخ الأدباء والمؤرخين بالأندلس تعتبر من أهم المصادر فى دراسة الصراع بين زناتة وصنهاجة بالمغرب ، وعلاقة زناتة بأموى الأندلس ، ولا غرو فابن حيان « قيد شوارد عصره ، واستوعب أخبار افقه وقطره » (٤٨) •

وكتاب **تاريخ افريقية والمغرب** (٤٩) للرقيق القيروانى (ت أوائل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى) (٥٠) الذى نقل عنه معظم من كتب عن تاريخ المغرب من أمثال ابن الأثير وابن عذارى والنويرى وابن خلدون وغيرهم ، والذى فقد معظمه ، فان ما عثر عليه من الكتاب أمدنا بتفصيلات هامة لم يأت بمثلها أحد ممن نقلوا عن

---

(٤٨) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤ •

(٤٩) وهو جزء من تاريخ الرقيق يشمل أحداث القرن الأول الهجرى ، والنصف الأول من القرن الثانى ، وقد حقق هذا الجزء وقدم له المنجى الكعبى ، ونشره تحت عنوان تاريخ افريقية والمغرب ، تونس ١٩٦٨ م •

(٥٠) والرقيق عمل فى دولة بنى زيرى كاتبا خاصا لأمرائها حتى عرف بكاتب الحضرة ، (انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٨٦) • كما عمل فى ديوان الرسائل ثم تولى رئاسة هذا الديوان مدة نيف وعشرين سنة ، (انظر ، الكعبى ، محقق تاريخ افريقية والمغرب ، ص ٢٢) ومن ثم فقد اتيح له فرصة الاطلاع على الكثير من الوثائق والمؤلفات التى كتبت عن تاريخ المغرب والتى قلما توفرت لغيره ، وقد كتب الرقيق تاريخه المشهور ابتداء بالفتح الاسلامى للمغرب حتى أوائل القرن الخامس الهجرى فى عدة مجلدات فقدت كلها عدا الجزء الخاص بالفتح الاسلامى للمغرب وعصر الولاة ، ولذا اعتبر الرقيق مؤرخ افريقية والدول التى كانت بالقيروان ، (انظر ، الكعبى ، المصدر السابق ص ٢٧) ، الا انه لوحظ على الرقيق عدم ذكره لاسم زناتة ، وربما كان ذلك بسبب عمله فى بلاط صنهاجة العدوة التقليدية لزناتة •

الرقيق نفسه ، فقد أنفرد بذكر اسمى ولدى الكاهنة الزناتية ، كما انفرد ببعض التفاصيل الهامة والكثيرة عن فتن البربر التى قادت زناتة احداها وشاركت فى الأخريات ، مثل ذكر أسماء القادة وطريقة تقسيم الجيش العربى ، ودور نساء القيروان فى تحريض العرب على قتال لبربر ، كما انفرد بتحديد اليوم الذى حدثت فيه المعركة ، الا أن أهم ما انفرد به الرقيق من معلومات فهى ما أورده عن فتنة أبى قرة اليفرنى الزناتى من تفاصيل •

وكتاب **الحلة السيراء** (٥١) لابن الآبار (ت ٦٥٨ / ١٢٦٠) (٥٢) أمدنا ببعض المعلومات عن فتنة أبى قرة اليفرنى الزناتى ، وأخرى عن نسب الفاطميين ، كما أمدنا بمعلومات على جانب من الأهمية عن ثورة أبى يزيد الزناتى ، بالاضافة الى ما أنفرد به من معلومات عن هذه الثورة وقد أمدنا أيضا بمعلومات عن معاملة الحكم المستنصر خليفة قرطبة لجعفر بن على وأخيه يحيى بعد انضمامهما الى زناتة وارتحالهما الى الأندلس • وقد أمدنا الكتاب بمعلومات ذات قيمة عن هجرة بعض بطون زناتة الى الأندلس وعملهم فى خدمة دولة بنى أمية •

وكتاب فتوح مصر والمغرب (٥٣) لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ / ٨٧١) (٥٤) الذى يعتبر أقدم مصادر تاريخ المغرب ، أمدنا بمعلومات

---

(٥١) تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ١٩٦٣ •

(٥٢) عاش ابن الآبار فى تونس وعمل كاتبا لأحد سلاطين بنى حفص مما اتاح له فرصة الاطلاع على كتابات المغاربة المؤرخين ، كما انه مؤرخ ثبت دقيق جدير بكل ثقة ، اذ كان من افضل مؤرخى المسلمين فى القرن السابع الهجرى ، (انظر ، مؤنس محقق الحلة ، ١ ص ٨ ، ٤٧ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٥٨) •

(٥٣) تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١ م •

(٥٤) لقد استطاع ابن عبد الحكم الاطلاع على ديوان الفسطاط قبل احتراقه ، وترجع اهمية ديوان الفسطاط بالنسبة لدراسة تاريخ المغرب أن مصر كانت قاعدة فتح المغرب وعاصمته بعد الفتح ، (انظر ، سعد زغلول ، فتح المغرب بين الحقيقة والأسطورة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة =

عن سبق البتر الى الدخـول فى الاسلام قبل البرانس ، واخرى عن اتخـاذ ولاة بنى أميـة حرسهم الخاص من البتر السـابقين الى التحول الى الاسلام وهم من زناتة ، كمـا أمدنا بمعلومات عن مقاومة الكاهنـة الزناتية للفاتحين العرب • ومعلومات أخرى عن الفتنـة البربرية الكبرى التى قادتها زناتة فى وجه ولاة بنى أمية • وقـد أمدنا ابن عبد الحـكم ببعض المعلومات عن دور زناتة بافريقيـة أثنـاء ثورة البربر الكبرى التى اشتعلت فى المغربين الأوسط والأقصى •

وكتاب **أخبار مجموعـة فى فتح الأندلس** (٥٥) لمؤلف مجهول (ت نهاية القرن الرابع الهجرى / الحادى عشر الميلادى) (٥٦) يعتبر مصدراً أساسيا لثورة البربر الكبرى التى قادتهـا زناتة فى المغرب والأندلس ، لما أمدنا به من تفاصيل غاية فى الدقة عن أحداثهـا •وان كان يؤخذ على المؤلف تعصبه للعرب ، وما وقـع فيه من بعض الأخطـاء التاريخية •

وكتاب **المغرب فى حلى المغرب** (٥٧) لابن سـعيد المغربى (ت ٦٨٥ / ١٢٨٦) أمدنا بمعلومات عن أسباب اتخـاذ عبد الرحمن الناصر خليفـة قرطبة لقب الخلافة بدلا من لقب أمير وتاريخ اتخاذه هـذا اللقب ، أما أهم ما أمدنا به من معلومات فهى عن الأسـباب التى شغلت

= الاسكندرية ، المجلد السادس عشر ١٩٦٢) • كما درس على ابن عبد الحكم عدد كبير من المغاربة والأندلسيين الذين وفدوا الى مصر لدراسـة مذهب مالك فاستفاد ابن عبد الحكم منهم بمـا أمدوه بـه من معلومات عن تاريخ المغـرب ، (انظر ، بركلمـان ، تاريخ الأدب العربى ، ٣ ص ٧٥ ، العبادى ، فى تاريخ المغـرب والأندلس ، ص ٣٣٦) •

(٥٥) طبعة مجريط ، ١٨٦٧ م •

(٥٦) ينتهى الكتاب بوفاة الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر ٣٥٠/٩٦١ مما يرجـح أن وفـاة المؤلف فى نهايـة القـرن الرابع الهجرى ، والمؤلف متعصب للعـرب كمـا يبدو من كتاباته ، كمـا انه يدافـع عن سياسـة الخلفاء الأمويين التى اتبعهـا ولاتهم فى المغـرب والأندلس والتى كانت سببا فى ثورة البربر ، (انظـر ، العبادى ، فى تاريخ المغـرب والأندلس ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، الطباع ، محقق ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٢٤ م) •

(٥٧) تحقيق وتعليق ، شوقى ضيف ، الطبعـة الثانيـة ، ١٩٦٤ م •

خلفـــاء قرطبة الأمويين عن مســـاعدة زناتة على الوقوف فى وجـــه صنهاجة والفاطميين ، مما كان سببا فى هزيمـــة زناتة وفرار قبائلها الى الصحارى أمام هجمات صنهاجة •

وكتاب **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** (٥٨) للمقرى (ت ١٠٤١ / ١٦٣١) أمدنا بمعلومات عن عـــلاقة زناتة بالأمويين منذ الفتح الاسلامى للمغرب ، ومســـاعدة زناتة لعبد الرحمن بن معاويـــة حينما فرالى المغرب بعد قيام الخلافة العباســية وحتى استقر بالأندلس ، وقد أمدنا المقرى ببعض المعلومات عن مســـاندة زناتة للمنصور ابن ابى عامـــر حتى تغلب بهم على الأندلس بعد اضطراب أمر الخـــلافـــة الأموية بها ، كمـــا أمدنا ببعض المعلومات عن لهجة زنانة التى ميزتهـــا عن بقيـــة قبائل البربر ، وأخرى عن أنفة رجالها •

وكتاب **تاريخ افتتـــاح الأندلس** (٥٩) لابن القوطية (ت ٣٦٧ / ٩٢٧) (٦٠) أمدنا بمعلومات عن فتنـــة البربر الكبرى التى قادتهـــا زناتة بالمغرب والأندلس ، وان كان فيما ذكـــره بعض الاضطراب والخلط ، أما أهم ما أمدنا به من معلومات فهى التى تؤكـــد أن مذهب الخوارج لم يظهر بالأندلس الا فى فترة حكم الحكم بن هشام ، مما يؤكـــد أن ثورة بربر الأندلس التى قادتها زنانة لم تكن خارجية ، وانما قـــام

---

(٥٨) تحقيق احســـان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م ، وكتاب المقرى عبارة عن موســوعة كبرى عن تاريخ المغرب والأندلس ، الا انه غير منظم فى سرد معلوماته، مما يضنى الباحث بين صفحاته ، وقـــد افدنـــا من الأجزاء ١ ، ٣ ، ٥ من الكتاب •

(٥٩) تحقيق وتعليق عبد الله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ،١٩٥٧

(٦٠) تأتى أهمية كتاب ابن القوطية من أن مؤلفــه كان حافظـــا لأخبار المغـــرب والأندلس وسير أمرائهمـــا ، (ابن الفرضى ، تاريخ علمـــاء ، ٢ ص ٢٧٦ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، ٢ ص ٣٧٦) بالاضافة الى ان ابن القوطية كان أسبانى الأصل فتأثر بالنزعة الوطنية الأسبانية ، وكان متعصبا ضد الجنس العربى والســيادة العربيـــة فقـــدم لنـــا وجهـــة النظـــر الأخـــرى التى تقابـــل وجهـــة نظر المؤرخين المسلمين الذين كتبوا من وجهـــة نظـــر الخلافة العربيـــة ، (انظر ، الطباع ، محقق تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٢٦ م) •

بهـا بربر الأندلس لمؤازرة اخوانهم بالمغـرب ، خاصة وأن قيـادة ثورة البربر فى المغـرب كانت لقبيلة زناتة .

وكتاب **أعمال الأعلام** (٦١) لابن الخطيب (ت ٧٧٦/١٣٧٤) أمدنا بمعلومات عن بعض بطون زناتة ومضاربها ومذاهبها ، واخرى عن دور زناتة فى مسـاندة دول الخوارج التى قامت فى شـمالى أفريقيا . وبعض المعلومات عن ثورة ابى يزيـد مخلد الزناتى ، وغزوة جوهـر الصقلى قائـد المعز لدين الله الفاطمى لاسترداد المغـرب الأقصى من أيدى زناتة ، الا أن ابن الخطيب يجمـل الأحداث فى اختصـار شديد ، وتؤخذ عليه أخطـاؤه فى أسـماء الاعلام وتواريخ الأحداث ، كما يخطىء فى نسبة دولة بنى مدرار التى قامت فى سجلماسة بالمغرب الأقصى سنة ١٤٠/٧٥٧ الى قبيلة زناتة على اعتبار أن قبيلة مكناسـة أحـد بطـون زناتة ، وهو خطـأ وقـع فيه الكثير من المؤرخين قدامى ومحدثين .

وكتاب **أخبار بنى عبيـد وسيرتهم** لابن حماد (ت ٦٢٨ / ١٢٣١) ، يهم موضوع البحث الا أن هذا الكتاب فقد الكثير من قيمته بعد نشر سيرة جعفـر الحاجب (٦٢) التى نشرت فى مجلـة كليـة الآداب جامعـة القاهرة سنة ١٩٣٦ م وكذلك فى كتاب Ivanov وقد أمكن الاطـلاع عليهمـا والاستفادة منهـا .

ثم تأتى كتب الطبقات والتراجم التى تتميز عن المصـادر التاريخية بأنها تتتبع من تترجم لهم فى حياتهم الخاصـة الى جانب مشـاركتهم فى الأحداث السياسية لذا فانهـا تحوى معلومات متنوعة ، الا أن بعض هذه الكتب ، وبخاصـة تراجم الاباضـية ، نظرا لعنايتهـا بسـير

---

(٦١) وما يهمنا من الكتاب هو الجزء الثالث ، تحقيق ونشر احمـد مختار العبادى ، ومحمد ابراهيم الكتانى تحت عنوان : المغرب العربى فى العصر الوسيط ، الدار البيضـاء ١٩٦٤ م .

(٦٢) Sauvaget, op. cit., P. 217.

العباد والصالحين وأصحاب الكرامات ، فانها تذخر بمعلومات ذات طابع أسطورى خرافى • وقد تخصصت بعض كتب الطبقات فى ذكر آئمة وعلماء المذاهب الاسلامية فى بلاد المغرب مثل كتب طبقات الاباضية ، وكتبت أخرى عن علماء وأدباء وحكام وأمراء المغرب والأندلس • ولذا أمدتنا هذه المصادر بمعلومات متنوعة وفى بعض الأحيان فريدة ، ومن هذه المصادر نذكر :

كتاب السيرة وأخبار الأئمة (٦٣) لأبى زكريا (ت النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى) أمدنا بمعلومات هامة عن دور معتزلة زناتة فى مناوئة الدولة الرستمية ، أما معلوماته عن ثورة أبى يزيد فتوضح مدى تعصب الاباضية الوهبية لمذهبهم وتحاملهم على من انشقوا عليهم وتحولوا الى الاباضية النكارية وأهم ما أمدنا به الكتاب من معلومات فهى عن ثورة أبى خزر الزناتى على الخلافة الفاطمية التى أطلق عليها المؤرخ اسم المسودة وقد تناول أبو زكريا حياة أبى خزر الزناتى بالتفصيل ، كما تناول أحداث ثورته أيضا ، ويزيد من أهمية هذه المعلومات أن أبا زكريا كان معاصرا لهذه الثورة ، بالاضافة الى ضمت المصادر السنية عن ذكر أحداث الثورة أو شىء عن زعيمها • وقد أمدنا أيضا بمعلومات عن الصراع بين بطون زناتة وحروبها القبلية مع بعضها البعض والتى كانت سببا فى تفتيت وحدة زناتة وتضعضع قوتها ، وعدم اجتماعها على رئاسة واحدة •

وكتاب السير (٦٤) للشماخى (ت ٩٢٨ / ١٥٢٢) (٦٥) أمدنا ببعض المعلومات عن فتن البربر التى شاركت فيها زناتة وضربت فيها بسهم وافر ، وأخرى عن دور زناتة فى مساندة الدولة الرسمية بتاهرت

---

(٦٣) مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٣٠ ح •

(٦٤) بدون تحقيق وبدون تاريخ وأقرب ما يكون الى المخطوطة •

(٦٥) والشماخى أكثر مؤرخى الاباضية حيادا وموضوعية ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٩) •

حين قيامها ، وتدخل أمراء زناتة فى اختيار أئمة الدولة ، ثـم محاولة زناتة الاستيلاء على الامامة لأحـد زعمائهـا • كما أمدنا بمعلومات عن بعض بطون زناتة توضح مضاربهم ومذاهبهم وأخرى عن دور زناتة فى العمـل بالتجارة ، وقيـام فرسـانها بالاغارة وعملهم كجند مرتزقة • وقد انفرد الشماخي بذكر سبب تحول أبى يزيـد مخلد الزناتى من الاباضية الوهبية الى مذهب النكـارية •

وكتاب معالم الايمان فى معرفـة أهل القيروان (٦٦) للدباغ (ت ٦٩٦/١٢٩٧) أمدنا بمعلومات عن دور الكاهنة الزناتية فى مقاومة العـرب أثناء فتح المغرب ، وأخرى عن الحياة الاجتماعية لقبيلة جراوة الزناتية قبل تحولها الى الاسلام ، كما أمدنا بمعلومات عن أحد علمـاء زناتـة اغفلته كتب التراجم والطبقات • وقد أفدنـا منه أيضـا فى دراسـة ثورة ابى يزيـد الزناتى بما أمدنا به من معلومات تبين دور علمـاء أهـل السنة بالقيروان فى تحريض أهل القيروان للانضمام الى ابى يزيـد ومحاربة الفاطميين • وقـد انفرد بمعلومات عن معاملة أبى يزيـد لأهل السنة • وأخرى عن نتائج ثورته وما احدثته من تغير فى سـياسـة الفاطميين الاقتصـادية والمذهبية •

وكتاب طبقات الاباضيـة (٦٧) للدرجينى (ت منتصف القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) أمدنا بمعلومات هامـة عن قيام الخلافة الفاطمية ، وأخرى عن ثورة أبى يزيـد الزناتى ، مبينا موقف الخوارج الوهبيـة من قبيلة نفوسـة من هـذه الثورة ، وقـد انفـرد بذكـر المعارك الأولى لهـذه الثورة ، وان كانت أقرب الى الاسـطورة من الواقـع ، والى الخيـال من الحقيقـة ، الا أنهـا توضح لنـا مـدى تحامل الاباضيـة الوهبيـة على أبى يزيـد الزناتى والنكاريـة ، أمـا ما أورده الدرجينى عن ثورة أبى خزر الزناتى على الفاطميين فهـو ترديد لما ذكره أبو زكريا فى كتابه السيرة الذى سبقت الاشـارة اليه •

---

(٦٦) الجزء الأول ، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح ، الطبعـة الثانيـة ، تونس ١٩٦٨ م • والجزئين الثانى والثالث ، طبعـة تونس ، ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م •

(٦٧) مخطـوط بدار الكتب المصريـة ، رقم ١٢٥٦١ ح •

وكتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم (٦٨) لابن بشكوال (ت ٥٧٨ / ١١٨٢) (٦٩) أمدنا بمعلومات عن أحـد بطون زناتة التى عاشت بالأندلس ، ولـم تذكرها الكثير من المصادر التى تكلمت عن الأنساب أو عن بطون زناتة ، كمـا لم يذكـر لها فرع بالمغرب فى كتب المؤرخين ، وقـد أمدنا أيضـا بتواريخ توليـة ووفاة خلفـاء قرطبة وبعض قوادهم الذين لعبوا دورا هامـا فى تاريخ زناتة بالمغرب .

وان كانت بعض كتب الطبقات والتراجم قد أمدتنا بمعلومات أفادتنا فى موضوع البحث فان البعض الآخر منها أفادتنا أيضـا فى دراسـة تاريخ زناتة وموقفهـا من الخلافة الفاطميـة دون أن تقدم لنـا معلومات عن زناتة . فقـد ترجمت كتب الطبقـات والتراجم لمشـاهير ممن اشتغلوا بالعـلم ، والأدب ، والقضـاء ، ومن شـغلوا المناصب العليا ، وقـد اهتمت هذه الكتب بأنسـاب من ترجمت لهم (٧٠) فنسـبوا كل من ترجموا لهم إلى قبائلهم ، فذكروا لنـا البرغواطى (٧١) ، والكتامى (٧٢)، والمصمودى (٧٣) ، والصنهاجى (٧٤) ، واللواتى (٧٥) والهوارى (٧٦) ، والمغيلى (٧٧) ، والصدينى (٧٨) ، ولم تذكـر بين من ترجمت لهم من

---

(٦٨) تصحيح ونشر السيد عزت العطار الحسينى ، مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، ١٩٥٥ م .

(٦٩) وهو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال . (ابن الأبار ، التكملة ، ١ ص ٣٠٤ ــ ٣٠٧) .

(٧٠) محقق تاريخ علمـاء الأندلس ، ١ ص ٢ .

(٧١) ابن بشكوال ، الصـلة ، ١ ص ١٨٠ .

(٧٢) نفسـه ، ص ٢٨٧ ، ٣٧١ ، ابن الفرضى ، تاريخ علماء ، ١ ص ١١٠ .

(٧٣) نفسـه ، ص ٢٥ ، ابن الفرضى ، تاريخ علمـاء ، ١ ص ١٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٣٤ ، ٢ ص ١٧٩ .

(٧٤) ابن بشكوال ، ١ ص ٢٢٧ ، ٢٤٥ ، ٣٢٨ ، ٢ ص ٥٧٩ .

(٧٥) نفس المصدر ، ٢ ص ٦٠١ ، ٦٣٣ .

(٧٦) ابن الفرضى ، تاريخ علمـاء ، ١ ص ٢٥٧ ، ٢٨٧ .

(٧٧) ابن الفرضى ، تاريخ علمـاء ، ٢ ص ٨٧ ، ١٩٠ .

(٧٨) نفسـه ، ص ١٥٠ .

نسب الى قبيلة زناتة فى الفترة التى يهتم بها البحث ، وان أشارت الى علماء من زناتة مع بداية القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى (٧٩) ، مما يدعونا الى التساؤل عن السبب فى عدم ذكر علماء من زناتة بين هذه التراجم ، فهل كان ذلك لأن غالبية بطون زناتة لم تكن على مذهب أهل السنة ، أم لان زناتة لم تضرب بسهم وافر فى مجال العلم ؟ ويرجح الاحتمال الأخير أن كتب الطبقات التى صنفت فى ذكر علماء وأئمة الخوارج بالمغرب لم تذكر سوى واحد من علماء زناتة ، وأن زناتة ظلت على البداوة حتى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، وكانت دائما تهفو الى سكنى الصحراء والجبال ، وتعيش فى أخصاص وبيوت من شعر ، وتحترف العسكرية ، وتعيش على الاغارة ، ولذا كانت تأنف من احتراف صناعة العلم مثلها فى ذلك مثل كل القبائل عريقة البداوة ، كما يقول ابن خلدون فى مقدمته ٠

ثم تأتى المصادر الجغرافية الاقليمية التى تقف على قدم المساواة مع المصادر التاريخية الاقليمية فى الأهمية بالنسبة لموضوع البحث ومنها نذكر :

كتاب المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب (٨٠) للبكرى (ت ٤٨٧/١١١٣) (٨١) الذى يعتبر أهم الكتب الجغرافية بالنسبة لموضوع البحث ، أمدنا بمعلومات غاية فى الدقة عن مواقع مدن المغرب والمسالك اليها ، ومضارب الكثير من بطون زناتة ، كما أمدنا

---

(٧٩) ابن بشكوال ، الصلة ، ١ ص ٥٧٣ ، ٥٨٦ ٠

(٨٠) تحقيق دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧ م ٠

(٨١) عاش البكرى فى الأندلس ولم يغادرها طوال حياته ، ولذا اعتمد فى كتاباته عن بلاد المغرب على تواليف المغاربة خاصة محمد بن يوسف الوراق الحافظ لأخبار المغرب ، (ابن حيان ، المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ص ٣٣ ، ابن الأبار ، التكملة ، ١ ص ٣٦٦) ، وقد عرف الوراق بالتأريخى وتوفى سنة (٣٦٣ / ٩٧٣ — ٩٧٤) ، مما يزيد من أهمية كتابات البكرى بالنسبة لموضوع البحث اذ اعتمد فى كتاباته على مصادر مغربية كانت معاصرة لفترة البحث وما زالت مفقودة ، (انظر متز الحضارة الاسلامية ، ٢ ص ١٠ هامش) ٠

بمذاهب بعض البطون الزناتية ، بالاضافة لما أمدنا به من معلومات تاريخية هامة ، وفى بعض الأحيان فريدة مثل تحديد مكان المعركة التى قتل فيها ميسور الفتى أكبر قواد القائم بأمر الله الفاطمى أثناء ثورة أبى يزيد الزناتى ، الا أن البكرى يؤخذ عليه الافراط فى ذكر الروايات الأسطورية التى يتعلق بعضها ببطون زناتة ، مما حدا بابن خلدون أن يتهمه « بعدم نباهة العلم ، وعدم استنارة البصيرة ، لأنه ينقل الروايات كما سمعها » (٨٢) .

وكتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (٨٣) للادريسى (ت ٥٥٨ / ١١٦٣) لا سيما الجزئين الثالث والخامس منه ، أمدنا بمعلومات عن أصول قبيلة زناتة ، ومعلومات أخرى عن بعض بطون زناتة ، وقد ذكر الادريسى أسماء بطون زناتية لم يذكرها غيره ، فأخذنا أسماء البطون الزناتية التى ذكرها غيره من المؤرخين والجغرافيين الذين عاصروا فترة البحث خشية أن تكون الأسماء التى انفرد الادريسى بذكرها كانت لبطون زناتية تفرعت عن زناتة بعد الفترة التى يهتم بها البحث ، وبخاصة أن الأدريسى كان فى فترة متأخرة نسبيا ، بالاضافة الى أنه استقى الكثير من معلوماته من مشاهداته فى أسفاره التى جال فيها أرض المغرب ، وقد أمدنا الادريسى بمعلومات فريدة عن حياة بعض بطون زناتة ، وصفات أفرادها وطبيعة حياتهم .

وكتاب رحلة (٨٤) للتجانى (ت أوائل القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) (٨٥) أمدنا بمعلومات ذات أهمية خاصة عن بعض بطون زناتة ومضاربها والمذاهب الاسلامية التى اعتنقتها وحياتها

---

(٨٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٢٧ .

(٨٣) الجزء الثالث ، طبعة نابولى ، ١٩٧٢ ، الجزء الخامس ، طبعة نابولى ١٩٧٥ م .

(٨٤) تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ م .

(٨٥) تأتى اهمية كتاب التجانى من ان مؤلفه سجل فيه كثير من اقوال المؤرخين الذين لم تصلنا كتبهم مثل الرقيق ، (التجانى ، رحلة ص ٢٤١) ، الى جانب عدم كفاية المصادر عن تاريخ المغرب خاصة بالنسبة للقرون الأولى من الهجرة ، (انظر ، Sauvaget, op. cit., P. 217.

الاجتماعية • وقد انفرد التجانى ببعض المعلومات عن ثورة أبى يزيد مخلد الزناتى ، الى جانب ما ذكره من أخبار عن هذه الثورة متواترة عند غيره من المؤرخين حتى أنه يمكننا القول ، ان ما كتبه التجاني يعتبر واحدا من أهم المصادر التى تكلمت عن ثورة أبى يزيد الزناتى • كما أمدنا التجانى كغيره من الجغرافيين بمعلومات عن مدن المغرب والمسافات بينهما ، وان كان يؤخذ على التجانى وقوعه فى بعض الأخطاء التاريخية مثل نسبة الكاهنة الزناتية الى قبيلة لواتة البترية •

وكتاب زهرة الآس فى بناء مدينة فاس (٨٦) للجزنائى (٨٧) أمدنا بمعلومات عن دور زناتة فى مساندة دولة الأدارسة بعيد قيامها بالمغرب الأقصى • كما أمدنا بمعلومات أخرى عن دور زناتة مع الأدارسة فى نشر الاسلام فى أقاصى المغرب الأقصى ، وأمدنا بتفاصيل عن الزيادات التى أضافها أحد أمراء زناتة الى جامع القرويين بفاس حين كانت المدينة خاضعة لقبيلة زناتة ، وأخرى عن الدور الذى لعبه خلفاء قرطبة فى استمالة قبائل زناتة وأمرائها ليكونوا عونا لهم فى نشر دعوتهم وفرض طاعتهم بأرض المغرب ،ولم يخل الكتاب من معلومات عن مضارب بعض بطون زناتة •

وكتاب **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك** (٨٨) لابن الدلائى (ت ٤٧٨/١٠٩٤) أمدنا بمعلومات عن مواطن استقرار بطون زناتة فى الأندلس ، وأن هذه المناطق أخذت اسم زناتة مما يؤكد هجرة زناتة وخروجها مع الجيش الاسلامى الذى فتح الأندلس ، كما أمدنا بمعلومات عن هجرة البطون الزناتية الى الأندلس أيام حكم الفاطميين بالمغرب وتحت ضغط هجمات صنهاجة ، موضحا أن هجرة البطون الزناتية الى الأندلس كانت من

---

(٨٦) طبعة الجزائر ١٩٢٢ م •

(٨٧) لم تحدد سنة وفاة المؤلف ، ولم تعرف سنة تأليف الكتاب •

(٨٨) تحقيق عبد العزيز الأهوانى الذى نشر جزء من الكتاب تحت عنوان : نصوص عن الأندلس ، مدريد ١٩٦٥ م •

الكثرة فى تلك الفترة لدرجة أن زناتة استقلت بعـــدة امارات بالأندلس بعد اضطراب أمور الخلافـــة الأموية بها .

وكتاب **الروض المعطار فى خبـــر الأقطار (٨٩) للحميرى** (ت ٧٢٣ / ١٣٢٣ أو ١٣٢٧/٧٢٧) (٩٠) أمدنا بمعلومات عن مدن الأندلس التى أخذت اســـم زناتة أو اســـم أحـــد بطونها مؤكدا دور زناتة فى فتح الأندلس ، واستقرارها بهـــا بعد الفتح ، أما أهم ما أمدنا بـــه الحميرى فهو نسب طارق بن زيـــاد الذى قاد الجيوش الاسلاميـــة لفتح الأندلس الى قبيلة زناتة .

وكتاب **المعجب فى تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس الى آخـــر عصر الموحدين** (٩١) للمراكشى (ت القرن الســـابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) أمدنا بمعلومات عن مدينة المهدية العاصمة الأولى التى بناها الفاطميون بأرض المغرب بعـــد قيـــام خلافتهم بهـــا موضحا مدى حصانة المدينة لتكون حصنا للفاطميين أمام ثورات البربر الـــذين عادوا الخلافة ومنهم زناتة ، كمـــا أمدنا بمعلومات هامـــة عن جغرافيـــة بلاد المغـــرب وثروات البلاد ، والمســـافات بين البلدان ممـــا ســـاعدنا على تفهم أحداث ثورة أبى يزيـــد الزناتى على الخلافـــة الفاطميـــة . وقـــد انفرد المراكشى بذكر أحد البطون التى نسبهـــا الى زنـــــاتة وحدد مضاربهـــا .

---

(٨٩) تحقيق ونشر بروفنســـال تحت عنوان : صفـــة جزيـــرة الأندلس ١٩٣٧ .

(٩٠) لم تحدد سنة وفاة الحميرى وبهذين التاريخين أخـــذ أحـــد الباحثين الذى أمدنـــا ببعض المعلومات عن المؤلف والكتاب ، فذكـــر أن الحميرى استعان فى الحصول على معلوماته التاريخيـــة والجغرافيـــة بالكثير من المصـــــادر التاريخية والجغرافية عن المغـــرب والأندلس والتى انتشرت فى العصر الذى عاش فيه فجاء كتابه معجم جغرافى تاريخى ، (انظـــر ، أمبرتو ، منتخبات من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطـــار ، مجلة كليـــة الآداب جامعـــة القاهرة، المجلد الثامن عشر ، الجزء الاول ، مايو ١٩٥٦ م) .

(٩١) تحقيق وتعليق محمـــد سعيد العريان ، محمد العربى العلمى ، الطبعـــة الأولى ، القاهرة ١٩٤٩ م .

وفى الواقع أنه لا يوجد بين المؤرخين الحديثين من كرس تأليفا لزناتة ، وان عالجت بعضها تاريخ زناتة من خلال دراسة عامة ، الا أنها ساعدتنا على التعرف على الكثير من التحليل الخاص بالنواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية للعالم الاسلامى عامة ، والمغرب الاسلامى بصفة خاصة ، وهذه العوامل أثرت بدورها على قبيلة زناتة التى شكلت جزءا من العالم الاسلامى والمجتمع المغربى تتفاعل معهما وتتأثر بهما ، فاطلعت على كتب المستشرقين الذين اهتموا بتاريخ العالم الاسلامى وتاريخ المغرب خاصة والتى أهمها بالنسبة لموضوع البحث كتابات كل من : Gautier, Fournel Terrasse, Julien, Marçais ، كما اطلعت على كتب من أرخ للمغرب والأندلس والدولة الفاطمية من المؤرخين المصريين والمغاربة ومنهم حسين مؤنس ، وحسن محمود ، وجمال سرور ، وحسن ابراهيم ، وعبد المنعم ماجد ، وعطيه مصطفى مشرفة ، والسيد عبد العزيز سالم ، وسعد زغلول عبد الحميد ، ومحمود اسماعيل ، والجيلالى ، والميلى والجابرى وغيرهم .

ولم نغفل الدوريات فأمدتنا بمادة علمية لا بأس بها ، فأمدتنا دوريات جامعة تونس ومحمد الخامس بالمغرب بمعلومات عن دور زناتة فى ثورات البربر على الخلافتين الأموية والعباسية ، ودور زناتة فى مساندة الرستميين فى قيام دولتهم فى تاهرت ، كما أمدتنا بمعلومات عن النظام العسكرى لبعض بطون زناتة وطريقتهم فى الحروب ، وعن اللهجة الزناتية التى ميزت قبيلة زناتة عن بقية قبائل البربر . وأمدتنا دوريات كلية الآداب بجامعتى القاهرة والاسكندرية بمعلومات عن مضارب بعض بطون زناتة ، وأخرى عن قيام الخلافة الفاطمية بأرض المغرب ، كما أمدتنا بمقالات ساعدتنا على فهم طبيعة الصراع بين الفاطميين والأمويين والذى شاركت فيه قبيلة زناتة مشاركة فعلية وفعالة ، ولا غرو فقد كانت زناتة رأس حربة للأمويين فى مناوئة الفاطميين .

أما صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ومجلة الأندلس فأمدتنا بمعلومات عن ثورة أبى يزيد الزناتى ودور خليفة قرطبة

عبد الرحمن الناصر فى مســاندة هذه الثورة ، وأخرى عن الصراع بــين الفاطميين والأمويين ودور زناتة فى هــذا الصراع • وأمدتنـا دائرة المعارف الاسلاميــة بطبعتيها الأولى والثانية بمــادة علميــة وفــيرة ساعدتنا على تفهم أحداث ثورة البربر التى قادتها زناتة ، وثــورة أبى يزيــد الزناتى على الفاطميين وكذلك ثورة أبى خــزر الزناتى عــلى الفاطميين أيضــا •

ولم نغفل الاطــلاع على المجلات العلميــة الأوربيــة التى أفادتنا فى دراسة ثورة أبى يزيــد الزناتى وقيــام الخلافــة الفاطميــة بالمغرب والصراع بين البتر والبرانس ومن هذه المجلات :

Journal Asiatique, Annales de l'institut d'etudes Orientales, Moslem World, Awraq.

الفصل الأول

زناتة : بطونها ومضاربها ومذاهبها

جغرافية بلاد المغرب ــ أصل البربر وطبائعهم وتقسيمهم الى بتروبرانس ــ أصل زناتة وأساس تسميتها وحياتها الأجتماعية ــ بطون زناتة ومضاربها فى افريقية والمغربين الأوسط والأقصى والأندلس ومذاهبها ــ بطون زناتية لم يعرف نسبها الى الفروع الكبيرة من زناتة ومواطنها فى أقسام المغرب الثلاثة والأندلس ــ بطون بربرية نسبها بعض المؤرخين خطأ الى زناتة ٠

زناتة اسم لقبيلة بربرية استقرت فى شمالى أفريقيا ، وهى البلاد التى عرفها المسلمون باسم بلاد المغرب (١) ، بعد أن قاموا بحركة فتوحاتهم ، وتقع بلاد المغرب الى الغرب من مصر ، ولما كانت الاسكندرية آخر المدن الكبيرة فى مصر الى جهة الغرب ، فقد أطلق عليها بعض المؤرخين باب المغرب (٢) • وبلاد المغرب بلاد واسعة تتكون من جبال وصحارى كثيرة المفاوز صعبة المسالك (٣) ، وفى هذه البلاد انتشرت بطون قبيلة زناتة من أقصاها الى أقصاها (٤) بسبب طبيعتها البدوية وظعنها وراء الانتجاعات (٥) •

ولم يختلف الجغرافيون على الحدود الشمالية والغربية والجنوبية لشمالى أفريقيا ، اذ يحدها من الشمال البحر الرومى الذى يتفرع عن البحر المحيط والذى عرف بالبحر الرومى الصغير (٦) ، ومن الغرب البحر المحيط الذى يمتد مع طول البلاد (٧) ، ومن الجنوب الصحارى

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥ — ٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ١٠٣ ، أنظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٤٩ هامش ٤ ،
Ency of Islam. (Art Maghreb) 1ed, t 3, pp. 108 — 109.

(٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥ ، انظر ، شعراوى ، الأمويون ، ص ٧ •

(٣) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢١٦ •

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢ ، انظر ، ماجد والبنا ، الأطلس التاريخى ، خريطة ١٢ •

(٥) انظر ، Ency of Islam (Art Zenata), 1ed, t 4, p. 1223.

(٦) السلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ٦٣ •

(٧) الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٣ •

الممتدة من وراء سجلماسة الى زويلة (٨) ، وحتى بلاد السودان (٩)، أما الشرقى فقد اختلفت الآراء وتباينت فقد اعتبر البعض أن الحد الشرقى لبلاد المغرب جبال برقة (١٠) أى أن برقة ضمن بلاد المغرب(١١) وقال آخرون ان طرابلس هى حده الشرقى فتكون بذلك برقة خارجة عن بلاد شمالى افريقيا (١٢) ، كما قيل ان بلاد برقة وطرابلس ليستا من بلاد المغرب (١٣) •

وتنقسم بلاد المغرب حسبما اتفق الجغرافيون والمؤرخون الى ثلاثة أقسام (١٤) : المغرب الأدنى أو افريقية ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى • فافريقية أو المغرب الأدنى يمتد من اطرابلس شرقا الى مقاطعة بجاية غربا (١٥) ، والمغرب الأوسط يلى افريقية غربا حتى مدينة وهران التى تقع على الساحل شرقى تلمسان وعلى مسيرة

---

(٨) نفس المصدر والصفحة •

(٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠١ ، البكرى ، المغرب ، ص ٢١ •

(١٠) الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٤ •

(١١) البكرى ، المغرب ، ص ٢١ ، الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٦ •

(١٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠١ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ٦٣ •

(١٣) أنظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١٢٨ •

(١٤) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٨٦ وما بعدها ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٨٩ وما بعدها ، ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢٢ ، ابن خلدون ، التعريف ، ص ٣٧٠ ، وقد اخذت اقسام المغرب الثلاثة اسمائها من قربها أو بعدها عن مصر التى كانت مركزا للفتوح الاسلامية لبلاد المغرب حتى اتم المسلمون فتحها ، (أنظر ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٢٤٢) وبهذا التقسيم اخذ غالبية المؤرخين والجغرافيين العرب (انظر Ency of Islam (Art Maghreb), t 3, p. 109. وان كان البعض يرى أن اقسام المغرب الثلاثة يمتد أولها من برقة الى جبل نفوسة ، والثانى من تاهرت الى جبل سبتة ويدور مع المحيط الأطلسى حتى جبال درن ، أما القسم الثالث فهو السوس الأقصى الذى يمتد من ماسة الى صحراء المرابطين ، (مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٥٣ ظهر ، الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٤) ، وعن الاختلاف فى تقسيم بلاد المغرب فى العصور الوسطى ، (أنظر ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٥٤ هامش ٣) •

(١٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠١ ، الا ان ابن غالب يذكر أن افريقية من برقة الى مدينة مليانة ، (فرحة الأنفس ، ص ٣٠٧) •

يوم منها (١٦) ، والمغرب الأقصى هو ما بعد تلمســان غربا وحتى سبتة شـمالا ، وسجلماسة وما فى سمتهــا جنوبا (١٧) ، الا أن المغــرب الأقصى امتداد للمغرب الأوسط اذ ليست بينهمــا فواصــل مانعة ، ويتصلان ببعضهما عن طريق مضـــيق تازا الذى يعتبر مفتاح المغــرب الأقصى (١٨) •

ونخص بالذكــر المغربين الأوسط والأقصى لأنهمــا كانا موطنــا لغالبيـــة بطون زناتة ، وبخاصة المغرب الأوسط الذى كان به أقوى بطون هـــذه القبيلة البربرية ، فكانوا هم الغالبين عليه ، وأصحــاب الســيادة فيه من قبل الفتح الاسلامى لبلاد المغرب حتى عرف باســم هذه القبيلة البربرية فأطلق عليه مغرب زناتة (١٩) دلالة على الكثرة والغلبة والسيادة• كما كانت منطقة الصحارى المجاورة للمغرب الأوسط والممتدة فى المغرب الأقصى مناطق سيادتهم أيضا (٢٠) •

وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون فى تحقيق نسب سكان شمالى أفريقيــا عموما ، وفى تحديد الى أى أصــل من أصول الخليقة ينتمون ، فأوردوا روايات مختلفة فى نسبهم هى الى الاسطورة أقــرب منهـــا الى الحقيقة التاريخيـــة (٢١) ، ممــا حدا بالبعض أن يعتبر كل ما قــاله

---

(١٦) أبو الفدا ، تقويم ص ١٢٢ •

(١٧) الاصطخرى ، المســالك ، ص ٣٣ ، انظر العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢ •

(١٨) انظر ، حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤ •
Gautier, le Passé de l'Afrique du Nord, p. 222.

(١٩) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٢ ، ٧ ص ٢ •

(٢٠) انظر Ency of Islam, (Art Zenata), t 4, p. 1223.

(٢١) نسب البعض البربر الى حام بن نوح ، (ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ ، المغربى ، الجمــان ، ورقة ١٩٩ ظهر ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٧ ، المقريزى ، البيان والاعراب ، ص ٥٠ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ٥٤) وبرى فريق آخر ان أصلهم من فلسـطين وانتقلوا الى المغرب واستقروا به (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٢٩ ، السعودى ، مروج ، ٢ ص ١١٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٣ ص ١٠ ، مجهول ، نبذ ، ص ١ ، الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٣٢ ، الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٦ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٥٤ ، القزوينى ، آثار ، ص ١٦٣ ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٠٤ ، ابن غلبون ، التذكار ، ص ١٠ ــ ١٢ الانصارى ، المنهل ، ص ٢٧ ــ ٢٨) •

المؤرخــون والنســـابة وعلمـــاء السلالات عن أصـــل سكان شمالى أفريقيا لا يعدو الحدس والتخمين (٢٢) • فربمـــا كان هؤلاء الســـكان أخلاطـــا من سلالات وجنسيات مختلفـــة ، منهم من كان بالبلاد منـــذ وقت بعيد ، وآخرون وردوا عليهم من أفريقيـــا وآســـيا وأوربا ثـــم استقروا معهم ، اذ ثبت أن هجرات فينيقيـــة خرجت اليهم واستقرت معهم (٢٣) •

وقد أطلق بعامة على سكان شـــمالى أفريقيـــا لفظة « بربـــر » ، وعرفهم العـــرب بهـــذا الاســـم مع الفتح الاسلامى لبلادهم ، والغالب على الظن أن العرب لـــم يعرفوا ســـكان المغرب بهذا الاسم قبـــل خروجهم لنشر الدين الاسلامى ، لانه من المعروف أنه لـــم تكن هنـــاك صـــلة بين جزيرة العرب وشـــمالى أفريقيـــا ، إذ أن علاقـــات العرب قبـــل الاسلام لـــم تتعـــد حـــدود مصر غربا (٢٤) • اذن ليس العرب الفاتحون هم الذين أطلقوا عليهم اسم البربر • وقـــد اختلف المؤرخـــون حول أصـــل تسمية هؤلاء القـــوم والصـــاق اســـم البربر بهم (٢٥) • وأيا ما كان أصـــل هذه التسميـــة فانه من المؤكد أن العرب الفاتحين

(٢٢) أنظر ، عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٥٦ ، Ency of Isl (Art Berbers), 2ed, t. 1, p. 1173.

(٢٣) أنظر ، ســعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ٢٦ •

(٢٤) أنظر ، نفسه ، ص ٢١ ، Gautier, op. cit, p. 216.

(٢٥) يعتقد البعض أنهم أخذوا اســم البربر نســـبة الى أبيهـــم ، (الســـلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ٥٤) أو بسبب رطانتهم بلغة غير مفهومة ، (ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٨٩ ، الانصارى ، المنهل ، ص ٣٠) الا أن ابن خلدون ينفى قصـــة تسميتهم بربرا بسبب رطانتهم (المقدمة ، ص ١٧ — ١٨) ، أو أن الاســم اشتق من الكلمة اللاتينية Barbarus التى أطلقهـــا الرومان على الوندال ، والتى تعنى الشـــعوب الهمجية المتخلفة ، فالصقت هذه الكلمة برعايا الوندال من ســـكان شـــمالى افريقيـــا ، (أنظـــر عبد الوهاب بن منصـــور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٢٦٢ ، اقبال ، دور قبيـــلة كتامة ، ص ٤٠) الا أن هذا افتراض لا يجد ما يؤيده ولا يرقى الى مصـــاف الحقيقة لصـــمت النصـــوص المعاصرة ، (أنظر ، Gautier, op. cit, p. 210. كمـــا ذكرت أســـباب أخرى لتسميتهم بهـــذا الاســـم ، (أنظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٤٩ ، هامش ٧) •

عرفوهم بهذا الاســم ، الذى ربمــا أطلقه عليهم من غلبهم من الأمم من الرومان أو الروم (البيزنطيين) ، أمــا التســمية القديمة لسكان شمالى أفريقيــا فهى أمازيغ وهى كلمــة تعنى بلغتهم الرجل الحر الخشن (٢٦) .

والبربر كما وصفوا جنس خشن غضوب ، وفرسان محاربون لهم القسى والخيــل العراب (٢٧) ، يصبرون على المكاره ، ويثبتون فى الشــدائد (٢٨) ، كمــا أنهم شديدو الغيرة على حريتهم مما حدا بالبعض أن يصفهم بالطيش والاسراع الى الفتنــة (٢٩) ، والبربر فى رأى الفاتح العربى موسى بن نصير أشبه بالعــرب ، وعلى حسب قوله « لقــنـــاء ونجدة وصبرا وفروسية » (٣٠) ، وهذا الشبه وليد البيئــة والحيــاة الاجتماعية ، فطبيعة بلاد المغرب الصحراويــة تشبه جغرافيــة بلاد العرب التى تكسب الشجاعة (٣١) ، كمــا أن كلا من البربر والعرب عرف التنظيم القبلى وحياة التنقل والبداوة (٣٢) ، وأن العصــــبية القبليــة مثلما هى عند العرب أساس نظامهم الاجتماعى ، لذا كان البربر نـــدا للعــرب ، فقاوموا الفتح الاسلامى مقاومة عنيدة حتى اتســم فتح بلاد المغرب بالصعوبة واستمر أكثــر من خمسين عاما .

---

(٢٦) انظــر ، العبــادى ، فى تاريخ المغــرب والأندلس ، ص ١٥ ، عبد الوهاب بن منصــور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٢٦٤ .

(٢٧) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٨٤ ، ويذكر ابن حوقل أن بلاد المغرب لم يكن بها العيدان والطنابير والقيان والمخنثين ، والفسق والفواحش ، (صورة ، ص ٩٥) ، وان كان فى ذلك مبالغــة واضحــة الا أن ذلك يوضح لنا مــدى بداوة البربر وخشــونتهم .

(٢٨) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٤ ، انظر .
Cambridge Medival History. Vol. 2, p. 376.

(٢٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٠٤ ، القزوينى ، آثار ، ص ١٦٣ .

(٣٠) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٨٣ ، الضياف ، اتحاف ص ٨٦ ، انظر ، حسن محمــود والشريف ، العــالم الاسلامى فى العصر العبــاسى ، ص ٤٠١ .

(٣١) المسعودى ، مروج ، ٢ ص ٦٢ .

(٣٢) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٦ وما بعــدها ، انظر ، ماجد ، التاريخ السـياسى ، ٢ ص ٥١ .

ولقد اتفق علماء الأنساب والمؤرخون على أن قبائل البربر تنقسم الى جذمين عظيمين (٣٣) ، صنف يقال لم البتر ، وصنف يقال لهم البرانس (٣٤) ، وهما من أصل واحد (٣٥) • ولا نعرف معرفة يقين أصل هذا التقسيم ، اذ لم يعطنا أحد من المؤرخين القدامى تفسيرا لأصل هذا التقسيم أو سبب هذه التسمية ، الا أن المحدثين منهم حاولوا ايجاد تعليل لهذا التقسيم فاختلفوا فى الأسباب فمنهم من أدلى بدلوه وقال برأيه ، ومنهم من عرض لمختلف الآراء وأحجم عن ابداء الرأى •

فقد اعتقد البعض أن كل من قسمى البربر يمثل موجة بشرية مختلفة ، احداهما أهل البلاد الأصليين ، والأخرى الذين وفدوا على البلاد ، واغتصبوا من أهل البلاد بعض أوطانهم (٣٦) ، ويرى آخر أن تقسيم البربر الى بتروبرانس هو تقليد لتقسيم العرب الى قحطانية وعدنانية ، وأن التفسير اللغوى أساس هذه التسمية ، وأن الفوارق بين الجذمين ليست عنصرية أو جنسية فهما من جنس واحد (٣٧) ، ويعرض ثالث لآراء المستشرقين (٣٨) ، ويناقش هذه الآراء ويخرج

---

(٣٣) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٨٩ ، المقريزى ، البيان ، ص ٥١ •

(٣٤) الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٦ ، انظر مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٦ •

(٣٥) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٨٩ •

(٣٦) انظر ، حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣١ •

(٣٧) انظر ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥ — ١٧ •

(٣٨) يرى جوتييه أن تقسيم البربر الى بتروبرانس له أساس اجتماعى أى بداوة البتر وحضارة البرانس ، فمعظم قبائل البتر تضرب فى الصحارى والقفار ، ويظعنون وراء الانتجاعات ، ويشتغلون بالرعى ؛ أما غالبية قبائل البرانس يعيشون عيشة استقرار فى السهول والجبال الخصبة ، ويعملون بالزراعة • أما مرسييه فيرى أن أساس هذا التقسيم هو نوع الثياب التى يرتديها كل منهما ، البعض يلبس البرنس ومنه أخذوا اسمهم ، والآخرون عراة الرأس فعرفوا بالبتر (انظر ، سعد زغلول عبد الحميد ، المغرب العربى ، ص ١٣٥ — ١٣٦) •

من ذلك بأن تقسيم البربر الى بتر وبرانس أمر غامض (٣٩) ، وربما كان هذا سببا فى أن بعض المؤرخين وقف صامتا لا يقدم تفسيرا لهذه التسمية عندما تعرض لها (٤٠) ، وان كان أحد المؤرخين يرفض فكرة تقسيم البربر الى بتر وبرانس على أساس اجتماعى (٤١) فانه أقرب التفسيرات الى الصحة ، لأن غالبية قبائل البتر كانت تعيش حياة أقرب الى البداوة ، على عكس معظم قبائل البرانس التى نالت نصيبا من الحضارة ، وعاشت حياة استقرار ، لذا كانت الفوارق بين البتروالبرانس اجتماعية واقتصادية (٤٢) .

وان لم نجد رأيا قاطعا نصل به الى أصل هذا التقسيم ، فان الحقيقة الثابتة فى ذلك أن المؤرخين تعارفوا على هذا التقسيم ونسبت بعض القبائل الى البتر ، وأخرى الى البرانس ، وتفرعت قبائل كل قسم من هذين الجذمين البربريين الى قبائل عدة ، وخرجت من كل قبيلة بطون عديدة حتى تداخلت فى بعضها البعض ، واختلفت انساب بعض القبائل فنسبت مرة الى البتر وأخرى الى البرانس

ويهمنا من البربر قبيلة زناتة التى يزعم بعض المؤرخين أن ابن خلدون اعتبرها بالذات فرعا قائما بذاته عن سائر البربر (٤٣) ، وأن المجموعات الأساسية التى تنقسم اليها مجموعة البتر هم لواتة ، ونفوسة، ونفزاوة ، وبنو فاتن ومكناسة (٤٤) ، رغم أن ابن خلدون أخذ بما

---

(٣٩) انظر . سعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ١٣٦ .

(٤٠) انظر . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١٣٥ — ١٣٦ .

(٤١) السلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ٥٧ — ٥٨ ، انظر ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٣٥ — ٣٦ .

(٤٢) انظر . مؤنس ، فتح ، ص ٦ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٧ .

(٤٣) انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ١٣٦، ١٣٨ ، Gautier, op. cit, p. 217.

(٤٤) انظر . Ency of Isl. (Art Al Butr), 2ed, V. 1, p. 1349.

قال به النسابة ابن حزم بأن زناتة احدى قبائل البتر (٤٥) . وقد آكد ابن خلدون نسب زناتة الى البتر بقوله « ان البتر الذين هم بنوا مادغيس الأبتر ومنهم زناتة اخوة البربر (٤٦) ، مما يؤكد أن زناتة واحدة من قبائل البتر كما ذكر ابن حزم وابن خلدون والمقريزى وغيرهم (٤٧) ، وأن بدء وجود زناتة بافريقية والمغرب مساو لبدء وجود قبائل البربر الأخرى ، ومنذ أحقاب متطاوله ، « وأنهم جيل قديم العهد بهذه البلاد » كما قال ابن خلدون وغيره (٤٨) .

وقد ذكر البعض أيضا أن زناتة فى أصلهم عرب صراح ، وانما تبربروا بالمجاورة ، والمحالفة للبربر المصاميد (٤٩) ، نسبة الى قبيلة مصمودة البربرية — وادعت بعض البطون الزناتية أنهم من العرب (٥٠) ، كما ادعى بعض أمراء زناتة النسبة الى العرب

---

(٤٥) العبر ، ٦ ص ٩٠ — ٩١ .
Ency of Isl. (Art al Kahina), 2ed, V. 4. p. 22.

(٤٦) العبر ، ٧ ص ٣ ، وقد أنكر بعض الباحثين القول بأن زناتة فرعا من البربر مستقلا بذاته ، (أنظر ، مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص ٩) .

(٤٧) فقد ذكر هؤلاء أن ولد مادغيس الذى لقب بالأبتر واليه نسبت قبائل البتر يجمعهم أربعة جذام هم ، اداس ، ونفوس ، وضرى ، ولوى الكبير ، وولد ضرى يحيى ، وتمزيت ، فولد يحيى بن ضرى جانا أو زانا وهو أبو زناتة ، واخوته سمكان ، ورسطف ، فمن ولد سمكان زواغة ، ومن ولد ورسطف مكناسة ، ومن ولد لوى الكبير نفزاو ، ومن ولد نفزاو يطوفت ، ومن ولد يطوفت الهاصة الذى أنجب ترغاس ، ومن ولد ترغاس ورفجوم الذى نسبت اليه قبيلة ورفجومة ، فكانت مكناسة وزواغة ، وورفجومة من قبال البتر ولكنهم لا يدخلون فى نسب زناتة ، (ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ — ٤٩٧ ، ابن خلدون العبر ، ٦ ص ٩٠ — ٩١ ، المقريزى ، البيان ، ص ٥٠ — ٥١) وينسب ابن عذارى زناتة الى مادغيس الابتر ، أى أنها واحدة من قبائل البتر ، (البيان ، ١ ص ٦٥ ، وكذلك السلاوى ، الاستقصاء ، ٣ ص ٣ ، أنظر . Ency. of Isl. (Art Zenata), led, t. 4, p. 1223. الا أن الاصطخرى نسب زناتة خطأ الى البرانس ، (المسالك ، ص ٣٦) .

(٤٨) العبر ، ٧ ص ٧ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ٣ ص ٣ .

(٤٩) الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ ، التجانى ، رحلة ، ص ١٤٣ .

(٥٠) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٦ .

أيضا (٥١) ، ولكنه ادعاء أنكره أحد ملوك زناتة من بنى زيان عندما قيل له (٥٢) ، وذكرت آراء أخرى فى نسب زناتة ولكنها لا ترقى الى مصاف الحقيقة التاريخية (٥٣) ، ولذلك لا تجدر مناقشتها ٠

أما عن نسب زناتة الى أصل عربى ، فاننا نلاحظ أن نسابة زناتة لم ينسبوا أنفسهم الى العرب الا فى فترة متأخرة ، كما لم يذكر أن زناتة ترجع فى أصلها الى العرب سوى المؤرخين والجغرافيين الذين كتبوا عن المغرب بعد الغزوة الهلالية ، فأغلب الظن أن نسابة زناتة أعجبوا بالدخول فى النسب العربى وترفعوا عن النسب البربرى لأن النسب البربرى أصبح يعنى الاذعان والخضوع ، ويعنى الالتزام بدفع ضرائب ثقيلة مصداقا لهذا الخضوع ، فنسبت زناتة نفسها للعرب أنفة وكبرياء من الانتساب الى البربر ، ويعبر ابن خلدون عن ذلك بقوله « أن اسم البربر أصبح مختصا بأهل المغارم ، فأنفت زناتة منه فرارا من الهضيمة » (٥٤) ٠ وقد كانت قبيلة صنهاجة التى نافست زناتة فى الملك والعصبية نسبت أصلها الى حمير (٥٥) ، فضاهت زناتة نفسها ببنى أمية من العدنانيين ، كما ضاهت صنهاجة نفسها بحمير من اليمنيين (٥٦) ، هذا بالاضافة الى رغبة المغلوب فى تقليد الغالب ، لأن الناس تبع للسلطان (٥٧) كما أن تفوق بعض العصبيات مدعاة لانجذاب آخرين اليهم فينتحلون نسبهم ٠

---

(٥١) نفسه ، ص ٢٣٥ ٠

(٥٢) نفسه ، ص ٢٣٧ ٠

(٥٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٩٧ ، ٧ ص ٣ — ٥ ؛ الانصارى ، المنهل ، ص ٢٨ ٠

(٥٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٤ ٠

(٥٥) ابن دحية ، المطرب ، ص ٦٦ — ٦٧ ٠

(٥٦) أنظر ، شعيرة ، المرابطون ، ص ٦٠ ٠

(٥٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٨٣ ٠

فاذا كانت زناتة عملت على انكار ذاتها البربرية للانصباغ بالصبغة العربية ، فذلك لأنهم كانوا يخجلون من ذكر أصلهم ككل البربر (٥٨) ، الا أن الحق فى نسب زناتة هو ما ذكره ابن حزم ، من أنها احدى قبائل البتر من البربر وماعدا ذلك فليس شىء منه بصحيح (٥٩) ، بالاضافة الى أن نسابة العرب لم يختلفوا على أن كل شعوب البربر ذات أصل بربرى فيما عدا صنهاجة وكتامة (٦٠) كما أنكر أحد ملوك زناتة النسب العربى حين سمع من قال به من أهل بيته (٦١) ، كما كان لزناتة لهجتها الخاصة بها ، والتى ميزتها عن كل قبائل البربر فضلا عن العرب (٦٢) •

أما عن أصل تسمية زناتة نفسه ، فالاسم تحريف لاسم أبى الجيل وهو جانا ، اذ أن البربر من زناتة اذا أرادوا الجنس فى التعميم أضافوا الى الاسم المفرد تاء فقالوا جانات ، واذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصارت جاناتن ، ونطقهم لحرف الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب ، ولكنهم ينطقونها بين الجيم والشين وأميل الى السين ، ويقرب الى السمع منها بعض الصفير ، فأبدلت الجيم زايا لاتصال مخرج حرف الزاى بحرف السين ، فصارت زانات لفظا مفردا دالا على الجنس ، ثم الحقوا به هاء السكت ، وحذفوا الألف التى بعد الزاى لكثرة دورانه على الألسنة ، فأصبح زناتة اسما للقبيلة (٦٣) •

واذا كان البربر أشبه العجم بالعرب (٦٤) فان زناتة أشبه البربر

---

(٥٨) انظر • Gautier, op. cit, p. 218.

(٥٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٣ •

(٦٠) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٩٧ •

(٦١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٧ •

(٦٢) نفس المصدر والصفحة ، انظر Ency of Isl. (Art Zenata), 1ed, t. 4, p. 1223 وما زالت اللهجة البربرية فى واحد ميزاب ووارجلان فى غرب الجزائر وشرقى المغرب الحالى يطلق عليها لهجة زناتية •

(٦٣) ابن خلدون ، **العبر** ، ٧ ص ٧ •

(٦٤) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٨٣ ، الضياف ، اتحاف ، ص ٨٦ •

بالعرب فقد أخذت زناتة بكل شعائر العرب من سكنى الخيام ، واتخاذ الابل ، وركوب الخيل ، وألفة الترحال والظعن ، والاباء عن الانقياد (٦٥) ، وقد ظلت زناتة على حالتها هذه من البداوة حتى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، وبعد أن استطاعت بعض بطونها إقامة دول بأرض المغرب ، أما شعار زناتة بين البربر فهو اللهجة الخاصة بها ، والتى اشتهرت بها عن سائر رطانة البربر (٦٦)• وقد اختارت معظم بطون زناتة سكنى الجبال والبادية (٦٧) ، لانها أشبه بأولى العز وأليق بذوى الأنفة (٦٨) ، كما كان الكثير من بطون زناتة أصحاب ابل وغنم وسكان بيوت من شعر وأدم (٦٩) ، فكانت حياتهم فى الصحارى والقفار والجبال سببا فى خشونة أجسامهم (٧٠)

وتعد زناتة من اكبر قبائل البربر بطونا وعددا • فقد تعددت بطونها ، واتسعت مواطنها حتى شملت كل بلاد المغرب بأقسامه الثلاثة وكذلك الأندلس ، اذ ذكر ابن حوقل أكثر من مئة من البطون الزناتية ثم أضاف أنه لم يصل « الى علم كثير من قبائلهم ، والبلاد التى تجمعهم ، والنواحى التى تحيط بهم مسيرة شهور فى شهور ، والعلماء بأنسابهم وأخبارهم وآثارهم قد هلكوا (٧١) • ولأن قبيلة زناتة متعددة البطون كثيرة الفروع (٧٢) ، فقد نسب بعض المؤرخين قدامى ومحدثين قبائل بربرية ترجع الى أصول غير زناتية الى قبيلة زناتة (٧٣) ، كما شاركت زناتة فى كل الأحداث التى وقعت بالمغرب

---

(٦٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ٣ ص ٣ ، انظر • Ency. of Isl. (Art Zenata), 1ed, t. 4, p. 1223.

(٦٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٦ •

(٦٧) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٢٩ •

(٦٨) المسعودى ، مروج ، ٢ ص ١١٩ •

(٦٩) الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٦ •

(٧٠) المسعودى ، مروج ، ٢ ص ٦٣ •

(٧١) صورة ، ص ١٠٣ •

(٧٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٧ •

(٧٣) بعده •

الاسلامي مشاركة فعالة حتى أنه لا يمكن كتابة تاريخ المغرب فى أية مرحلة من مراحلة أو بقعـة من بقاعه دون ذكر لبعض بطون زناتية •

وقد اتفق النسـابة والمؤرخون على أن بطون زناتة ترجـع فى أصلهـا الى ثلاثة من ولد جانا أبى الجيل كله والذى نسبت اليه القبيلة وهم : ورسـيك أو ورسيج والديرت أو الديديت وفرنى أو فرينى (٧٤)• وقد تفرعت هذه الفروع الثلاثة عن جانـا الى عدد كبير من البطـون الزناتيـة بعضهـا اتصلت أنسابه الى أبى الجيل كلـه ، والبعض الآخر لم يتتبع المؤرخون سلسلة نسبهم واكتفوا بالقول أنهم من زناتـة مثل بنى الخروبى بلقنت (٧٥) من بلاد الأندلس ، وبنى عزون أمـراء شـنت شنت بريـة (٧٦) بالأندلس فى القـرن الخـامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى (٧٧) ، كذلك لم يتابع المؤرخون والنسابة البطون التى تفرعت عن بعض ولد جانا ، ووقفوا بأنسـابهم عند أجيال سابقة لفترة البحث بقرون مثل منجصة ونمالته (٧٨) ، فكان لانقطاع أنساب بعض البطون الزناتية الأولى تفسيرا لما وجد من بطون زناتية اكتفى المؤرخون بالاشارة الى أنهم من زناتة دون أن يذكروا سلسلة نسبهم الى جانـا أبى الجيل كله • أما أكبر وأهم البطون الزناتيـة التى عاشت ببلاد المغرب

---

(٧٤) ابن حزم ، جمهرة ، ، ص ٤٩٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥ ، ويتابع النسـابة تفرع هذه الاصـول الثلاثة فيذكرون أن من ولد ورسيج أو ورسيك ،بنى مسارت أو مسرة ، وبنى تاجرت أو تاجرة ، وبنى واسين ، ومن ولد الديرت أو الديديت : الغانا ولقب دمر الذى نسبت اليه بطـون بنى دمر ، وزاكيا الذى تفرعت عنـه قبـائل مغراوة وبنى يفرن ، ومن ولد فرينى أو فرنى : برمزختا أو برمزيتا ، وورجله أو وركله ، ومنجصة أو مرنجيصة ونمالة أو نمالته ، (ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٥ ــ ٤٩٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥ وما بعدها ، المقريزى ، البيان ، ص ٥٠ وما بعدها) •

(٧٥) هى عبارة عن حصن من أعمـال لاردة بالأندلس ، عنها ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٣٣٦ •

(٧٦) مدينة بالاندلس شرقى قرطبة وتبعد عنها ثمـانون فرسخا ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٢٩٩ ــ ٣٠٠ •

(٧٧) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩ •

(٧٨) نفسه ، ص ٤٩٥ ــ ٤٩٦ •

مع بداية الفتح الاسلامى ولعبت دورا فى تاريخ المغرب فهى : مغراوة ، وبنو يفرن ، وجراوة ، وبنو واسين ، وبنو دمــر ، وبنو يرنيان ، وبنــو ومانـــــوا ، وبنو يلومى وغيرهم (٧٩) ، ولكل من هذه البطــون الزناتيـــة فروع انبثقت عنهـــا .

ولقــد انتشرت بطون زناتة فى كل شــمالى أفريقيــا بأقســامه الثلاثة ، كمـــا عبرت بعض بطونها الى الأندلس واستقرت فيه ، فقــد استقرت بطون زناتية بجبال طرابلس وضواحيهـــا ، وبجبل أوراس ومنطقة الزاب (٨٠) ، أمـــا المغرب الأوسط فقــد استقرت به الكثير من البطون الزناتيـــة خاصـــة ما بين تلمســـان (٨١) وتاهرت (٨٢) ، وكانت لزناتة السيادة على المغرب الاوسط قبل الفتح الاســلامى للمغرب وبعد الفتح ايضـــا ، ولا غرو فقــد عــرف المغرب الأوسط بهم ونســب اليهم فسمى مغرب زناتة (٨٣) ، وفى المغرب الاقصى ضربت بعض بطونهم

---

(٧٩) ومن بطــون زناتة ايضــا وجد يجن وكان جمهـــورهم بالمغرب الأوسط فى منداس احــدى مدن كورة تاهرت (ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٠ ، المقدسى ، أحسن التقاســيم ، ص ٢١٨) ، وقبيلة أوغمرت التى كان لهــا دورها فى مســاندة ابى يزيد مخلد الزناتى فى حربه ضــد الفاطميين ، (ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٠) وبنــو راشد ومواطنهم بين تلمســـان وتاهرت فى الجبل الذى نسب اليهم ، واليهم نسبت الخيل الراشـدية التى كانت توجد بتلمســان ولهــا فضــل على ســائر الخيل (ابن عذارى ، البيـــان ، ١ ص ٢٠٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥٢ ، ياقوت ، البلدان ، ٢ ص ٤٠٨ ، أنظر Guatier, op cit, p. 222.

(٨٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٨ .

(٨١) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٠٨ ــ ٤٠٩ ، أنظر Hill, Islamic Architecture, p. 110.

(٨٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ ، أنظر ، الســيد عبد العزيز ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٦١٦ ، عنهـــا ، أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٥٤ ــ ٣٥٥ .

(٨٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢ ، أنظر ، دبوز ، تأريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٣٣ .

حتى المحيط الأطلسى (٨٤) ، وفى الصحـــارى ما بين غدامس (٨٥) ، والسوس الأقصى ضربت الكثير من البطـون الزناتيـــة خاصـــة ببلاد الجريد ، اذ كانت معظم القرى الجريدية بالصحراء منهم (٨٦) • وقصارى القول ان بطون زناتة احتلوا الصحارى والهضـــاب التى تمتـــد من غدامس الى المغرب الأقصى ، وأن الجزء الغربى من المغـــرب الأوسط ، ومنطقة الصحارى المجاورة لـــه كانت مناطق سيادتهم (٨٧) •

وقد دانت بطون زناتة ببعض المذاهب الاســـلامية المختلفـــة ، ممـــا كان سببا فى تفرق كلمتهـــا وعـــدم اجتماعهـــا على رئاســـة واحدة، فقـــد تحولت زناتة الى الاسلام فى سهولة ويسر مع أول الفتح الاسلامى لبلاد المغرب (٨٨) • ثـــم تحولت بعض بطونهـــا الى مذهب الخوارج : الصفرية والاباضية ـــ وهمـــا مذهبان اسلاميان ـــ ، وضربوا فيهمـــا بسهم ، وقاتلوا عليهمـــا دفاعـــا عنهما (٨٩) ، وتحولت الكثير من البطون الزناتيـــة الى مذهب المعتزلة (٩٠) المعروف ، أمـــا مغراوة أقـــوى البطون الزناتية وصاحبة الزعامة فيهم فظلت على مذهب أهـــل السنة ، الا أن بعض بطون زناتة لـــم تثبت على مذهب بعينه ، فقـــد تحولوا من مذهب الى آخر مثلما كان من بنى يفرن الزناتيين الذين اعتنقـــوا مذهب الخوارج وحاربوا دفاعـــا عنه ثم تحولت معظم بطونهم الى مذهب أهل الســـنة قبل انتهـــاء القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، ممـــا حدا بابن حزم أن يعتقد « أن كل بطون زناتة معتزلة ، حاشـــا بنى

---

(٨٤) السـلاوى ، الاستقصاء ، ٣ ص ٣ ، انظر ، ماجد ، ظهـور ، ص ٢٣٨ •

(٨٥) وهى تقع جنوب المغرب الى القرب من بلاد الســودان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٢٦٨ •

(٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢ •

(٨٧) انظر ؛ Ency of Isl. (Art Zenata), 1ed, t. 4, p. 1223

(٨٨) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٢ ، انظر ، Ency of Isl. (Art Maghrawa) 1ed, t. 3, p. 106.

(٨٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ ، عن مذهب الخوارج الصـفرية والاباضـية ، انظر ، بعـده •

(٩٠) أبو زكريا ، كتاب السيرة ، ورقات ١٩ ـــ ٢١ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ ، الدرجينى طبقات ، ١ ورقات ٢٦ ـــ ٢٨ •

برزال وبنى واسين فهم اباضية ، أما جمهور مغراوة وبنى يفـــــرن فســنية » (٩١) •

واذا كان رسم خريطة دقيقة لتوزيــع بطون قبيلة من قبائل البربر على أرض المغرب فى القرون الأربعة الأولى للهجره من الصعوبة بمكان ، فمما لا شــك فيه أن رســم هذه الخريطة لقبيلة : ناتة يجعل من يحاول التأريخ لها لا يملك أن يصدر أحكاما نهائيــة ، لكثرة البطون الزناتية ، ولترحالهم من مكان الى آخــر ، اذ كانت غالبيــة بطــون زناتــة بدوا يظنون وراء الانتجاعات ، كمــا أن أقــدم الروايــات التاريخيــة أو الوصف الجغرافى عن المغرب يرجع الى النصف الثانى من القــرن الثالث الهجرى ، الى جانب أن هؤلاء الكتاب الأوائــل لم يهتموا بالمعلومات التفصيليــة عن القبائل البربرية ، وعن توزيــع مواطنهــا ، وانما تكلموا عنهــا بشكل عام • وأول ما وصــل الينــا من كتابات تفصــــيلية عن قبائــل البربر هو ماكتبه ابن خلدون ، ورغم ذلك فان كتابات ابن خلدون لا تخلو من الكثير من الغموض والاضطراب ، وعــذر ابن خلدون هــو عذر كل من يحاول التأريخ لتحركات القبائل عامــة •

وعن بطــون زناتة بالتخصــيص وكل على حدة ، تكون لقبيــلة مغراوة الصــدارة ، اذ أنها أقــوى بطــون زناتة ، وأهل البــأس والغلب منهم (٩٢) ، وكانت لهم الرئاسة على المغرب الأوســط مــع بنى يفرن الزناتيين ، وقد ظلت مغراوة على رئاسة زناتة من قبــــل الفتح الاســلامى للمغرب حتى شردت القبائل الزناتية فى الصــحارى على يد قبيلة صنهاجة وأنصــارها بعيد خروج الفاطميين الى مصر ، ولا غرو فقد كان من مغراوة أمراء زناتة وأشــهر قوادها حتى أســماهم ابن حوقل ملوك زناتة (٩٣) • وقبيلة مغراوة اخــوة بنى يفرن ويرجعون

---

(٩١) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ •

(٩٢) السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٨٩ •

(٩٣) صورة ، ص ١٠٢ •

الى أب واحد (٩٤) ، وقد تفـرعت من مغراوة بطـون كثـيرة منهم : بنو سنجاس ، وبنو زنداك أو زنداج ، وبنو روا ، وريغـة ، والأغـواط ، وبنو ورسيغان ، وبنـو خزر أو خزرون الذين كانوا أقوى بطـون مغراوة ، وكانت لهم الرئاسـة على مغراوة بكل بطونها كما كان منهم القواد والزعمـاء(٩٥) ٠

وكان لمغراوة ملك كبير بالمغرب قبل قـدوم العرب الفـاتحين اليه ، وظل لهم الملك بعد الفتح الاسلامى للمغرب ، وذلك لتحولهم الى الاسـلام مع أول الفتح ، اذ ذهب أمير مغراوة صولات بن وزمار فى أول الفتح العربى للمغرب الى الخليفة عثمان بن عفـان بالمـدينة وأسلم على يديه ، فعقد له الخليفة على قومه ووطنـه ، فانصرف أمير مغراوة الى المغرب مواليا لعثمان وبنى أمية ، وظلت مغراوة على ولائها للامويين حتى بعـد أن أصبحوا أمراء الأندلس ، وقيل ان أمير مغراوة هـذا قبض عليه أسيرا أول الفتح الاسلامى للمغرب فى احدى الحروب التى وقعت بين العرب والبربر ، فأرسل الى عثمان بن عفان لمكانه من قومه ، فأسلم صولات على يدى عثمان الذى أعتقه ورده الى بلاده بعد أن عقد له على قومه وعمله ، وحسن اسـلام صولات وتبعه قومه من مغراوة ، فظلت مغراوة تدين بالولاء لعثمـان وأهل بيته من بنى أميـة ، واختصوهم بهذا الولاء دون غيرهم من سائر قريش ، فكـان هـذا الولاء سببا فى مظاهرة مغراوة للدعوة الاموية بالأندلس (٩٦) ٠ وكان

---

(٩٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٤ ٠

(٩٥) يقول المؤرخون بأن قبيلة سدراته اخوة مغراوة لأمهم ، لذا دخل نسبهم فى مغراوة ، (ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٦٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٩١ ، المقريزى ، البيـان ، ص ٥٢) ٠

(٩٦) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٤ ويذكر ابن الخطيب ان أمير مغراوة حينذاك هو حرب بن حفص بن صولات وليس صـولات بن وزمار وانه اخذ أسيرا ولم يذهب مهاجرا (أعمال الأعلام، ٣ ص ١٢٣) ، ويردد السلاوى نفس القصـة ، (الاستقصاء ، ١ ص ٢٦٢)، ويذكر الجيلالى أن صـولات بن وزمار ذهب الى الخليفة عثمان بن عفـان فى صحبة ابن أبى سرح ، (انظر ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٩٤) ، أما الزاوى فيذكر أن صولات أسر فى موقعة سبيطلة (انظر ، تاريخ الفتح العربى ، =

اسلام مغراوة مع بداية الفتح الاسلامى للمغرب سببا فى انضمامهم للمسلمين ومساعدتهم فى اتمام فتح المغرب (٩٧) .

وأغلب الظن أن صولات بن وزمار أمير مغراوة ذهب بمحض اختياره الى المدينة ، وأسلم على يدى خليفة المسلمين عثمان بن عفان ، أما قصة أسره فى احدى المعارك فيعتريها الشك ، ولا تصمد كثيرا للنقد ، اذ لم يشر أحد المؤرخين المشارقة الى أسر صولات ، وهم الذين عدوا كل واردة وشاردة مرت على المدينة ، ولم يكن صولات هذا شخصا عاديا غفلا من الذكر ، اذ كان أميرا لواحدة من أقوى القبائل البربرية بالمغرب ، وقد أفاض المؤرخون حول قصة أسر ابنة الملك جرجير التى أسرت فى موقعة سبيطلة(٩٩) ، ولم يكن صولات بأقل منزلة فى قومه منها فى دولة أبيها ، ومما يدفعنا الى الشك فى قصة الاسر طبيعة أمراء زناتة عامة ، وأنفة أمراء مغراوة خاصة ، فدائما كانوا يفضلون الموت بأيديم أو بيد أعدائهم فى المعركة اذا كان الأسر هو البديل ، اذ نرى أن الكاهنة الزناتية أميرة جراوة ترفض أن تسلم نفسها أسيرة لحسان بن النعمان بعد أن عرض عليها ذلك ، وفضلت أن تقتل فى ساحة الحرب حتى لا تقلد قومها عارا(٩٩) ، وكذلك فعل يعلى بن محمد أمير بنى يفرن الزناتيين فى حربه مع جوهر قائد الشيعة (١٠٠) ، أما أمير مغراوة محمد بن الخير حفيد صولات بن وزمار فقد ذبح نفسه بيده عندما حاصرته قوات صنهاجة ولم يجد بدا من

= ص ٥٨) ، الا أن الجيلالى والرازى لم يذكرا المصادر التى اعتمدا عليها فى ذلك ، كما لم يقدما تفسيرا يبين لما أخذا به من رأى وتحديد الفترة التى هاجر فيها صولات أو الموقعة التى اسر فيها ، أما المصادر التى أمكننى الاطلاع عليها وكثير من المراجع تقدم قصة الهجرة مع قصة الاسر .

(٩٧) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٨ .

(٩٨) عنها ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٣٣ ؛

(٩٩) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦٢ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٨ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢٢٣ .

(١٠٠) بعده .

التسليم(١٠١) ، وآخر من أمراء مغراوة بالاندلس وهو محمد بن خزرون الذى قتل أمرأته وأخته حين أيقن أن الأسر مصـــيره ومصيرهما ، ثم قاتل حتى قتل(١٠٢) ، فكيف نصـــدق استسلام أمير مغراوة للاسر فى وقت كانت فيه مغراوة فى قمـــة قوتهـــا وعظمتها كما كان لها ملك كبـــير بالمغرب ، وبالرأى القائل بأن زعيم مغراوة ذهب بمحض اختيـــــاره وليس أسيرا أخذ بعض المؤرخين (١٠٣) ، وان لم يقدم الدليل .

أما عن مواطن بطـــون مغراوة فقـــد كانت منتشرة فى أصـــقاع شمالى أفريقيـــا : افريقيـــة ، والمغـــربين الأوســـط والأقصى ، ففى افريقية كانت بعض بطـــون مغراوة تعيش فى جبل طرابلس ، وأخرى تضرب على ثلاثة مراحل من مدينة طرابلس (١٠٤) ، وفى نواحى قسنطينة كانت تعيش بطون بنى سنجاس وبنى ورا(١٠٥) ، وفى منطقة الزاب كانت بطـــون أخرى من بنى ســـنجاس ومعهم بطـــون بنى ريغة ، وهم الذين عرفت قصـــور الزاب باســـمهم فيما بعد(١٠٦) ، ولم تكن افريقية خلوا من بعض بطون بنى خزر أقوى بطون مغراوة وأصحاب الرئاسة على المغرب الأوسط ، فكان منهم من يضرب حول بسكرة وقرب طبنة فى وادى مطماطة (١٠٧) ، وأخرى فى وارجلان بالزاب (١٠٨) ، أما بين مقرة التى تبعد مرحلة عن طبنة الى جهـــة المسيلة فكانت تضرب بطون بنى زنداك أو زنداج(١٠٩) وهم احدى بطون مغراوة(١١٠) .

---

(١٠١) ابن حوقل ، صـورة ، ص ١٠٣ ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٨ ، مجهول ، نبذ ، ص٦ ، المغربى ، الجمان ، ورقة ٢٠٩ .

(١٠٢) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٧٣ .

(١٠٣) انظر ، Ency. of Isl. (Art Maghrawa) led., t3, P. 106.

(١٠٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٤٣ .

(١٠٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٤٧ ــ ٤٨ .

(١٠٦) نفســه ، ص ٤٧ .

(١٠٧) البكرى ، المغرب ، ص ٥٢ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩١ ، انظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٦٥ .

(١٠٨) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٥٠ .

(١٠٩) اليعقوبى ، ، البدان ، ص ١٠٣ ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٥ .

(١١٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، ١٥ .

والمغرب الأوسط الذى هو ديار زناتة ، فكان لمغراوة السيادة عليه ، وبخاصة بنو خزر منهم (١١١) ، فكان بنو خزر ملوك مغراوة يعيشون فى تلمسان وتضرب بطونهم فى أعمالها (١١٢) ، كما انتشرت بطونهم بين تلمسان وتاهرت أيضا(١١٣) ، وفى كورة تاهرت كانت مغراوة تضرب ما بين مليانة ومازونة وحول تاهرت ، مما حدا ببعض المؤرخين أن يعتبر بنى خزر ملوكا لمدينة تاهرت (١١٤) ، وحقيقة القول ان بنى خزر كان لهم السلطة فى تاهرت فى فترات متقطعة أيام وجود الفاطميين بالمغرب ، وكان الصراع عنيفا بين مغراوة والفاطميين للاستيلاء على هذه المدينة ، ونجحت مغراوة حينا فى الاستيلاء على تاهرت ، الا أن الفاطميين نجحوا دائما فى استردادها منهم (١١٥) . أما بطون بنى سنجاس فكانوا يضربون بجبل راشد وجبل كريكرة ونواحى شلف ، وكانوا أكثر القبائل عددا بهذه المنطقة(١١٦) ، وكان يعيش بينهم بنو ورسيغان المغراويين الذين كانوا على جهالة واعتقاد فى الخرافات (١١٧) ، وبين منطقة الزاب وجبل راشد كانت تظعن بطون الأغواط المغراوية (١١٨) ، وعلى أربعة مراحل شرقى وهران حيث المفاوز والارض الرملية كانت تعيش بعض بطون مغراوة(١١٩) ،

---

(١١١) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٤ ، ٦ ص ١٠٢ .

(١١٢) ابن أبى زرع ، الأنيس ، ١ ص ٢٢ ، أنظر
Hill, Op. Cit., P. 110.

(١١٣) الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٦٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ .

(١١٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ١٥٣ ، أنظر ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٨٢ .

(١١٥) بعده .

(١١٦) ابن خلدون، العبر ، ٧ ص ٤٧، وعن شلف ، أنظر ، محمد بن تاويت ، محقق ، التعريف ، ص ٢٩ هامش .

(١١٧) البكرى ، المغرب ، ص ١٨٩ ، أنظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر، ١ ص ٣٧١ .

(١١٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٤٨ .

(١١٩) البكرى ، المغرب ، ص ٧٢ .

وكانت مدينة مستغانم التى يصب فى شرقيها نهر شلف فرضة لمغراوة (١٢٠) • وخلاصة القول ان العديد من بطون مغراوة كانت تعيش بالمغرب الأوسط ، وأن مضاربها به كانت فى المنطقة التى تمتد من الشلف وحتى تلمسان وجبال مديونة التى هى فى شرقى المغرب الحالى وأن قلب بلاد مغراوة كان فى سهول الشلف العليا وحتى الصحراء(١٢١) •

وفى المغرب الاقصى كانت تعيش بعض بطون مغراوة الى الشرق من مدينة جراوة(١٢٢) ، كما كانت بطون مغراوية أخرى تضرب فى فى وهاد جبال درن مجاورين لقبائل مصمودة به(١٢٣) ، وكانت غالبية بطون بنى ورا المغراويين يعيشون فى المنطقة التى بنيت فيها مدينة مراكش — فيما بعد — من بلاد السوس ، وقد ظلوا بمواطنهم هذه حتى نقلهم أحد سلاطين بنى مرين الزناتيين فى أول المائة الثامنة للهجرة / الرابع عشر الميلادى (١٢٤) ، كما أن بعض بطون بنى سنجاس المغراويين كانت تظعن فى ربوع المغرب الأقصى (١٢٥) ، ولم يحدد أحد من المؤرخين أو الجغرافيين مواطن استقرار لها فيه •

ولم تكن بلاد الاندلس خلوا من مغراوة ، فقد استقرت بعض بطونها فى الجوف من بلاد الاندلس(١٢٦) ، ولم يذكر المؤرخون أو

---

(١٢٠) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢٦ •

(١٢١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٨٦ ، انظر Gautier, Op. Cit., P. 383; Ency of Isl. (Art Maghrawa), 1ed., t.3, 106. ومدينة شلف مدينة قديمة اليها نسب النهر الذى عرف بنهر شلف ، مجهول (الاستبصار ، ص ١٧١)•

(١٢٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٤ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٧ ، عنها ، ياقوت ،معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ •

(١٢٣) الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٨ •

(١٢٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٤٨ •

(١٢٥) نفسه ، ص ٤٦ •

(١٢٦) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ١١٣ •

الجغرافيون مواطن أخرى لمغراوة بالأندلس ، رغم كثرة من جاز منهم الى الأندلس وبخاصة أثناء حكم الناصر الاموى ، وابان حكم المستنصر والمنصور بن أبى عامر ، فيبدو أن من هاجر منهم الى الاندلس كر راجعا الى شمالى أفريقيا بعد أن أقامت بطون مغراوية امارات مستقلة فى فاس وسجلماسة قبل وقوع الفتنة بالاندلس • وذلك لأن بطون مغراوة كانت تربط قوة العصبية فيما بينهم ، وكأنهم كانوا يعيشون تحت خيمة واحدة (١٢٧) ، وربما كانت قوة العصبية بينهم بسبب بقائهم على حياة البداوة ، فقد ظلت سمة البداوة هى الغالبة على بطون مغراوة ، وظلت بيئة الصحراء تجذبهم ، ومواشيهم وخيولهم خير ما يملكون ، وحتى بعد أن أقاموا امارات مستقلة بالمغرب « لم ينتحلوا من الألقاب الا اسم السلطان جريا على مذهب البداوة »(١٢٨) •

وقد ظل جمهور مغراوة على مذهب أهل السنة (١٢٩) • كما ظلت عاصمتهم تلمسان دار العلماء والمحدثين وحملة الرأى والعلم على مذهب مالك(١٣٠) ، منذ أن استولت عليها مغراوة من أيدى بنى يفرن قبيل قيام دولة الادارسة (١٣١) • الا أن بعض بطون مغراوة تحولت الى مذهب الخوارج ، فأخذت به بعض بطون بني سنجاس(١٣٢) أما بنو زنداك أو زنداج فقد تحولوا الي مذهب الخوارج النكارية على يد أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى ابان حكم الفاطميين للمغرب (١٣٣) ،

(١٢٧) انظر • Gautier, Op. Cit., P. 388.

(١٢٨) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤١١ •

(١٢٩) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ •

(١٣٠) البكرى ، المغرب ، ص ٧٧ ، ومدينة تلمسان هى قاعدة المغرب الأوسط ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩) ، وتلمسان فى لغة زناتة مركبة من كلمتين تلم ، سان ومعناهما تجمع اثنين البر والبحر ، (ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٧٦) •

(١٣١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٣٥ •

(١٣٢) نفسه ، ص ٤٧ •

(١٣٣) نفسه ، ص ٢٣ ، ١٥ •

كمـــا دانت بطون مغـــراوة الضـــاربة فى الصـــحارى شرقى وهران بمذهب المعتزلة مذهب أصحاب واصل بن عطاء(١٣٤)، أما بنو خزر الذين كانوا حول بسكرة فظلوا على المذهب المالكى(١٣٥) .

كذلك كان بنـــو يفرن من أكبر البطون الزناتية وأقواها(١٣٦) ، ويقال لهم ايفرن أو أفرن(١٣٧) ، وقد تضاربت الآراء حول ســـلسلة نسبهم الى جانا أبو زناتة(١٣٨) ، ولكنهم لم يختلفوا حول نسبهم الى قبيلة زناتة ، وأنها واحدة من أكبر بطون زناتة وأوسعها انتشـــارا بأرض المغرب ، وأشـــدهم شـــوكة وأكثرهم بأســـا منـــذ الفتـــح الاســـلامى لبلاد المغرب(١٣٩) . وقد انتشرت بطون بنى يفرن فى المغرب بأقســـامه الثلاثة ، كمـــا انتقلت بعض بطونهم الى الأندلس واستقرت بها بعـــد الفتح الاسلامى لها .

ففى افريقيـــة كانت مضـــارب بنى يفرن بجبـــل طرابلس(١٤٠) ، واليهم نسبت مدينة يفرن التى تقع فى الجهة الشرقية من وادى الرومية بجبل طرابلس ، والتى كانت تعرف بالبيضـــاء قبل الفتح الاســـلامى للمغرب(١٤١) ، وفى جبال أوراس عاشت بطون أخرى من بنى يفرن

---

(١٣٤) البكرى ، المغرب ، ص ٧٢ ، عن مذهب المعتزلة ، انظر ، بعده ، وان اعتبر البكرى ، الواصلية فرقة من فرق الخوارج ، (البكرى ، نفس المصـــدر والصفحة) .

(١٣٥) نفســـه ، ص ٥٢ .

(١٣٦) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٦٢ ، مجهول ، نبذ ، ص ٤٩ ، ابن الخطيب ، أعمـــال الاعلام ، ٣ ص ١٦٤ .

(١٣٧) الســـمعانى ، الانساب ، لوحة ٦٠٢ .

(١٣٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ ، عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢١١ ، ٢٢٢ .

(١٣٩) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٤٣ ، الســـلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ١٨٩ ، انظر . Gautier, Op. Cit., P. 388.

(١٤٠) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ١٦٩ ، ٦ ص ١٠٣ .

(١٤١) انظر على يحيى معمر ، الاباضـــية فى موكب التاريخ ، القســـم الثانى ، ص ٢١٩ ، لم يذكر ياقوت عن مدينة البيضـــاء ســـوى أنهـــا كـــورة بالمغرب ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٣٥ ، أما مدينة يفرن فلم يشر اليها .

مع غيرها من البطون الزناتية(١٤٢) ، كمـا كانت بطون من بنى يفرن تسـكن بلاد قسطيلية وتوزر(١٤٣) وأخـرى فى منطقـة الزاب وبلاد الجريد(١٤٤) اذ أن افريقية كلها الى طرابلس كانت ديارا لبنى يفـرن مع غيرهم من القبائل(١٤٥) ، وقد ساندت بطـون بنى يفرن أبا يزيد مخلد الزناتى فى ثورته على الفاطميين بمـا كان لهـم معـه من العصبية (١٤٦) ، فلمـا هزم أبو يزيد عمـل الفاطميـون وصنهاجة على تصـفية بطـون بنى يفرن بافريقية بالقهـر ، وانزال العقـوبات بالأنفس والأمـوال ، فتركت غالبيـة هـذه البطون مضـاربها بافريقية ، وارتحلت ناجية بنفسـها ، وبقيت منهم قلة نزلوا مـا بين القيروان وتونس يظعنون فى نواحيها (١٤٧) .

وفى المغرب الأوسط كانت غالبية بطـون بنى يفـرن فهو ديار زناتة التى عرفت بهم واتخذت اسـمهم ، وقد تناوبت بنو يفرن مع مغراوة السـيادة على المغرب الاوسط ومدينة تلمسـان التى كانت قاعدة المغرب الاوسط وأم ديار زناتة ، ولا غرو فان بنى يفرن هم الذين أنشـأوا مدينة تلمسـان فى قلب مواطنهم(١٤٨) ، فتحكموا فى المغرب الاوسـط كله لأن تلمسـان كانت باب افريقيـة وقفـل باب المغرب ولا بد للداخل اليه والخارج منه من الاجتياز بها (١٤٩) ، كمـا أن مدينـة أرشـقول كانت فرضـة تلمسـان وتقـع على بعـد عشرين ميـلا

---

(١٤٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ .

(١٤٣) نفسه ، ص ١٣ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٤ ، عنهمـا انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٨٨ ، ٢ ص ٤٢٨ .

(١٤٤) نفسـه ، ص ٤٧ ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٤ ، أنظر ، بونار ، المغرب العربى ، ص ١٨٢ .

(١٤٥) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٣ .

(١٤٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ص ٢٣ .

(١٤٧) نفسه ، ص ١٧ ، عن القيروان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ١٩٣ — ١٩٥ .

(١٤٨) نفسه ، ص ٧٦ ، انظر ، Gautier, Op. Cit., P. 388

(١٤٩) الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٠ ، انظر ، بروفنسال ، نخب ، ص ١٨ .

منها (١٥٠) ، وقد ظلت تلمسان فى أيدى بنى يفرن الذين أقاموا امارة بهتا(١٥١) ، ثم استولت عليها مغراوة قبيل قيام دولة الادارسة بالمغرب الأقصى (١٥٢) ، فظلت بطون من بنى يفرن تضرب حول تلمستان الى الجنوب والجنوب الغربى منها ، وفيما بين تلمسان وتاهرت(١٥٣) ، حتى أقام أحد أمرائهم مدينة أفكان سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م ، واتخذها معسكرا لرئاسته وعاصمة لبنى يفرن(١٥٤) ، وكان موقع هذه المدينة فى الجبل الذى عرف بجبل راشد (١٥٥) ، وعلى بعد مرحلتين من تلمسان(١٥٦) • وقد ظلت مدينة افكان عاصمة لبنى يفرن حتى كانت غزوة جوهر الصقلى للمغربين الأوسط والأقصى فخرب المدينة وأحرقها بعد أن قتل زعيم بنى يفرن وهزم جيوشه(١٥٧) •

وفى المغرب الأوسط أيضا كانت بعض بطون بنى يفرن تسكن الى الغرب من منداس احدى مدن كورة تاهرت(١٥٨) ، كما كان يسكن

---

(١٥٠) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢٣ •
(١٥١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٢ •
(١٥٢) نفسه ، ص ٢٥ ، انظر •
Ency. of Isl. (Art Maghrawa), led., t3, P. 107..
(١٥٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٦١ ، ابن ابى زرع ، الأنيس ، ١ ص ٢٣ ، انظر ، ابن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٣٤٠ ، محمود اسماعيل الخوارج ، ص ١٤٦ •
(١٥٤) البكرى ، المغرب ، ص ٧٩ ، أنظر • Ency. of Isl. (Art Zenata), led., t4, P. 1223. الا أن البعض ينسب بناء مدينة افكان الى يعلى بن عبد الله بن بكار ، (أنظر بوتار ، المغرب العربى ، ص ٢٢١) ، أما الذى أسسها فهو يعلى بن محمد اليفرنى زعيم بنى يفرن وأميرها : (البكرى ، المغرب ، ص ٧٩ ، انظر • الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٩٧) وعن افكان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠٦ •
(١٥٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥٢ •
(١٥٦) المقدسى ، احسن التقاسيم ، ص ٤٧ ، البكرى ، المغرب ص ٧٩ •
(١٥٧) الأزدى ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٧ •
(١٥٨) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢١٨ •

العديد من البطون اليفرنية حول مدينة تاهرت(١٥٩) ، التى كانت قاعدة لبلاد زناتة وعاصمة رئيسية لها على قدم المساواة مع تلمسان (١٦٠) . وقد كانت تاهرت مركزا لتجمع بطون بني يفرن الزناتية على وجه الخصوص ، وكانوا قوة لها وزنها فى هذه المدينة حتى أنهم تدخلوا فى اختيار أئمة بنى رستم(١٦١) ، ونافسوا أئمة الدولة الرستمية علي كرسي الحكم في تاهرت (١٦٢) ، وقد ظلت بطون بني يفرن تضرب في المغرب الأوسط حتى أقصاهم بلكين بن زيري زعيم صنهاجة الي الصحاري قبيل انتقال المعز لدين الله الفاطمى الى مصر .

وفى المغرب الأقصى كانت بطون من بنى يفرن تعيش الى الشرق من مدينة جراوة(١٦٣) ، التى تقع بين تلمسان ووادي ملوية ، أي الى الغرب من تلمسان وعلي بعد مرحلتين منها (١٦٤) ، والى الشرق من وادى ملوية وعلي بعد مرحلة واحدة منه(١٦٥) ، كما كانت بطون أخرى تضرب فى الجبل الذى يقع على بعد أربعة أميال من مدينة جراوة(١٦٦) . ولم تكن الاراضي المحيطة بطنجة خلوا من بطون بني

---

(١٥٩) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢٢ ، أنظر ، محقق الأنيس ، ١ ص ١٧ هامش١ .

(١٦٠) السلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ١٧٤ ، أنظر .
Gautier, Op. Cit., P. 222

(١٦١) الشماخي ، السير ، ص ١٤٥ ، أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٩٨ .

(١٦٢) نفسه ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

(١٦٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٦ ، البكرى ، المغرب ، ص ١٤١ ، ومدينة جراوة أسسها أبو العيش عيسى بن أدريس سنة ٢٥٧ هـ ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٦) ، أو سنة ٢٥٩ هـ (البكرى ، المغرب ، ص ١٤١) ، عنها ، أنظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ .

(١٦٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٧ .

(١٦٥) البكرى ، المغرب ، ص ٩٩ .

(١٦٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ .

يفرن(١٦٧) ، وحول مدينة سـلا كانت تعيش بطون من بنى يفرن ثم اتخذوها دار ملك لهم بعد أن ارتحلت بطـون أخرى من بنى يفـرن اليها نتيجة للصراع مع قبيلة مغراوة الزناتية(١٦٨) ، وكذلك كانت تادلا أو تادلة الواقعة بين جبال صنهاجة وجبال درن مضـارب لهم ثـم دار امـارة(١٦٩) •

وفى الأندلس أيضـا استقرت بطون من بنى يفرن ، جازت بعضها الى الاندلس مع الفاتحين العرب ، ثم توالت الهجـرة بعـد ذلك الى الاندلس ، الا أن هجرة بطون بنى يفرن الى الأندلس ازدادت بعـد قيـام الخلافة الفاطمية فى المغرب واضطهادها لبطون زناتة ، وقتـل الفاطميين لزعيم بنى يفرن وحرقهم مدينة افكان عاصمتهم(١٧٠) ، ثم كان النزاع بين بطون بنى يفرن على الرئاسـة بعد مقتل زعيمهم سببا فى ارتحال كثير منهم الى الاندلس ، والانضمام الى المنصور بن أبى عامر(١٧١)، ثم كانت الفتنة بالأندلس واستقلال البربر وغيرهم من العرب بحكم ولاياتها ، فاستقل بنـو يفرن ببلاد رندة حاضرة تاكرنا (١٧٢) ، وخطب لهم لى منـابر مالقة ، وسـائر بلاد رية(١٧٣) ، كما اسـتولوا على السلطة فى جيان وما حولها (١٧٤) ، وكانت لهم سرقسطة(١٧٥) ،

---

(١٦٧) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣١ ، انظر ، ماجد والبنـا ، الأطلس التاريخى ، خريطة ١٢ •

(١٦٨) ابن الخطيب ، أعمـال الاعلام ، ٣ ص ١٦٥ ، السـلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٩٤ ، ومدينة سلا هى التى كانت تعرف بمدينة شلة قبل الفتح الاسـلامى للمغرب ، (مجهول ، الاستبصار ، ص ١٤٠) •

(١٦٩) أبو الفدا ، تقوم البلـدان ، ص ١٣٥ ، انظـر ، العبـادى ، الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ، ص ٦٦ •

(١٧٠) مجهول ، نبذ ، ص ٤٥ •

(١٧١) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٧٠ •

(١٧٢) المراكشى ، المعجب ، ص ٦٨ ، ابن الدلائى ، نصوص ، ص ١٠٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٧٠ •

(١٧٣) مجهول ، ذيل على كتاب البيان ، ٣ ص ٣١٣ •

(١٧٤) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ١١٣ ، وجيان تبعد عن قرطبـة خمسـون ميلا ، ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص ٢٨٤ •

(١٧٥) المقرى ، نفح ، ٣ ص ٥٦١ •

كمـا كان أحد امرائهم حاكما على قرطبة لمـدة عامين (١٧٦) • وهـذا يوضح لنا كثرة من هاجر من بنى يفرن الى الأندلس واستقر بها •

ولم تتحول بطون بنى يفرن الى الاسلام مع أول الفتـح الاسلامى لبلاد المغرب ، كمـا فعلت مغراوة الزناتية ، بل قاوموا العرب الفاتحين مع قبيلة جراوة الزناتية وزعيمتها الكاهنة(١٧٧) ، وبعد هزيمة الكاهنة الزناتية ومقتلها تحولت بطون بنى يفرن الى الاسلام وحسن اسلامهم حتى فشت دعـوة الخوارج فى البربر ، فأخذ بنـو يفـرن بمـذهب الخوارج(١٧٨) ، وتحولت معظم بطونهم اليه ، وحاربوا فى سبيل نشره والدفاع عنـه(١٧٩) ، فانضـموا الى ميسرة المطغرى فى ثورته على ولاة بنى أميـة بالمغرب (١٨٠) ، ثم كان لبنى يفرن زعامة الثورة بعد ذلك(١٨١) ، كمـا كان لبنى يفـرن دور كبـير فى مسـاندة الـدولة الرستمية الخارجية(١٨٢) ، وعندما قامت الخلافة الفاطمية بالمغرب خرجوا ثائرين عليهـا يقـودهم واحد منهم هـو أبو يزيد مخلـد الخارجى (١٨٣) ، وحقيقة القـول ، ان ثوار بنى يفرن على السـلطة الشرعية أكثر من أن يعدوا(١٨٤) •

---

(١٧٦) السـمعانى ، الانساب ، لوحة ٦٠٢ ، المراكشى ، المعجب ، ص ٥٢ ، وكان الامير اليفرنى الذى حكم قرطبة لمدة عامين هو عبد الرحمن ابن عطاف اليفرنى ، اذ استخلفه يحيى بن على العلوى الحسنى الملقب بالمعتلى سـنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م على قرطبة بعد أن غلب عليها وتسمى بالخلافة ، نفس المصـادر والصفحات •

(١٧٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ ، بعـده •

(١٧٨) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ١٦٩ •

(١٧٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ •

(١٨٠) انظر ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٤٦٠ •

(١٨١) مجهول ، نبذ، ص ٤٨ — ٤٩ ، المغربى ، الجمـان ، ورقـة ٢٠٣ •

(١٨٢) الشـماخى ، السـير ، ص ١٤٥ ، انظر ، محمد بن تاويت ، دولة الرستميين ، ص ١١٣ •

(١٨٣) بعـده •

(١٨٤) مجهول ، نبذ ، ص ٦١ •

ولكن بنى يفرن لم يظلوا على مذهب الخوارج بعد أن دانوا به نتيجة للحروب والقهر والارغام ، فقد حاربهم الادارسة وأجبروا بعض بطونهم على التحول عن مذهب الخوارج ، كما استمالوا بطون يفرنية أخرى فتحولوا عن مذاهب الخوارج صسفرية واباضية (١٨٥) ، ثم ثارت بقية بطون بنى يفرن التى ظلت على مذاهب الخوارج على الخلافة الفاطمية ، فقمع الفاطميون الثورة بالعنف وأنزلوا العقوبات بالانفس والاموال ، مما اضطر الكثير من بنى يفرن الى التحول عن مذهب الخوارج ، وما أن جاء النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى حتى تحولت معظم بطون بنى يفرن الى مذهب أهل السنة (١٨٦) ، مما حدا بابن حزم أن يقول « ان جمهور بنى يفرن كانوا سنية »(١٨٧) .

ومن بطون زناتة ، قبيلة جراوة التى اشتهرت بأن مضاربها فى جبل أوراس(١٨٨) ، اختلف المؤرخون على نسبها بين بطون زناتة ، فقد اعتقد البعض أن جراوة فرع قائم بذاته من فروع زناتة يرجع بنسبه الى كراو أو جراو أحد حفدة أو أبناء جانا أبو زناتة كلها(١٨٩) ، بينما يرى ابن عذارى أن قبيلة جراوة واحدة من بطون بنى يفرن(١٩٠)، ولم يقل بهذا النسب سواه .

وكانت قبيلة جراوة تقطن جبل أوراس الشرقية على منحدراتها(١٩١) كما كانت بعض بطونها تستقر فى السهول العليا بين قسنطينة وقلعة بنى حماد ، اذ يوجد واد يحمل اسم جراوة بهذه

---

(١٨٥) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٣ — ١٤ ، أنظر .
Mercier, Histoire de l'Afrique, vol, 1, P. 89.

(١٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ .

(١٨٧) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ .

(١٨٨) أنظر ، Ency. of Isl. (Art al-Kahina), 2ed., v4, P. 422

(١٨٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٨ ، مجهول ، نبذ ، ص ٦٥ ، انظر ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٢ ص ٧٧ .

(١٩٠) البيان ، ١ ص ٢١٦ .

(١٩١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩ ، أنظر .
Terrasse, Histoire du Maroc vol. 1, P. 87.

المنطقـــة (١٩٢) • وحين جاء العرب لفتح المغرب كانت قبيلة جراوة مستقلة بمضاربها فى جبل أوراس تحت حكم ملكتهم دهيابنت ماتية بن تيغان ، والتى عرفت بالكاهنة ، لما كان لها من الكهانة ، وادعائهـــا المعرفة بالغيب (١٩٣) • وقاومت الكاهنة وقومها جراوة العرب الفاتحين ، ثم هزمهم العرب وقتلوا ملكتهم فافترقت بطـون جراوة أوزاعا بين قبـــائل البربر ، واستقر قوم منهم حول مليلة(١٩٤) • ويبدو أن مدينـــة جراوة التى تقع بالقرب من مليلة وعلى بعد ثلاث مراحل من تاهرت (١٩٥) قد نسبت الى هؤلاء القـــوم من زناتة ، اذ أن الذى أسس المدينة قـــد هرب اليهم واحتمى بهم قبل الشروع فى بنائها (١٩٦) ، كما استقر بعض من جراوة فى تادلا أو تادلة الواقعـــة بجبـــال صـــنهاجة بين مراكش ومدينة فاس (١٩٧) •

ويقال ان قبيلة جـــــراوة دانت باليهودية قبل مجىء العرب الى المغرب(١٩٨) ، وقد عمد المؤرخون المحدثون الى البحث عن تفســير أو تعليل لاتخاذ جراوة اليهودية دينا ، فاعتقد البعض أن جراوة أخذت اليهودية عن بنى اسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام اليهم(١٩٩) وحاول آخر أن يربط بين لقب ملكة جراوة وهو الكاهنة وبين الديـــانة اليهودية ، فيرى أن كلمة كاهنة لقب ملكة جراوة عبارة عن اسم يهــودي

---

(١٩٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ ، انظر ،
Gautier, Op. Cit., P. 221

(١٩٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ ، انظر ، يحيى بن عزيز ، موجز تاريخ الجزائر ، ١ ص ٨٣ •

(١٩٤) نفس المصـدر والصفحة ، عنهـا ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ١٥٦ •

(١٩٥) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٤ ، ٢٠٠ •

(١٩٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ •

(١٩٧) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٣٥ •

(١٩٨) مجهـول ، نبـــذ ، ص ٦٥ ، ابن خلدون ، العبـــر ، ٦ ص ١٠٧ •

(١٩٩) السلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ٥٩ ، انظر ، عنـان ، دولة الاسـلام ، ١ ص ١٧ •

يطلقه اليهود على أبنائهم من الذكور وهو كوهين(٢٠٠) ، ويرى ثالث أن جراوة اعتنقت اليهودية لغرض سياسى ، وان لم يوضح لنا هذا الغرض ، أو لأنهم أعجبوا بديانة اليهود لما تدعو له من أخلاق حسنة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن الظلم والطغيان(٢٠١) ، الا أن البعض يرى أن أميرة جراوة لم تعرف باسم الكاهنة قبل الفتح العربى للمغرب ، وأن العرب هم الذين أطلقوا عليها هذا اللقب(٢٠٢) .

واذا كانت قبيلة جراوة قد دانت باليهودية حقا قبل الفتح الاسلامى للمغرب فلنا أن نتساءل عن سبب حمل الكاهنة الزناتية صنما من خشب كانت تعبده عندما طاردها العرب بعد هزيمة قومها (٢٠٣) ، كما أن لقب الكاهنة الذى عرفت به ملكة جراوة أطلقه عليها العرب الفاتحون ولم تعرف به قبل ذلك ، وأطلق عليها « لما كان لها من الكهانة ، وادعائها المعرفة بالغيب » بتعبير ابن خلدون(٢٠٤) ، بالاضافة الى ذلك أن لقب الكاهنة لا يعنى أنها دانت باليهودية ، فقد عرف هذا اللقب عند العرب قبل الاسلام ويدل على الوثنية كما يدل على اليهودية ، فقد كان هناك كهنة الكعبة قبل الاسلام ، وكانوا على الوثنية ولم يعتنقوا اليهودية ، كما أن المسلمين الفاتحين لأرض المغرب لم يذكروا أنهم وجدوا بجبل أوراس آثار بيع للعبادة ، أو عيد من أعياد اليهود ، ومما يرجح أن جراوة لم تكن تدين باليهودية ، ان المؤرخ عبيد الله بن صالح الذى اعتمد على كتابات ابن خلدون عن الكاهنة لا يشير بحرف الى ما يقال من أنها كانت على اليهودية(٢٠٥) .

وأيا ما كانت الديانة التى اعتنقتها قبيلة جراوة قبل مجىء العرب الى المغرب فان هذه القبيلة الزناتية تحولت الى الاسلام بعد

---

(٢٠٠) انظر . Gautier, Op. Cit., P. 225.

(٢٠١) انظر ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٢ ص ٧٧ .

(٢٠٢) انظر ، Ency. of Isl. (Art al-Kahina , 2ed, V. 4, P. 422

(٢٠٣) المالكى ، رياض النفوس ، ١ ص ٣٥ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٦ .

(٢٠٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ .

(٢٠٥) انظر ، بروفنسال ، نص جديد ، ص ٢١١ .

مقتل ملكتها ، وارتضوا بالطاعة ، بل وخرجوا مجاهدين مع المسلمين يقاتلون من كفر من البربر(٢٠٦) ، فكان خروجهم مع المسلمين لاخضاع بقية شمالى أفريقيا سببا فى تفرقهم بين قبائل البربر ، فلم يعد يسمع كثيرا عن هذه القبيلة الزناتية بعد مقتل زعيمتها ؛ رغم ما كان لجراوة من الكثرة والسلطة قبل تحولها الى الاسلام ٠ والجدير بالذكر أن قبيلة جراوة حكمت عليها امرأة ، وهو ما ليس غريبا على المجتمع البربرى ، اذ كان للمرأة دور هام فيه ، فقد قامت زوجة يوسف بن تاشفين وأخت ابن تومرت بأدوار ذات أهمية ، الا أنه لم تصل امرأة فى المجتمع البربرى الى ما وصلت اليه الكاهنة الزناتية من مكانة(٢٠٧) ٠

ومن بطون زناتة قبائل بنى واسين ، وهم اخوة مغراوة وبنى يفرن(٢٠٨) ومن بنى واسين : بنو عبد الواد ، وبنو مرين ، وبنو توجين، الا أن هذه البطون لم يكن لها ذكر بأسمائها مع أول الفتح الاسلامى للمغرب ، وانما كانت تعرف كلها ببنى واسين(٢٠٩) ، ثم عظمت هذه البطون وتشعبت مع مرور السنين فزادت قوتها وحفظ التاريخ ذكرها ، ودون المؤرخون أخبارها ، فكان لبنى مرين بطون تفرعت عنها منهم : بنو عسكر ، وبنو وطاس وبنو أنكاس وغيرهم ، ومن بنى توجين كان بنو عبد القوى(٢١٠) ٠

وقد انتشرت بطون بنى واسين فى شمالى افريقيا ، فكان منهم بافريقية فى صحراء برقة بطون تضرب حول قصور غدامس التى أختطت منذ بداية الفتح العربى لشمالى أفريقيا والتى تقع على عشرة مراحل

---

(٢٠٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩ ٠

(٢٠٧) أنظر ٠ Julien, History of North Africa, P. 12

(٢٠٨) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ ، ٥٧ ٠

(٢٠٩) ابن خلدون ، العبر ٧ ص ٥٨ ٠

(٢١٠) العمرى ، مسالك الابصار ، ٥ ورقة ١١٧ ٠

جنـــوب سرت(٢١١) ، وفي جبل أوراس وطنت طائفة من بني عبد الواد منذ بداية الفتـــح الاســـلامي للمغرب ؛ وكانوا معروفين بين ساكني جبل أوراس (٢١٢) ، كمـــا أن بطونا أخرى من بني واســـين كانت تضرب في ضـــواحي قسنطينة(٢١٣) ، وحول قسطيلية وتوزر(٢١٤) ، وكذلك في مدينة الجامة التي تقع بالقرب من توزر(٢١٥) ؛ ومن هـــذه المدينة خرج بنـــو واســـين ثائرين على المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م(٢١٦) •

وفي المغرب الأوســـط كانت بعض بطون بني مرين وبني توجين تضرب ما بين تلمســـان وتاهرت حيث تعيش معظم بطون زناتة(٢١٧) ، أما غالبيـــة بطـــون بنى واســـين فكـــانت تعيش بالمغـــرب الأقصى ، فاستقر بعضهم حول مدينة جـــراوة(٢١٨) ، أما بنـــو مرين فكـــانوا يظعنون بين فجيج وسجلماسة وملوية لا يستقرون في مكان ولا يدخلون تحت حكم سلطان(٢١٩) ؛ اذ كانوا قليلي العـــدد(٢٢٠) ؛ أما جمهـــور بني واسين بالمغرب الأقصى فكانوا يقطنـــون بين مليـــوية وجبـــل

---

(٢١١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٨ ، عن برقة ، وغدامس ، وسرت ، أنظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٣٣ — ١٣٤ ، ٦ ص ٢٦٨ ؛ ٥ ص — ٦٣ •

(٢١٢) نفســـه ، ص ٥٩ •

(٢١٣) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٤ ، أنظر ، رزق الله منقريوس ، دول الاســـلام ، ١ ص ٢٣٨ •

(٢١٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٤ ، ٥٨ •

(٢١٥) الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٤٤ ، عن الحامة ، أنظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٣٤٤ •

(٢١٦) أبو زكريا ، الســـيرة ، ورقة ٤٦ •

(٢١٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٦٦ ، ٢٠٠ •

(٢١٨) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٢ •

(٢١٩) السلاوى ، الاستقصا ، ٣ ص ٣ ، أنظر ، عبده بدوى ، مع حـــركة الاسلام فى أفريقيـــة ، ص ٦٧ ، وعن سجلماسه ، انظر ، ياقوت ، معجـــم البلدان ، ٥ ص ٤١ ، ابن خلدون ، التعريف ، ص ٣٧٠ •

(٢٢٠) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩١ •

راشد(٢٢١) ، وربما كان لبنى واسين مواطن أخرى لم يشر اليها المؤرخون والجغرافيون ، لأن بنى واسين لم يكن لهم ملك فى القرون الهجرية الأولى مما يحمل المؤرخين على العناية بتدوين أخبارهم ، « كما أن بنى واسين أبعدوا فى القفر وتوحشوا عن الانقياد ، فبقوا غفلا ولم يصل الينا الا الشارد القليل من أخبارهم » (٢٢٢) •

وقد تحولت بطون بنى واسين الى الاسلام ، ولكن معظم بطونهم اعتنقت مذهب الخوارج الاباضية(٢٢٣) ، وكان جمهورهم بافريقية اباضية وهبية(٢٢٤) ، أما بنو عبد الواد فلم يحدد أحد من المؤرخين المذهب الاسلامى الذى اعتنقوه فى القرون الأربعة الهجرية الأولى ، ويبدو أنهم ظلوا على مذهب أهل السنة ، فقد تحولوا الى الاسلام فى أول الفتح الاسلامى للمغرب ، وساندوا المسلمين فى فتح بقية المغرب (٢٢٥) ولم يذكر أحد من المؤرخين أنهم شاركوا فى ثورات الخوارج من زناتة على الأمويين والعباسيين والفاطميين ، أما بنو مرين وبنو توجين فقد كانوا بدوا يظعنون فربما لم يكونوا يهتمون بأمر الدين لبعدهم فى الصحارى وعدم خضوعهم لسلطان ، ولأن اهتمامهم كله كان منصبا على ما يملكون من خيل وأنعام • وخلاصة القول ، ان المستقرين من بنى واسين تحولوا الى المذهب الخارجى ، أما بقية بطونهم فلم تعرف الاستقرار ، وكانت حياتهم حياة ظعن وترحال ، وقد ظلت سمة البداوة واضحة عليهم حتى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى وبعد أن تمكنت بعض بطونهم من تأسيس ملك وراثى حول عاصمة سياسية ، ففى دولة بنى مرين لم يكن

---

(٢٢١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٨ •

(٢٢٢) نفسه ، ص ٦٠ •

(٢٢٣) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ •

(٢٢٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٣ ، الا ان ابن حوقل ينسب وهبية المغرب الى عبد الله بن وهب الراسبى والحقيقة انهم احدى فرق الخوارج الاباضية والتى تنتسب الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذى انقسمت الاباضية فى عهده الى وهبية ونكارية ، بعده •

(٢٢٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٩ •

هناك وجود لاسم الحاجب ، وكانت قيادة المعارك ورئاسة العساكر للوزير ، أما رتبة القلم والرسائل فاختصت بها بعض البيوت من المصطنعين فى دولتهم ، وكانت دولة بنى عبد الواد أكثر بداوة فلم يكن بها أثر لشىء من هذه الألقاب (٢٢٦) •

ومن البطون الزناتية بنو دمر التى اتفق المؤرخون على سلسلة نسبها الى جانا أبو زناتة (٢٢٧) ، وقد تفرعت عن بنى دمر بطون كثيرة منهم : بنى ورنيدين ، أو ورنيد ، وبنى ورتانين ، وبنى غزرول ، وبنى ورغمة ، وبنى صغمار ، وبنى يطوفت ، وبنى برزال(٢٢٨) ، وهذه البطون لم تنسب الى أسمائها هذه ولكن كان نسبها دائما لبنى دمر دون ذكر لأسماء البطون والأفخاذ ، فيما عدا بنى برزال التى تذكر باسمها دون نسبها الى بنى دمر فى معظم كتب المؤرخين ، مما كان سببا فى اختلاف البعض حول نسبها(٢٢٩) •

وكانت بطون بنى دمر تعيش فى افريقية والمغرب الأوسط أما المغرب الأقصى فكان خاليا منهم • ففى افريقية كانت مضارب بنى ورغمة فى نواحى طرابلس وجبالها (٢٣٠) ، كما كانت بطون كثيرة من بنى دمر تسكن الجبل المقابل لجزيرة جربة والمجاور لقابس حتى أنه عرف بهم ، اذ سمى جبل دمر(٢٣١) ، أما بنو برزال فكانوا قاطنين

---

(٢٢٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٣٣ •

(٢٢٧) ابن حزم ، جمهره ص ٤٩٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٢ •

(٢٢٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٢ — ٥٣ •

(٢٢٩) يذكر البعض أن بنى برزال احدى بطون بنى يفرن ، (مجهول ، نبذ ، ص ٤٤ ، انظر ، مؤنس ، محقق الحلة السيراء ، ٢ ص ٥١ هامش ٢) وينسبهم آخر الى قبيلة صنهاجة البرنسية ، (المراكشى ، المعجب ، ص ٧٣) •

(٢٣٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٢ •

(٢٣١) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٩٥ ، التجانى ، رحلة ، ص ١٨٥ ، وعن جربة وقابس ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٤ ، ٧ ص ٢ — ٤ •

الى الغرب من عمل الزاب حول سطيف وطبنة وميلة (٢٣٢) ، وكانت لهم أرض المسيلة قبل انشاء مدينة المسيلة أو المحمدية (٢٣٣) ، وظل بعضهم فى أعمالها (٢٣٤) ، وانتقل آخرون منهم الى جبل سالات (٢٣٥)، الذى عرف بهم فأسماه ابن الأثير وابن خلدون بجبل برزال (٢٣٨) ، وقد ظلت بطون بنى برزال بمواطنها تلك حتى عبروا الى الأندلس قبيل انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر من جراء اضطهاد الفاطميين وقبيلة صنهاجة الموالية للفاطميين لهم(٢٣٧) ٠

وفى المغرب الأوسط كان بنو ورنيد يضربون فى السهول التى تقع جنوب تلمسان حتى أزاحهم بنو راشد الزناتيون الى الجبل المطل على تلمسان(٢٣٨) ، وكانت بطون أخرى منهم تعيش فيما بين تلمسان وتاهرت(٢٣٩) ، وحول مدينة الخضراء التى تقع على مقربة من تنس (٢٤٠) ، وقد أقام بنو دمر امارة لهم فى نواحى قصر البخارى واتخذوا من تيملاص عاصمة لها ، واتخذ رئيسهم مصادف بن جرتيل حصنا له يبعد مسيرة ثلاثة أيام عن بلاد متيجة (٢٤١) ، الا أن

---

(٢٣٢) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٧ ، ومدينة طبنة احدى مدن بلاد الزاب بافريقية ؛ (ابن الأثير ، اللباب ، ٢ ص ٨١) ، وعن سطيف وميلة ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٨٢ ، ٨ ص ٢٢٦ ٠

(٢٣٣) البكرى ، المغرب ، ص ٥٩ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٠ ٠

(٢٣٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٥ ٠

(٢٣٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ ٠

(٢٣٦) الكامل ، ٨ ص ١٥٧ ، العبر ، ٧ ص ١٥٣ ٠

(٢٣٧) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ ، ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٨ ٠

(٢٣٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٢ ٠

(٢٣٩) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ ٠

(٢٤٠) البكرى ، المغرب ، ص ٧٥ ، عنها ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤١٤ — ٤١٥ ٠

(٢٤١) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٤ ، أنظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٠٧ ، عن متيجة ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٣٨٢ ٠

هـذه الامـارة لم يكن لهـا وجـود بعـد قيام الدولة الفاطمية ، وان بقيت بموضعها قرية تحمـل اسـم جرتيـل ظلت بطـون من بنى دمر تعيش حولها (٢٤٢) ، وحول حصن تامغيلت الذى يبعد عن جراوة مرحلتين الى جهة تاهرت كانت تضرب بطـون أخرى من بنى دمر(٢٤٣) ٠

وقد عبرت بطـون من بنى دمر الى الاندلس واستقروا بها ، فقـد عبر بنو برزال الى الاندلس فى فترة حكم الخليفة الامـوى الحكـم المستنصر الذى ضمهم الى جيشـه(٢٤٤) ، وفى نفس الفترة عبر من بنى دمر أعيان ورجالات حرب ، استظهر بهم المنصـور بن أبى عامر فى حروبه (٢٤٥) وظل بنو دمر بالأندلس حتى قامت الفتنة بعد القضـاء على الخلافـة الأموية فاستولت بعض بطون بنى دمر على مورور وشذونة وما حولهما من الحصون ، ثم أنشـاءوا لهم امارة بربرية فى مورور فى أول عصر الطوائف (٢٤٦) واستولوا على مدينـة شريش (٢٤٧) ، كمـا كان لهم السـلطة والسيادة على بعض أعمال جيان (٢٤٨) ، وأستولى بنو برزال على مالقـة (٢٤٩) ، مما يوضح أن كثيرا من بطـون بنى دمر الزناتيـة تركت المغرب وجازت الى الأندلس ٠

---

(٢٤٢) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٦ ٠

(٢٤٣) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٣ ، الأدريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٤٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠ ٠

(٢٤٤) مجهول ، نبذ ، ص ٤٤ ، انظر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ، ٢ ص ٥٠ ، هامش ٠

(٢٤٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٢ ٠

(٢٤٦) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ١١٣ أنظر ، مؤنس ، محقق الحلة ٢ ص ٥٠ ، ٣٧٠ هامش ،وعن مورور وشذونة ، أنظر ، ابن الشباط ، وصـف الأندلس ، ص ١٠٩ ، ١٠٧ ٠

(٢٤٧) ابن الدلائى ، نصـوص ، ص ١٠٧ ، عنها ، أنظر ياقوت،معجم البلدان ، ٥ ص ٢٦٠ ٠

(٢٤٨) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ١١٣ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٤ ٠

(٢٤٩) المراكشى ، المعجب ، ص ٧٣ ، عنهـا ، انظر ، ياقوت ، معجـم البلدان ، ٧ ص ٣٦٧ ٠

وكانت غالبيــة بطون بني دمــر خوارج اباضية : وهبية وتكارية ، فكانت بطونهم الضاربة فى جبل دمر اباضية وهبية (٢٥٠) ، وان كــان التجانى ـ القرن الثامن الهجرى ـ يذكــر أنهم كانــوا من الخوارج النكار ، وانهم لم يكونوا يعرفون من الاســلام سوى الاســم ، ويؤكــد أنه أقــام بينهم فترة من الزمن فلم يسمع آذانا (٢٥١) ، ورغــــم ذلك وصفهم بالأمانة ، وأن حياتهم يظللهــا الأمن الذى لم يسمع بمثله فى بقعة من بقاع الأرض (٢٥٢) ، أما بنو برزال فكانوا خوارج اباضية (٢٥٣)، ثم تحولوا الى مذهب النكارية (٢٥٤) وكانت بطون بنى دمر التى تعيش بالمغرب الأوسط يدينون بمذهب الخوارج أيضا (٢٥٥) ٠

وبنو يرنيان أحــد بطون زناتة (٢٥٦) ، وهم اخوة مغــراوة وبنى يفرن (٢٥٧) وليسوا بطنــا من بطونهم (٢٥٨) ولم يكن لبنى يرنيــان

---

(٢٥٠) الشماخى ، السير ، ص ٣٤٥ ٠

(٢٥١) رحلة ، ص ١٨٧ ٠

(٢٥٢) نفســه ، ص ١٨٨ ، فيذكــر التجانى أن من يترك متاعه لا تمتد الأيدى اليه ، لأن من كانت تظهر عليه سرقــة أو خيانة فانهم لا يجالسونه ولا يكلمونه الا فى الضرورة ولا يخرجونه من بلدهم اذا كان منهم ، أما اذا كان من غيرهم قتلوه ، نفس المصدر والصفحة ٠

(٢٥٣) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٢٩٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٩٥ ٠

(٢٥٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ ، ابن الاثير ، الكامــل ، ٨ ص ١٥٧ ٠

(٢٥٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ ، ابن الاثير ، الكامــل ، ٨ ص ١٥٧ ٠

(٢٥٥) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٤ ٠

(٢٥٦) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٢ ٠

(٢٥٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٦١ ، ٣٤ ٠

(٢٥٨) يذكر بروفنســال أن بنى يرنيان أحد بطون مغراوة الزناتية ، (نخب ، ص ٤٧) ويذكــر د ٠ مؤنس أن بنى يرنيان أحد بطــون بنى يفرن الزناتيين ، ذاكرا انه نقل ذلك عن ابن عذارى ، انظر ، (الحلة ، ٢ ص ٥١ هامش) وان كان ابن عذارى لــم ينص صراحــة على أن بنى يرنيان أحــد بطون بنى يفرن ، وانمــا ضم أخبارهم الى أخبار بنى يفرن ، وقــد ضــم أخبار بنى دمر أيضا الى أخبار بنى يفرن وذلك لا يعنى أن بنى دمر أو بنى يرنيان أحد بطون بنى يفرن ، ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٣) ٠

مواطن بافريقية ، أما بالمغرب الأوسط فكانت بطونهم منبثة بين البطون الزناتية الأخرى . فمنهم من كان يضرب فى الجبل المطل على تلمسان (٢٥٩) ، أما غالبيتهم فكانوا يضربون فى المنطقة التى حول مدينة هاز (٢٦٠) ، وظلوا بها حتى اجلاهم عنها زيرى بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة بعد أن أخذ بمبادىء دعوة الشيعة (٢٦١) ، وخربت المدينة وأصبحت مفازة (٢٦٢) .

أما جمهور بنى يرنيان فكان بالمغرب الأقصى ، حيث كانت تظعن بطونهم بوادى ملوية ما بين سجلماسة وكرسيف (٢٦٣) ، واختط بنويرنيان قصورا لهم على حفافى وادى ملوية ونزلوا فيها فكانت مواطن استقرار لهم (٢٦٤) . وكانت بطون أخرى من بنى يرنيان تضرب فيما بين فجيج وسجلماسة (٢٦٥) ، والى بنى يرنيان نسب الجبل الواقع على الطريق بين وجدة وسجلماسة فعرف بجبل بنى يرنيان (٢٦٦) .

وقد جازت بعض بطون بنى يرنيان فى فترة حكم الخليفة الأموى المستنصر ، ثم أجاز منهم المنصور بن أبى عامر فيمن أجاز من بطون زناتة الأخرى ، فكان بنو يرنيان من أفحل جند الأندلس وأشدهم شوكة (٢٦٧) ، وظل بنو يرنيان يعملون فى خدمة حكام الأندلس حتى وقعت الفتنة بها ، فاستولى بنو يرنيان على حصن أركش (٢٦٨) .

---

(٢٥٩) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٦ .

(٢٦٠) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٤ ، أنظر الجيلالى ، تاريخ الجزائر، ١ ص ٢٤٩ .

(٢٦١) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٣ .

(٢٦٢) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٥ — ٨٦ .

(٢٦٣) البكرى ، المغرب ، ص ٩٠ .

(٢٦٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٢ .

(٢٦٥) نفس المصدر والصفحة .

(٢٦٦) البكرى ، المغرب ، ص ٨٨ .

(٢٦٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٤٩ .

(٢٦٨) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٩٤ ، انظر مؤنس ، محقق ، الحلة ، ٢ ص ٥١ هامش .

وبنو ومانوا وبنو يلومى من بطون زناتة أيضـا (٢٦٩) ، وكانت هاتان القبيلتان من أوفـر بطون زناتة وأشـدهم شوكة ، وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط حول وادى ميناس بالقرب من نهـر شلف ، فكان بنو ومانوا يقطنون الى الشرق من الوادى ، أمـا بنو يلومى فكانوا فى الجزء الغربى منه (٢٧٠) ، ولم تترك هاتان القبيلتان مواطنهما بالمغرب الأوسط حين فرت قبائل مغراوة وبنى يفرن من المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى تحت ضغط الفاطميين وحليفتهم صنهاجة (٢٧١) ، قبيل خروج الخليفـة المعز لدين الله الفاطمى الى مصر بعـد أن ألهب الصراع بين زناتة وصنهاجة (٢٧٢) ٠

ومن بطون زناتة أيضا بنو عزون (٢٧٣) ، الذين كانوا يعيشون فى جزيرة جربة الواقعـة قبالة افريقية وبالقرب من مدينـة قابس (٢٧٤) ، وكانت مواطنهم بالجزيرة فى الجهة الشرقيـة والجنوبيـة منها (٢٧٥) ، وكان أهل الجزيرة على مذهب الخوارج بعضهم على مذهب الوهبية ، والبعض الآخر على مذهب النكار ، واعتنق بنو عزون الزناتيون مذهب الخوارج النكارية (٢٧٦) ٠ وقد عبرت بعض بطون بنى عزون الزناتيين الى الأندلس وكان منهم أمراء شنت برية (٢٧٧) ٠

---

(٢٦٩) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٢ ٠

(٢٧٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٤ ٠

(٢٧١) نفسـه ، ص ٥٥ ٠

(٢٧٢) بعـده ٠

(٢٧٣) ابن حـزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩ ٠

(٢٧٤) التجانى ، رحلة ، ص ١٢١ ـ ١٢٢ ، عن جربة ، ياقـوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٤ ٠

(٢٧٥) نفسـه ، ص ١٢٣ ٠

(٢٧٦) البكرى ، المغرب ، ص ١٩ ، انظر ، Ency of Isl. (Art Djarba), 2ed, V. 2, p. 459

(٢٧٧) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩ ، انظر ، مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٣٨٤ ، عنهـا ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ٠

وقد ذكر بعض المؤرخين والجغرافيين بطونا زناتيــة معــروفــة بالأسم دون أن ينسبوها الى واحدة من القبائل الزناتيــة الكبيرة مثـل مغراوة وبنى يفرن وغيرهما • فكان بافريقية قبيــلة مكناسة الزناتية التى كانت تعيش حول مدينــة نقاوس (٢٧٨) ، وبنو حمــزة الزناتيون (٢٧٩) الذين كانت مواطنهم حول مدينــة تيجس التى تقــع بين القــيروان وقسنطينة (٢٨٠) •

وفى المغرب الأوسط كانت تعيش قبيلة مسرة الزناتية (٢٨١) التى كان لهــا امارة به قبيل قيــام الخلافة الفاطميــة فى افريقيــة ، وكانت عاصمة امارتهم مدينــة أوزكــا الواقعــة على ثلاثة مراحل من تاهرت بين الجنوب والغرب ، وكان رئيس هذه الامــارة عبد الرحمن بن أودموت ابن ســنان ، ثم توارثه بنوه من بعــده فى رئاســة الامــارة ، وانتقل أحــد بنيه ويدعى زيدالى موضع يقال لــه تاريغة فاستقر به (٢٨٢) ، وربما كان زيــد هذا هو زيد بن سنان شيخ معتزلة زناتة ، الــذى خرج الى الشرق حيث مركز دعــوة المعتزلة بالبصرة ســنة ٢٠١ هـ / (٨١٦ — ٨١٧) م (٢٨٣) •

وفى المغرب الأقصى كان من البطون الزناتيــة بنو يرغش أو يزغتن (٢٨٤) أو يزغت (٢٨٥) وكانت تســكن فى موضع مدينــة فــاس

---

(٢٧٨) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٣ •

(٢٧٩) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣ •

(٢٨٠) البكرى ، المغرب ، ص ٦٣ •

(٢٨١) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩ •

(٢٨٢) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٩ ، أنظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٠٧ •

(٢٨٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٢٥ ، انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ١٢٨ •

(٢٨٤) الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ١٤ ، برفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٤١ ، Ency of Isl. (Art Idris II), 2ed, V. 3, p. 1032

(٢٨٥) مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقــة ٥٨ ظهر ، ويبدو أن الاســم الأخير هو الصحيح ، وذلك لوجود قبيلة بربرية بجنوب فاس حتى الآن تحمل اسم بنى يزغة Yazgha (انظر ، ســعد زغلول ، المغرب العربى ، =

قبل بنائها ، وعلى الجانب الأيمن من وادى فاس الذى أصبح فيما بعد عدوة الاندلسيين (٢٨٦) ، وقد اشترى ادريس بن ادريس بن عبد الله الأرض التى أنشئت عليها مدينة فاس (٢٨٧)،وكانت غيضة ملتفة بالأشجار واقعة بين جبلين (٢٨٨) ، وكان بنو يزغت يسكنون فى خيام من شعر (٢٨٩)، وكان لهم بيت للنار (٢٩٠) مما يوضح أنهم دانوا بالمجوسية قبل تحولهم الى الاسلام ، وكان القائم على بيت النار التى كانوا يعبدونها أحد أفراد قبيلتهم (٢٩١) • وقبيلة بنى يجفش الزناتية كانت تضرب حول قرية أم ربيع بالمغرب الأقصى ، وكانوا قوما الغالب عليهم الفروسية(٢٩٢) وخيلهم من أعتق الخيول لقدرتها على الصبر والاحتمال (٢٩٣) ؛ وقد استطاع بنو يجفش الزناتيون تكوين امارة لهم فى بلاد فازاز بالمغرب الأقصى مع بداية القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى (٢٩٤)، وهى الفترة التى استطاعت فيها بطون زناتة الكبيرة تأسيس امارات لهم بالمغرب الأقصى ، فكان لبنى يفرن امارة فى سلا ، ولمغراوة امارتين احداهما فى فاس والأخرى فى سجلماسة •

=

ص ٤٣٢ هامش) وقد اخذ المؤرخ باسم يزغتن لأنه قارن بين يرغش ويزغتن فكانت يزغتن اقرب الاسمين للقبيلة البربرية الموجودة بجنوب فاس حتى الآن ، ولكن ما ذكره صاحب كتاب تاريخ مدينة فاس بأن اسم القبيلة ايام الادارسة هو يزغت ، فذلك يطابق اسم القبيلة البربرية الموجودة الآن بجنوب فاس ، وربما أن يزغتن هى يزغت أيضا اذا اخذنا فى الاعتبار ان حرف النون ينطق ولا يكتب •

(٢٨٦) مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقه ٥٨ ظهر ، انظر ، بروفنسال، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٤٢ •

(٢٨٧) نفس المصدر والورقة •

(٢٨٨) الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ١٧ •

(٢٨٩) نفس المصدر ، ص ١٤ •

(٢٩٠) السلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ١٥٠ •

(٢٩١) انظر ، بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٤٤ •

(٢٩٢) الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٣٦ — ٢٣٧ •

(٢٩٣) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٨٧ •

(٢٩٤) مجهول ، نبذ ، ص ٤٧ •

وقد ذكرت بطون زناتية دون ذكر نسبها الى أحد القبائل الزناتية الكبيرة ودون أن يذكروا لها موطنا مثل قبيلة أركنة (٢٩٥) أو أبكتة (٢٩٦)، وقبيلة غفجوم الزناتية التى قدم أحد أفرادها الى الأندلس طلبا للعلم ثم رحل الى المشرق سنة ٣٩٩ هـ /١٠٠٩ م لنفس الغرض (٢٩٧) .

وأشار المؤرخون والجغرافيون الى مواطن لبطون زناتية ، فقالوا عنهم انهم من زناتة دون أن يعطوهم لقبا أو ينسبوهم الى واحدة من القبائل الزناتية الكبيرة مثل مغراوة وبنى يفرن وبنى دمر وغيرهم. وربما كان وجود هذه البطون التى نسبت الى زناتة مباشرة ، بسبب أن بعض الفروع الزناتية التى خرجت عن جانا أبو زناتة أو أحد أحفاده قد انقطعت أنسابهم ولم يتتبعهم أحد من المؤرخين أو علماء الأنساب ، لأن معظم العالمين بأنساب زناتة وقبائلها كانوا قد هلكوا قبل انتهاء القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى (٢٩٨) ، فكان لزاما علينا أن نذكر هذه المضارب التى عاشت فيها البطون الزناتية حتى نكمل رسم خريطة توزيع البطون الزناتية فى أرض المغرب بأقسامه الثلاثة والأندلس .

ففى افريقية كانت بعض بطون زناتة تضرب حول سبرت (٢٩٩) ، وبطون أخرى حول مدينة طرابلس (٣٠٠) وكانوا خوارج اباضية (٣٠١)

---

(٩٥) المسعودى ، مروج ، ٢ ص ١١٩ .

(٢٩٦) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٩١ .

(٢٩٧) ابن بشكوال ، الصلة ، ٢ ص ٥٧٧ ، انظر ، العبادى ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، ص ٥١ .

(٢٩٨) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣ .

(٢٩٩) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٤ ، وكذلك أسمها سبرة ، ياقوت، معجم البلدان ، ٥ ص ٢٨ – ٢٩ ، وهى مدينة مجاورة لطرابلس على مسيرة يوم واحد الى الغرب منها ، (ابن حوقل ، صورة ، ص ٧١) .

(٣٠٠) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٣٠١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥ ص ١٢٧ ، انظر ، Gautier, op. cit, p. 220

(٣٠١) الانصارى ، المنهل ، ص ٦٥ ، انظر ، Ency of Isl (Art Ibadiyya), 2ed, V, 3, p. 654.

فقـــد كانت البطون الزناتية منتشرة فى المنطقة الواقعـــة بين طرابلس وقابس (٣٠٢) ، ومن قبـــل الفتح الاسلامى للمغرب (٣٠٣) كمـــا كانت بطون من زناتة تقيم فى جبل نفوسه ، وكانوا يدينون بمذهب المعتزلة (٣٠٤) وكان هؤلاء فى صراع مع قبائل نفوسة الذى عرف الجبل بهم فملئوا قلوب قبائل نفوســـه رعبا (٣٠٥) وكانوا يغيرون على مدنهم وقصورهم فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى (٣٠٦) . وكانت بطون زناتيـــة أخرى تضرب حول قريـــة تامست (٣٠٧) . الواقعة على الطريق بين تاهرت والمسيلة وبالقرب من الأخيرة (٣٠٨) ، وكانت هذه البطون الزناتيـــة تغير على المناطق المجاورة لهم والخاضعة للدولـــة الفاطميـــة فى بدايـــة قيامها ، ممـــا كان ســـببا فى تشجيـــع الفاطميين لزعيم صنهاجة ومســـاعدته فى بنـــاء مدينة أشير لتكون حاجزا بـــين هذه النواحى وهجمات زناتة (٣٠٩) .

وفى المغرب الأوسط كانت بطون زناتيـــة تضرب الى الجنوب من تاهرت (٣١٠) فى بلاد واســـعة تمتد غربا الى بلاد مسوفة (٣١١) ، وربما كان هؤلاء هم معتزلة ايزرج التى يذكـــر الجغرافيـــون أنهـــا كـــانت تلى تاهرت (٣١٢) ، ويضيف المؤرخون أن مجمـــع الواصلية كـــان

---

(٣٠٢) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٩٩ .

(٣٠٣) الأنصـــارى ، المنهل ، ص ٢٨ .

(٣٠٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٤ .

(٣٠٥) الشماخى ، السير ، ص ٢٧٥ .

(٣٠٦) نفسه ، ص ٢٨٨ ، انظر ، على يحيى معمـــر ، الاباضية فى موكب التاريخ ، القســـم الاول ، ص ١٧١ .

(٣٠٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٥٤ .

(٣٠٨) الادريسى ، نزهـــة ، ٣ ص ٢٥٥ .

(٣٠٩) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ، ورقة ٤٧ ، عن أشير ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٦٤ .

(٣١٠) الاصطخرى ، المســـالك ، ص ٣٦ ، البكرى ، المغرب ، ص ٦٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٥ ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٥٦ .

(٣١١) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧٩ ، انظر ، ماجد والبنا ، الأطلس التاريخى ، خريطة ١٢ .

(٣١٢) ابن خرداذبة ، المســـالك ، ص ٨٨ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٨٠ .

قريبا من تاهرت وعددهم نحو ثلاثين ألفا فى بيوت كبيوت الأعـــراب يحملونها (٣١٣) ، وأنهم قـوم من البربر أكثرهم من زناتـة (٣١٤) ، وفى مدينة العلويين التى كانت على ثلاثة مراحل من جـراوة (٣١٥) ، كانت تعيش بعض البطون الزناتيـة ، اذ كان أمير المدينة أحـد أبنـاء عظماء زناتة ويدعى على بن حـامـد بن مرحوم الزناتى (٣١٦) •

وفى المغرب الأقصى كانت بطون زناتية تضرب حول مدينـة نكور (٣١٧) ، وانتشرت بطـون زناتية فى المنطقـة الواقعة بين تاهرت وسجلماسـة فعرفت بأرض زناتـة (٣١٨) ، وفى وادى سجلماسـة عاشت بطون من زناتة (٣١٩) ، وبهم سـمى أحد أبواب سجلماسـة فأطلق عليه باب زناتة (٣٢٠) ، وفى المنطقـة الواقعة بين فاس وسجلماسة وعلى بعـد عشرة أميال أو مرحلة من سجلماسة استقرت بعض بطـون زناتة فعرف المكان بوادى زناتة (٣٢١) ، وكانت بطون زناتة هـذه

---

(٣١٣) البكرى ، المغرب ، ص ٦٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٥٦ •

(٣١٤) ابو زكريا ، السيرة ، ورقة ١٩ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٢٦ ، انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ١٢٧ •

(٣١٥) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٨ ، وتوجد قرية كبيرة تعرف بالعلويين ايضـا على بعـد مرحلتين من الأولى جهـة افكـان وعلى بعد ثلاثة مراحـل منها ، نفس المصدر والصفحة •

(٣١٦) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٧ •

(٣١٧) البكرى ، المغرب ، ص ٩٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٧٨ ، ومدينة نكور أنشـأها سعيد ابن ادريس بن صالح المعروف بالعبد الصالـح ، والذى دخل أرض المغرب زمن الوليـد بن عبد الملك ، (ابن عذارى ، البيان ، ص ١٧٦) •

(٣١٨) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٩ •

(٣١٩) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣ص١٣٩، انظر ، محمود اسماعيل، الخوارج ، ص ١٦٦ •

(٣٢٠) المقدسى ، أحسن التقاسـيم ، ص ٢٣١ •

(٣٢١) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٨ ، البكرى ، المغرب ، ص ١٤٧ ، الادريسى ، نزهـة ، ٣ ص ٢٤٧ •

تدين بمذهب الاعتزال (٣٢٢) ، وفى جبال المغرب الأقصى كانت تعيش بعض البطون الزناتيــة (٣٢٣) ، وقــد أيدت هذه البطون دولة الأدارسة ، فوقفوا حائـــلا أمـــام تقدم قبائل الملثمين صوب الشمال (٣٢٤) • وقد ذكر ابن قتيبـــة أن موسى بن نصير غزا زناتة وسبى منها (٣٢٥) ، فأعتقد البعض أن بطون زناتة التى غزاهـــا موسى بن نصير هى بطونهم بالمغرب الأقصى (٣٢٦) ، مما يدل على أن بطون زناتة انتشرت فى المغرب الأقصى قبل الفتح الاسلامى وأن مضاربهـــا كانت منتشرة بين تلمســـان وملوية وسجلماســـة (٣٢٧) •

أما فى الأندلس فكانت بعض البطون الزناتية التى لم نعرف لهـــا نسبا سوى أنهـــا من زناتة ، فكان بنو الخروبى الزناتيون فى لقنت (٣٢٨)، وفى اقليم سرقسطة ناحية عرفت باســـم زانات نسبة الى قبيلة زناتة(٤٢٩) كما نسب حصن توبة الذى يقـــع فى أعمال وشقة الى زناتة أيضا (٣٣٠) وأطلق اسم زناتة على أحد أقاليم بلنسية (٣٣١) ، كمـــا كان بالأندلس أمراء وقـــواد نسبوا الى قبيلة زناتة ، وآخرون نسبوا الى أحد بطونها الكبيرة مثل بنى خزر وبنى يفرن وبنى برزال (٣٣٢) •

---

(٣٢٢) نفســـه ، ص ٩٩ •

(٣٢٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٩٩ ، الادريسى ، نزهـــة ، ٣ ص ٢٤٣، أنظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٤ •

(٣٢٤) أنظر ، حسن احمـــد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٢ •

(٣٢٥) الامامة والسياســـة ، ٢ ص ٥٤ •

(٣٢٦) أنظر ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٢ ص ١٣٠ •

(٣٢٧) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٦٥ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٩٧ •

(٣٢٨) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩ ، عنهـــا ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٣٣٦ •

(٣٢٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٤٠٦ ، السيوطى ، اللبـــاب ، ص ١٢٧ •

(٣٣٠) ابن الدلائى ، نصوص ، ص ٥٥ ، ١٦١ •

(٣٣١) نفســـه ، ص ٢٠ ، وبلنسية تقع شرقى قرطبة ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ •

(٣٣٢) المغربى ، الجمان ، ورقـــة ٢٠٣ •

ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤرخين القدامى قد نسبوا بعض البطون البربرية الى قبيلة زناتة ، رغم أنهم ليسوا من بطونها ، وتبع القدامى بعض المحدثين من مؤرخى الشرق ليس فقط فى نسب نفس البطون الى زناتة ، بل زادوا فى البطون التى نسبت الى قبيلة زناتة ، ولم يشر هؤلاء الى المصادر التى اعتمدوا عليها وأخذوا عنها ، كما لم يذكروا السبب الذى من اجله نسبوا هذه البطون الى زناتة .

فقد نسب البعض قبيلة كومية التى كان منها عبد المؤمن بن على مؤسس دولة الموحدين الى قبيلة زناتة (٣٣٣) ، كما نسب البكرى بنى يلول أحد بطون كومية الى بنى دمر الزناتيين (٣٣٤) ، وذكر البعض مواطن كومية فى المغرب دون أن يذكروا لها نسبا (٣٣٥) ، أما ابن خلدون وهو العليم بأنساب قبائل البربر لم يذكرها ضمن بطون زناتة ، وانما نسبها الى قبيلة بترية أخرى عرفت بصطفورة أو صد فورة (٣٣٦) ، بالاضافة الى ذلك فان ابن حوقل الذى ذكر أكثر من مئة بطن من بطون زناتة لم يذكر كومية — التى لم تكن غافلة الذكر — ضمن هذه البطون (٣٣٧) .

أما قبيلة مكناسة فيقف المؤرخون قدامى ومحدثين فريقين فى تحديد نسبها ، اذيرى فريق من مؤرخى العصور الوسطى أن مكناسة أحد بطون زناتة (٣٣٨) ، وعلى الدرب سار من اعتمد عليهم من المؤرخين

---

(٣٣٣) ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص ١١٤ ، ١١٨ ، انظر ، حسن حسنى عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٢١ .

(٣٣٤) المغرب ، ص ٨٠ .

(٣٣٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٥١ ، ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٢٣ ، ابن الدلائى ، نصوص ، ص ١٥٦ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ٣٤ ، ٣٩ ، Julien, op. cit, p. 15.

(٣٣٦) العبر ٦ ص ١٢٦ ، انظر ابن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٣٠٩ ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٤٧ .

(٣٣٧) صورة ، ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٣٣٨) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣ ص ١٤٠ ، أبو الفدا ، المختصر ٢ ص ٧٠ . المقرى ، نفح ، ١ ص ٣٨٥ ، ابن دحية ، المطرب ، ص ٥٠ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ٢٣٢ .

المحدثين (٣٣٩) ، ويرى الفريق الثانى من مؤرخى العصور الوسطى أن مكناسة أحد قبائل البتر بعيدة النسب عن زناتة (٣٤٠) ، وأخذ بهذا النسب بعض المؤرخين المحدثين ، وأكدوا أن مكناسة ليست من زناتة (٣٤١) ، ومما لا شك فيه أن مكناسة ليست من بطون زناتة اذ قال بذلك النسابة ابن حزم الثقة فى معرفة الأنساب ، وأخذ به ابن خلدون أعظم من كتب عن قبائل البربر والعليم بأنسابهم ، ومصداق ذلك قول موسى بن أبى العافية زعيم مكناسة بان تحالفه مع بنى أمية « ليرهب بهم على زناتة » (٣٤٢) ، معلنا بذلك عداوته لزناتة كلها وليس لأحد بطونها مما يقطع بأن مكناسة ليست من بطون زناتة ، كما أن موسى بن أبى العافية تحالف مع صنهاجة (٣٤٣) العدوة التقليدية لزناتة ، بخاصة فى فترة حكم الفاطميين لبلاد المغرب ، ولم يحدث تحالف أبدا بين أى من بطون زناتة وبين قبيلة صنهاجة رغم الحروب القبلية التى دارت بين البطون الزناتية . ولعل ما حدا ببعض المؤرخين قدامى ومحدثين لاعتبار مكناسة أحد بطون زناتة أن كلا من القبيلتين من البتر الى جانب التشابه فى طبيعة حياتهم ، اذ كانت بطون مكناسة بدوا وأهل أخصاص (٣٤٤) مثلهم فى ذلك مثل الكثير من البطون الزناتية .

---

(٣٣٩) أنظر ، مؤنس ، ثورات البربر ، ص ١٦٧ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٤٦٩ ، ٥٨٣ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٠٩ ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، ص ٦٦ ، رزق الله منقريوس ، دول الاسلام ، ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢٠ ، الفيلالى ، دروس ، ص ٤١ .

(٣٤٠) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٦ ، ابن خلدون ، العبر ٦ ص ٩١ ، ١٢٩ ، اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٧ ، المراكشى ، المعجب ، ص ١٧ ، مجهول ، نبذ ، ص ٤٧ ، الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٤٤ .

(٣٤١) أنظر ابن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٣١٢ ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٢٤٨ ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٨٣ ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٧٤ ، Julien, op. cit, p. 58

(٣٤٢) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ، ورقة ٤٧ .

(٣٤٣) نفس المصدر والورقة .

(٣٤٤) البكرى ، المغرب ، ص ٨٨ .

ويعتقد بعض المؤرخين أن برغواطة اسما لقبيلة (٣٤٥) ، ومن بطون زناتة (٣٤٦) ، الا أن المتتبع لأقوال المؤرخين والجغرافيين يرى أن برغواطة ليس اسما لقبيلة بعينها ، وانما يدل على نحلة دينية أطلق على القبائل التى دانت بهذه النحلة (٣٤٧) ، نسبة الى من تنبأ فيهم وشرع لهم ، وذلك مثل الفرق الاسلامية التى أخذت أسمائها ممن أسس الفرقة أو المذهب ، مثلهم فى ذلك مثل الزيدية والاسماعيلية من فرق الشيعة ، والازارقة والاباضية والصفرية والوهبية من فرق الخوارج ، والواصلية من فرق المعتزلة . وقد تنبأ فى هذا القوم وشرع لهم ديانتهم من قدم من الأندلس من جهة وادى برباط (٣٤٨) فقيل لكل من دخل فى ديانته برباطى ، وأحالته العرب بألسنتها وقالت برغواطى (٣٤٩) .

وقد ذكرت بعض المصادر مانجم عنه تصور البعض بأن برغواطة واحدة من البطون الزناتية ، فذكروا أن طريفا أبا ملوك برغواطة كان من أصحاب ميسرة ، فلما قتل ميسرة وافترق أصحابه ذهب طريف هذا الى تامسنا وكان اذ ذاك ملكا على زناتة ، فقدم قومه ابنه صالحا بعد وفاته فتنبأ فيهم وشرع لهم الديانة التى كانوا عليها (٣٥٠) ، ويقول آخرون ان صالح بن طريف قدم من وادى برباط بالأندلس الى تامسنا فوجد بها قوما جهالا من زناتة ، فاستفز عقولهم بما كان يخبرهم به من أشياء قبل حدوثها (٣٥١) ،

---

(٣٤٥) يذكر ابن دحية ان القبيلة كانت تدعى بلغواطة وليس برغواطة ، المطرب ، ص ٩٢ .

(٣٤٦) انظر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ، ٢ ص ٥١ هامش .

(٣٤٧) انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٢٧ ، ابن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٣٢٢ .

(٣٤٨) البكرى ، المغرب ، ص ١٣٧ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٩٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٢٥ .

(٣٤٩) البكرى المغرب ، ص ١٣٨ ، مجهول ، نبذ ، ص ٤٧ .

(٣٥٠) البكرى ، المغرب ، ص ١٣٥ ، المغربى ، الجمان ، ورقة ، ٢٠٢ ، انظر ، بروفنسال ، نخب ، ص ١٣ .

(٣٥١) البكرى ، المغرب ، ص ١٣٧ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٩٧ .

ويؤكد فريق ثالث أن برغواطة فى الأصل من زناتة (٣٥٢) . الا أن هذا التصور بأنهم من زناتة له ما يدحضه ، اذ يذكر ابن عذارى أن تامسنا كانت مواطن عدة قبائل بربرية (٣٥٣) ، ويضيف ابن الخطيب أن برغواطة كانت أخلاطا شتى لا يرجعون الى أب واحد أو أصل واحد (٣٥٤) ، ويؤكد قول ابن الخطيب أن قبائل بربرية بترا وبرانس دانت بهذه النحلة وانضمت اليها (٣٥٥) ، بالاضافة الى أن ابن خلدون قد حسم الموقف من قبل وانتهى الى أن معظم الذين دانوا بنحلة برغواطة كانوا من بربر مصمودة ، وأن طريفا الذى كان كبيرهم كان من قبيلة مصمودة (٣٥٦) ، وأن برغواطة ليسوا من زناتة (٣٥٧) .

وقد نسب بعض المؤرخين قبيلة زواغة الى زناتة (٣٥٨) ، ربما لأنها كانت تعيش مجاورة لأحد البطون الزناتية ، وعلى البداوة مثلهم ، فكلاهما كان يعيش فى خيام من شعر (٣٥٩) والحقيقة فى نسب زواغة أنها احدى قبائل البتر التى كانت على قدم المساواة مع زناتة فى نسبها الى مادغيس الأبتر الذى نسبت اليه كل قبائل البتر (٣٦٠) وقد فطن بعض من المؤرخين المحدثين الذين نقلوا عن المصادر التى نسبت زواغة الى زناتة الى هذا الخطأ ولم ينسبوها الى

---

(٣٥٢) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٩٨ ، مجهول ، نبذ ، ص ٤٧ .
(٣٥٣) البيان ، ١ ص ٥٦ .
(٣٥٤) أعمال الأعلام ، ٣ ص ١٨٠ .
(٣٥٥) البكرى ، المغرب ، ص ١٤١ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٠ .
(٣٥٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٢٠٧ ، ٢١٠ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٥٨ ، انظر ، ابن منصور ، قبائل المغرب ، ١ ص ٣٢٢ .
(٣٥٧) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٢١٠ .
(٣٥٨) ابن ابى زرع ، الأنيس ، ١ ص ٣٩ ، الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ١٤ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٥٨ ظهر ، انظر ، بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والاندلس ، ص ٤١ .
(٣٥٩) نفس المصادر والصفحات .
(٣٦٠) ابن حزم ، جمهره ، ص ٤٩٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢٨ ، مجهول ، نبذ ، ص ٧٦ .

زناتـــة (٣٦١) .

كماعد بعض المؤرخين قبيلة ورفجومة ضمن البطون الزناتية (٣٦٢)، وان كانت ورفجومة من القبائل البترية ، الا أنهم يرجعون فى نسبهم الى قبيلة نفــزة (٣٦٣) ، والتى اعتبرهــا بعض المؤرخين من بطـــــون زناتة (٣٦٤) ، والحق أنهــا ليست منهم اذ لــم يذكــرها النســابة ابن حزم أو ابن خلدون ضمن البطون الزناتيـــة ، وانمــا نسبوهــا الى فرع آخر من قبائل البتر (٣٦٥) ، كمــا أن المؤرخ المراكشى قــد فرق بين قبيلة نفــزة وقبيلة زناتة (٣٦٦) .

ونسب أحد المؤرخين المحدثين قبيلة بنى كملان الى زناتة (٣٦٧) ، ولم يذكــر على أى المصــادر كان اعتماده ، اذ أن كل المصـــادر والمراجع التى ذكرتها تنسبهــا الى هوارة (٣٦٨) . ونسب آخر قبيـــلة ازداجـــة أو وزداجة الى زناتة (٣٦٩) ، ولكن ابن خلدون المصـــــدر الرئيسى عن أنســـاب قبائل البربر وتاريخهـــا ، ناقش نسب هذه القبيلة بخاصـــة ، وحســـم الاختلاف فى نسبهـــا ، وعدها ضمن بطون البرانس

(٣٦١) السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٥٠ ، انظر .
Ency of Isl. (Art Idris), 2ed, V. 3, 1032

(٣٦٢) المغربى ، الجمان ، ورقـــة ٢٠٢ ظهر ، ٢٠٣ ، انظــر ، مؤنس ، فجر الاندلس ص ٢٨٣ ، ثورات البربر ، ص ١٨٣ .

(٣٦٣) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٧ ، الرقيق ، تاريخ افريقية والمغرب ، ص ١٨٣ .

(٣٦٤) أنظـر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٤٦٩ ، Scott, Moorish Empire, V. 1, p. 387 ، وينسب ابن عذارى احد قواد نفزة الى بنى يفـرن الزناتيين ، (البيـــان ، ١ ص ٧٠) .

(٣٦٥) ابن حـــزم ، جمهــرة ، ص ٤٩٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٩٠ ــ ٩١ .

(٣٦٦) المعجب ، ص ١٦ ــ ١٧ .

(٣٦٧) أنظـر ، Hassan Ibrahim, Relations, p. 85

(٣٦٨) ابن الأثير ، الكامـل ، ٨ ص ١٧٩ ، النويرى ، نهايـــة ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٦ ، انظر ، رزق الله منقريوس ، دول الاسلام ، ١ ص ٣٢٢ .

(٣٦٩) أنظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٥٠ .

وليس البتر (٣٧٠) .

وينفرد المؤرخ المراكشي بنسب قبيلة تسول الى زناتة (٣٧١) ، ولم يشر أحد من النسابة أو المؤرخين الى أن تسول أحد البطون الزناتية ، فربما تفرعت عن بطون زناتية بعد الفترة التى يهتم بها البحث ، اذ أن المراكشى من مؤرخى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، الا أن ابن خلدون الذى جاء بعده لم يذكرها ضمن بطون زناتة .

لقد اعتقد بعض المؤرخين أن قبيلة زناتة قسما ثالثا من أقسام البربر غير البتر والبرانس ، ولأن قبيلة زناتة البترية كانت من أكبر قبائل البربر وأوسعها انتشارا فى شمالى أفريقيا ، فقد نسب بعض المؤرخين قبائل بربرية غير زناتية الى قبيلة زناتة . وفى الحقيقة أن بطون زناتة لم تكن متباعدة عن بعضها البعض فى المضارب فحسب ، وانما اختلفت فى المذاهب الاسلامية التى اعتنقتها بعد أن تحولت الى الاسلام ، ففى الوقت التى ظلت فيه بطون زناتية على مذهب أهل السنة ، تحولت بطون أخرى الى مذاهب الخوارج التى وصلت مبادئها الى المغرب ، ومذهب المعتزلة المعروف ، ولم تتفق بطون زناتة حول شىء ما ، مثل عدم اعتناق أى منها مذهب الشيعة الاسماعيلية . والى جانب تباعد المضارب واختلاف المذاهب كان التكافؤ فى القوة والعدد بين بعض بطون زناتة مما كان سببا فى عدم خضوع بطون قبيلة زناتة لطاعة زعيم واحد ، ومن ثم تفرقت قوتها ، ولم تستطع اقامة دولة لها مع أنها كانت من أكبر القبائل البربرية عددا ، وأكثرها قوة ، وأشدها توحشا .

---

(٣٧٠) العبر ، ٦ ص ١٤٤ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ٤١ .

(٣٧١) المعجب ، ص ٢٤٥ .

الفصل الثانى

دور
زناتــة الســياسى قبــل قيــام الخلافة الفاطمية

موقف زناتة من الفاتحين المسلمين ــ مقاومة قبيلــة جراوة الزناتية للفتح العربى وتحول بقية بطون زناتة الى الاسلام ــ توليــة موسى بن نصير المغرب ودور زناتة فى فتح الأندلس ــ ثورة البربر الكبرى التى قادتها زناتة على ولاة بنى أمية ــ ثورات زناتة على العباســين حتى قيــام دول مستقلة بالمغــرب ــ موقف زنــاتة من دولتى بنى رستم والادارســة ٠

لعبت قبيلة زناتة دورا ذا شطرين أثنـــاء الفتح الاسلامى لبلاد المغرب ، اذ تحولت بعض بطونها الى الاسلام مع أول الفتح ، وانضمت الى الفاتحين تســاندهم فى اتمام فتح بلاد المغرب ، ووقفت بطـــون أخرى منهـا ضد الفاتحين ، فمنهم من انضم الى الروم لمقاومـة العرب، ومنهم من وقف بمفرده ليرد العرب عن أرض المغرب ، التى عمد المسلمون الى فتحهـا بعد أن فرغوا من اجلاء الروم عن مصر .

فبعد أن أتم عمرو بن العاص فتح مصر سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م (١) تقـدم لفتح بـلاد شـمالى أفريقيـا لتأمين الحدود الغربية للخـلافة الاسلامية (٢) : ولأنه كان ميـالا بطبعـه للغزو والفتح ، فلا يكـاد يفرغ من الاستيلاء على اقليم حتى يشرع فى اعـداد العـدة لفتـح مايلية (٣) ، فقاد الجيش الاسلامى الى برقة فافتتحهـا آخر سـنة ٢١ هـ / ٦٤١ م وصالح أهلهـا على جزيـة يؤدونهـا الى المسلمين (٤)، ثم خرج الى طرابلس وضرب الحصـار حولها حتى استسلم أهلهـا

---

(١) ابن عذارى ، البيـان ، ١ ص ٨ .

(٢) أنظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ١ ص ٢٢٧ .

(٣) أنظر ، مؤنس ، فتح ، ص ٥٢ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٢٩ ، ابن تغرى بردى ، النجـوم ، ١ ص ٧٥ ، يذكـر الانصـارى أن مسير عمرو بن العاص الى برقة كان سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م (المنهل ، ص ٣٠) .

سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م (٥) ، فتقدم من ليلته الى مدينة سبرت (٦)، وأخذ أهلها على غرة ، اذ كانوا واثقين من مناعة طرابلس على المسلمين (٧) ، وكانت مدينة سبرت وما حولها مضارب لبطون زناتية (٨)، فكان دخول قسم من زناتة الى الاسلام مع بداية الفتح العربى ، كما كانت طرابلس وما حولها مضارب لبطون زناتية (٩) .

توقفت الفتوحات الاسلامية فى بلاد المغرب بسبب مقتل عمر بن الخطاب وانشغال المسلمين بذلك حتى تولى عثمان بن عفان الخلافة ، فعين عبد الله بن سعد بن أبى سرح على ولاية مصر سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م (١٠) ، فاستأذن ابن أبى سرح الخليفة فى فتح بلاد المغرب (١١) ، وخرج اليها فى عشرين ألفا من كبار العرب وشجعانهم ومعهم بعض الصحابة وأبنائهم فى سنة ٢٧ هـ / ٦٤٧ — ٦٤٨ م (١٢) . وعندما علم حاكم

---

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٣٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٨، التجانى ، رحلة ، ص ٢٣٩ ، الا أن البكرى يذكر أن فتح طرابلس تم سنة ٢٣ هـ/ ٦٤٣ م ، (المغرب ، ص ١١) .

(٦) يذكر ياقوت أن اسمها سبرة أيضا ، معجم البلدان ، ٥ ص ٢٨ — ٢٩ .

(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٣١ ، انظر ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، ص ٤٢ ، وكان أهل سبرة قد تحصنوا فى مدينتهم حين علموا بقدوم العرب ، فلما بلغهم محاصرة عمرو بن العاص لمدينة طرابلس ، وأنه لم يستطع دخولها والاستيلاء عليها أمنوا ، فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة طرابلس أرسل خيلا من ليلته فصبحت خيله مدينة سبرة فاستولوا عليها ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٢٩) .

(٨) اليعقوبى ، البلدان ، ص ٩٩ ، الانصارى ، المنهل ، ص ٢٨ .

(٩) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٣٠١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥ ص ١٢٧ ، انظر ، Gautier, op. cit, p. 220

(١٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٨ ، الا أن السلاوى يذكر ان عزل عمرو بن العاص كان سنة ٢٦ هـ / ٦٤٦ م ، الاستقصا ، ١ ص ٦٦) .

(١١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٤٦ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٦٦ .

(١٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٨٥ ، ويذكر ابن تغرى بردى أن الجيش الاسلامى كان عشرة آلاف فقط ، (النجوم ، ١ ص ٨٠) .

افريقية وبعض بلاد المغرب جريجوريوس Gregorius الذى يسميه العرب جرجير (١٣) بقدوم العرب خرج للقائهم فى جيش من الروم ، وانضـمت اليه جراوة الزنـاتيـة ، فحـاربوا مع الروم ضـد المسلمين فى موقعـة سـبيطلة (١٤) ، التى انتهت بهزيمة الروم ومقتـل ملكهم جرجير ، وأسر كثير ممن معه (١٥) • وقـد اعتقد البعض أن مغراوة الزناتيـة هى التى ظـاهرت الروم فى موقعـة سـبيطلة (١٦) ، ولكن الذين انضموا الى الروم كانوا من قبيلة جراوة الزناتية ، لمـا بينهما من التشـابه فى حيـاة الاستقرار والأخذ بنصيب من الحضـارة ، كما أن جراوة كانوا هم الذين يدينون بالولاء للروم ، وكان على جـراوة مظاهرة الروم فى الحروب مهمـا احتاجوا اليهم ، اذ كان « للروم عليهم طاعة معروفة » كمـا يقول ابن خلدون (١٧) •

ومن المحتمـل أن مادفـع البعض الى الاعتقاد بأن مغراوة الزناتية هى التى وقفت الى جانب الروم فى حربهم مع العرب مـا أجمـع عليـه غالبيـة المؤرخين من اسـلام صولات بن وزمار أمير قبيلة مغراوة على يد عثمان بن عفان ، وان رددوا قصتين حول اسـلام صولات هـذا ،

---

(١٣) كان جرجير أحد عمال هرقل امبراطور بيزنطـة (الروم) عـلى افريقيـة ، فخلع جرجير طاعة الحكومة البيزنطية واستقل بحكم افريقية ، وكان سلطانه يمتد من طرابلس حتى طنجة ، وضرب الدنانير باسـمه ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٤٦ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٢٦) ، وكان جرجير هذا قـد خلع طاعـة هرقل ابن أخيه بسبب حقده عليـه لأنه صـعد على عرش الامبراطورية من دونه ، وربمـا أعلن نفسـه امبراطورا بتشجيـع بابوية روما التى كانت تنافس الكنيسـة اليونانية ، (انظـر ، ماجـد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٥٣) •

(١٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٨ ، وعن سبيطلة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٣٣ •

(١٥) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٤٦ ، انظر ، حسن حسنى عبد الوهاب خلاصـة ، ص ٥٤ ، ويذكـر الزاوى أن مقتـل الملك جرجير كان سنة ٢٩ هـ / ٦٤٩ م ، (انظر ، تاريخ الفتح العربى ، ص ٥٥) •

(١٦) أنظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٩٢ •

(١٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٨ •

فقالوا انه خرج بنفسه ذاهبا الى المدينة ووفد على عثمان بن عفان فأسلم على يديه ، أو أنه قبض عليه أول الفتح الاسلامى لبلاد المغرب فى بعض الحروب بين العرب والبربر ، فارسل الى عثمان لمكانته من قومه ، وأسلم على يديه ، فأطلقه الخليفة ، وعقد له على قومه وعمله فحسن اسلام صولات • وقد اعتقد البعض أن صولات بن وزمار اسر فى معركة سبيطلة أو أنه ذهب الى عثمان بن عفان فى صحبة ابن أبى سرح (١٨) وقد رجحنا من قبل فكرة ذهاب أمير مغراوة الى المدينة بمحض ارادته على قصة الأسر ، وبذلك أخذ بعض المستشرقين (١٩) •

وأيا ما كان وفود صولات أمير مغراوة على عثمان أسيرا أم بمحض ارادته ، فقد تحول الى الاسلام ، وحسن اسلامه فتحولت قبيلة مغراوة الزناتية الى الاسلام بسهولة مع أول الفتح العربى لبلاد المغرب لأن اسلام الرؤساء والملوك يتبعه اسلام قومهم ، اذا الناس تبع للسلطان (٢٠) ، وأصبحت قبيلة مغراوة ومن يدور فى فلكها من بطون زناتة تدين بالولاء لخليفة المسلمين وانضمت اليهم تجاهد معهم ، اذ أصبحت « خالصة للمسلمين منذ الفتح » على حد قول ابن خلدون (٢١) ، ولذا يرى غالبية المؤرخين المحدثين أن قبيلة زناتة كانت أول قبائل البربر اسلاما ، وانضماما الى العرب (٢٢) ، وربما كان انضمام زناتة الى العرب منذ أول الفتح لما بينهما من تشابه فى الحياة الاجتماعية من سكنى الخيام ، والميل الى الرحلة ، والحياة التى لا تعرف الاستقرار الدائم ولكنها دوما تميل الى الظعن (٢٣) •

وتوقفت الفتوحات الاسلامية فى المغرب بسبب الفتنة التى حدثت بعد مقتل عثمان بن عفان حتى استقر الحكم فى يد معاوية بن أبى

---

(١٨) أنظر ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى ، ص ٥٨ •

(١٩) أنظر ، Ency. of Isl. (Art Maghrawa), led. V. 3, p. 106.

(٢٠) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٨٣ •

(٢١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٨ •

(٢٢) أنظر ، مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ١٢٨ ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٨٦ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٢١ — ٢٢ •

(٢٣) انظر ، مؤنس ، فتح ، ص ٩ ، ٢٨٤ •

سفيان ، فعادت الجيوش الاسلامية الى غزو افريقية ، وافتتح رويفع بن ثابت جزيرة جربة سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م (٢٤) ، وهذه الجزيرة التى تقع فى البحر قبالة افريقية وبالقرب من قابس (٢٥) ، مواطن بنى عزون الزناتيين •

وتولى عقبة بن نافع (٢٦) أمر الفتوح فى المغرب من قبل معاوية بن ابى سفيان سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م (٢٧) ، فافتتح غدامس وقفصة وقسطيلية (٢٨) ، وكلها مضارب لكثير من بطون زناتة • وكان عقبة بن نافع مقيما بافريقية منذ أن افتتح عمرو بن العاص مدينة برقة(٢٩) فرأى أن قبائل البربر تعلن اسلامها اذا جاءتهم جيوش المسلمين ، وما أن تعود الجيوش حتى يرتد البربر عن الاسلام (٣٠) ، لذا اختط عقبة مدينة القيروان (٣١) ، وفى موضع بعيد عن البحر خوفا من غارات الروم،

---

(٢٤) البكرى ، المغرب ، ص ١٩ ، التجانى ، رحلة ، ص ١٢٤ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص ٢٨ •

(٢٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٤ •

(٢٦) كان مولده قبل وفاة الرسول بسنة واحدة ، (ابن عذارى ، البيان، ١ ص ١٩) ، وكان عقبة اقدم المسلمين عهدا بافريقية واعرفهم بها اذ كان مقيما ببرقة وزويلة منذ افتتحها عمرو بن العاص ، ياقوت ، معجم البلدان، ٧ ص ١٩٤ •

(٢٧) الطبرى ، تاريخ ، القسم الثانى ، مجلد ٧ ص ٩٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٣ ص ١٩٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩ ، وان اختلفت الاراء فى سنة تولية عقبة بن نافع ، فيرى ابن عبد الحكم أن ولاية عقبة لافريقية كانت سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م ، (فتوح ، ص ٢٦٢) ، ويرى آخرون أن تولية عقبة كانت سنة ٤٩ هـ / ٦٦٩ م ، (انظر ، مؤنس ، فجر ، ص ٣٩ ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى ، ص ٦٧) •

(٢٨) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٦٤ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٣٠ •

(٢٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ١٩٤ •

(٣٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٣ ص ١٩٩ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٢٤٢ •

(٣١) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ١٩٣ — ١٩٥ • انظر • Hill, Op. Cit, pp. 91— 94.

والى الجنوب من قرطاجنة ، واختط عقبة بها دار الامارة والمسجد (٣٢) .

ولم تكن جيوش المسلمين وطئت أرض المغرب الأوسط الذى تضرب فيه غالبية البطون الزناتية ، وكانت السيادة فيه بين اثنين من أقوى البطون الزناتية هما : مغراوة وبنى يفرن ، وتقع به مدينة تلمسان التى أنشأتها زناتة بين مضاربها . وقصارى القول أن معظم سكان المغرب الأوسط كانوا من زناتة كما كانت فيه السيادة لبطون زناتة حتى عرف بمغرب زناتة (٣٣) .فما أن ولى المغرب أبو المهاجر دينار(٣٤) الذى خلف عقبة بن نافع سنة ٥٥ هـ / ٦٧٥ م (٣٥) ، حتى توغل فى المغرب الأوسط حتى وصل تلمسان دار زناتة والتى تقع فى وسط مضاربهم حتى اعتبرها بعض الجغرافيين عاصمة ملكهم (٣٦) ، فكان أبو المهاجر أول من وطئت خيله أرض المغرب الأوسط (٣٧) ، وكان أبو المهاجر سياسيا حاذقا ، فترك سياسة العنف مع البربر وعمل على استمالتهم ، ومن ثم حقق بعضا من مسعاه واستمال بعض زعماء القبائل البربرية (٣٨) .

---

(٣٢) ابن عذارى ، البيان ١ ص ٢٠ ؛ انظر . الصوفى ، تاريخ ، ص ٢٢ — ٢٣ .

(٣٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٢ ، ٧ ص ٢ ، انظر .
Ency. of Isl. (Art Zenata), led. t, 4, p. 1223.

(٣٤) عنه انظر . ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٥٩ هامش ٥ .

(٣٥) أبو العرب ، طبقات ، ص ٧١ ، ٢٠٦ ؛ ويذكر الطبرى أن عزل عقبة بن نافع عن ولاية المغرب كان سنة ٥٠ هـ ، (تاريخ ، القسم الثانى ، مجلد ٧ ص ٩٤) ، اما ابن عبد الحكم فيذكر ان عزله كان سنة ٥١ هـ ،(فتوح ، ص ٢٦٥) .

(٣٦) البكرى ، المغرب ؛ ص ٧٦ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧٦ .

(٣٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٧٦ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٧٢ ، انظر ، العبادى ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٢ .

(٣٨) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٨ — ٢٩ ، ابن تغر بردى ، النجوم ، ١ ص ١٥٨ .

وبعد أن تولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٠ هـ / ٨٦٠ م ، رد عقبة بن نافع واليا على افريقية سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ — ٦٨٢ م (٣٩) ، وخرج عقبة ليغزو الروم والبربر ومعه مغراوة الزناتية التى انضمت الى المسلمين منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وأخلصت فى ولائها لهم ، كما انضم اليه بنو عبد الواد الزناتيون (٤٠)، وحاصر عقبة بمن معه من المسلمين وزناتة مدينة باغاية (٤١) حتى انهزم أهلها وغنم منهم خيلا كثيرا لم ير المسلمون فى غزواتهم أصلب ولا أسرع منها ، وكانت الخيل من نتاج جبل أوراس المطل على باغاية (٤٢) ، وجبل أوراس مواطن لزناتة التى عرفت بفروسيتها ، واهتمامها بتربية الخيل ، وكانت تلمسان الواقعة فى مضارب زناتة سوقا لبيع الخيل ، وكان بها خيل نسبت الى بنى راشد الزناتيين كان لها فضل على سائر الخيل (٤٣) ٠

ورحل عقبة بن نافع الى تلمسان دار امارة بنى يفرن الزناتيين آنذاك وقاتل أهلها ، ويبدو أنه لم يستطع أن يحقق نصرا على أهلها الزناتيين فكره المقام عليها (٤٤) ، ورحل الى تاهرت ، فأستغاث من بها من الرم بقبائل البربر المحيطةبتاهرت الذين أجابوهم وانضموا اليهم(٤٥) ويرى بعض المؤرخين أن بطون زناتة الضاربة حول تاهرت كانت ضمن القبائل البربرية التى ناصرت الروم (٤٦) ، فالغالب على الظن أن هذه

---

(٣٩) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٣٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ١٧٦ — ١٧٧ ٠

(٤٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٩ ٠

(٤١) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤١ ٠

(٤٢) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٤١ ، البكرى ، المغرب ، ص ١٤٥ ٠

(٤٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٠٨ ٠

(٤٤) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٤٩ — ٥٠ ٠

(٤٥) نفسه ، ص ٥٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٤ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ١٥٩ ٠

(٤٦) عبيد الله بن صالح ، نص جديد ، ص ٢١٩ ، انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٢٢٣ ٠

البطون الزناتية كانت من بنى يفرن الزناتيين ، اذ كانت مضارب الكثير من بطون بنى يفرن حول تاهرت ، كما لم يذكر أحد من المؤرخين أن بنى يفرن كانوا قد تحولوا الى الاسلام حتى ذلك الوقت . ورغم مساندة البربر للروم فقد استطاع عقبة هزيمتهم وابادة فرسانهم وقتل حماتهم (٤٧) .

وواصل عقبة تقدمه الى المغرب الأقصى حتى وصل طنجة التى تبعد ألفى ميل عن القيروان (٤٨) ، فدله أميرها يوليان (٤٩) على من يكفرون بالله من البربر بالسوس الأدنى (٥٠) ، فغزاهم عقبة وهزمهم ومضى بجيشه حتى دخل السوس الأقصى (٥١) ، فاجتمعت قبائل مصمودة البرنسية لمحاربة عقبة فى جبال درن (٥٢) ، فنهضت بطون زناتة الضاربة فى جبال درن وانضمت الى عقبة فى قتال المصامدة (٥٣) . وقد استطاع عقبة بمساعدة زناتة أن يهزم قبائل مصمودة ، ويقتل منهم خلقا كثيرا ، وأسر من نسائهم من لم ير الناس مثلهن ، فبلغت الجارية منهن بالمشرق ألف دينار أو نحوها (٥٤) ، وقد أبلى بنو عبد الواد احدى بطون زناتة أحسن البلاء فدعا عقبة بن نافع لهم (٥٥) .

---

(٤٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٥ .

(٤٨) البكرى ، المغرب ، ص ١٠٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٦٢ .

(٤٩) كان يوليان من اشراف ملوك الروم ، وكان ذو عقل ودهاء ، وكان يملك من طنجة الى ساحل المجاز بسبتة ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٦) .

(٥٠) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٤٥ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٦ ، والسوس الأدنى كورة بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية ، ومدينتها طنجة ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١٧٢) .

(٥١) والسوس الأقصى كورة بالمغرب تبعد عن السوس الأدنى مسيرة شهرين وليس ورائه شىء سوى الرمال ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١٧٢) .

(٥٢) عنها ، انظر . ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٥٥ .

(٥٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٨ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٧٣ ، انظر . حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٦٠ .

(٥٤) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٧ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٦ .

(٥٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٩ .

انتهى عقبة بن نافـــع الى ساحل البحر المحيط ثم قفـــل راجعا الى افريقيـــة ، فلما دنا من طبنة أمر أصحابه فافترقوا عنه (٥٦) . وساروا الى مواطنهم عندما اقتربوا منها (٥٧) . وهذا يوضح لنا أن غالبية البربر الذين انضموا الى عقبة بن نافع كانوا من تلك النواحى القريبـــة من طبنـــة ، والمغرب الأوسط الى الغرب من طبنـــة ، وجبل أوراس الى الشرق منها وكلاهمـــا مضارب لبطون زناتيـــة . وبعد أن افترق عن عقبة غالبيـــة جيشـــه سار الى تهودا (٥٨) ، فهاجمه كســـيلة (٥٩) زعيم قبيلة أوربة فقتل عقبة ومن معه من المسلمين سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ — ٦٨٤ م (٦٠)، ثم زحف كسيلة الى القيروان فعلم من بها من العرب بقدومه فتركهـــا معظمهم الى برقة (٦١) ، واستولى كسيلة على القيروان ، وأقـــام بهـــا أميرا خمس سنين لانشغال الأمويين بالقضاء على فتنـــة عبد الله بن الزبير (٦٢) ، فارتدت بعض بطون زناتة عن الاسلام مع بعض قبائل البربر (٦٣) ، وظلوا على ارتدادهم حتى قوى سلطان بنى أمية فى المشرق فوجه الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان وجوه أهل الشام الى

---

(٥٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٦٧ ، المالكى ، رياض ، ١ ص ٢٥ .

(٥٧) ابن عذارى ، البيـــان ، ١ ص ٢٨ .

(٥٨) تهودا أوتهودة مدينة قريبة من بسكرة ، ولها ارباض كثيرة وعليها سورمبنى بالحجر ، ويدور حولها خندق ، ولهانهر يصب اليهـــا من جبـــل اوراس ، (مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧٤) .

(٥٩) عنه ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٥٩ — ٦٠ .

(٦٠) المالكى ، رياض ، ١ ص ٢٥ ، ابن تغربردى ، النجوم ، ١ ص ١٥٩ ويذكر المالكى أن كسيلة أتى لمحاربة عقبة ناصرا لأبى المهاجر ، (رياض ، ١ ص ٢٥) ، الا أن غالبيـــة المؤرخين ترى أن الروم هم الذين حرضوا كسيلة على محاربة عقبة بعـــد أن أعلموه قلة من مـــع عقبة من المسلمين ، (ابن عذارى ، البيـــان ، ١ ص ٢٨ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ١٧٨ ، ١٨٠) .

(٦١) المالكى ، رياض ، ١ ص ٢٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩ .

(٦٢) ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١١ — ١١٢ ، انظـــر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٧٩ وما بعدها .

(٦٣) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٤٧ ، السلاوى ، الاستقصـــا ، ١ ص ٧٥ .

افريقية (٦٤) ، وانضم اليهم ما يقرب من ألفين من البربر (٦٥) • وخرجوا من برقة يقودهم زهير بن قيس البلوى — الذى كان عقبة بن نافع استخلفه على القيروان قبل خروجه فى غزوته الأخيرة (٦٦) — لمقاتلة كسيلة سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ — ٦٨٩ م (٦٧) ، فاستطاع هزيمة كسيلة واسترداد القيروان ، وما لبث زهير بن قيس أن ترك القيروان وافريقية راجعا الى المشرق سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ — ٦٨٩ م زهدا فى السلطة (٦٨) •

ما أن خرج زهير بن قيس عن افريقية حتى افترق أمر البربر واستقلت كل قبيلة بنواحيها ، وكان أعظم ملوك البربر آنذاك الكاهنة الزناتية زعيمة قبيلة جراوة (٦٩) ،•وكانت مواطن قومها وعاصمة ملكها بجبل أوراس (٧٠) ، ولكنها غلبت على معظم افريقية فى ذلك الوقت (٧١) • وكانت الكاهنة الزناتية قد ملكت على قومها جراوة

---

(٦٤) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٤٧ •

(٦٥) انظر • شكرى فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ١٦٩ •

(٦٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣ •

(٦٧) نفسه ، ص ٣١ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٨١ ، الا أن ابن خلدون يذكر أن خروج زهير لمحاربة كسيلة كان سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦ — ٦٨٧ م رغم أنه يذكرأن كسيلة ظل أميرا على افريقية خمس سنين بعد مقتل عقبة بن نافع ، (العبر ، ٦ ص ١٤٧) •

(٦٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٢، ويذكر ابن عبد الحكم أن تولية زهير بن قيس لافريقية كانت بعد رجوع حسان بن النعمان الى المشرق ، (فتوح ، ص ٢٧٢) ، ولم يرجع زهير ابن قيس الى المشرق كما اعتزم ولكنه استشهد عند برقة ، اذ أنه علم عندما وصل الى برقة أن قوة من مراكب الروم هاجمت برقة وأسرت كثيرا من المسلمين ، فعمل على انقاذهم وقاتل حتى قتل ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٣ ، البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٣٧) •

(٦٩) وكانت تدعى دهيا بنت ماتيه بن تيغان ، (ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩) ويذكر التجانى خطأ أن الكاهنة من قبيلة لواته ، (رحلة ، ص ٧٥) •

(٧٠) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٤ •

(٧١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٠ ، ولانها ملكت معظم افريقية عرفت بملكة البربر ، (البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٣٧) •

خمســـا وثلاثين ســـنة (٧٢) وكانت الكاهنـــة وقومهـــا جراوة يقدمون طاعة معروفـــة للروم ، لذا حاربوا الى جانب الروم ضـــد العرب (٧٣)، ولكن هذه الطاعة لا تعنى التبعية ، اذ كانت جراوة الزناتيـــة مستقلـــة بملك الضواحى على أن يساعدوا الروم فى حروبهم (٧٤) • وقد كانت للعلاقة بين جراوة والروم أثرها ، فلم تعد قبيلة جراوة بدوا يظعنون مثل غالبية بطون زناتة ، ولكنهم كانوا يماثلون الروم حضارة واستقرارا(٧٥) ، وقد ظلت قبيلة جراوة مستقلة بمواطنهـــا بعد هزيمة الروم ، ولم ينضموا الى العرب الفاتحين مع من انضم اليهم من زناتة ، ولم يشاركوا البرانس الذين تزعمهم كسيلة فى مقاومة العرب الفاتحين حتى انهارت مقاومـــة البرانس بمقتل زعيمهم •

كانت الظروف بالمشرق لا تمكن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان من ارسال قوات الى افريقية لاخضاعها واستعادتها ، فكان ذلك فرصة للكاهنة لتؤكد استقلالها وتمكن سلطتها على كل افريقية • فما أن انتهت فتنة عبد الله بن الزبير وأصبح الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان لا ينازعه السلطة أحد ، حتى بدأ اهتمامه بافريقيـــة من جديد ، واختار حسان بن النعمان لغزوها لما عرف من كفاءته وحسن تدبيره (٧٦) ، وكان حسان بن النعمان فى مصر ، فأمـــره عبد الملك بن مروان بالخروج الى افريقية وأطلق يده فى أموال مصر لغناها ، ليعطى من معه من الجنود ، ومن يأتيه من الناس للخروج معه لغزو افريقية (٧٧) • خرج حســـان الى

---

(٧٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ •

(٧٣) نفســـه ، ص ٨ •

(٧٤) نفس المصدر والصفحـــة •

(٧٥) أنظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٨١ ، Julien, op. cit., p. 11

(٧٦) الرقيق ، تاريخ أفريقية ، ص ٥٤ ، أمارى ، المكتبة الصقلية ، ص ١٧٦ ، وعن حســـان بن النعمـــان ، (أنظر Ency. of Isl. (Art Hassan b. Al-Nu'man), 2ed., V. 3, p. 271.

(٧٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٤ ، النويرى ، نهاية ٢٢ ورقة ٢٢ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص ٣٣ •

افريقية فى أربعين ألفا سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ (٧٨) ، وكان جيش حسان أكبر الجيوش الاسلامية التى دخلت افريقية منذ بداية الفتح الاسلامى لهذه البلاد (٧٩) ، وما أن وصل جيش حسان الى طرابلس حتى انضم اليه من كانوا خرجوا اليهـــا من افريقية من المســـلمين (٨٠) ، وســـار الى قرطاجنة (٨١) ، فافتتحها وخربها ، ثم حارب بقية الروم فما ترك من بلادهم موضعـــا الا وطئه (٨٢) ، وانصرف الى القيروان فأراح بها أياما حتى برأت جراح أصحابه (٨٣) ،وسأل عن أعظم ملوك افريقية من البربر، فدلوه على الكاهنة الزناتية التى ملكت جل افريقية « وكان البربر لهـــا مطيعون ، وجميع من بافريقية لهـــا خائفون ، فان قتلتها لن يختلف البربر بعدها عليك ، ويدين لك المغرب كله ، ولن يبق لـــك مضاد ولا معاند(٨٤)»

ومن الجدير بالذكر أن ابن خلدون ذكر أن مقتل عقبة بن نافع كان

---

(٧٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٤ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣١ ، التجانى ، رحلة ، ص ٥٨ ، انظر Osborn, Islam., p. 193 العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٥) ، ويوجد اختلاف بين المؤرخين قدامى ومحدثين حول تاريخ دخول حسان بن النعمان الى افريقية فيرى البعض أن دخوله افريقية كان سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٦٩ ، انظـر ، سـعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ١٨٣ ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ٢١) ، أو سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م ، (انظر ، مؤنس ، فتح ، ص ٢٣٦) ، أو سـنة ٧٧ هـ / ٦٩٦ م ، (ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٣٣ ، انظر ، حسن حسـنى عبد الوهاب ، خلاصـة ، ص ٦٠ ــ ٦١) ، أو سـنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٤) ، أو سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م ، (السلاوى ، الاستقصـا ، ١ ص ٦٩ ، امـارى ، المكتبة الصقليـة ، ص ١٧٦) ، أو سنة ٦٨٧/٦٨ ، (البكرى ، المغرب ، ص ٧) .

(٧٩) ابن الأثير ، الكامـل ، ٤ ص ١٥٤ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣١ .

(٨٠) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠ .

(٨١) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(٨٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٥ .

(٨٣) المالكى ، رياض ، ١ ص ٣٢ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦١ .

(٨٤) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص١٥٤، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٥ .

بتدبير من الكاهنة وأن المسلمين كانوا يعرفون عنها ذلك (٨٥) ، ويرى ابن الأثير أن الكاهنة خرجت لتحارب العرب غضبا لقتل كسيلة (٨٦) ، مما يعنى وجود علاقة بين الكاهنة الزناتية البترية ، وكسيلة زعيم قبيلة أوربة البرنسية ، ولكن وجود مثل هذه العلاقة بين واحدة من قبائل البتر وأخرى من قبائل البرانس مع وجود العداء المعروف بين البتر والبرانس ، لا تؤيده الحوادث ولا المعروف عن بلاد المغرب وأهلها ونظام قبائلها . أما عن خروج الكاهنة غضبا لقتل كسيلة فهذا ما تنفيه حوادث صراعها مع حسان ، فلم تكن الكاهنة ثائرة على العرب بل كانت بمواطنها فى جبل أوراس ترقب الحوادث ، كما أن الكاهنة لم تخرج لمحاربة حسان الا بعد أن علمت بقدومه اليها ، فكان حتما عليها أن تدافع عن ملكها واستقلالها .

وصلت الكاهنة الزناتية الأخبار بقدوم حسان بن النعمان اليها فى جيوش المسلمين (٨٧) ، فجمعت قومها جراوة ، وانضم اليها بنو يفرن الزناتيون (٨٨) ، وبنو ومانوا وبنو يلومى من بطون زناتة (٨٩) ، ورحلت الكاهنة من جبل أوراس حتى تسبق حسان الى مدينة باغاية التى تقوم من جبل أوراس مقام الباب من الدار (٩٠) ، خشية أن يستولى عليها المسلمون ويتحصنوا بها (٩١) ، فلما بلغ حسان ما فعلته الكاهنة لم يعرج على باغاية ونزل بوادى مسكيانة (٩٢) ، فرجعت اليه

---

(٨٥) العبر ، ٧ ص ٩ .

(٨٦) الكامل ، ٤ ص ١٥٥ .

(٨٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٥ .

(٨٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ ، السلاوى الاستقصا ، ١ ص ٨٣ .

(٨٩) أنظر ، Ency. of Isl. (Art Zenata), led, t. 4, p. 1223

(٩٠) أنظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٨١ .

(٩١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ .

(٩٢) نفس المصدر والصفحة ، ويوجد هذا المكان بالقرب من قابس ، (البكرى ، المغرب ، ص ٧) .

الكاهنة فيمن معها من زناتة ، ودارت بينهما معركة على نهـر نينى (٩٣)، الذى يسمى بلسان البربربلى (٩٤) ، وصبر الفريقـان فى القتال حتى انجلت المعركة عن هزيمة حسان ومن معه من المسلمين ، وقتل كثير من المسلمين ، وأسر منهم ثمانون ، فسمى الوادى الذى دارت فيه المعركة وادى العذارى (٩٥) ، وسمى النهر منذ ذلك اليوم نهر البلاء (٩٦) .

طاردت الكاهنة الزناتية فلول الجيش العربى حتى خرجوا من افريقية ، فأقام حسان بن النعمان خارج افريقية طمعا فى أن يلحق به من أفلت من أصحابه (٩٧) ، وكتب الى خليفة المسلمين عبد الملك بن مروان بخبر هزيمته ، واتجه بمن نجا من أصحابه الى برقة . وفى طريق عودته وافاه رد الخليفة يأمره بالمقـام حتى يأتيه المـدد ، فأقـام حسان بن النعمان خمس سنين فى المكان الذى وصـله فيه خطـاب الخليفة ، وبنى هناك قصورا سميت بقصور حسان (٩٨) ، وهى على بعد أربعة وخمسـين ميلا من طرابلس (٩٩) . وبذلك خرج العرب من بـلاد افريقية ، وقامت قبيلة جراوة الزناتية بالجولة الأولى فى مقاومـة العرب الفاتحين .

ملكت الكاهنة الزناتية افريقية وأحسنت الى أسراها من العرب(١٠٠) وما لبثت أن أطلقتهم جميعا سوى واحد منهم يدعى خالد بن يزيـد

---

(٩٣) ابن الأثير ، الكامـل ، ٤ ص ١٥٤ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة٩، ونهر نينى فى أقصى افريقيـة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٣٦٩ .

(٩٤) الرقيق ، تاريخ افريقيـة ، ص ٥٦ .

(٩٥) نفسـه ، ص ٥٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ .

(٩٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٠ ، المالكى ، رياض ، ١ ص ٣٣ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٢ .

(٩٧) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٧ .

(٩٨) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٣٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ .

(٩٩) الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٩٨ .

(١٠٠) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٠ ، الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٨ ، ابن عذارى ، البيـان ، ١ ص ٣٧ ، انظر ، الصوفى ، تاريخ ، ص ٣٣ ، الا ان المالكى يذكران الكاهنة اساءت الى اسراهـا ، (رياض ، ١ ص ٣٣) ، ويردد الدباغ نفس القصـة ، (معالم ، ١ ص ٦٣) .

العبسى (١٠١) أو القيسى (١٠٢) ، فقد أبقت عليه الكاهنة لما كان له من الجمال والشجاعة ، ثم أرضعته مع ولديهـا فصار أخا لهما (١٠٣) . وكان للكاهنة ولدين أحدهمـا يدعى قويدر والآخر بامين (١٠٤) ، كانا قد ورثا رئاسة قومهما عن سلفهما ، فاستبدت الكاهنة عليهما وعلى قومهمـا بهما (١٠٥) ، وبعد أن هزمت حسان والمسلمين استمر حكمها لافريقية خمس سـنين (١٠٦) ، لم تحسن فيها ادارة البلاد ، وأساءت الى رعاياها من غيرزناتة ، فانفض بعضهم من حولها واستغاثوا بالعـرب ليخلصوهم من حكمهـا .

فقد اعتقدت الكاهنة أن العرب طلاب مال وغنائم ، وأن هدفهم من

---

(١٠١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٠ ، المالكى ، رياض ، ١ ص ٣٤ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٣ .

(١٠٢) الرقيق ، تاريخ افريقيـة ، ص ٥٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٨٧ ، البكرى ، المغرب ، ص ٨ .

(١٠٩) كان لقبيلة جراوة الزناتية رضاع قبل الاسلام ، اذا فعلوه توارثوا به ، وهذا ما فعلته الكاهنة ، اذ لثت دقيق الشعير بالزيت ووضعته على ثديها ، فاكل خالد بن يزيد مـع ولديها وبذلك أصبحوا اخوة ، (الرقيق ، تاريخ ، ص ٥٨ ـ ٥٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٧ ، المالكى ، رياض ، ١ ص ٣٤ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٣) .

(١٠٤) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ ، ويرى البعض أن الكاهنة لم يكن لها أولاد حقيقيون ، وانمـا كان لهـا ولدين بالتبنى أحدهما بربرى والاخر يونانى ، (انظر الصوفى ، تاريخ ، ص ٣٧) ، ويذكـر المؤرخ عبيد الله بن صالح اسماء اخرى لولدى الكاهنـة ، (نص جديد ، ص ٢٢٢) .

(١٠٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٩ .

(١٠٦) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٧ ، ابن الاثير ، الكامـل ، ٤ ص ١٥٤ ، ابن عذارى ،البيان ، ١ ص ٣٦ ، النويرى ، نهايـة ، ٢٢ ورقة ٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩ ، وأن كان د . مؤنس يذكران مـدة ملك الكاهنة لافريقيـة ثلاث سنوات ، اذا يحدد معركتهـا الاولى مـع حسان فى سـنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م ، وانها قتلت سنة ٨١ هـ/ ٧٠٠ م ، (انظـر ، فتـح ص ٢٥٨) .

غزو افريقيـــة الذهب والفضة (١٠٧) ، ولم ينشأ عندها هـــذا الاعتقاد من فراغ ، فقـــد كانت أعمال قادة الفتح الاسلامى الأوائـــل لافريقية سببا ودلالة على ذلك . فقد أخذ عمرو بن العاص مالا ورجع عن برقـــة وطرابلس بعد أن فتحهما (١٠٨) ، ثم كان يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون (١٠٩) ، وترك ابن سرح افريقية بعد أن هزم الروم وقتل ملكهم جرجير مقابل ثلثمائة قنطار من الذهب ، دون أن يولى عليها أو يتخذ بها قيروانا (١١٠) ، وربمـــا كان المسلمون لا يرون فى ذلك غضاضـــة ، حيث أن الغنيمـــة ، وهى فىء يؤخذ قسرا ، كان مقبولا عندهم شرعا ، فربما أوحى ذلك الى الكاهنة أن العرب طلاب مال وغنائم ، وحتى ييأس العرب من افريقية ويقل طمعهم فيها أرسلت قومها الى كل ناحية يقطعون الشجر ويهدمون الحصون ، وكانت افريقية ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة وقرى متصلة ومدائن منتظمة (١١١) ، ولا غرو فقد أدهش ثراء البلاد العرب الفاتحين (١١٢) ، فكان عمل الكاهنـــة سببا فى تخريب البلاد ، وغضب رعاياها واستغاثتهم بالعرب .

خربت الكاهنة افريقية بعملها هذا (١١٣) ،اذ قضت على الأخضر واليابس بها ، كمـــا كسدت التجارة لعـــدم استتباب الأمن (١١٤) ، فانهارت اقتصـــاديات البلاد ، لان الحياة الاقتصادية تتأثر بأقل الأحداث

---

(١٠٧) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦١ ، ابن عذارى ، البيـــان ، ١ ص ٣٦ .

(١٠٨) ابن تغر بردى ، النجوم ، ١ ص ٧٥ .

(١٠٩) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٣٢ .

(١١٠) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٣٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٨٥ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٦٨ .

(١١١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٩ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ،ص ٢١ .

(١١٢) انظر . لويس ، القوى البحرية ، ص ١٢٩ .

(١١٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٥ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ٢ ص ١٨٢ .

(١١٤) أنظر ، محمود اسماعيل ، الاغالبة ، ص ١٦ .

السياسية التى تحدث ذعرا فى النفوس (١١٥) ، وكان عمل الكاهنة هذا سببا فى تمرد ملاك الأراضى وأصحاب المدن من الروم ، وكذلك بعضا من أهالى البلاد (١١٦) ، وكان هؤلاء من البربر البرانس أهل الاستقرار والنصارى أصحاب المدن ، مما حدا ببعض المؤرخين الى القول بان البرانس والنصارى خرجوا يستغيثون بحسان بن النعمان فيما نزل بهم من خراب (١١٧) ، ويدفعنا هذا الى الاعتقاد بأن الذين ظلوا مع الكاهنة يساندونها ضد العرب ، هم بطون زناتة ، بعد أن تخلى عنها البرانس والروم ونفر من البتر (١١٨) .

جاء المدد الى حسان بن النعمان ، فكتب الى خالد بن يزيد يستفسره عن أخبار الكاهنة الزناتية ومن معها من البربر ، فأرسل اليه خالد بأن البربر الذين مع الكاهنة متفرقون لانظام لم ، ولا رأى عندهم ، ويستحثه أن يطوى المراحل ويجد فى السير لمهاجمتهم (١١٩) ، فخرج حسان بمن معه من المسلمين الى الكاهنة ، متخذ أقصر الطرق اليها (١٢٠) ، ورحلت الكاهنة من جبل أوراس لتلقى حسان والمسلمين ولأنها تعرف نتيجة المعركة سلفا ، فقد طلبت من خالد بن يزيد أن يستأمن لولديها عند حسان بن النعمان (١٢١) ، وطلب خالد بن يزيد منها أن تفربنفسها، فأبت ذلك حتى لا تقلد قومها عارا (١٢٢) ، فأخذ خالد ولديها الى حسان

---

(١١٥) انظر ، البراوى ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٨٣ هامش .

(١١٦) انظر ، Julien, op. cit., p. 13; Scott, Moorish Empire, V. 1, p. 155

(١١٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٦ - ٣٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٩ .

(١١٨) أنظر ، مؤنس ، فتح ، ص ٢٥٨ .

(١١٩) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٥٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٧ .

(١٢٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ١٥٥ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٩٠

(١٢١) المالكى ، رياض ، ١ ص ٣٦ .

(١٢٢) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦٢ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٨ ، عبيد الله بن صالح ، نصن جديد ، ص ٢٢٣ .

الذى وكل بهما من يحفظهما ، وقــدم خالد على أعنة الخيل (١٢٣) ، والتقى الجيشـــان فهزمت الكاهنة ومن معهـــا ، وطاردها المسلمون حتى تمكنوا من قتلها فى الموضع الذى عرف بعد ذلك ببئر الكاهنة (١٢٤) ، أو عند طبرقة التى تقع على شاطىء البحر وعلى مســـيرة يوم غربى بنزرت (١٢٥) ، وبعث برأســها الى الخليفة الأمـــوى عبد الملك بن مروان (١٢٦) ٠

بعد هزيمة الكاهنة ومقتلها (١٢٧) ، استأمن من كان معهـــا من البربر ، فلم يقبل حسان أمانهم حتى يعطوه اثنى عشر ألفا منهم يجاهدون

---

(١٢٣) نفســه ، ص ٦٣ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٩ ٠

(١٢٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧١ ، التجانى ، رحلة ، ص ٥٨ ٠

(١٢٥) البكرى ، المغرب ، ص ٥٧ ، ياقوت ، معجم‌البلدان ، ٢ ص٢٩٢ — ٢٩٣ ، وعن طبرقة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٢١ — ٢٢ ٠

(١٢٦) ابن الابار ، الحلة ، ٢ ص ٢٣٢ ٠

(١٢٧) ليس من الغريب على المجتمع‌البربرى أن تلعب‌المرأة دورا أساسيا فيه ، مثلما فعلت زوجة يوسف بن تاشفين وأخت ابن تومرت وغيرهما ، Julien, op. cit., p. 12 ، أما عن مقتل الكاهنة فقــد اختلف المؤرخون حول تاريخ مقتلهـــا ، اذ يرى ابن عبد الحكم أن حسان ترك المغرب كله سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م أو ســنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م ، (فتوح ، ص ٢٧١ — ٢٧٢) ،ويذكر الرقيق أن عودة حسان الى القيروان بعد مقتل الكاهنة فى رمضان ســـنة ٧٤ هـ/ يناير ٦٩٤ م ، أما ابن عذارى فيجعل عودة حسان الى القيروان بعــد مقتل الكاهنة فى رمضان سنة ٨٢ هـ / اكتوبر ٧٠١ ، (البيان ، ١ ص ٣٨) ، ويذكر التجانى أن امدادات عبد الملك بن مروان لحسان بن النعمان كانت سنة ٧٩ هـ / ٦٩٨ م فيكون مقتل الكاهنة بعــد هذا التاريخ ، (رحلة ، ص ١٦١)، ويرى ابن خلدون أن مقتل الكاهنة كان سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ م ، (العبر ، ٤ ص ١٨٧) ، وحسب رواية ابن الاثير ، وابن الابار ، والتجانى يكون المدد وصل الى حسان بن النعمان سنة ٧٩ هـ / ٦٩٨ م ، ويختلف المحدثون كذلك حــول تاريخ مقتل الكاهنـــة فيرى د ٠ مؤنس أن مقتل الكاهنة كان سنة ٨١ هـ / ٧٠٠م (انظر ، فتح ، ص ٢٥٨) ، ويــرى غيره أن مقتـــل الكاهنة سنة ٨٢/٧٠١ (انظر الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٨٣ ، يحيى بن عزيز ، الموجز ، ١ ص ٨٤) ، أو سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م ، (ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٣٥ ، انظر ، شعراوى ، الأمويون ، ص ١٠) ، فيكون أقرب التواريخ الى الصحـة أن مقتـــل الكاهنة كان فى ســنة ٨٠ هـ / ٦٩٩ م ٠

مع العرب ، فأجابوه وأسلموا على يديه ، فعقد حسان لولدى الكاهنة لكل على ستة آلاف فارس وأخرجهم مع العرب يجولون فى افريقية يقاتلون من بقى من الروم ومن كفر من البربر (١٢٨) ، ثم انصرف حسان الى القيروان وقد دانت له افريقية ، فدون الدواوين ، وفرض الجزية على من ظل على النصرانية من الروم والأفارقة (١٢٩) والبربر ، وكان عامتهم من البرانس الا قليلا من البتر (١٣٠) ، وصارت الخطط بافريقية للبربر ، فكان يقسم الفيء والأراضى بينهم(١٣١)، وعمل على نشر الدين الاسلامى واللغة العربية بين البربر ، اذ عهد الى الفقهاء من كبار التابعين بتعليمهم القرآن وأصول الاسلام واللغة العربية (١٣٢) ، وقصارى القول ، ان حسان بن النعمان هو صاحب الفضل فى فتح شمالى أفريقيا حربيا ومعنويا فى آن واحد بعد أن قضى على مقاومة قبيلة جراوة الزناتية التى كانت مضاربها بجبل أوراس ٠

كانت الكاهنة ملكة على افريقية كلها قبل معركتها الأخيرة مع حسان بن النعمان ، ولكن تخلى عنها من كان معها من الروم والبرانس وبعض البتر أيضا نتيجة لما فعلته الكاهنة بافريقية ، اذ أن الروم والبرانس

---

(١٢٨) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٨ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٧ ، الا ان ابن خلدون يذكر أن حسان عقد للأكبر من ولدى الكاهنة على قومهم جراوة وجبل أوراس (العبر ، ٦ ص ١٠٩) وفى موضع آخر يذكرأن حسان عقد لولدى الكاهنة على قومهما وجبل أوراس ، (العبر ، ٧ ص ٩) ، مما حدا بأحد مؤرخى الشرق الحديثين الى الاعتقاد بأن حسان جعل أحد ولدى الكاهنة رئيسا مدنيا على قبيلة جراوة والآخر قائدا للجيش ، (انظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٩٠) ، أما أحد المستشرقين فيرى أن البربر أعطوا حسان عهدا أن ينضم اليه منهم أربعة وعشرون ألفا للمساعدة فى غزو أسبانيا (انظر (Osborn, op. cit., p. 194 وان لم يذكر على أى المصادر كان اعتماده ٠

(١٢٩) ويعرفون بالأفارق أو الأفارقة وهم أخلاط من سلالة أجنبية ، ويصفهم مؤرخو العرب بأنهم خدم الروم ، (انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٥٣) ٠

(١٣٠) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧١ ٠

(١٣١) المالكى ، رياض ، ١ ص ٣٦ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٦٧ ٠

(١٣٢) أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٣٣ ٠

أصحاب زراعة واستقرار ، فأصابتهم أضرار جسيمة نتيجة لمافعلته الكاهنة وقومها بمزارع افريقية وحصونها ، بالاضافة الى أن الكاهنة من البتر ، والعداء قديم بين البتر والبرانس ، لذا يمكننا القول بأن غالبية جيش الكاهنة فى معركتها الثانية مع حسان كان من قبيلة زناتة ، ولان الرئاسة لا تكون الا فى عصبية ، ولا تكون فى غير نسبهم (١٣٣) ، فقد عقد حسان لولدى الكاهنة كل على ستة آلاف خرجوا يقاتلون الروم ومن كفر من البربر • وبذلك تحولت قبيلة جراوة الى الاسلام مع مغراوة الزناتية وبنى عبد الواد الزناتيين الذين سبقوها الى الاسلام ، الا أن هذه القبيلة الزناتية لم يعد لها ذكر فى بلاد المغرب بعد معركتها مع حسان ومقتل زعيمتها • ولم يذكر الجغرافيون مضارب لجراوة فى المغرب بعد ذلك ، وهى القبيلة التى كان لها قوة وكثرة جموع وملك قبل مقتل الكاهنة(١٣٤) وليس من المعقول أن تفنى قبيلة بين عشية وضحاها ، ولو كانت هذه القبيلة فنيت فى معركتها مع حسان ما عقد لولدى الكاهنة على قومهما • ولكن الغالب على الظن أن قبيلة جراوة بعد أن تحولت الى الاسلام وانضمت الى جيش المسلمين ظلت تحارب الى جانبهم فى المغرب حتى ورث موسى بن نصير هذا الجيش عن حسان بن النعمان ، ثم عبروا مع طارق بن زياد الى الأندلس • ومما يرجح ذلك وجود ناحية بالأندلس من أعمال فحص البلوط تحمل اسم جراوة (١٣٥) • ولعل هذا هو تفسير عدم وجود مواطن لقبيلة جراوة بالمغرب بعد مقتل الكاهنة •

ومن الجدير بالذكر أن نشير الى ما يراه البعض سببا فى مقاومة الكاهنة الزناتية للعرب الفاتحين ، اذ يرون أن المقاومة كان أساسها القومية والدين اليهودى (١٣٦) ، ولكن الكاهنة لم تخرج لمقاومة العرب ولم تجمع

---

(١٣٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٤ ، انظر ، ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢٥ ، الجابرى، العصبية ، ص ١٨٨ •

(١٣٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٣ ، ٧ ص ٨

(١٣٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ •

(١٣٦) أنظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ص ٥٢ ،

Gautier, Op. Cit., p. 225

جيشا لمحاربة حسان بن النعمان الا بعد أن بلغها خبر قدومه اليها (١٣٧)، فخرجت تدافع عن استقلال مملكتها التى حكمتها خمسة وثلاثين عـاما ، أما بالنسبة للديانة اليهودية فهو افتراض لم يجد ما يؤيده ، وان كانت قبيلة جراوة لم تنضم الى العرب الفاتحين مع أول الفتح الاسلامى لبلاد المغرب مثل مغراوة الزناتية أقوى بطون زناتة ، وبنى عبد الواد الزناتيين، فذلك راجع الى الاختلاف فى الحياة الاجتماعية عن بقيـة بطـون زناتة ، فقد كانت جراوة تعيش حياة استقرار ، كما نالت قسطا من الحضارة(١٣٨) بالاضـافة الى أن جراوة كان عليها مسـاندة الروم فى الحروب (١٣٩) ٠

عزل عبد العزيز بن مروان والى مصر آنذاك حسان بن النعمان عن ولاية افريقية ، اذ كانت افريقية تابعة لوالى مصر (١٤٠) وذلك لخـلاف وقـع بينهما (٤١) ، واختار عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير (١٤٢) لولاية

---

(١٣٧) أنظر ، قبلـه ٠

(١٣٨) أنظر الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ١٨١ ،
Julien, op. cit., p. 11

(١٣٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٨ ٠

(١٤٠) ابن عذارى ، البيـان ، ١ ص ٣٨ ٠

(١٤١) وكان سبب الخلاف أن عبد العزيز بن مروان أراد أن يقتطع عمـل برقة من حسان بن النعمان ليولى عليه أحد مواليه ، فرفض حسان أن يتنازل عن ما أعطاه الخليفة ، (ابن قتيبـة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٤٩ ـ ٥٠) ، وربما أن حسان هو الذى طالب اعفائه ، (ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٣٥) ٠

(١٤٢) عنه الحميدى ، جذوة ، ص ٣١٧ ، ولد موسى بن نصير فى خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٩ هـ / ٦٤٠ م ، وكان أبوه نصيرا على خيل معاوية بن أبى سفيـان فى حرب على بن أبى طالب ، ولكنـه لم يقاتل معه عليـا ، (ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢ ، انظر ، (Ency. of Isl. (Art Mosa b. Nusir) led, t, 3, pp. 139 — 140 وكان موسى بن نصير عاملا لعبد الملك بن مروان على العراق ، فعتب عليه عبد الملك وأراد قتله ، فافتداه منه عبد العزيز بمـال لما رأى من عقل موسى ولبه ، وأخذه معه الى مصر ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٤) ، وقيل أنه احتجن الأموال لنفسـه حين كان واليا عـلى البصرة فأوصى به عبد الملك بن مروان الحجاج ، فخاف موسى وخرج الى عبد العزيز بن مروان فى مصر الذى شـفع له عند عبد الملك ، وأخذه معه الى مصر ، (ابن عذارى ، البيـان ، ١ ص ٣٩ ـ ٤٠) ، اذ كان أبوه وصيفـا لعبد العزيز بن مروان ، (مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣) ٠

افريقية سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م (١٤٣) ، ووصل موسى بن نصير الى افريقية والقحط بها شديد ومدنها خالية (١٤٤) ، وقام بغزواته فى بلاد المغرب حتى كثرت سباياه (١٤٥) ، وأرسل عياش بن أخيل الى زناتة فى ألف فارس ، فأغار عليهم وعلى هوارة وسبى منهم خمسة آلاف (١٤٦) . وكانت زناتة بافريقية والمغرب الأوسط قد أسلمت من قبل ، مما حدا بالبعض أن يعتبر سبايا موسى بن نصير من بطون زناتة الضاربة فى المغرب الأقصى (١٤٧) . وواصل موسى بن نصير غزواته فى بلاد البربر حتى استأمنوا له وأدوا الطاعة ، واستعمل على طنجة طارق ابن زياد الذى أبلى فى حصار طنجة بلاء حسنا (١٤٨) ، وترك معه اثنى عشر ألفا من البربر ، وهى العدة التى جعلها عليهم حسان بن النعمان ،

---

(١٤٣) اختلف المؤرخون فى تحديد السنة التى ولى فيها موسى بن نصير أمر افريقية ، فيرى البعض أنه تولاها سنة ٧٨ / ٦٩٧ م أو سنة ٧٩ / ٦٩٨ ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٤ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٥٠ ، ابن الأبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٢ ، مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣)، أو سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م ، (المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٠) ، أو سنة ٨٨ هـ / ٧٠٧ م ، (الضياف ، أتحاف ، ص ١٨٣) ، أو سنة ٨٩ هـ / ٨٠٨ م ، (البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٣٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٢١) ، أو حتى سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م ، (الحميدى ، جذوة ، ص ٣١٧ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٥٤ ظهر) ، أو سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م ، (انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ١٨٣) .

(١٤٤) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦٨ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٢ ص ١٣٥ .

(١٤٥) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٥٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٢١ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٤٣ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٣٩ ، عبد الملك بن حبيب ، استفتاح ، ص ٢٢٤ .

(١٤٦) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٢ ص ٥٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٤١ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٣٥ .

(١٤٧) أنظر ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٢ ص ١٣٠ .

(١٤٨) أنظر ، عنان ، دولة الاسلام ، ١ ص ٤١ ، الصوفى ، تاريخ ، ص ٨٥ .

وكانوا قد دخلوا الاسلام وحسن اسلامهم (١٤٩) ، كما كانوا بالأسلحة والعدة الكاملة (١٥٠) ، وترك معهم سبعة وعشرين رجلا من العرب ليعلموهم القرآن ويفقهوهم فى الدين (١٥١) ، لأن البربر كثيرا ما ارتدوا عن الاسلام ، فاستقرت كلمتهم عليه فى عهد موسى بن نصير (١٥٢) .

ولقد شاركت زناتة مشاركة فعالة فى فتح الأندلس (١٥٣) ، وكان لها دورها البارز بين القبائل البربرية التى حملت معظم العبء فى هذا الفتح ، فقد أرسل موسى بن نصير طريف بن ملوك الى الأندلس فى أربعمائة فارس سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م ، فتأكد مما قاله يوليان حاكم سبتة وقتئذ عن ضعف الأندلس (١٥٤) ، فعبر طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ/٧١١ م بجيش قوامه آلاف من البربر ليس فيهم من العرب الا القليل (١٥٥) ، وافتتح معظم الأندلس ثم عبر موسى بن نصير وأكمل الفتح (١٥٦) .

---

(١٤٩) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٦٩ ، يذكر بعض المؤرخين أن عدد البربر الذين تركهم موسى بن نصير مع طارق بن زياد كانوا تسعة عشر الفا ، (ابن خلكان ، وفيات ، ٢ ص ١٣٥ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ١٠ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٣٩) ، وهذا احتمال ليس ببعيد عن الحقيقة ، اذا اخذنا فى الاعتباران العدة التى فرضها حسان بن النعمان على البربر هى اثنى عشر الفا ثم اضيف اليهم سبايا موسى بن نصير من فرسان البربر .

(١٥٠) المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٣٩ .

(١٥١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٠ .

(١٥٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩٣ .

(١٥٣) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٤٧ وما بعدها ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١ - ٢ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ١٩٧ وما بعدها ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٩ وما بعدها .

(١٥٤) أنظر ، Lan-Poole, The Moors, P. 13

(١٥٥) عبد الملك بن حبيب ، استفتاح ، ص ٢٢٢ ، الحميرى ، صفة ، ص ٩ ، انظر . Sha'ban, Islamic History, p. 149.

(١٥٦) عن فتح الأندلس ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٥٥ وما بعدها ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٣٨ وما بعدها .

ومما لا شك فيه أن زناتة حملت العبء الأكبر بين قبائل البربر فى هذا الفتح ، فقد كانت زناتة أول قبائل البربر اسلاما وانضماما الى العرب (١٥٧) ، وقد ساعدتهم فى استكمال فتح المغرب (١٥٨) ، فكانت ضمن الجيش الاسلامى الذى خرج مع عقبة بن نافع لمحاربة من كفر من البربر ، كما أن الجيش الذى ورثه موسى بن نصير عن حسان بن النعمان كان به قبيلة جراوة الزناتية التى انضم منها اثنا عشر ألفا الى حسان بن النعمان يقودهم ولدا الكاهنة ، اذ أننا لم نعد نسمع عن قبيلة جراوة بالمغرب بعد هزيمة الكاهنة ومقتلها بعد أن كان لجراوة كثرة وعديد جموع (١٥٩) ، وانما وجدت ناحية بالأندلس من أعمال فحص البلوط تحمل اسم جراوة (١٦٠) ، مما يدل على انتقالهم الى الأندلس مع الأفواج الأولى للفتح واستقرارهم بها بعد ذلك ، كما أن زناتة أصبح لها شهرة واسعة فى تاريخ الأندلس منذ بعد الفتح (١٦١) .

ومما يؤكد دور زناتة فى فتح الأندلس ما ذكره أحد المستشرقين من أن الفتح كان على أكتاف زناتة وغماره ومصمودة (١٦٢) ، وما ذكره عبيد الله بن صالح من أن جيش طارق بن زياد كان من رهائن زناتة وهوارة ، ورهائن حسان بن النعمان (١٦٣) ، بالاضافة الى أن الكثير من منازل البربر الأول بالأندلس أخذت اسم زناتة أو أحد بطونها (١٦٤)، مثل مدينتى برزال وبرذيل فى أقليم برغش (١٦٥) ، التى ربما أخذت اسمها من قبيلة بنى برزال الزناتية ، واقليم زنات بسرقسطة الذى

(١٥٧) أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ١٢٨ .

(١٥٨) أنظر . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٣٠٠ .

(١٥٩) أنظر . قبله .

(١٦٠) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ .

(١٦١) أنظر . Scott, Moorish Empire, Vol. 1, p. 225

(١٦٢) أنظر . Id

(١٦٣) نص جديد ، ص ٢٢٤ ، نخب ، ص ١٢ ، انظر ، السيد عبد العزيز، المغرب الكبير ، ٢ ص ٢٧٣ .

(١٦٤) أنظر . مؤنس ، فجر ، ص ٣٨١ — ٣٨٢ .

(١٦٥) الحميرى ، صفة ، ص ٤١ .

نسب الى زناتة (١٦٦) ، واقليم زناتة ببلنسية (١٦٧) ، وجراوة التى من أعمال فحص البلوط (١٦٨) ، كما أن زناتة كانت لهـا قيادة ثورة البربر فى الأندلس (١٦٩) ، وهى الثورة التى قامت بعد ثلاثين عاما فقط من الفتح ، مما يدل على كثرة البطون الزناتية بالأندلس آنذاك • ثم كان لزناتة دورها فى مناصرة عبد الرحمن بن معاوية فى حروبه بعد أن دخل الأندلس وعمل على تكوين امارة مستقلة بها (١٧٠) •

أما طارق بن زياد قائد الجيش الذى فتح الأندلس ، فقد اختلف المؤرخون فى نسبة فقيل أنه من الصدف (١٧١) ، أو من الفرس (١٧٢) ، أو من البربر من قبيلة نفزة (١٧٣) ، أو من قبيلة زناتة (١٧٤) ، ولـــم يرجح الكثير من المؤرخين رأيـا على آخر ، فيذكرون نسبة الى الصدف والفرس والبربر الى جانب بعضهم بعضا ، الا أن ابن خلدون الذى كانت دراسته للعصبية عن مشاهداته للقبائل البربرية خرج لنا بالرأى القائل أنه لا رئاسة الا فى عصبيتة (١٧٥)،مما يرجح نسب طارق الى زناتة اذكانت أغلبيـــة الجيش الاسلامى الذى قاده طارق بن زيـــاد لفتح الأندلس من قبيلة زناتة ، ويضيف ابن عبد الحكم أن طارق كان بتلمسان حين راسله يوليان لفتح الأندلس ، وأن طارق أخذ من يوليان رهائن أقرهـــــا

---

(١٦٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٤٠٦ ، السيوطى ، اللباب ، ص ١٢٧ •

(١٦٧) انظر • مؤنس ، فجر ، ص ٥٨٦ •

(١٦٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٢ •

(١٦٩) ابن عذارى ، البيـان ، ٢ ص ٣٠ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص ٤١ •

(١٧٠) انظر • Scott, op. cit., p. 393.

(١٧١) ابن الأثير ، الكامل ، ٤ ص ٢٢١ ، ابن خلكان ، وفيـات ، ٢ ص ١٣٥ •

(١٧٢) مجهـول ، أخبار مجموعـة ، ص ٦ •

(١٧٣) ابن عذارى ، البيـان ، ٢ ص ٦ •

(١٧٤) الادريسى ، نزهـة ، ٥ ص ٥٣٩ ، الحميرى ، صـفة ، ص ٧٥ •

(١٧٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٤ ، انظـر ، ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلاميـة ، ص ٢٥ •

بتلمسان (١٧٦) ، ومن المعروف أن طارق كان واليا على طنجة ، فلماذا كان بتلمسان ، ولماذا يترك أسراه بتلمسان ؟ التى هى من بناء زناتة وفى قلب مواطنهم حتى أن ابن عذارى يسميها دار مملكة زناتة (١٧٧) ، ومما يزيد ترجيح نسب طارق الى زناتة ما ذكره ابن حوقل أن من بين بطون زناتة من عرفوا ببنى طارق (١٧٨) ، مما يدل على انتشار اسم طارق فيما بينهم ، بالاضافة الى أن اسم طارق (١٧٩) فيه دلالة على أن أسرته أسلمت مع أول الفتح الاسلامى لبلاد المغرب ، ومن المعروف أن زناتة كانت أول قبائل البربر اسلاما وانضماما الى العرب • وقد أخذ بعض المؤرخين المحدثين بالرأى القائل أن طارق بن زياد زناتى الأصل والنسب (١٨٠) •

بعد أن اتم المسلمون فتح الأندلس الذى شاركت فيه زناتة وغيرها من قبائل البربر بدأت اللغة العربية فى الانتشار بين سكان شمالى أفريقيا (١٨١) ، بفضل الجهود التى بذلها الخليفة عبد الملك بن مروان (١٨٢) ، ولكون الصلاة بها وفرض على كل من اتخذ الاسلام دينا (١٨٣) ، بالاضافة الى رغبة المغلوب فى تقليد الغالب (١٨٤) ، وأصبحت شمالى أفريقيا ولاية مستقلة عن والى مصر وتتبع الخليفة

---

(١٧٦) فتوح ، ص ٢٧٧ •

(١٧٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٦١ •

(١٧٨) صورة ، ص ١٠٢ •

(١٧٩) اختلف المؤرخون فى اسم طارق ، فقيل أن اسمه طارق بن عمرو ، (الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٢٣٠ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٣٠) ، وقيل طارق بن زياد بن عبد الملك ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٥٠ ، نخب ، ص ١٢) ، وقيل طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتى ، (الادريسى ، نزهة ، ٥ ص ٥٣٩ ، الحميرى ، صفة ، ص ٧٥) •

(١٨٠) أنظر • مؤنس ، فجر ، ص ١٢٨ ، ثورات البربر ، ص ١٥٣ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٦٤ •

(١٨١) أنظر • شكرى فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ١٨٨ •

(١٨٢) أنظر • ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ١٦٢ – ١٦٣ •

(١٨٣) أنظر ، كرد ، الاسلام والحضارة العربية ، ١ ص ١٨٠ •

(١٨٤) نفسه ، ص ١٨٢ •

مباشرة ، ويولى الخلفاء بأنفسهم ولاتها (١٨٥) ، وبعد عزل موسى بن نصير ولى المغرب محمد بن يزيد سنة ٩٦ هـ / ٧١٥ م (١٨٦) ، فكانت ولايته سنتين وأشهرا فى أحسن سيرة (١٨٧) ، ثم خلفه اسماعيل بن عبيد الله ابن أبى المهاجر سنة ١٠٠ هـ / ٧١٩م (١٨٨) ، فأسلم على يديه غالبية البربر ، وكان خير وال وخير أمير ، كما علم أهل افريقية الحلال والحرام (١٨٩)،فكانت ولاية المغرب لاثنين من الولاة قاما بالحق والعدل بين الرعية من البربر مما كان سببا فى تحول البربر الى الاسلام ، ومعرفتهم بالحقوق التى منحها الاسلام لهم .

بعد أن تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك يوم الأحد ٢٥ رجب سنة ١٠١ هـ / ٢١ يناير سنة ٧٢٠ م (١٩٠) ، عزل عمال عمر بن عبد العزيز ، وولى على افريقية يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج (١٩١) ، فأسرف فى ظلم البربر وتعسف فى معاملتهم (١٩٢) ، وأراد أن يضع وشما على أيدى حرسه حتى يتميزوا به كما كان يصنع الروم ، فأنفوا من ذلك ، وكان حرسه وحرس الولاة من قبله من قبائل البتر وليس فيهم من البرانس

---

(١٨٥) ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٣٥ .

(١٨٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٨٧ ، اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٢٩٤ ، ويرى البعض أن ولاية محمد بن يزيد على افريقية كانت فى أول سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م ، (انظر . محمد مختار ، التوفيقات ، ص ٤٩) .

(١٨٧) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٩٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٤٧ .

(١٨٨) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٢٢ ـ ٢٣ ، وقد اختاره عمر بن عبد العزيز لولاية افريقية لأن اسماعيل بن عبيد الله رفض أن يقسم أمام سليمان بن عبد الملك أن خراج افريقية أخذ بحقه ، نفس المصدر والصفحة .

(١٨٩) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٤٨ ، الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢٠٣ ، انظر . Marçais, I. Berberie, p. 40.

(١٩٠) اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٣١٠ ـ ٣١١ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٤٨ .

(١٩١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٨٨ .

(١٩٢) أنظر . مؤنس ، ثورات البربر ، ص ١٥١ .

أحد (١٩٣) ، فوثب الحرس على يزيد بن أبى مسلم فقتلوه وكتبوا الى الخليفة الأموى بأنهم لم يخلعوا الطاعة ، ولكن يزيد بن أبى مسلم سامهم مالا يرضاه الاسلام فقتلوه (١٩٤) ، فكان هذا دلالة على أن قبائل شمالى أفريقيا عرفوا ما منحهم الاسلام من حقوق ، وأنهم لن يتنازلوا عن هذه الحقوق ، ولن يستكينوا لظلم يقع عليهم ، ولم يبين لنا أحد من المؤرخين القدامى من أى قبائل البتر كان حرس يزيد بن أبى مسلم ، ولكن سبق زناتة الى الاسلام ، وانضمامها الى العرب منذ أول الفتح ، وولائهم لبنى أمية منذ عهد عثمان بن عفان (١٩٥) حدا ببعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن حرس ولاة بنى أمية للمغرب ، والذين قتلوا يزيد بن أبى مسلم كانوا من قبائل زناتة (١٩٦) ٠

وتولى هشام بن عبد الملك الخلافة فى شعبان سنة ١٠٥ هـ / يناير سنة ٧٢٤ م ، وكان هشام بن عبد الملك عاقلا حكيما (١٩٧) ، ومن ساسة بنى أمية ورجالها العظماء (١٩٨) ، الا أنه كان بخيلا يعمل على جمع المال ، وجمع من الأموال الكثير (١٩٩) ، وانقص من رواتب العمال والجرايات والنفقات كلها (٢٠٠) ، فكان على عماله فى الولايات أن يشتطوا فى جمع الضرائب ليسترضوا الخليفة ، وليعوضوا ما أنقصه من رواتبهم ٠ وعزل هشام بن عبد الملك واليه على افريقية واختار

---

(١٩٣) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٨٩ ، الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ٩٨ ٠

(١٩٤) ابن الأثير ،الكامل ، ٥ ص ٤١ ، السلاوى ، الاستقصاء ، ١ ص ٩٢ ٠

(١٩٥) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٨ ٠

(١٩٦) انظر ، مؤنس ، ثورات البربر ، ص ١٦٣ ٠

(١٩٧) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١١٧ ، ويعبر المؤرخون عن حكمة هشام « بأنه كان محشوا عقلا » ، (العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١٦ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٧) ٠

(١٩٨) المسعودى ، مروج ، ٣ ص ٢٢٣ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٢٨١ ٠

(١٩٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ١٠٤ ، العبرى ، المصدر السابق ، ١١٧ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١١٧ ٠

(٢٠٠) المغربى ، الجمان ، ورقة ١٦٢ ظهر ٠

لها عبيد الله بن الحبحاب سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م (٢٠١) ، الذى عـــرف بتعسفه فى جمع الضرائب والعمـــل على زيادتها (٢٠٢) ، فاستعمل عبيدالله ابن الحبحاب ابنه اسماعيل على السوس الأقصى وماورائه ، وعمر بن عبد الله المرادى على طنجة والمغرب الأقصى ، فأساءوا الســيرة ، وتعدوا فى الصدقات ، وأرادوا أن يخمسوا من أسلم من البربر ، كمــا زعموا أنهم فىء للمسلمين ، وهو ما لم يفعله أحد قبلهم (٢٠٣) ، ممـــا كان سببا فى ثورة البربر الكبرى التى قادتهـــا زناتة ، وحملت معظم عبئها ، واقتطعت المغربين الأقصى والأوسط عن طاعة الخلافـــة الأموية .

وكان لهذه الثورة أسباب اقتصـــادية وسياســـية واجتماعيـــة ، ولم تكن الثورة وليدة يومها ، ولكن أسبابها تراكمت على مر السنين فأثارت النفوس ، فقد كان ولاة افريقية يجمعون المال منهـــا بغير وجه حق ، ممـــا كان سببا فى رفض اسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر ، والسمح بن مالك الخولانى أن يقسما أمام سليمان بن عبد الملك خليفـــة المسلمين لى أن الأموال أخذت من أهل افريقيـــة بالحق (٢٠٤) . وكان خلفاء بنى أميـــة على علم بمـــا يفعله عمالهم فى الولايات من عسف وظلم ، فقد سكنت غنائم موسى بن نصير ما كان بنفس عبد الملك بن مروان من وجد عليه (٢٠٥) ، وأقر هشـــام بن عبد الملك بشر بن صفوان عـــلى ولاية افريقية عندما جاءه بأموال وهدايا عظام (٢٠٦) ، وكان خلفاء

---

(٢٠١) الرقيق ، تاريخ افريقيـــة ، ص ١١٦ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٦ ، ابن عذارى ، البيـــان ، ١ ص ٥١ ، الا أن ابن الاثير يذكران تولية ابن الحبحاب افريقية كانت سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م ، (الكامل ، ٥ ص ٧٥).

(٢٠٢) انظر دوزى ، تاريخ مسلمى أسبانيا ، ١ ص ١٤٢ ،
Scott, op. cit., p. 312

(٢٠٣) ابن الأثير ، الكامـــل ، ٥ ص ٧٥ ، ابن خلدون العبر ، ٤ ص ١٨٩ ، امارى ، المكتبة الصقلية ، ص ٢١٩ ، ٤٦٥ ، (انظر ،
(Hopkins, Moslem Government, p. 28

(٢٠٤) مجهول ، اخبار مجموعـــة ، ص ٢٣ .

(٢٠٥) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٧٤ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٣٢ .

(٢٠٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩١ ، اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ ص ٣١٨ .

المشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها الى والى افريقية ، فيبعث لهم البربريات الجميلات والأردية العسلية ، فلما أفضى الأمر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير وتكلف لهم أو كلفوه أكثر من سابقيه ، (٢٠٧)، فأخذ من البربر أغنامهم وهى المصدر الرئيسى لثروتهم ، ووسيلة معيشتهم الوحيدة (٢٠٨) ، وأرسل عبد الرحمن بن حبيب غازيا بلاد السوس فظفر ظفرا لم ير أحد مثله (٢٠٩) ، وأساء عماله على طنجة والمغرب الأقصى والسوس السيرة وأرادوا أن يخمسوا البربر (٢١٠) وقصارى القول أن عمال العصر الأموى الأخير على افريقية أساءوا معاملة البربر وأرهقوهم بالضرائب ، وتعسفوا فى جمعها (٢١١) فى الوقت الذى ساءت فيه الأحوال الاقتصادية للبلاد (٢١٢) ٠

وكان بعد شمالى افريقيا عن مركز الخلافة سببا فى أن أصبحت مأوى الهاربين من وجه الخلفاء ، فقد خرج اليها بعض العرب مضطرين أمام ما استجد من الظروف السياسية والفتن الداخلية (٢١٣) ٠ فتزايدت

---

(٢٠٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥٢ ، نخب ، ص ١٥ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ٢٥١ ، وينكر صاحب كتاب اخبار مجموعة أن خلفاء بنى أمية كانوا يكتبون الى عمال طنجة فى جلود الخرفان العسلية ، (مجهول ، ص ٣١) ٠

(٢٠٨) أنظر ٠ دوزى ، تاريخ مسلمى أسبانيا ، ١ ص ١٤٣ ، حسن محمود والشريف ، العالم الاسلامى ، ص ٤٠٢ ٠

(٢٠٩) البلاذرى ، فتوح ، ص ٢٤٠ ، الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١٠٧ ٠

(٢١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٧٥ ، انظر ٠
Hopkins, op. cit., p. 28

(٢١١) أنظر ٠
Hopkins, op. cit., p. 27; Marçais, le Berberie, pp. 43 Sqq

(٢١٢) انظر ، لويس ، القوى البحرية ، ص ١٤٤ ، محمود اسماعيل ، قضايا فى التاريخ الاسلامى ، ص ١٢٢ – ١٢٣ ، محمد بن تاويت ، نشأة دولة الخوارج بالمغرب ، ص ٢٧٠ ٠

(٢١٣) انظر ، شكرى فيصل ، المجتمعات الاسلامية ، ص ١٧٠ ٠

أعـداد من بافريقيـة من خصـوم البيت الأموى (٢١٤) ، وعمـد هؤلاء الى اثارة نفوس البربر على بنى أمية ، كما فر بعض الخوارج الى شمالى أفريقيا ، وعملوا على بث عقائدهم فى نفوس البربر ، التى كانت ممهدة سياسيا واقتصاديا لقبول دعوة الخوارج (٢١٥) . فأخذت غالبيـة بطون زناتة بدعوة الخوارج ، فتحول اليها بنو دمر وبنو واسين (٢١٦) ، كمـا أخذت بها بعض بطون مغراوة (٢١٧) ، أما بنو يفرن فقـد ضربوا فيها بسهم وانتحلوها وقاتلوا عليها (٢١٨) ، وكانت غالبيـة خوارج زناتة بالمغربين الأقصى والأوسط على مذهب الصفرية من الخوارج (٢١٩) ، أما بطون زناتة بافريقية فكان جلهم خوارج اباضية (٢٢٠) • ومن الجدير بالذكر أن انتشار مذهب الخوارج بين بطون زناتة دليـل على تمكن الاسلام منهم (٢٢١) •

---

(٢١٤) أنظر ، مؤنس ، محقق ، رياض ، ١ ص ٨ م ، شعراوى ، الأمويون ، ص ٤٣ ، Scott, op. cit., p. 281

(٢١٥) أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٣٥ ، الحركات السرية ، ص ٣٣ — ٣٤ ، وان كان البعض يرى أن الخوارج لم يكونوا مدفوعين لثوراتهم بشهوات أو يهدفون الى غايات ، وانهم لم يخرجوا ثائرين طمعا فى الامارة أو الملك ، (انظر ، البشبيشى ، الفرق الاسلامية ، ص ٥٠ — ٥٣) •

(٢١٦) أنظر ، قبله •

(٢١٧) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ١٦٩ ، انظر ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى ، ص ١٠٨ •

(٢١٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ ، انظر ، Le Tourneau, La Revolté, d'Abu Yazid, p. 439.

(٢١٩) يذكر ابن تغرى بردى أن الصفريه من الخوارج نسبة الى بنى المهلب بن أبى صفرة ، (النجوم ، ١ ص ٢٨٩) ، وقيل نسبة الى زياد بن الأصفر ، (البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٧٠ ، انظر ، البشبيشى ، الفرق الاسلامية ، ص ٦٦) ، أو نسبة الى عبد الله بن الصفار أو غيره وعن الاختلاف فى تسميتهم ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٣٧) •

(٢٢٠) ينسب المذهب الاباضى الى عبد الله بن اباض ، (البغدادى ، الفرق بين الفرق ص ٨٢ ، أنظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٤٢) •

(٢٢١) أنظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٦٥ •

وقد أخذت زناتة بمذهب الخوارج دون غيره من المذاهب الاسلامية لأنه يناسب مزاجها (٢٢٢) ، فهو أكثر المذاهب الاسلامية ديمقراطية ، فالخلافة فيه لأى شخص عارف بالكتاب والسنة (٢٢٣) ، على عكس مذهب أهل السنة الذى اشترط أن يكون الخليفة من قريش (٢٢٤) ، وحتى وان كان عاجزا عن القيام بأمور المسلمين (٢٢٥) ، ومذاهب الشيعة التى اشترطت أن يكون الخليفة من نسل على بن أبى طالب (٢٢٦) ، وكانت زناتة تأنف من الخضوع المطلق ، اذ لم تكن بطونها تخضع حتى لدفع الضرائب والمغارم (٢٢٧) .

ولقد أثار الخوارج نفوس البربر التي كانت مستعدة للثورة (٢٢٨)، وبخاصة قبيلة زناتة التى كانت صاحبة الفضل فى استكمال فتح المغرب والأندلس ، وكانوا يتوقعون من العرب أن يعاملوهم معاملة الأنداد ، الا أن عمال بنى أمية عاملوهم مثل غيرهم من البربر ، فلم نسمع أن ولاة بنى أمية على افريقية عاملوا زناتة معاملة خاصة رغم ما قدمت زناتة

---

(٢٢٢) Julien, op. cit., pp. 20 — 21.

(٢٢٣) انظر ، ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢٦ ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٣٤ ، ١٩٢ ، البشبيشى ، الفرق الاسلامية ، ص ٦٦ .

(٢٢٤) الغزالى ، الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص ٢٣٧ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٤٦ ، الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ٠٦

(٢٢٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٤٩ .

(٢٢٦) انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٥١ وما بعدها ، بلبع ، أدب المعتزلة ، ص ٣٧ ،
Williams, Themes of Islamic Civilization, pp. 40 — 41, 91.

(٢٢٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٥٤ ، انظر ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٣١٦ .

(٢٢٨) يضيف البعض سببا غريبا لثورة البربر التى قادتها زناتة ، وذلك بأن حاكم طنجة فى سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م حاول ايقاف عبور البربر الى الأندلس فقاموا بالثورة ، انظر ، Sha'ban, Op. Cit., p. 150 ، ولم يذكر المؤرخ المصادر التى اعتمد عليها كما لم يوجد نص فى المصادر بهذا المعنى ، كما أنه من غير المعقول أن تكون الثورة وليدة سبب واحد ، أو أن تشتعل فى النفوس بين يوم وليلة .

لهم ، فتغيرت نفوسهم على العرب وبدءوا ينقلبون عليهم (٢٢٩) ؛ ولـم يحاول خلفاء بنى أمية تخفيف وطأة ولاتهم عن زناتة التى كانت خالصـة لهم على حد قول ابن خلدون (٢٣٠) ، فقد تعصب بنو أميـة للعرب دون سائر المسلمين (٢٣١) ، كما أن فكـرة نشر الدعوة الاسلامية كانت قد خبت وضعفت بالنسبة للعصبية العربية (٢٣٢) • وقصـارى القول ان قيام زناتة بالثورة على ولاة بنى أمية لم يكن خروجا على الدين ، بـل كان خروجا على السلطة الحاكمة التى لم تكن تطبق شريعة الاسلام من المسـاواة بين المسلمين ، واسقاط الجزية عن من أسلم (٢٣٣) •

ثارت زناتة ومن معها من قبائل البربر على عبيد الله بن الحبحاب سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م ، وقدموا على أنفسهم ميسرة المطغرى ، وقصدوا طنجة وقتلوا عاملهـا عمر بن عبد الله المرادى ، وبايعوا ميسرة بالخلافة وخوطب بأمير المؤمنين (٢٣٤) ، وكان اختيـار ميسرة لزعـامة الثورة واجهـة دينية وليس لغلبة عصبيته ، لأن للعامـل الدينى أثـره فى اعطاء الثورات اطارها الشرعى (٢٣٥) ، ثم زحف ميسرة من طنجة الى السوس وقاتل اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحـاب فهزم جيشـه وتمكن من قتله (٢٣٦) ، وبلغ والى افريقية عبيد الله بن الحبحاب هزيمة جيوشه ومقتل عماله ، فأرسـل الى قائده حبيب بن أبى عبيده يستدعيه ومن معـه

---

(٢٢٩) انظر ، مؤنس ، فتح ، ص ٩ ، ثورات البربر ، ص ١٥٢ – ١٥٣ ، السـيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٣٠٠ – ٣٠١ •

(٢٣٠) انظر • قبـله •

(٢٣١) انظر ، محمود اسماعيل ، الحركات السرية ، ص ٨٨ •

(٢٣٢) انظر ، الطباع ، محقق ، تاريخ افتتاح ، ص ١٧ م •

(٢٣٣) انظر • حسن ابراهيم ، الفاطميون ، ص ٥٢ ،
Read. The Moors, p. 37.

(٢٣٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٣ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٨٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ٩٧ ، الا ان صاحب كتاب أخبار مجموعـة يذكرأن ثورة البربر قامت سنة ١٢١ هـ / ٧٣٩ م ، (مجهول ، ص ٢٨) •

(٢٣٥) انظر • محمود اسماعيل ، الحركات السرية ، ص ١٨١ •

(٢٣٦) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٣ ، ابن عذارى ، البيـان ، ١ ص ٥٣ •

من صقلية ، وجهز من بافريقية من العساكـر ، وولى عليهم خالد بن حبيب ابن أبى عبيدة ووجهه لقتال ميسرة (٢٣٧) •

سار خالد بن حبيب حتى عبر وادى شلف والتقى مع ميسرة بالقرب من طنجة ، ودارت بينهما معركة يبدو أن القتال كان فيها سجالا أو أن ميسرة هزم فى تلك المعركة (٢٣٨) ، وعاد ميسرة الى طنجة فأنكر عليه من كان معه من البربر سوء سيرته ، وتغيره عما بايعوه عليه ، فقتلوه وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتى (٢٣٩) ، فاصبحت لزناتة قيادة الثورة ، وربما كانوا هم غالبيـة جنودها ، فان اختيار قائـد الثورة من عصبيتهم لدليل على أنهم غالبيـة الثوار ، لأن الرئاسة لا تكون الا بالعصبية (٢٤٠)، ولأنه فى معظم الأحيان يتولى سـيد القبيلة رئاستهم عند القتال (٢٤١) ، اذ أن القبيلة تأنف أن يقودها فى القتال رئيس قبيلة أخرى (٢٤٢) ، كما أن خالد الزناتى هـذا لـم نسمع له سبقا الى مذهب الخوارج ومعرفه به مثل ميسرة المطغرى •

ومما يبين أن غالبية جنود الثورة كانوا من قبيلة زناتة ، أنه لو كانت الغالبية لقبيلة مطغرة لحموا زعيمهم ميسرة من القتل ، فالقبائل تحمى زعماءها وان تغيروا عن طريق العدل (٢٤٣) ، لأن هذه هى طبيعة المنظام القبلى ، أو على الأقل ثاروا على القائد الجديد وخرجوا من الثورة فتضعف قوتها ، وبالفعل انسحبت مطغرة لمقتل زعيمهـا ، وبعـد أن تزعم خالد

---

(٢٣٧) نفس المصادر والصفحات •

(٢٣٨) أنظر • محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٥٠ •

(٢٣٩) الرقيق ، تاريخ افريقيـة ، ص ١١٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥٣ ، انظر • Terrasse, Histoire du Maroc, Vol. 1, p. 100.
ويذكر ابن القوطية أن البربر تجمعوا الى حميد الزناتى وميسرة المطغرى فى نفس الوقت ، (تاريخ افتتاح ، ص ٤١) •

(٢٤٠) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٤ ، انظر • الجابرى ، العصبيـة والدولة ، ص ١٨٨ •

(٢٤١) انظر • النص ، العصبيـة القبلية ، ص ٧٩ •

(٢٤٢) انظر • نفسـه ، ص ١١٨ •

(٢٤٣) الشماخى ، السير ، ص ١٤٠ ، انظر ، محمد بن تاويت ، دولة الرستميين ، ص ١٠٧ •

ابن حميد الزناتى الثوار انسحبت قبيلة مكناسة هى الأخرى بسبب زناتية الثورة (٢٤٤) ، ولكن ذلك لم يضعف من قوة الثوار ، بـل أننا نجد الثورة تزداد قوة وفاعليـة ، ويستطيع الثوار هزيمـة العرب ، مما يؤكـد أن من شارك فى الثورة من مطغرة ومكناسـة كانت أعداد قليلة لـم تؤثـر بانسحابها على قوة الثوار .

بعد أن تولى خالد بن حميد الزناتى قيادة الثوار ، وانسحبت مكناسة ومطغرة من الثورة ، وأصبحت الثورة زناتية قادة وجنودا ، زحفت زناتة لملاقاة العرب فالتقوا مع خالد بن حبيب وجيشه عند وادى شلف (٢٤٥) ، وكان خالد بن حميد الزناتى على مقدرة عسكرية ، فاستخدم الكمين فى معركته مع العرب (٢٤٦) ، كما كان لزناتة فنها الحربى الخاص بها من استخدام الدروع الجلدية وركوب الخيل الخفيفة وسرعة الكر والفر (٢٤٧) فاستطاعوا أن يهزموا العرب ، وقتل خالد بن حبيب كما قتل فى هذه المعركة « فرسان العرب ، وكماتهم وحماتهم ، فسميت المعركة وقعة الأشراف» .... (٢٤٨) ، لكثرة من قتل فيها من أشراف العرب ، فلمـا بلغ خبر هذه الهزيمة الى هشام بن عبد الملك « أقسم ليغضبن لهم غضبة عربية ، وليبعثن لهم جيشـا أوله عندهم وآخره عنده » (٢٤٩) .

عقد هشام بن عبد الملك لكلثوم بن عياض القشيرى على اثنى عشر ألفا من أهل الشـام وبعثه الى افريقية ليردها الى الطاعة ، وكتب الى ولاة البلدان التى يمربهـا كلثوم أن يخرجوا معه ، فخرج معه من مصر

---

(٢٤٤) أنظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٧٦ .

(٢٤٥) الرقيق ، تاريخ افريقيـة ، ص ١١٠ – ١١١ ، انظـر ، الصوفى ، تاريخ ، ص ٢٤٨ .

(٢٤٦) ابن عذارى ، البيـان ، ١ ص ٥٣ .

(٢٤٧) انظر ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٧ .

(٢٤٨) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٧٥ .

(٢٤٩) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٨٩ .

وبرقة وطرابلس حتى بلغ جيشـــه ثلاثين ألفا (٢٥٠) ، ودخل هذا الجيش افريقية فى رمضان سنة ١٢٣ هـ / يوليه سنة ٧٤٠ م (٢٥١) ، وكان على مقدمة الجيش بلج بن بشر القشيرى الذى لقى أهل القيروان بالجفـــاء والتكبر ، فكتب أهل القيروان الى حبيب بن أبى عبيدة الذى كان مرابضا بجيوش المسلمين فى تلمسان ، التى تقع فى قلب مضارب زناتة ، ويعتبرها المؤرخون دار مملكة زناتة (٢٥٢) يشكون بلجـــا ، فثارت الخصومات القبلية بين العرب ، واختلف العرب الشـــامية مع العرب اليمنية وكـــادوا يقتتلون (٢٥٣)،ولكنهما اضطرا للتصالحلقتال خالد بن حميد الزناتى(٢٥٤) ولحق كلثوم وبلج ومن معهمـــا من العرب بجيش حبيب بن أبى عبيدة المرابض عند تلمسان (٢٥٥) .

خرج الجيش العربى فالتقى بالثوار عند وادى نهر سبو (٢٥٦) ، فى

---

(٢٥٠) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣١ ، ابن عذارى ، البيـــان ، ٢ ص ٣٠ .

(٢٥١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥٤ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ١٥، وقد خرج مع كلثوم بن عياض فى هـــذا الجيش شمر بن ذى الجوشن الذى قدم برأس الحسين بن على الى يزيـــد بن معاوية ، (ابن الفرضى ، تـــاريخ ، ١ ص ١٩٨) .

(٢٥٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٦١ ، وكان حبيب بن عبيدة قدم من صقلية ، وعرج على تلمسان حين علم بتواطؤ واليها موسى بن ابى خالد مع زناتة فعاقبه بقطع اطرافه ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٤) .

(٢٥٣) الرقيق ، تاريخ ، ص ١١٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٧٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٨٩ ، انظر .
Ency. of Isl. (Art Balj b. Bishr), 2ed, V. 1, p. 990
وعن تفاصيل الخلاف بين العرب الشامية والعرب اليمنية ، (ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٥ ، الرقيق ، تاريخ افريقيـــة ، ص ١١٢) .

(٢٥٤) نفس المصادر والصفحات ، الا أن صاحب كتاب اخبار مجموعة يذكران لقاء كلثوم بن عياض كان مع البربر بقيادة ميسرة ، (مجهول ، ص ٣٤)

(٢٥٥) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٩ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٣٦ .

(٢٥٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٥٥ .

موضع يقال له بقدورة (٢٥٧) ، واستطاع خالد بن حميــد الزناتى أن يعزل الخيالة من الجيش العربى ويبعدها عن المشاركة فى المعركة (٢٥٨)، فأصبحت المعركة بين الرجالة من الجيش (٢٥٩) ، فحلت الهزيمة بالعرب بعد مقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبى عبيدة ووجوه العرب (٢٦٠). واستطاع بلج بن بشر الفرار بمن معه من جند الشــام الى ســبتة فحاصرهم الثوار بها (٢٦١) ، ولكن حصانة سبتة (٢٦٢) منعت بلجا ومن معه رغم تشديد الحصــار ، واحراق ما حول المدينة من زرع (٢٦٣) . وقد اسفرت المعركة عن هزيمــة العرب هزيمة قاسية وقتل الكثير من رجالهم (٢٦٤) .

ويعزو الكثير من المؤرخين هزيمة العرب الى الخلاف الذى وقع بين الجند الشامى وعرب افريقية من اليمنيين ، والذى لم يكن وليد تلك الفترة، بل يرجع الى الصراع بين القيســية واليمنيــة الذى كان ضمن أسباب ضعف الحكم الأموى (٢٦٥) ، دون الاشــارة الى كفاءة خالد بن حميــد

---

(٢٥٧) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٣ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح ، ص ٤١ .

(٢٥٨) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٩ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٢٣٦ ، وعن تفاصيل المعركة ، (مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٣ وما بعدها) ، انظر . Condé, History of the Dominion of the Arab in Spain V. 1, pp. 119 — 120.

(٢٥٩) ابن عذارى ، البيــان ، ١ ص ٥٥ .

(٢٦٠) الحميدى ، جذوة ، ص ١٩٩ ، الا أن الطبرى وصاحب كتــاب أخبار مجموعة يذكرا أن مقتــل كلثوم بن عياض كان سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م ، (تاريخ القسم الثانى ، مجلد ٩ ص ١٧١٦ ، مجهــول ، ص ٣٦) .

(٢٦١) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح ، ص ٤١ ، الحميدى ، جذوة ، ص ١٨٠ انظر . فلهوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٣٢ ، Scott, op. cit., p. 313.

(٢٦٢) البكرى ، المغرب ، ص ١٠٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ص ٢٦.

(٢٦٣) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٣٥ .

(٢٦٤) نفسه ، ص ٣٤ .

(٢٦٥) الضياف ، اتجاف ، ص ٩١ ، انظر ، مؤنس ، فجر ، ص ١٤٤ ، محمود اسماعيل ، قضــايا فى التاريخ الاسلامى ، ص ١١٤ ـ ١١٥ ، النص ، العصبية ، ص ٢٦٣ ، Lewis, The Arabs, p. 74.

الزناتى العسكرية الذى استخدم الكمين فى معركته مع خالد بن حبيب عند وادى نهر شلف ، واستطاع أن يفصل خيالة العرب عن الرجالة منهم فى معركة وادى سبو ، كما لم يشر المؤرخون الى فروسية زنـاتة ، الذين كانوا فرسانا يركبون الخيل ولهم بها معرفة بارعة (٢٦٦) ، وكان لهم فنهم الحربى الخاص بهم ، وقد اقتبسه الأسبان بعد ذلك ، وطبقـوه على فرقهم العسكرية وسموها Zenetes أى الزناتيون ، وهـو اللفظ الذى تطور الى Jinete فى اللغة الأسبانية ويعنى الفارس (٢٦٧) . ولا غرو فان قبيلة زناتة امتـازت بالـروح الحربيـة العالية ، والتفوق فى القتال ، وكان رجالها دائما من أشجع فرسان البربر (٢٦٨) .

بعد أن فر بلج بن بشر الى مدينة سبتة ، جمـع ما وصلت اليه يداه من معـاش داخل المدينة استعدادا للحصار ، فأقفر الثوار مسيرة يومين حول المدينة حتى يضيقوا عليه الحصار وأشرف بلج ومن معه على الهلاك وأكلوا الدواب وظلوا بسبتة لمدة عام قبل أن يسمح لهم عبد الملك بن قطن والى الأندلس آنذاك بالعبور الى الأندلس (٢٦٩) ، مما حدا ببعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن بلج بن بشر كان واليـا على طنجـة وما والاها (٢٧٠) . وبعد هزيمة العرب وعبور بلج ومن معه الى الأندلس، خرج المغربين الأوسط والأقصى عن سلطة خليفـة المسلمين ، ولم يتبع خالد بن حميـد الزناتى العرب الى القيروان ليخرجهم منها اذ كانت غايته أن يعيش مع قومه فى مواطنهم بالمغرب الأقصى أحرارا بعيدا عن تعسف العمال من قبـل الخلافة ، وظلم العرب لهم (٢٧١) .

---

(٢٦٦) ابن عذارى ، البيـان ، ١ ص ٢٠٠ .

(٢٦٧) انظر ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧ ، Read, The Moors, p. 194

(٢٦٨) أنظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣ — ٣٤ .

(٢٦٩) مجهول ، أخبار مجموعـة ، ص ٣٥ — ٣٧ .

(٢٧٠) ابن الأثير ، اللباب ، ٢ ص ٩٠ ، الحميدى ، جذوة ، ص ١٧٠ .

(٢٧١) أنظر ، دبوز ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٢٦٣ ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٥٣ .

لقد كانت هذه الثورة زناتية قلدة وجنودا ، فقد بدأت الثورة بقبائل من البتر ولم يشارك فيها من البرانس سوى أعداد قليلة (٢٧٢) ، ثم انسحبت منها قبائل مطغرة ومكناسة وغيرهما بعد مقتل ميسرة فى بداية الثورة (٢٧٣) ، ومع ذلك لم يؤثر خروجهم على قوة الثوار ، ومما يؤكد زناتية الثورة خروج بطون زناتة الضاربة حول سبرت بافريقية ثائرين (٢٧٤) ، تضامنا مع اخوانهم بالمغربين الأقصى والأوسط ، كما أن بربر الأندلس أعلنوا الثورة على عربها تضامنا مع بربر المغرب (٢٧٥) وكان يقود ثورتهم رجل من زناتة أيضا (٢٧٦) ، وكان هدفهم الوصول الى شمالى أفريقيا والانضمام الى اخوانهم هناك (٢٧٧) • وان كانت ثورة زناتة فى شمالى أفريقيا اتخذت من مذهب الخوارج واجهة دينية لتضفى على ثورتها شرعية دينية ، فلا يمكن أن يقال ذلك على ثورتهم بالأندلس ، لأن مذهب الخوارج لم يظهر فى الأندلس قبل فترة حكم الحكم بن هشام (٢٧٨) ، الذى تولى حكم الأندلس فى صفر سنة ١٨٠ هـ / ابريل سنة ٧٩٦ م (٢٧٩) •

وجه هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان الكلبى والى مصر الى افريقية سنة ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م (٢٨٠) ، فأرسل حنظلة الى الأندلس أبا

---

(٢٧٢) انظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ١٨٥ •

(٢٧٣) انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٧٦ ، مغربيات ، ص ٢٥ •

(٢٧٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٢٩٤ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ٢٧٠ ، محمد بن تاويت ، نشأة دولة الخوارج ، ص ٢٧١ •

(٢٧٥) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ٣٨ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح ، ص ٤٠ ، انظر ، ماجد ، التاريخ السياسى ، ٢ ص ٢٩٢ •

(٢٧٦) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٣٠ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص ٤١ ، ويزيد ابن ابى دينار أن قائد الثورة بالأندلس من بنى يفرن الزناتيين ، (نفس المصدر والصفحة) •

(٢٧٧) انظر • Lane-Poole, The Moors, p. 55

(٢٧٨) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح ، ص ٦٩ ، انظر • Read, The Moors, p. 59

(٢٧٩) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٦٨ •

(٢٨٠) انظر • محمد مختار ، التوفيقات الالهامية ، ص ٦٢ •

الخطـار حسام بن ضرار الكلبى ليكون واليـا عليها (٢٨١) ، فقضى على الفتن بها ، وأخرج عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الى افريقيـة سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م لأنه كان يشير الفتن بالأندلس (٢٨٢) ، فاحتال عبد الرحمن بن حبيب على حنظلة بن صفوان والى افريقية حتى أخرجه منها ، ودعا أهل افريقية الى طاعته فأجابوه (٢٨٣) ، وأراد اخضاع طرابلس وما حولها من زناتة الذين انضموا الى عبد الجبار بن قيس المرادى ، والحارث بن تليـد الحضرمى ، فكان لزناتة النصر عليه ، ولكن ما لبث أن اقتتل القـائدان فقتل كل منهما صاحبه (٢٨٤) ، واستولى عبد الرحمن بن حبيب على طرابلس ، وأخضع ما حولهـا من زناتة ، وأقام بالقيروان حتى سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م ، ثم خرج يغزو تلمسان (٢٨٥) قلب مضارب زناتة ، ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها ، اذ استقلت بها بطون بنى يفرن الزناتيين وكونوا بها امارة مستقلة (٢٨٦) .

لم تشارك زناتة الضاربة فى المغربين الأوسط والأقصى اخوانهم بافريقية فى تمردهم على خلفاء عبد الرحمن بن حبيب فى حكم افريقية ، فقد توارث اخوة عبد الرحمن بن حبيب وأبناؤه حكم افريقية واقتسموها ،

---

(٢٨١) الخشنى ، تاريخ قضاة قرطبة ، ص ٢٨ — ٢٩ .

(٢٨٢) الحميدى ، جذوة ، ص ٢٥٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٦٠ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٠٥ .

(٢٨٣) وقد ساعد عبد الرحمن بن حبيب على الاستقلال بافريقيـة ، اضطراب أمر بنى أمية بالمشرق بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م ، (الضبى ، بغية ، ص ١٤ ، العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١٧ — ١١٩ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٢١ ، كما أنه كان محببا الى أهل افريقية لمـا كان من آثار جده عقبة بن نافع ، (البلاذرى ، فتـوح ، ص ٢٤٠) .

(٢٨٤) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ٣٠١ — ٣٠٢ ، الشماخى ، السير ، ص ١٢٥ — ١٢٦ ، انظر ، Ency. of Isl. (Art Ibadiyya), 2ed, V. p. 654.

(٢٨٥) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١٣٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٩٠ .

(٢٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٢ ، انظر ،
Ency. of Isl. (Art Zenata), led, t. 4, p. 1223.

واقتتلوا فيما بينهم ، فاستعان عبد الوارث بن حبيب بقبيلة ورفجومة احدى بطون نفزة وأميرهم عاصم بن جميل فى الاستيلاء على القيروان سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، واستحلو المحارم بها وارتكبوا الكبائر (٢٨٧)، فأنكرت زناتة طرابلس ومعها هوارة ما فعلته ورفجومة بالقيروان ، واجتمعوا الى أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى ، وزحفوا الى القيروان ، وقتلوا من بها من ورفجومة ونفزة ، واستولوا على المدينة سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م ، وولى أبو الخطاب على مدينة القيروان عبد الرحمن ابن رستم ، وعاد الى طرابلس مع بطون زناتة (٢٨٨) .

حين استولى العباسيون على الخلافة (٢٨٩) كان شمالى أفريقيا خارجا عن طاعتهم ، وما أن استقرت الأمور لهم فى المشرق حتى عملوا على استعادة شمالى أفريقيا ، فأرسل محمد بن الأشعث والى مصر من قبل العباسيين جيشا لاسترداد القيروان ، الا أن أبا الخطاب استطاع هزيمة الجيش العباسى بمساعدة زناتة طرابلس ، واستولى على سائر افريقية (٢٩٠) ، فخرج محمد بن الأشعث بنفسه الى افريقية فى خمسين ألفا سنة ١٤٣ هـ / ٧٥٩ ، وبلغ أبا الخطاب مسيره الى افريقية ، فجمع أصحابه واستعد للقائه ، فخافه ابن الأشعث لكثرة جموعة ، ولم يتقدم صوب افريقية حتى علم بخروج زناتة على طاعة أبى الخطاب(٢٩١)

---

(٢٨٧) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١٣٩ - ١٤١ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧١ .

(٢٨٨) الشماخى ، السير ، ص ١٢٦ - ١٣٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٢ .

(٢٨٩) عن الدعوة العباسية والقضاء على دولة بنى أمية ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٢٦ - ١٣٢ .

(٢٩٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ١٢٧ - ١٢٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧١ .

(٢٩١) وكان سبب خروج زناتة على ابى الخطاب ، أن زناتة وهواره تنازعتا بسبب قتيل من زناتة ، واتهمت زناتة أبا الخطاب بالميل الى هوارة ، وتخلوا عنه بسبب ذلك ، (ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ١٢٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٢) .

فسار لحربه واستطاع هزيمته وقتله فى سنة ١٤٤ هـ / ٧٦٠ م (٢٩٢) .

ويبدو أن من تخلى من زناتة عن أبى الخطاب ندموا على فعلهم ، أو أنهم لم يرضوا عن عودة جيش الخلافة الى حكم افريقية ، فخرج زعيمهم أبو هريرة الزناتى فى ستة عشر ألفا من زناتة لمقاتلة ابن الأشعث ، الذى كان يقود جيشا قوامه خمسين ألفا ، وكله ثقة بعد انتصاره على أبى الخطاب ، فأنهزمت زناتة وقتل الكثير من فوسانها (٢٩٣) ، وبذلك أصبح الطريق خاليا أمام الجيش العباسى الى القيروان ، وما أن علم عبد الرحمن ابن رستم أمير القيروان بمقتل أبى الخطاب ، وهزيمة زناتة طرابلس حتى خرج من القيروان فارا بنفسه ، ووصل الى الموضع الذى بنيت فيه مدينة تاهوت ، فاجتمعت اليه اباضية زناتة بالمغرب الأوسط ، وبعض من طوائف البربر الاباضية فاختط مدينة تاهرت سنة ١٤٤ هـ / ٧٦٠ م (٢٩٤) ، التى أصبحت عاصمة لدولة الرستميين الاباضية ، واستولى محمد بن الأشعث على القيروان فى جمادى الأولى سنة ١٤٤ هـ / أغسطس ٧٦١ م ، وضبط افريقية (٢٩٥) ، التى عادت الى طاعة بنى العباس وسلطانهم .

وفى تلمسان بالمغرب الأوسط قدم بنو يفرن الزناتيون على أنفسهم أبا قرة اليفرنى ، الذى أسس امارة خارجية بها سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م (٢٩٦) بعد أن خلف خالد بن حميد الزناتى على رئاسة زناتة (٢٩٧)

---

(٢٩٢) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ١٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٢

(٢٩٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ١٢٨ ، انظر ، سعد زغلول ، المغرب العربى ، ص ٣١٤ .

(٢٩٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٢ ، انظر
Ency of Isl. (Art Tahret), led, t 4, p. 610.

(٢٩٥) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٢ ، يذكر ابن ابى دينار أن أبا الخطاب ومن معه كانوا خوارج صفرية ، (المؤنس ، ص ٤٦) ، ومن المعروف أنهم اباضية .

(٢٩٦) مجهول ، نبذ ، ص ٤٨ — ٤٩ ، (المغربى ، الجمان ، ورقة ٢٠٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٠٨ ، انظر .
Ency. of Isl. (Art Zenata), led., t 4, p. 1223

(٢٩٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٢ ، انظر دبوز ، المغرب الكبير ، ٣ ، ص ٣٥ .
Gautier, op. cit., p. 293

وكان يسلم عليه بالخلافة (٢٩٨) ، والغالب على الظن أن أبا قـرة عمل على الاستيلاء على القيروان من أيدى بنى العباس ، فما أن تولى الأغلب ابن سالم أمر افريقية من قبل الخليفة العباسي فى آخر جمادي الآخرة سنة ١٤٨ هـ / أغسطس سنة ٧٦٥ م حتى خرج أبو قرة اليفرني لحربه (٢٩٩) ، وزحف اليه الأغلب بن سالم فتراجع أبو قرة حتى يستدرج الأغلب بن سالم وجيشه الى مواطن زناتة ويقضى عليه (٣٠٠)، ولكن جند الأغلب رفضوا السير معه لمطاردة أبى قرة اليفرنى ، وتسللوا عنه الى القيروان ، ثم تمرد عليه الحسن بن حرب الكندى ، واقتتلا فأصاب الأغلب بن سالم سهم فى المعركة فقضى نحبه من أثره فى شعبان ١٥٠ هـ/ سبتمبر ٧٦٧ م (٣٠١) ٠

ولى عمر بن حفص الذى عرف بشجاعته ولقب هزار مرد التى تعنى بالفارسية ألف رجل ، أمر افريقية فى صفر ١٥١ هـ / فبراير سنة ٧٦٨ م (٣٠٢) ، فأقر الأمور بالمغرب وهدأت الفتن أكثر من ثلاث سنوات ، ثم انتفضت جموع البربر متمردة عليه تقودهم زناتة وتمثل غالبية الثوار اذ كان أبو قرة اليفرنى الزناتى فى أربعين ألفا من قومه ، والمسور بن هانىء الزناتى فى عشرة آلاف ، وأبو حاتم يعقوب بن حبيب فى جند طرابلس من زناتة وهوارة ، وعبد الرحمن بن رستم فى خمسة عشر ألفا ، وعاصم السدراتى ، فى ستة آلاف ، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي فى ألفين ، وتوجهت هذه الجموع الى منطقة الزاب ، وحاصروا

---

(٢٩٨) مجهول ،نبذ ، ص ٤٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٧ ٠ ويؤكد ابن خلدون أن أباقرة بويع بالخلافة فعلا ، (العبر ، ٦ ص ١١٢ ، ٧ ص ١٢) ٠

(٢٩٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٣٣٦ ، ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٦٩ — ٧١ ٠

(٣٠٠) انظر ٠ محمود اسماعيل ، الأغالبة ، ص ١٩ ٠

(٣٠١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٤ — ٧٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٢٩٢ ٠

(٣٠٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٥ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص ٤٦ ، انظر ، ماجد ، العصر العباسى الأول ، ١ ص ١٣٦ ٠

عمر بن حفص فى طبنة (٣٠٣) ، ولأن غالبيـــة الثوار من زناتة كما توضح الأعداد التى ذكرها المؤرخون (٣٠٤) ، فقد حاول عمر بن حفص مفاوضة أبى قرة اليفرنى زعيم زناتة لفك الحصار ، واختار لذلك رجل من خاصته من قبيلة مكناســـة له معرفة بزناتة وقوادها ، ويدعى اسماعيل بن يعقوب، وأعطاه أربعين ألفا من الدراهم وأكسية كثيرة ليدفعها الى أبى قرة حتى ينصرف بمن معه من زناتة عن حصاره (٣٠٥) ، فرفض أبو قـــرة ما عرض عليه وأبى أن يفك الحصـــار (٣٠٦) .

لم يثن رفض أبى قـــرة رسول عمر بن حفص عن تكرار المحاولة مع ابن لأبى قرة اليفرنى وبالفعل استطاع أن يستميل ابن أبى قرة بأربعة آلاف درهم على أن ينصرف بجنود زناتة من بنى يفرن ، فانصرف أكثـــر العسكر عن أبى قرة الذى لم يجد بدا من اتباعهم (٣٠٧) ، وما أن انصرفت جنود زناتة حتى خرج عمر بن حفص يحارب بقية المحـــاصرين لـــه ، واستطاع هزيمتهم ، وخرج الى القيروان بعد أن استخلف على طبنـــة المهنأ بن المخارق الطائى (٣٠٨) ، فعاد أبو قرة الى محاصرة طبنة من جديد بما استطاع جمعه من عساكره ، فعمـــل المهنـــأ على مفاوضته لرفع الحصار ، ولكن أبا قرة رفض كل ما عرض عليه ، فخرج اليه المهنـــأ

---

(٣٠٣) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١٤٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٢٤١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٢ .

(٣٠٤) أنظـر . Gautier, op cit., p. 293

(٣٠٥) أنظر . دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٤٩ ـ ٥٠ ، حسن على حسن ، الأدارسة ، ص ٦٠ .

(٣٠٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٢٤١ ، انظر ، السـيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٣٥٣ ، وكان رد أبى قرة على رسول عمر بن حفص حين رفض ما عرضه عليه « بعد أن سلم على بالخلافة اربعين سنة ، ابيع حربكم بعرض قليل من الدنيا » ، نفس المصدر والصفحة .

(٣٠٧) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١٤٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ٢٤١ ، الا أن ابن عذارى يذكر أن الذى أخذ المال اخ لأبى قره وليس ابنـــه ، (البيان ، ١ ص ٧٦) .

(٣٠٨) ابن عذارى ،البيان ، ١ ص ٧٨ .

واستطاع أن يهزم جيشه ثم استباح معسكره (٣٠٩) ٠

لم تمنع الهزيمة أبا قرة من المشاركة فى حرب ولاة بنى العباس ، فما أن علم أن أبا حاتم يعقوب يحاصر عمر بن حفص بالقيروان حتى خرج فى جموع بنى يفرن الزناتيين وأنضم الى أبى حاتم (٣١٠) ، وكان عمر بن حفص أعد القيروان لحصار طويل ، فأدخل بها ما يحتاج اليه من الطعام وعدة الحصار ، ولكن مدة الحصار أستمرت شهور حتى ضاق الأمر على أهل القيروان وأكلوا الدواب وماتوا جوعا (٣١١) ، وبلغ عمر بن حفص قدوم يزيد بن حاتم الذى أرسله الخليفة العباسى فى ستين ألفا لنصرة القيروان (٣١٢) ، فابت عليه نفسه أن يخرجه يزيد من الحصار، وخرج يقاتل حتى قتل ، فاستولى أبو حاتم على القيروان فى ذى القعدة سنة ١٥٤ هـ / اكتوبر سنة ٧٧١ م (٣١٣) ، ولكنه لم يبق بها طويلا اذ قدم يزيد بن حاتم فى جيشه واستطاع هزيمة أبى حاتم وقتله فى شهر ربيع الأول سنة ١٥٥ هـ / فبراير سنة ٧٧٢ م (٣١٤) فانفضت جموعه ؛ وانصرف أبو قره ومن معه من زناتة الى مواطنهم بتلمسان فى المغرب الأوسط ، ولعلهم يئسوا من الاستيلاء على القيروان ، فلم يكن لبنى يفرن وزناتة انتفاضة أخرى حتى قامت الدولة الفاطمية بالمغرب (٣١٥) ، ولم يجد العباسيون بعد ذلك بدا من اقامة دولة الأغالبة التى كانت الضمان الوحيد لبقاء نفوذهم فى المغرب (٣١٦) ٠

لقد كانت الثورة التى قامت فى المغرب ، وقادتها زناتة بربرية

---

(٣٠٩) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١٤٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥ ص ٢٤١ ٠

(٣١٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٢ ٠

(٣١١) الرقيق ، تاريخ افريقية ، ص ١٤٤ وما بعدها ٠

(٣١٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٦ ٠

(٣١٣) نفس المصدر والصفحة ٠

(٣١٤) الرقيق ، تاريخ إفريقية ، ص ١٦٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥ ص ٢٤٢ ٠

(٣١٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٢ ٠

(٣١٦) انظر ٠ محمود اسماعيل ، الأغالبة ، ص ٥٠ — ٥١ ٠

صرفة ، لم ينضم اليها أحد من العرب ، كما لم يكن لها أية صلة بخوارج المشرق ، وكانت الأولى من نوعها فى الأمبراطورية الاسلامية (٣١٧) ، وكانت هذه الثورة زناتية قادة وجنودا ، فقد وقعت معاركها فى مواطن زناتة (٣١٨) وكان لخالد بن حميد الزناتي قيادة الثورة بعد مقتل ميسرة المطغرى ، ثم تحملت قبائل زناتة عبء محاربة العرب بعد انسحاب مطغرة لقتل زعيمها ميسرة ، وانسحاب مكناسة بسبب زناتية الثورة(٣١٩)، ثم كانت القيادة لأبي قرة اليفرنى الزناتي ، وكان غالبية الثوار من زناتة كما تبين الأرقام التي ذكرها المؤرخون • وخلاصة القول ، أن كل المعارك التى خاضها البربر ضد العرب شاركت فيها زناتة ، اذ خاضت بعض هذه المعارك وحدها ، أو كانوا الأغلبية بين القبائل ، وكان لفرسان زناتة دورهم الفعال فى المعارك لما عرف عنهم من الفروسية ، فما أن تخلوا عن أبي الخطاب حتى هزمت جيوشه ، وعندما تركوا حصار طبنة استطاع عمر بن حفص هزيمة القبائل المحاصرة له رغم كثرة عددها •

وكان لهذه الثورة نتائجها التي انعكست على تاريخ الأندلس والمغرب ، ففى الأندلس كانت سببا فى أن خسر المسلمون بعض ما فتحوه من بلاد الأندلس (٣٢٠) ، أما فى شمالي أفريقيا فقد خرج المغربان الأقصى والأوسط عن سلطة الخلافة الأموية ثم العباسية ، فلم يتعد سلطان العباسيين حدود الزاب بافريقية (٣٢١) ، واستقلت بطون زناتة بالمغرب الأقصى تحت رئاسة خالد بن حميد الزناتى ، ولم يذكر أحد من المؤرخين شيئا عن المغرب الأقصى منذ خروج العرب منه واستقلال زناتة به ، وحتى قامت دولة الأدارسة فعاد اهتمام المؤرخين به ، ودونوا

---

(٣١٧) انظر • Sha'ban, Islamic History, p. 151

(٣١٨) انظر • مؤنس ، ثورات البربر ، ص ١٩١ ، Gautier, op. cit., 294; Julien, op. cit., p. 22.

(٣١٩) انظر • محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٧٦ •

(٣٢٠) انظر مؤنس ، فجر ، ص ٢٠٧ ، Bernard, Le Maroc, P. 88

(٣٢١) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٤١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٣٣٥ ، انظر Osborn, op. cit., P. 198

أخباره ، أما المغرب الأوسط فقد أقام بنو يفرن الزناتيون امارة فى تلمسان تحت زعامة أبى قرة سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م (٣٢٢) ، ولم يعرف شيئا عن السياسة الداخلية لهذه الامارة ، أما عن دورها العسكرى ، فقد استطاع أميرها رد غزوات عسكرية خرجت اليه من الزاب بافريقية(٣٢٣) ، وأسس بنو يرنيان الزناتيون امارة هاز ، وأقام بنو دمر الزناتيون امارة كانت تيملاص عاصمة لها ومصادف بن جرتيل رئيسا لهم ، وأنشأ بنو مسرة الزناتيون امارة أخرى حول أوزكا التى تقع على ثلاث مراحل من تاهرت ، وكان أميرهم عبد الرحمن بن أودموت بن سنان (٣٢٤) ، ولم يعرف عن هذه الأمارات الثلاث أية معلومات اذ أهمل المؤرخون ذكرها .

وكان نتيجة لتقلص نفوذ الخلافة عن المغربين الأقصى والأوسط أن قامت بهما الدول المستقلة ، فأقام صفرية مكناسة بعد انسحابهم من الثورة بسبب زناتية الثورة دولة لهم بالمغرب الأقصى واتخذوا من مدينة سجلماسة عاصمة لهم سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م (٣٢٥) ، وأقام عبد الرحمن بن رستم ومن معه من الخوارج الاباضية دولة بالمغرب الأوسط وأسسوا تاهرت عاصمة لها سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م (٣٢٦) ، وفر ادريس بن عبد الله من وجه العباسيين الى المغرب الأقصى بعد أن نجا من القتل فى موقعة فخ سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م (٣٢٧) ، واقام دولة الادارسة ، بمساعدة قبيلة أوربة سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٩ م (٣٢٨) ،

---

(٣٢٢) مجهول ، نبذ ص ٤٨ — ٤٩ المغربى ، الجمان ، ورقة ٢٠٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٠٨ .

(٣٢٣) أنظر .
Julien, op. cit., p. 24; Ency. of Isl. (Art Tlemcen), led., t 4, p. 802.

(٣٢٤) اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٣ ، انظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٠٧ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٣٤ ، الميلى ، تاريخ الجزائر ، ٢ ص ٥٦ ، ٩٠ .

(٣٢٥) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٨ .

(٣٢٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١١٢ ،
Ency. of Isl. (Art Tahret), led., t 4, p. 610.

(٣٢٧) أنظر . ماجد ، العصر العباسى الأول ، ١ ص ١٨٦ .

(٣٢٨) ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٤٨ ، انظر ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٣٨ — ٣٩ .

ولما لم تهدأ ثورات البربر اضطر الخليفة العباسى هارون الرشيد أن يعهد لابراهيم بن الأغلب بولاية افريقية سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م (٣٢٩)، وكانت الدول الثلاث الأولى خارجة على طاعة العباسيين أما دولة الأغالبة فقد كانت تابعة للخلافة العباسية تبعية اسمية فقط ، مما حدا ببعض المؤرخين المحدثين الى الاعتقاد بأن نفوذ الخلافة العباسية تقلص كلية عن شمالى أفريقيا وأن تاريخها السياسى انفصل تماما عن الخلافة العباسية (٣٣٠) وان كانت حقيقة الأمر أن قيام دولة الأغالبة أعاد للخلافة العباسية بعض الهيبة التى كانت على شفى الزوال من المغرب ، بل ضمنت بقاء سيادتها الاسمية على افريقية نحو قرن من الزمان (٣٣١) ، وقصارى القول ، ان ثورة زناتة كانت ضمن أسباب قيام الامارات والدول المستقلة فى شمالى أفريقيا ٠

ويحاول بعض المؤرخين تفسير ثورة البربر التى قادتها زناتة على أنها ثورة الروح القومية عندهم فى وجه سيادة العرب (٣٣٢) وأن البربر كانوا يعتبرون العرب أجانب غاصبين لحرياتهم (٣٣٣) ، ولكن البربر لم ينظروا الى العرب نظرة الغاصب المحتل ، ولكنهم خرجوا على عمال بنى أمية الذين ظلموهم وأساءوا معاملتهم ، وخاصة قبيلة زناتة التى ساعدت العرب فى اتمام فتح المغرب وفتح الأندلس ، وقد وجدت زناتة فى فكر الخوارج مبررا للثورة ، اذ يدعو الى التسوية ، ويعطى الناس حق الاحتجاج على السلطة(٣٣٤)، وربما عجل بالثورة سوء الأحوال الاقتصادية التى عمت شمالى أفريقيا آنذاك ، اذ هبط مستوى الرخاء الى حد ضئيل

---

(٣٢٩) أنظر ٠ محمود اسماعيل ، الاغالبة ، ص ٢٩ — ٣٠ ٠

(٣٣٠) أنظر ٠ Holt, Egypt and Fertile Crescent, p. 13; Hitti, History of the Arabs, p. 45.

(٣٣١) أنظر ٠ محمود اسماعيل ، الأغالبة ، ص ٤٤ ٠

(٣٣٢) أنظر ٠ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٣١٦ ، حسن محمود والشريف ، العالم الاسلامى ، ص ٣٩١ ٠

(٣٣٣) أنظر ، عنان ، دولة الاسلام ، ص ١١٥ ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى ، ص ١٢٦ ٠

(٣٣٤) أنظر ، عبده بدوى ، مع حركة الاسلام فى افريقية ، ص ١٥ ٠

حتى أصبحت الوسيلة الوحيدة لتغطية نفقات الحكومة هى الاعانة السنوية المرسلة من مصر والتى بلغت مائة ألف دينار من الذهب (٣٣٥) •

ولم يقف نشاط زناتة عن المشاركة فى كتابة تاريخ المغرب بعد قيام الدول والامارات المستقلة به ، فان كان المؤرخون لم يهتموا بتاريخ الامارات الزناتية ولم يدونوا أخبارها ، فقد اهتموا بأخبار الدول المستقلة بالمغرب • فقد شاركت زناتة فى قيام الدولة الرستمية التى قامت فى تاهرت سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م ، وكانت أكثر القبائل البربرية التى انضمت الى عبد الرحمن بن رستم حين أسس دولته (٣٣٦) ، مما حدا بجوتييه أن يعتقد بأن تاهرت مملكة زناتة (٣٣٧) ، وقبيل وفاة عبد الرحمن ابن رستم مؤسس الدولة اختار ثمانية ليكون أحدهم خلفا له فى رئاسة الدولة ، فكان بينهم أبو قدامة اليفرنى زعيم بنى يفرن الزناتيين (٣٣٨) ، ولكن العامة أجمعوا على الا يكون امامهم من قبيلة قوية حتى لا تحميه عصبيته وتدافع عنه اذا حاد عن طريق الحق والعدل (٣٣٩) ، فمال أبو قدامه اليفرنى ومن معه من زناتة الى مبايعة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، لأن أم عبد الوهاب من قبيلة بنى يفرن الزناتيين (٣٤٠) ، فكان للعصبية دورها فى اختيار عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (٣٤١) ، مما يوضح كثرة زناتة فى دولة بنى رستم ومدى تأثيرها على سياسة الدولة •

ويبدو أن أبا قدامة اضطر الى مبايعة عبد الوهاب الرستمى حين خرجت الامامة من يديه ، لأنه لم يلبث أن نازع عبد الوهاب الامامة ،

---

(٣٣٥) انظر ، لويس ، القوى البحرية ، ص ١٩٣ •
(٣٣٦) انظر ، محمد بن تاويت ، دولة الرستميين ، ص ١١٣ •
(٣٣٧) أنظر ، Le passé de L'Afrique du Nord, p. 220
(٣٣٨) الشماخى ، السير ، ص ١٤٥ •
(٣٣٩) نفسه ، ص ١٤٠ ، انظر ، محمد بن تاويت ، دولة الرستميين ، ص ١٠٧ •
(٣٤٠) نفسه ، ص ١٤٥ •
(٣٤١) أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٩٨ •

وطلب اليه أن يعتزل السلطة ليختاروا غيره لحكم الدولة ، فأبى عبد الوهاب أن يخلع عنه رداء السلطة ، فخرج أبو قدامة مع قومه لمقاتلة عبد الوهاب حتى يجبره على التنازل عن عرش الامامة ، ولكن المعارك بينهما لم تستمر طويلا اذ أصلح العلماء بينهما (٣٤٢) ، ويبدو أن نفوس زناتة لم تصف بعد ذلك ، فما لبث أن تخلى بعض بنى يفرن عن مذهب الخوارج وانضموا الى الأدارسة فى فترة حكم ادريس الثانى (٣٤٣) ، بل انقلبوا يحاربون الرستميين للدخول فى طاعة الأدارسة ، وظلوا على حربهم حتى استولى الشيعة الفاطميون على المغرب (٣٤٤) ، الا أن البعض يعزو خروج بنى يفرن الزناتيين على الرستميين نتيجة لاعتماد أفلح بن عبد الوهاب على الفرس مما أثار ثائرة زناتة (٣٤٥) ، وربما كان فى ذلك بعض الحقيقة، اذ كانت الدولة الرستمية فارسية فى ادارتها وبربرية فى عصبيتها (٣٤٦) .

وكان لمعتزلة زناتة الضاربين بالقرب من تاهرت وخارجها (٣٤٧) ، دورهم مع بنى رستم ، فقد دانت كثير من بطون زناتة بمذهب المعتزلة (٣٤٨) ، اذ كان واصل بن عطاء رأس المعتزلة نشطا فى نشر مذهبه ، فبعث عبد الله بن الحارث الى المغرب فأجابه خلق كثير (٣٤٩) ،

---

(٣٤٢) الشماخى . السير ، ص ١٥١ — ١٥٢

(٣٤٣) أنظر :

Mercier, Histoire de L'Afrique Septent rionale, Vol. 1, p. 89.

(٣٤٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢٢ ، أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٤٧ .

(٣٤٥) أنظر ، محمد بن تاويت ، دولة الرستميين ، ص ١٢٣ .

(٣٤٦) أنظر ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٣٥ .

(٣٤٧) البكرى ، المغرب ، ص ٦٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢١ ، ويرى ما سكراى أن بطون زناتة الضاربة حول تاهرت اعتنقت مذهب المعتزلة نكاية فى قبيلة لواته التى دانت بالمذهب الاباضى بسبب العداء القبلى بين زناتة ولواته ، أنظر ، Chronique d'Abou Zakaria, p. 120.

(٣٤٨) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ ، والمعتزلة أو الواصلية احدى الفرق الاسلامية ، ونسبت الى واصل بن عطاء ، أما اصل تسميتهم المعتزلة فيرجع الى اعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد حلقة الحسن البصرى ، واستقلالهما بأنفسهما ، (المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ٣) ، وقيل فى تسميتهم أراء أخرى ، (أنظر ، بلبع ، أدب المعتزلة ، ص ١١٠ — ١١٧) .

(٣٤٩) المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ٣٢ .

وكان هؤلاء المعتزلة من زناتة مرغمين على الخضوع لطاعة بنى رستم ، فانتهزوا فرصة وقوع الشقاق فى دولة بنى رستم ، والفرقة بين الاباضية (٣٥٠) ، وأثاروا العراقيل فى وجه حاكم الدولة الرستمية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (٣٥١) ، للانفصال عن دولته ، والانضمام الى دولة الأدارسة التى انضمت اليها غالبية بطون زناتة (٣٥٢) ، خرج الامام عبد الوهاب الرستمى لمحاربتهم ، واخضاعهم لطاعته (٣٥٣)، فكان الظفر للمعتزلة من زناتة(٣٥٤)، فاستعان عبد الوهاب بقبيلة نفوسة على حرب معتزلة زناتة حتى أخضعهم لطاعته (٣٥٥) ، ولكنهم لم يستكينوا بل ظلوا مصدر شغب وقلاقل فى الدولة الرستمية حتى سقوطها على أيدى الفاطميين (٣٥٦) .

وكان لزناتة دورها فى مساندة دولة الأدارسة منذ بدء قيامها ، فما أن بايعت قبيلة أوربة ادريس بن عبد الله فى رمضان سنة ١٧٢ هـ / فبراير سنة ٨٧٩ م حتى خرجت اليه قبائل زناتة بالمغرب الأقصى مبايعة (٣٥٧)،

---

(٣٥٠) كانت الفرقة بين الاباضية بسبب خروج يزيد بن فندين ثائرا على عبد الوهاب بن رستم فانقسم الاباضية الى وهبية وهم الذين انضموا الى الامام عبد الوهاب ، ونكارية وهم الذين انكروا امامة عبد الوهاب ، (أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١١٦ وما بعدها) ، ووهبية المغرب غير وهبية المشرق الذين ينسبون الى عبد الله بن وهب الراسبى .

(٣٥١) أنظر . Masqueray, Chronique d'Abou Zakaria, p. 120.

(٣٥٢) أنظر . دبوز ، المغرب الكبير ، ٣ ص ٤٢٨ ، ٤٨٤ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٢٥٣ .

(٣٥٣) أبو زكريا ، كتاب السيرة ، ورقة ١٩ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٢٦ .

(٣٥٤) انظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٢٠ .

(٣٥٥) أبو زكريا ، كتاب ، السيرة ، ورقات ١٩ — ٢١ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقات ٢٦ — ٢٨ .

(٣٥٦) انظر . محمود اسماعيل ، الحركات السرية ، ص ١٤٥ ، Julien, op. cit., p. 27

(٣٥٧) البكرى ، المغرب ، ص ١١٨ وما بعدها ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٧ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٨٤ ، محمود اسماعيل ، الاغالبة ، ص١٤١، كانت دولة الأدارسة التى قامت بالمغرب الأقصى مركزا للدعوة الى مذهب أهل السنة ، انظر . The Cambridge History of Islam, p. 216.

وحين خرج ادريس بن عبد الله بعد قيـام دولته الى تلمسان بالمغرب الأوسط ، أتاه محمد بن خرز أمير تلمسان وزعيم مغراوة الزناتية ، ودخل فى طاعته دون حرب (٣٥٨) ، فدخل ادريس مدينة تلمسان ، واختـط مسجدها وأقام بها شهرا ثم عاد الى وليلى (٣٥٩) عاصمة دولته (٣٦٠) ، فانضمت الى ادريس وجوه قبائل زناتة ، فغزا بهم بلاد تامسنا (٣٦١) ، وأصبحت زناتة عصب دولة الأدارسة (٣٦٢) ، وبعد وفاة ادريس الأول ، وتولية ابنه ادريس الثانى سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م ، كانت زناتة أول المبايعين له (٣٦٣) ، وأقام ادريس الثانى بين بنى خرز الزناتيين فى تلمسان ثلاث سنوات يحـارب الخـوارج من زناتة ، بأهل السنة من زناتة (٣٦٤) حتى استأصـل شأفة الخوارج من منطقة تلمسان وأسـافل شلف (٣٦٥) ، فخلع بنو يفرن الزناتيون طاعـة الرستميين ، وانضـموا الى دولة الأدارسة مع غالبية بطـون زناتة ، بـل حاربوا الرسـتميين ليجبروهم على الدخول فى طاعة الأدارسة (٣٦٦) .

وبعد موت ادريس الثانى ، اقتسم أولاده الدولة فيما بينهم (٣٦٧)،

---

(٣٥٨) ابن أبى زرع الأنيس ، ١ ص ٢٢ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس، ورقة ٥٦ ، الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ١٠ .

(٣٥٩) مدينة بالقرب من طنجة ، عنها انظر . ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٤٣٤ .

(٣٦٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٧٦ ، انظر . يحيى بن عزيز ، الموجز ، ١ ص ٩٣ .

(٣٦١) ابن أبى زرع ، الأنيس ، ١ ص ١٩ — ٢٠ ، السلاوى ، الاستقصا، ١ ص ١٤١ ، انظر . محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٣١ .

(٣٦٢) انظر . Ency. of Isl. (Art MaghraWa), led., t 3, p. 106

(٣٦٣) الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ١٢ .

(٣٦٤) كان بنو خزر المغراويون على مذهب اهل السنة ، (السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٢٢) ، اما بنو يفرن الزناتيون فكانوا على مذهب الخوارج، (انظر . محمود اسماعيل ، الخـوارج ، ص ٦١) .

(٣٦٥) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٣ — ١٤ ، السلاوى ، الاستقصـا ، ١ ص ١٥٥ .

(٣٦٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٢٢ ، انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٤٧ .

(٣٦٧) البكرى ، المغرب ، ص ١٣٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٤ .

فقامت بينهم المنازعات ، ودارت الحروب بين الاخـوة ، وكانت زناتة جنودهم فيما قـام بينهم من حروب ، فعندما تمـرد عيسى بن ادريس الذى كان يحكم بلاد تامسنا على أخيه محمد ، أرسل محمد اليه فرسان زناتة فاستطاعوا هزيمته واخضاعه للطاعة (٣٦٨) ، كما وقفت زناتة الى جانب الأدارسة فى قتال الخوارج الصفرية (٣٦٩) ، ودارت بينهما وقائع كثيرة استمرت حتى سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م (٣٧٠) . وقصارى القول ان زناتة ساندت دولة الأدارسة منذ بدء قيامها ، ولكن الأدارسة لم يكن لهم سوى السلطة الاسمية منذ اقتسام دولتهم بعد موت أدريس الثانى أما السلطة الفعليـة فى المغرب الأوسط فكانت لمغراوة وبنى يفرن ، « ولم يزل الملك بالمغرب الأوسط لمحمد بن خزر أمير مغراوة الى أن قامت دولة الشـيعة الفاطمية بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م » على حد تعبير ابن خلدون (٣٧١) ، وبذلك استعادت زناتة نفوذها القديم على المغـرب الأوسط (٣٧٢) ، مـا كان سببا فى عدائهـا للدولة الفاطمية ، اذ لـم يقض الفاطميون على دولة الأدارسة بل على استقلال زناتة .

وخلاصة القول ان بعض قبائل زناتة تحولت الى الاسلام وانضمت الى العرب الفاتحين منذ أول الفتح الاسلامى للمغرب ، وقاومت قبائل زناتية أخرى العرب الفاتحين حتى هزمهم العرب فتحولوا الى الاسلام وانضموا الى العرب مع من سبقوهم من القبائل الزناتية ، وساعدوا العرب الفاتحين فى اتمام فتح المغرب وفتح الأندلس . ولكن العرب الفاتحين أساءوا معاملة البربر فأعلنوا الثورة ، وقادت زناتة ثورتهم حتى أقصت

---

(٣٦٨) السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٥٧ ، انظر . رزق الله منقريوس ، دول الاسلام ، ١ ص ٢٣٣ .

(٣٦٩) أقام الخوارج الصفرية دولة لهم فى سجلماسة سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، وكانت قبيلة مكناسة هى العصبية التى ارتكزت عليها هـذه الدولة ، (أنظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٨٢ ومابعدها) .

(٣٧٠) ابن أبى زرع ، الأنيس ، ١ ص ١١٥ .

(٣٧١) العبر ، ٧ ص ٢٥ ، أنظر . Gautier, op. cit., p. 394

(٣٧٢) انظر . الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٤٧ ، Fournel, Les Berberes, Vol. 2, p. 13.

العرب عن المغربين الأقصى والأوسط ، وقامت بهما امارات زناتية ودول مستقلة . وقد ساندت زناتة دولتى الرستميين والأدارسة فنالت بهما السيادة على مضاربها ، وأضحت صاحبة السلطة الفعلية على المغرب الأوسط .



الفصل الثالث

زناتة وقيام الخلافة الفاطمية

اختيار الشـيعة الاسماعيلية المغرب لدعوتها ، وموقف قبيلة زناتة منها ، موقف زناتة من قيـام خلافـة الفاطميين ٠

كانت بلاد المغرب ملجــأ للهاربين المعادين للخلافة منذ أن افتتح المسلمون شمالى أفريقيا (١) ، وذلك لبعدها عن مركز الخلافة فى المشرق، فى دمشق ، ثم صارت بلاد المغرب أكثر بعــدا أن انتقلت عاصمة الخلافة الى بغداد على يــد بنى العباسى ، ولعل بعض بطون قبيلة زناتة كانت أكثر قبائل البربر مساندة للمعادين لخلافة المشرق ، وهى نفسها التى وقفت موقف العــداء من الفتح العربى للمغرب ، واستمرت فى عدائهـــا حتى بعد اسلامها وبخاصـــة بعد أن أساء ولاة بنى أمية معاملتهـــا ؛ فنجدها قد ساندت هؤلاء الذين اقتطعوا المغربين الأوسط والأقصى عن سيطرة الخلفاء ، وأقامت بهما امارات زناتية ، وساندت الدول المستقلة التى قامت بهما مثلما فعلت فى سجلماسة بالمغرب الأقصى سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، وفى تاهرت بالمغرب الأوسط سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م ٠ وكذلك ســاعدت عبد الرحمن بن معاوية بن هشــام فى الفــرار من وجـــه العباسيين بعد أن وصــل الى افريقية (٢) ، وساندته فى الأندلس لاقامة دولته بها (٣) ، كما ساعدت ادريس بن عبد الله بعد نجاته من موقعـــة فخ ، وفراره من وجه العباسيين الى المغرب الأقصى، واقامة دولة الأدارسة ســنة ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م (٤) ، اذ كانت قبيلة مغراوة الزناتية واحـــدة من الدعامات الاساسية لدولة الأدارســـة منذ بداية قيامها (٥) ، وكانت دولة الأدارسة أول دولة علوية قامت فى شمالى أفريقيـــا ، وان كانت

---

(١) انظر ٠ ماجد ، ظهور ، ص ٨٤ ،
O'leary, A short History of the Fatimids, p. 75.

(٢) المراكشى ، المعجب ، ص ١٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥ ص ١٩٩ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٣٢٨ ، ٣ ص ٢٩ ٠

(٣) انظر ٠ مؤنس ، فجر ، ص ٣٩٠ ، Scott, op. cit., p. 393.

(٤) انظر ٠ ماجد ، العصر العباسى الاول ، ١ ص ٢٥٩ وما بعدها ٠

(٥) انظر ٠ Ency. of Isl. (Art Maghrawa), led., t 3, p. 107.

علوية اسما ولكنها سنية فى الأصل (٦) . والغالب على الظن أن بعـــد المغرب عن مركز الخلافة العباسية كان سببا فى أن اتجهت اليه أنظـــار الشيعة الاسماعيلية لتحقيق حلمهـــا باقامة خلافة تنافس خلافة بنى العباس ، ولتنتزع السلطة من أيديهم (٧) .

وعلى العكس من موقف التأييد للخارجين على خلافة المشرق ، فان قبيلة زناتة وقفت موقف العداء المطلق من الشيعة الفاطميـــة ، هؤلاء الذين كانوا ينتسبون الى على بن أبى طالب وفاطمـــة ، فقد كان أحفاد على لا يفتأون يطالبون بحقهم فى الخلافـــة ، لا سيما أحفـــاده من نسل اسماعيل الذين كانوا يتناقلون أن النبى صلى الله عليه وسلم نص عـــلى خلافته ، وأوصى له بذلك (٨) ، ولكن الضربات التى كالها العباسيون لهذه الفرقة جعلتهم ينتقلون الى التقية والعمل من وراء ستار حتى يتمكنوا من تحقيق هدفهم (٩) ، فاتخذوا من شمالى أفريقيا هدفا لهم ، وأرســـل دعاة الاسماعيلية (١٠) اليها ومن أبرزهم داعيان هما : أبو سفيان والحلوانى وأوصوهما بالوصول الى أقاصى المغرب والبعد عن المدن (١١) ، لأن الدول التى كانت بالمغرب وقتذاك لم يكن سلطان حكامها يتعدى عواصمها ،

---

(٦) انظر . حسن احمد محمود ، الحضارة الاسلامية فى بلاد المغرب والأندلس ، ص ١٢٢ ، حسن على حسن ، دولة الأدارسة بالمغرب ، ص ٢٨١ وما بعدها ، The Cambridge History of Islam, Vol. 2, p. 216.

(٧) انظر ، مشرفة ، نظم الحكم ، ص ٣١ .

(٨) انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٥٣ ، بلبع ، أدب المعتزلة ، ص ٣٧ ؛ Williams, Themes of Islamic Civilization, pp. 40 — 41.

(٩) انظر . ماجد ، ظهور ، ص ٨١ — ٨٢ ، وقد اتبع العباسيون التنظيم السرى من قبل فى دعوتهم حتى تمكنوا من القضاء على الخلافة الاموية سـنة ١٣٢ هـ ، (انظر Lewis, The Arabs, P. 111 . ، وعن التشيع بدايته وتطوره ، (انظر . ماجد ، ظهور ، ص ٧٥ وما بعدها ، مشرفة ، نظم الحكم ، ص ٢٨ وما بعدها ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، الفصل الثانى) .

(١٠) والاسماعيلية احدى فرق الشيعة التى تقول بامامة اسماعيل ، الامام بالنص عن ابيه جعفر ، (انظر . ماجد ، ظهور ، ص ٧٩ وما بعدها ، بونار ، المغرب العربى ، ص ١٦٣ وما بعدها) .

(١١) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٢٤ ، ويذكر د . مشرفة أن أبا سفيان والحلوانى وصلا الى المغرب سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، وأن الذى أرسلهما جعفر =

فكانت سلطة الأدراسة اسمية فقط على المغرب الأوسط (١٢) ، وكان نفوذ بنى رستم خارج عاصمتهم أقل من نفوذ أمراء الأدارسة على رعاياهم (١٣) ، لذا اعتبر دعاة الاسماعيلية أن بلاد المغرب أرض بور ، وعلى أبى سفيان والحلوانى حرثها (١٤) ، أى استمالة أهلها الى المذهب الاسماعيلى ، فنزل أحدهما أرض كتامة ، وهى احـدى قبائـل البرانس التى كانت فى أمس الحاجة الى دعوة مذهبيـة تجتمع حولها شتات بطونها وحلفاؤها من قبائل البرانس (١٥) ، ربما ليتمكنوا من الوقوف أمـام هجمات قبيلة زناتة وقوتها التى تهددهم من قبل مجىء الشيعة (١٦) ، بحكم المعاداة المتأصلة بينهما اذ يذكر البعض أن هذا العداء كان قائما بين قبائل البتر وقبائل البرانس عامة من قبل الفتح العربى لبلاد المغرب ، ولذلك أخذت قبيلة كتامة البرنسية بدعـوة الشيعة الاسماعيلية ، فضلا عن أنهـا كانت تتلهف على تأسيس ملك لها (١٧) .

ومن ناحية أخرى لم تأخذ قبيلة زناتة بدعوة الشيعة لأن غالبيـة

= الصادق ، (انظر . نظم الحكم ، ص ٤١ ، وهامش ٤ من نفس الصفحة) ، الا أن العينى يذكر خطأ أن الداعى الذى كان بالمغرب قبل أبى عبد الله لشيعى هو ابن حوشب ، (عقد الجمان ، ١٨ ورقة ١٥٢) ، ومن المعروف ان ابن حوشب كان من اكبر دعاة الاسماعيلية باليمن وانه هو الذى أرسل أبا عبد الله الشيعى الى شمالى أفريقيا (المقريزى ، اتعاظ ، ص ٧٤ ــ ٧٥) .

(١٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٠ ، ٢٥ ، انظر .
Fournel, Les Berbers, Vol. 2, p. 13.

(١٣) أنظر . الميلى ، تاريخ الجزائر ، ٢ ص ٥٢ .

(١٤) المقريزى ، اتعـاظ ، ص ٥٣ ــ ٥٤ .

(١٥) يفهم مما ذكره ابن عذارى أن بطون كتامة كانت دائمة الصراع مـع بعضها البعض وحتى بين زعماء البطن الواحد ، البيـان ، ١ ص ١٢٦ .

(١٦) انظر . مؤنس ، محقق ، رياض ، ١ ض ١٥ م ، عبده بدوى ، مع حركة الاسلام فى افريقية ، ص ٤١ ، ولم تكن قبيلة كتامة خاضعة لسلطان دولة الأغالبة ، (ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١١) ، وكان اهل مدينة بلزمـة يفرضون سيطرتهم على كتامة حتى قتل ابن الأغلب أمير أفريقية فرسان بلزمة سنة ٢٨٠ هـ ، فاستردت كتامة انفاسها ، والتفت حول أبى عبد الله الشيعى ، (ابن عذارى ، البيـان ، ١ ص ١٢٣) .

(١٧) أنظر . دبوز ، المغرب الكبير ، ٣ ص ٦١٤ .

بطونها كانت تدين بمذاهب أخرى مثل المعتزلة والخوارج (١٨) ، لما فيهما من معاداة للحكم الخلافى المركزى ، ويتوافقان مع طبائع زناتة البترية التى عرفت بحبها التمتع بحريتها (١٩) ، ولأن العداء بين الخوارج وهو مذهبها والشيعة قديم ، مما حدا بالمؤرخ الحديث جوليان Julien أن يصور الصراع بين زناتة والفاطميين على أنه صراع بين الخوارج والشيعة (٢٠) ، كما أن زناتة كانت صاحبة السلطة الحقيقية على المغرب الأوسط فى ظل حكم أمراء الادارسة (٢١) ، وربما خشيت زناتة أن تحرمها الدعوة الجديدة من استقلالها وسلطانها على المغرب الأوسط ، بالاضافة الى اختلاف الآراء والأهواء ، اذ كان وراء كل رأى وهوى عصبية تمانع وتظن فى نفسها منعة وقوة (٢٢) ، فربما ظلت زناتة بعيدا عن تأييد مذهب الشيعة لاقتناعها بما اعتنقت من مذاهب ، ورأت فى نفسها القدرة على الدفاع عن معتقداتها المذهبية واستقلالها .

وقد ادعى البعض أن قبيلة زناتة اتخذت موقف العداء من الدعوة الاسماعيلية لأن دعاة الشيعة اختاروا مضارب البرانس لنشر دعوتهم ، وانصرفوا عن مضارب البتر (٢٣)، ولكنه قول لا تؤيده الاحداث التاريخية، فقد نزل ادريس بن عبد الله أول مجيئه الى المغرب الأقصى على قبيلة أوربة البرنسية فأيدوه وبايعوه ، ولكن ذلك لم يمنع قبيلة زناتة من الانضمام الى الادارسة دون حرب . بل خرجت اليهم مبايعة ، ثم ما لبثت زناتة ، وبخاصة قبيلة مغراوة أقوى البطون الزناتية أن أصبحت واحدة من الدعامات الأساسية لدولة الأدراسة (٢٤) . أما استمرار عداء زناتة للخلافة الفاطمية بعد قيامها ، وعدم انضمامها لهم أو خضوعها لسلطانهم ، فكان بسبب مناصرة الفاطميين لقبائل

---

(١٨) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٨ .

(١٩) انظر . ماجد ، ظهور ، ص ٩٤ .

(٢٠) انظر . History of North Africa, p. 58

(٢١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥ ، انظر Fournel, op. cit., p. 13

(٢٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩٣ .

(٢٣) انظر . اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٤٧ .

(٢٤) انظر . Ency. of Isl. (Art Maghrawa), led., t 3, p. 107.

البرانس من كتامة وصنهاجة ، فاستطالت هذه القبائـل على زناتة ، ويصور ذلك ابن خلدون بقوله « كان الفاطميون ظهرا للبرانس على زناتة ، فانحرفت قبائلهم عن الشيعة سائر أيامهم » (٢٥) • وخلاصـة القول ، ان بطون زناتة لم تتفق فيما بينها على شىء قـدر اتفـاقها على عدائها للدعوة الاسماعيلية منذ بداية وجودها بالمغرب ، كما فشل الفاطميون فى ضم قبيلة زناتة البترية (٢٦) •

وعلى كل حال ، فانه لما قام الحلوانى وأبو سفيان بنشر الدعـوة الاسماعيلية بين قبائل البربر ، وبخاصـة قبيلة كتامة لم يطل بهما الأجل حتى يريا نتيجة جهودهما ، فقد ماتا فى فترة متقاربة (٢٧) ، فاختار دعاة الشيعة الاسماعيلية أبا عبد الله حسين بن زكريا الذى كان باليمن (٢٨)، وعرف بالصنعانى والشيعى (٢٩) ، وكان داهية خبيرا بما يصنع (٣٠) ، وأمدوه بالمال (٣١) ، فخرج أبو عبد الله الشيعى الى مكة فى موسم الحج وسأل عن حجاج كتامة فأرشد اليهم ، واجتمـع بهم دون أن يعلمهم غايته وهدفه (٣٢) ، وخرج معهم من مكـة معلنـا أنه يقصد مصر (٣٣)؛ فما أن وصلوا الى مصر حتى دعوه فى الحاح أن يسير معهم الى بلادهم ، ووصلوا أرض كتامة بالمغرب فى منتصف ربيع الأول سنة ٢٨٠ هـ / الخامس من يونية سنة ٨٩٣ م (٣٣) ، وسار معهم الى جبل ايكجان (٣٤)،

---

(٢٥) العبر ، ٦ ص ١٥٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ٦٤ •

(٢٦) أنظر • ماجد ، ظهور ، ص ٢٣٨ •

(٢٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٢ •

(٢٨) اليمانى ، سيرة جعفر ، ص ١٢١ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ٧٤ •

(٢٩) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٢٤ ، ١٣٧ ، انظر • ماجد ، ظهور ، ص ٨٥ •

(٣٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٢ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ١٥٢ •

(٣١) المقريزى ، اتعاظ ، ص ٧٥ •

(٣٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١١ ، أنظر •
Abun-Nasr, History of the Magreb, p. 80.

(٣٣) المقريزى ، اتعاظ ، ص ٧٥ •

(٣٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١١ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ١٥٢ ، ويذكر ابن عذارى أن وصول أبى عبد الله الشيعى الى أرض المغرب كان قبيل شهر رمضان سنة ٢٨٠ هـ (البيان ، ١ ص ١٢٥) ، الا أن دبوز =

الواقع فى مضارب كتامة ، وعمل معلما للصبيان بالمسجد فترة من الزمن ، ثم صارحهم بغايته ودعوته فقال كبيرهم « أنا أطوع لك من يدك فمر بما شئت أمتثله » (٣٥) ، وتسامعت به القبائل ، فأتاه البربر البرانس من كل مكان وعظم أمره (٣٦) واقتتلت بطون كتامة عليه ، وأراد بعضهم قتلـه فاختفى ، وبلغ الخبر الحسن بن هارون أحد وجهاء كتامة ، فأخذ أبا عبد الله الشيعى اليه ودافع عنه ، فسلم اليه أبو عبد الله أعنة الخيل ، وقاتل المخالفين حتى استقام عامة كتامة على طاعته (٣٧) بعد سبع سنين (٣٨) وبذلك ظهرت الدعـوة الاسماعيلية من سطيف (٣٩) ، وجيجل (٤٠) من أرض كتامة ، وهى المنطقة الواقعة بين سطيف والبحر المتوسط ، والتى تقـع فى بلاد الجزائر الحالية (٤١) .

وبعد أن اجتمعت قبيلة كتامة على طاعة أبى عبد الله الشيعى ، وشعر فى نفسه قوة ، واضطربت أمور دولة الاغالبة ، واشتغل أميرهـا

= يذكر أن وصول الشيعى الى المغرب كان سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م (انظر · المغرب الكبير ، ٣ ص ٦١٣) ، ويذكر المقريزى أن وصول الشيعى الى أرض كتامة كان سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، (اتعاظ ص ٧٦) ، والغالب على الظن أن وصول الشيعى الى أرض كتامة كان سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ، ثم كان ظهـور دعـوته سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، أنظر ، محمد مختـار ، التوفيقات ، ص ١٤٤) ، ويذكر ابن عذارى نقلا عن الوراق أن الشيعى ترك وفد كتـامة وأقام بالقيروان ليتعرف على أخبار القبائل حتى صح عنـده أنه ليس فى قبائل افريقية أكثر عددا ولا أشـد شوكة ولا أصعب مراما على السـلطان من كتامة ، فلمـا تاكد من ذلك ذهب الى مضاربهم ، (البيان ، ١ ص ١٢٤) ·

(٣٤) وهو جبل بالقرب من قسنطينة به قبائل كتامة ، أو يقـع فى منتصـف الطريق بين طنجة وفاس ، أنظر · الشـيال ، محقق ، اتعـاظ ، ص ٧٦ هامش ٥ ·

(٣٥) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٢٧ ، أنظر · عبده بـدوى ، مـع حركة الاسلام فى افريقية ، ص ٤١ ·

(٣٦) المقريزى ، اتعـاظ ، ص ٧٧ ·

(٣٧) النعمان ، افتتـاح الدعوة ، ورقة ٦٨ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ٧٨ ، أنظر · Abun-Nasr, op. cit., p. 59.

(٣٨) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٢٨ ·

(٣٩) وهى مدينة بجبال كتامة بين تاهرت والقيروان ، ياقوت ، معجـم البلدان ، ٥ ص ٨٢ ·

(٤٠) عنها أنظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ١٨٦ ·

(٤١) أنظر · Abun-Nasr, op. cit., p. 80.

زيـــادة الله بلهـــوه (٤٢) ، استولى أبو عبد الله ومن معه من كتامه على المدن الخاضعة للأغالبة واحدة تلو الأخرى حتى افتتح مدينـــة الأربس فى جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ / فبراير سنة ٩٠٩ (٤٣) ، وكان بهذه المدينة معظم الجيش الأغلبى (٤٤) • عندما علم زيادة الله بخبر الهزيمـــة وهو فى رقادة (٤٥) عاصمة ملكه خرج هاربا الى مصر (٤٦)، ودخل أبو عبد الله الشيعى مدينة رقادة فى رجب سنة ٢٩٦ هـ / مارس سنة ٩٠٩ م ، فأمن الناس ومنع النهب والسلب ، ونزل فى بعض قصورها ، وفرق دورها عـــلى كتامة ، وأخرج العمال الى البلاد (٤٧) • وبذلك خرج المغرب كلية عن طاعة بنى العباس (٤٨) ، ليدخل فى طاعـــة الفاطميين وســـندهم بربـــر كتامة ، وكان القضاء على دولة الاغالبة آخر عهد العرب بالملك فى افريقية اذ كانت دولة الأغالبة تعتمد أساسا على عنصر العرب (٤٩) •

---

(٤٢) المقريزى ، اتعاظ ، ص ٨٦ •

(٤٣) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٠ ، وعن الأربس ، أنظر • ياقوت، معجم البلدان ، ١٧٠ — ١٧١ •

(٤٤) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٤٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ١٧١ ، وقد استولى عليها أبو عبد الله الشيعى من يد أحد أمراء الأغالبة الذى فر عنهـا فى جماعة من الجند والقواد الى طرابلس ، فلجأ أهلها ومن بقى فيها من الجنـد الى جامعها ، فقتلهم الشيعى أجمعين حتى سالت دماؤهم من أبواب الجامع ، (نفس المصادر والصفحات ، أنظر •
(Osborn, op. cit., p. 234

(٤٥) ومدينة رقادة بناها ابراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م فى جنـوب القيروان ، واتخـذها عاصـمة لدولتـه ، وظلت عاصـمة للاغالبة حتى قضى على دولتهم ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٧ ، ابن الخطيب ، أعمـال الاعلام ، ٣ ص ٢٧ ، ابن غلبـون ، التـذكار ، ص ١٦ هامش) ، وتقـع مدينة رقادة على بعد أربعة أميـال من القيروان ، (ياقوت . معجم البلدان ، ٤ ص ٢٦٦) •

(٤٦) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٠ •

(٤٧) النعمان ، افتتـاح الدعوة ، ورقة ١٥٦ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ٧٨ •

(٤٨) السيوطى ، تاريخ الخلفا ، ص ٣٧٩ ، أنظر •
Abun-Nasr, op cit., p. 81

(٤٩) أنظر • ماجد ، ظهور ، ص ٧٦ ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى ، ص ١٥٨ •

وقبل أن يقضى أبو عبد الله الشيعى على دولة الأغالبة كليــة ، وبعد أن أحرز بعض الانتصارات عليهم أرسل وفدا من كتامة الى الامام الاسماعيلى عبيد الله الذى كان مختفيا ببلدة سلميــة من أعمال حمص بالشام (٥٠) ، ليخبروه بمـا فتح الله عليه ، وأنهم ينتظرون مجيئة اليهم (٥١) ، وفى الوقت نفسه كانت جيوش الخلافــة العباســية فى طريقها الى سلمية للقبض عليه ، ولكن دعاة الشيعة فى بغداد أرسلوا اليه يخبرونه بذلك ، ووصلت رسائلهم قبل وصول الجيش العباسى (٥٢) ، فاستدعى عبيد الله خلصاءه وأوهمهم أنهم خارجون الى اليمن ، ولكن المغرب مقصده الحقيقى (٥٣) ، ووصل عبيد الله الى مصر مستترا فى زى التجار (٥٤) ، وفى الوقت الذى كان فيه عبيــد الله فى مصر ، وصلت كتب الخليفــة العباسى الى واليه عليها بصفة الامام الاسماعيلى عبيد الله وهيئة — فالغالب على الظن أنه كان معروفا له — وأمره بالقبض عليه ، فعرف الامام الاسماعيلى بما وصــل الى والى مصر من أمــره — اذ كان بين خاصــة والى مصر من كان متشيعا — ، فخرج عبيد الله من مصر مع أصحابه ، واتجهوا الى المغرب (٥٥) ٠

وصل عبيد الله الى افريقية ، وكان الأغالبة مازالوا أصحاب السلطان عليها ، وكان أبو عبد الله الشيعى مشتبكا فى حرب معهم ، فخــرج الى سجلماسة الواقعة فى جنوب بلاد المغرب (٥٦) مارا بأراضى الدولــة

---

(٥٠) ويقال أن سلمية من أعمال حمــاة ، وتبعد عنها مسـيرة يومين ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١١٢ — ١١٣ ٠

(٥١) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٣ ٠

(٥٢) اليمانى ، سيرة جعفــر ، ص ١١٠ ٠

(٥٣) نفسه ، ص ١١٤ ، الابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٣ ، ويبدو أن عبيد الله فكر فى الذهاب الى اليمن بعــد أن وصــل الى مصر هربا من بنى العباس ، ولكن اضطرب دعــاة اليمن جعله يعــدل عن الذهاب اليهــا وهى فى هذه الحالة من الاضطراب ، النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقات ١٠٦ — ١٠٧ ٠

(٥٤) المقريزى ، اتعاظ ، ص ٨١ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢٣٧ ٠

(٥٥) النعمان افتتــاح الدعوة ورقة ١٠٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٣ ، المقريزى ، اتعاظ ص ٨١ ٠

(٥٦) عنهــا ، أنظر ٠ ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٤١ ، ابن خلدون التعريف ، ص ٣٧٠ ، وعن رحلة الامام الاسماعيلى من سلمية الى سجلماسة (أنظر ٠ اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٣٢ وما بعدها) ٠

الرستمية (٥٧) ، وبعد أن وصـــل الى سجلماسة أحسن أميرها اليسع بن مدرار اليه (٥٨) ، ثم ما لبث أن قبض عليه وعلى من معه (٥٩) ، بعـــد أن استراب فى أمره (٦٠) • لذلك ما أن قضى أبو عبد الله الشـــيعى على دولة الأغالبة ، وأخرج عماله الى الولايـــات ، واستقرت الأمور فى افريقية حتى استخلف على رقادة أخاه أبا العباس ، وخرج الى سجلماسة لتخليص الامـــام الاسماعيلى من سجنه فى رمضان سنة ٢٩٦ هـ / مايو سنة ٩٠٩ م (٦١) ، وقد أراد أبو العباس أن ينفى عن القيروان كل من خالفهم فى المذهب ، فأبى عليه أبو عبد الله الشيعى ذلك ، وأمره أن يترك الناس على مذاهبهم (٦٢) ، ولا غرو فأبو عبد الله الشـــيعى كان رجـــل سياسة ودهاء ، وربمـــا خشى غضب أهل القيروان وثورتهم فى الوقت الذى كان شغله الشاغل تخليص الامام الاسماعيلى من سجنه بسجلماسة ، وكان خروج أبى عبد الله الشيعى الى سجلماسة فى جيوش عظيمة فاهتز المغرب لخروجه (٦٣) • وقصارى القول ان قبيلة زناتة وقفت موقفا سلبيا

---

(٥٧) أنظر • محمـــود اسـماعيل ، الخوارج ، ص ١٦٠ •

(٥٨) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ٣٦٣ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ٨٤ ، وكان مع عبيد الله فى رحلته الى سجلماسة بعض الكتاميين ، النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة ١٠٨ •

(٥٩) ابن عذارى ، البيان ، ص ١٥٢ ، وقد قبض أمير سجلماسة على الامام الاســـماعيلى وأودعه السجن سنة ٢٩٢ هـ ، اذ يذكر ابن عـــذارى فى أحداث هذه السنة أن أبا عبد الله الشيعى هـــزم جنـــد الأغالبة فكتب أبو عبد الله وهو يومئذ بسجلماسة يعلمه بالنصر ، ووجه اليه بمـــال كثير مع قوم من أهل كتامة سرا ، (البيان ، ١ ص ١٣٨ — ١٣٩) •

(٦٠) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٣١ •

(٦١) النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة ١٧٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٥٢ — ١٥٣ ، ابن ظافر ، أخبار ، ص ٧ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٥٥ •

(٦٢) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣١ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٥١ •

(٦٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ٣٦٤ ، وممـــا يبين أن أبا عبد الله الشـــيعى ترك الناس فى القيروان على مذاهبهم خشـــية الثورة أن اخاه ابا العباس ، الذى تركه على القـــيروان حين خرج هو الى سجلماسة لتخليص المهدى ، أمر بقتل اثنين من فقهـــاء أهل القيروان لانها طعنا فى مذهب الشيعـــة ، فأرســـل اليه أبو عبد الله يلومه =

من مقاومة الدعوة الاسماعيلية بافريقية رغم ما عرف من موقفها العدائى لهذه الدعوة ،وربما كان سبب ذلك أن زناتة البترية لم تكن تتصور أن دعوة أبى عبد الله الشيعى التى التفت حولها قبيلة كتامة البرنسية يمكن أن تلاقى هذا النجاح الذى ترتب عليه اقامة دولة شيعية بالمغرب ، وربما كان هذا الموقف السلبى من زناتة بسبب أن أبا عبد الله الشيعى وجنده من كتامة لم يحاولوا غزو مضارب زناتة بالمغرب الأوسط ، فلم تهتم بهم زناتة لأن خطر الدعوة لم يكن هددها بعد •

ومن ناحية أخرى ، لم تقف قبيلة زناتة البترية من أبى عبد الله الشيعى وأنصاره من البرانس موقفا سلبيا قبيل قيام دولة الفاطميين ، حيث بدا ذلك حينما انتهك أبو عبد الله الشيعى حرمة أراضيها ، وأرسل أربعة عشر رجلا من كتامة برسالة الى الامام الاسماعيلى عبيد الله وهو بسجلماسة (٦٤) ، فاجتاز الوفد الشيعى مضارب زناتة فى طريقه الى سجلماسة ، وعلم بذلك محمد بن خزر أمير مغراوة الزناتية وصاحب السلطة الفعلية فى تلك النواحى من افريقية وحتى تلمسان ، فارسل قوة من فرسان زناتة ، انتظروا الوفد الشيعى فى طريق عودته فى منطقة الزاب قرب مدينة طبنة ، وهاجم فرسان زناتة رجال كتامة وقتلوهم عن آخرهم بحثا عن الرسالة التى يحملونها من الامام الاسماعيلى الى داعيته أبى عبد الله ، ولكنهم لم يعثروا عليها ، وتحامل أحد رجال كتامة على نفسه وهو جريح وأوصل الرسالة الى عامل طبنة من قبل الداعى أبى عبد الله ، فترك العامل ولايته وأسرع الى لقاء أبى عبد الله الذى كان فى باغاية وقتذاك ، فحمد الداعى ربه على أن زناتة لم تطلع على الرسالة ، وعزم على الرجوع لتأديبها والانتقام من زعيمها محمد بن خزر الزناتى، الا أن أصحابه رأوا ضرورة الاستمرار فى خطتهم ومواصلة حربهم مع

= ويعنفه على فعلته ، وكتب له « قد افسدت علينا من أمر البلد واهله ما كانت بنا حاجة الى اصلاحه » ، (ابن عذارى البيان ، ١ ص ١٥٥) •

(٦٤) وكان هذا الوفد من كتامة يحمل الى الامام الاسماعيلى عبيد الله بشرى انتصارات أبى عبد الله الشيعى ، وما غنمه من الاموال والغنائم كما حمل اليه بعض هذه الاموال ، فكان ذلك أول فتح قدم على عبيد الله، (النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة ١١٤) •

الأغلبية ، وأن يؤجلوا حساب زناتة الى حين قائلين « أن أمر زناتة لا يفوتنا » (٦٥) ٠

لذلك ما أن سمعت قبيلة زناتة بخروج الشيعى من القيروان متجها الى سجلماسة فى جيش كبير العدد مكتمل العدة والعتاد (٦٦) ، حتى هربت من طريقه خشية انتقامه الذى توعدها به (٦٧) ، لما قدمته من سوء وما أعلنته من عداء للدعوة الشيعية بالمغرب ، وليس هناك من شك فى أن قيام الدولة الفاطمية بافريقية سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م ، قد هز المغرب كله ، ولا سيما قبيلة زناتة التى عادت الدعوة الاسماعيلية ، فخافت أبا عبد الله الشيعى وجيشه « وزالت عن طريقه » كما ذكرت غالبية المؤرخين (٦٨) ، فعرج الشيعى على مدينة تاهرت عاصمة ملك الرستميين ، واحدى قواعد قبيلة زناتة (٦٩) ، فدخلها بالأمان فى شوال سنة ٢٩٦هـ/ يونيه ٩٠٩ م (٧٠) ، ولكنه غدر بأميرها وأهل بيت الامامة من الرستميين وبعث برءوسهم الى رقادة فنصبت على بابها (٧١) ، وأحرق كتبهم وديوان تاهرت (٧٢) ، وولى عليها أبا حميد دواس بن صولات اللهيصى أحد المخلصين لدعوتهم (٧٣) ٠

---

(٦٥) النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقات ١٤٣ — ١٤٤ ٠

(٦٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٥٢ ٠

(٦٧) النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة ١٧٣ ، ويدعى النعمان أن محمد ابن خزر أمير زناتة كلها وقبائل البربر بأسرها قدم على أبى عبد الله الشيعى يطلب الامان ، فامنه بعد أن استحلفه أن لا يفتك ولا يغدر ولا يتعدى على أحد من كتامة فى حياته ولا بعد وفاته ثم أطلق سبيله ، (نفس المصدر والورقة) ٠

(٦٨) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٧ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ٣٦٤ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ٨٩ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٥٥ ، أنظر ٠ رزق الله منقريوس ، دولة الاسلام ، ١ ص ٣١٧ — ٣١٨ ٠

(٦٩) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٤٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٧٤ ٠

(٧٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٥٣ ، ١٩٧ ، أنظر ٠
Ency. of Isl: (Art: Tahret); led; t 4; P. 610.

(٧١) نفسه ، ص ١٥٣ ٠

(٧٢) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٢ ٠

(٧٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٧ ٠

واصل أبو عبد الله الشيعى تقدمه حتى وصل الى مدينة سجلماسة التى كان حولها سور من حجارة له اثنا عشر بابا من حديد (٧٤) ، فضرب حولها الحصار ، وأرسل الى أميرها اليسع بن مدرار يطلب منه اطلاق سراح عبيد الله ومن معه ، ويعده بالتخلى عن المدينة اذا ما أجاب مطالبه ، فقتل اليسع رسل أبى عبد الله ، ولم يجب المطالب (٧٥) ، ومع ذلك لا طفه أبو عبد الله خوفا على الامام الاسماعيلى (٧٦) ، ولكنه وجد عدم جدوى الملاينة فشرع فى القتال ، وقد اشتهر الشيعى ببراعته فى القيادة وادارة المعارك وفى عمليات الحصار حتى لقب بالمحاصر (٧٧)، واستمرت المعارك بين الطرفين حتى حال الليل من مواصلة القتال ، فعاد الشيعى الى معسكره خارج المدينة ، وقضى هو ومن معه الليل فى هم وحزن ، لأنهم لا يعلمون ما صنع بعبيد الله امامهم (٧٨) ، أما اليسع بن مدرار فقد هرب تاركا المدينة تحت جنح الليل ، وعرف الشيعى خبر هروبه مع طلوع النهار ، فدخل المدينة هو وأصحابه فى ذى الحجة سنة ٢٩٦ هـ/ أغسطس سنة ٩٠٩ م (٧٩) ، واستباحها لجنده ، وأخرج عبيد الله وابنه من حبسهما ، ثم أضرم النار فى المدينة ، فأتت على تراث الصفرية عن آخره (٨٠) .

لم يكن أبو عبد الله الشيعى قد رأى الأمام الأسماعيلى من قبل ، وكان الامام قد أرسل الى الشيعى أحد أتباعه بعد أن تم له الاستيلاء على القيروان ، حتى يعرف الشيعى بالامام الاسماعيلى (٨١) ، وقدم

(٧٤) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٨ .
(٧٥) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ٣٦٤ ، أنظر .
Ivanov. The Rise, P. 210
(٧٦) النعمان ، افتتاح الدعوة ، المنشورة فى ملاحق كتاب Ivanov ص ٤٥ .
(٧٧) أنظر . محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٦٥ .
(٧٨) المقريزى ، اتعاظ ، ص ٩٠ ، أنظر . حسن ابراهيم ، عبيد الله المهدى ، ص ١٢١ .
(٧٩) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ١٤٥ ، ابن ظافر ، أخبار، ص ١٢ ، الدوادارى ، كنز ، ٦ ص ١٠٨ .
(٨٠) أنظر . محمود اسماعيل ، الحركات السرية ، ص ٣٠ .
(٨١) اليمانى ، سيرة جعفر ، ص ١٢٥ .

الامام ومعه ابنه الى معسكر أبى عبد الله ، فقـدم لهما فرسين ، ركبا عليهما وحفت بهما العساكر ، ومشى أبو عبد الله ومعه الدعـاة بين يـدى الامام الاسماعيلى معلنا لمن معه أن « هذا مولاى ، ومولاكم الذى كنتم تنتظرون » ، فاجتمع اليه الناس وعقدوا البيعة للامام (٨٢) ، وطلب الامام الاسماعيلى القبض على اليسع بن مدرار (٨٣) ، فأرسل أبو عبد اللـه الخيل فى أثـر اليسع ، وقبضوا عليه ، وعذب ثم قتل (٨٤) • وخرج الامام الاسماعيلى عبيد الله الى افريقية ، وما أن وصل الى ايكجان فى طريقه حتى أمر دعاته باحضار الأموال التى كانت مع داعيته أبى عبد الله والشيوخ « وشدها أحمالا » (٨٥) ، ودخل الامام الاسماعيلى مدينة رقادة فى العشر الاخيرة من ربيع الآخر سنة ٢٩٧ هـ / يناير سنة ٩١٠ م (٨٦) ، ثم بويع بالخلافة ، واتخذ لقب المهدى (٨٧)•ومن المرجح أن عبيد الله المهدى لم يتخذ لقب أمير المؤمنين حينذاك،اذ أن أول عمله ضربها المهدى سنة٢٩٧هـ/ ٩١٠ م خلت من لقب أمير المؤمنين (٨٨) • وبعد أن استقر المهدى فى

---

(٨٢) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٢٧٢ ، ويذكر السيوطى أن عبيد الله سلم عليه بالامامة ودعى اليه بالخلافة سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م ، (تـاريخ الخلفاء ، ص ٣٧٩) •

(٨٣) النعمان ، افتتـاح الدعوة ، المنشـورة فى ملاحق كتاب Ivanov ص ٤٦ •

(٨٤) ابن خلدون ، العبر ، ٣ ص ٣٦٤ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ٩١ •

(٨٥) النويرى ، نهـاية ، ٢٦ ورقة ٣٣ •

(٨٦) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٢٧٢ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٥ ، ابن غلبـون ، التذكار ، ص ١٨ ، الا أن الدوادارى يذكـر أن دخـول المهـدى افريقية لسـبع بقين من شـهر ربيع الاول سنة ٢٩٧ هـ / الحـادى عشر من ديسمبر سنة ٩٠٩ م ، (كنز ، ٦ ص ١٠٨) •

(٨٧) المغربى ، الجمـان ، ورقة ١٩٨ ، ولقب المهدى يعنى أن الشخص موجه من الله الى طريق الحق والصـواب ، (أنظر • الباشـا ، الالقـاب الاسلامية ، ص ٥١٤ ، ماجد ، ظهور ، ص ٨٨ — ٨٩) •

(٨٨) Lane-Poole, Catalogue of the Collection of Arabic Coins presented in the Khedivial Library of Cairo, P. 148.

وعن الاختلاف فى نسب الفاطميين ، الدوادارى ، كنز ، ٦ ص ٧ — ١٧ ، ابن تغر بردى النجوم ، ٤ ص ٧٦ — ٧٧ ، السـيوطى ، تاريخ الخلفا ، ص ٣٩١، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٥ ، ابن الأثير ، الكامـل ، ٨ ص ٩ ، اللباب =

عاصمته استعمل وجوه كتامة على أعمال افريقية ومدنها (٨٩) • والغالب على الظن أن ما وصلت اليه كتامة من السلطان بمساندة الفاطميين أثار حفيظة قبيلة زناتة التى لم تعرف الخضوع خاصة للبرانس ، فتحولت زناتة من السلبية فى مقاومة الدعوة الاسماعيلية بافريقية الى الايجابية فى العمل ، فأقلقت راحة الفاطميين بعيد قيام دولتهم بافريقية • وعلى أية حال ، فان قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب والقضاء على دولتى بنى رستم وبنى مدرار أفقد الخوارج مكانتهم فى مناوئة الخلافة السنية فى بغداد ، وواصل الشيعة ما بدأه الخوارج ، ولا غرو فان ظهور مذهب الشيعة أكبر ما تمتاز به الحركة الفكرية فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى (٩٠) •

عملت قبيلة زناتة فى سرعة لاسترداد مدينة تاهرت من أيدى الفاطميين قبل أن يعود أبو عبد الله الشيعى بجيشه من مدينة سجلماسة حتى يقطعوا الطريق عليهم فى انصرافهم الى افريقية (٩١) ، ورتب محمد بن خزر أمير مغراوة الزناتية وصاحب السلطة الفعلية على المغرب الأوسط لذلك ، بالاتفاق مع بعض من أهل تاهرت يعرفون ببنى دبوس على مساعدته فى اقتحام المدينة ، ثم خرج فى جموع زناتة اليها ، الا ان والى المدينة من قبل الفاطميين اكتشف أمر هذا الاتفاق ، وقبض على بنى دبوس وحبسهم ، فلم يمنع ذلك أمير مغراوة من المضى فى تحقيق هدفه ، وهاجم تاهرت واستولى على بعض أرباضها ، فهرب والى المدينة الفاطمى وتركها لمصيرها ولكن أهل المدينة دافعوا عنها ضد زناتة ، وأرسلوا الى واليها الهارب ليعود اليهم (٩٢) •

= ٣ ص ٢٤٥ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٢ — ٣٤ ، انظر •
Mamour. Polimies on the Origin of the
Fatimid Caliphs. PP. 115 — 117ç Invanov, op. cit, PP. 27 Sqq., P. 127.

(٨٩) النعمان ، افتتاح الدعوة ، ورقة ١٨٧ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٣ •

(٩٠) أنظر متز : الحضارة الاسلامية ، ١ ص ١٠١ •

(٩١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٥٥ •

(٩٢) نفس المصدر والصفحة •

بلغ الخبر بهجوم زناتة على مدينة تاهرت الى أبى عبد الله الشيعى، فخرج بكل جيشه يسعى اليها خوفا من سقوط المدينة فى يد زناتة • وعلم محمد بن خزر الزناتى بقدومه اليه ، وكان محمد بن خزر يقدر قوة الجيش الفاطمى ، ومغبة الدخول معه فى معركة ، فتراجع محمد بن خزر بمن معه من زناتة الى الصحراء (٩٣) ، اذ لم يكن باستطاعة زناتة الصمود امـــام قوات هذه الدولة الفتية بما تملك من أنصار وعتاد وموارد ، فى الوقت الذى تعتمد فيه زناتة على مواردهـــا المحدودة والتى لم تكن شـــيئا اذا قيست بموارد الدولة الفاطميـــة الناشئة (٩٤) • ورغم هذا التباين فى القوة والعدد والموارد لم تخضع زناتة أو تستسلم أو تكف عن مناوئة الفاطميين ، فما أن رحل أبو عبد الله الشيعى عن تاهرت الى افريقيـــة حتى عاد محمد بن خزر ومن معه من زناتة وضرب الحصار حـــول تاهرت من جديد ، فبعث اليه أبو عبد الله الشيعى جيشا كبيرا يقوده من عرف بشيخ المشايخ (٩٥) ، فاستطاع هذا الجيش هزيمة زناتة وقتـــل الكثير من رجالهـــا (٩٦) • وربما أوعز والى مدينة تاهرت الى الخليفة الفاطمى بالاستيلاء على مدينة وهران التى تبعد عن تلمسان قلب مضارب زناتة مسيرة ليلة واحدة (٩٧) ، حتى تكون لهم فى حربهم مع زناتة ، وبالفعل خرج الجيش الفاطمى اليها سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، وخربوا المدينة ، وأضرموها نارا ، فدخل أهلهـــا فى طاعة الفاطميين ، وأعاد

---

(٩٣) نفسه ، ص ١٥٦ ، ورغم ذلك يذكر ابن عذارى ان أهل مدينة تاهرت قتلوا محمد بن خزر قبل مجىء ابى عبد الله الشيعى لمساعدتهم ، (البيان ، ١ ص ١٥٥ ، س ٣ من اسفل) ، ويذكر الجيلالى ان والى مدينة تاهرت اسر محمد بن خزر ، (انظر ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٨٧) •

(٩٤) انظر • حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٧ •

(٩٥) ولم يمكننا معرفة شىء عنه اسما كان أم لقبا ، أو يعنى درجة من درجات الدعاة ، أو كبير زعماء كتامة ، وربما يعنى ذلك رتبة من رتب الدعاة ، اذ يذكر ابن خلدون أن عبيد الله أمر وهو فى طريقه من سجلماسة الى القيروان باحضار الاموال التى كانت مع الشيعى والشيوخ ، (العبر ، ٣ ص ٣٦٤) ، ويذكر ابن عذارى ان الدعاة الذين كانوا مع ابى عبد الله الشيعى هم الذين كانوا يأخذون الاموال من جباة الضرائب ، (البيان ، ١ ص ١٤١) •

(٩٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٠ •

(٩٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٤٣٦ •

دواس بن صولات والى مدينة تاهرت من قبل الفاطميين أهل مدينة وهران اليها سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م (٩٨) ، ثم دخلت قبيلة ازداجة البرنسية الضاربة حول المدينة فى طاعة الفاطميين ، وجدد دواس بن صولات مدينة وهران فعادت أحسن مما كانت عليه (٩٩) .

كان على الفاطميين اخضاع قبيلة زناتة حتى يسلس المغرب قياده لهم ، ولذلك قضوا السنوات الاولى من حكمهم فى صراع مرير مع قبيلة زناتة التى أبت الخضوع للفاطميين ، وكانت دائمة الثورة عليهم ، فخرج أبو عبد الله الشيعى على رأس جيش كبير الى المغرب الأوسط سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م ، ليخضع قبائل زناتة ، واستمر يحاربهم عدة شهور ، وتمكن من هزيمتهم ، وقتل من رجالهم ، واستولى على أموالهم ، وسبى الذرية ، وأحرق المدن بالنار ، وكان يكتب بانتصاراته الى المهدى الفاطمى ، فيعلنها على الناس ، ثم عاد الشيعى الى رقادة بعد أن نال من زناتة (١٠٠) ، وفى الوقت نفسه كان عروبة بن يوسف الكتامى على رأس جيش كبير لاخضاع افريقية (١٠١) ، فما أن عاد هذا الجيش حتى خرجت قبائل زناتة الضاربة حول طرابلس ومعهم بعض هوارة وحاصروا المدينة ، فارسل اليهم المهدى جيشا كبيرا يقوده أبو زاكى تمام بن معارك (١٠٢) ، فحارب زناتة وهوارة حتى فرق جموعهم ، وقتل الكثير من فرسانهم ، وبعث برؤس القتلى الى رقادة فنصبت بها (١٠٣).

---

(٩٨) البكرى ، المغرب ، ص ٧٠ .
(٩٩) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٤٤ — ١٤٥ .
(١٠٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٢ ، انظر . حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٨٤ .
(١٠١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥ .
(١٠٢) وهو احد زعماء قبيلة كتامة انضم الى الدعوة الشيعية بالمغرب مع وصول ابى عبد الله الشيعى اليه ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٣٥ — ١٣٦) ، وظل مخلصا للدعوة الاسماعيلية حتى انضم مع ابى عبد الله الشيعى فى التآمر على الخليفة الفاطمى المهدى ، فأرسله المهدى على قيادة الجيش الى طرابلس لابعاده عن العاصمة ، ثم كتب المهدى الى عامله على طرابلس بقتل أبى زاكى تمام فقتله ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٣ — ١٦٤) .
(١٠٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٣ .

وبعد أن استقامت بلاد افريقية لطاعة المهدى باشر شئون دولته بنفسه ، وكف يد ابى عبد الله وأخيه أبى العباس عنها ، فداخل الحسد أبا العباس ، وأخذ فى تغيير قلوب رجال الدولة ، وقدح فى المهدى فى مجالسه ، وكذلك فعل أبو عبد الله الشيعى ، وعرف المهدى بتآمرهما فبادر الى قتلهما فى جمادى الآخرة سنة ٢٩٨ هـ / فبراير سنة ٩١١م(١٠٤) فثارت فتنة بسبب قتلهما ولكن المهدى استطاع أن يسكن الفتنة .

انتهزت زناتة المغرب الأوسط التى كانت دائمة التمرد على الفاطميين فرصة انشغال المهدى الفاطمى بحركة التآمر عليه وثارت من جديد (١٠٥) ، فاعد المهدى جيشا كبيرا ، وارسله مع جماعة من قواده لمحاربة زناتة سنة ٢٩٩ هـ / (٩١١ — ٩١٢) م ، والتقى الجيش الفاطمى مع قبيلة زناتة فى موقعة دارت رحاها فى موضع يعرف باسم فلك مديك (١٠٦) ، وخسرت زناتة المعركة ، وقتل منها عدد كبير (١٠٧) ، ولكن هذه الهزيمة لم تمنع زناتة من مد يد العون الى مدينة تاهرت حين ثار أهلها (١٠٨) ، واخرجوا عاملها الفاطمى دواس بن صولات سنة ٢٩٩ هـ / (٩١١ — ٩١٢) ، واستدعوا محمد بن خزر أمير مغراوة الزناتية ، فخرج اليهم فى جموع زناتة ، وقتلوا حامية المدينة من الفاطميين ، وكانوا ألفا من الفرسان ، وأصبح محمد بن خزر أميرا على تاهرت ، وسلمه أهلها كل ما كان يملك واليها السابق من سلاح (١٠٩) ، ولكن أهل تاهرت انقلبوا على محمد بن خزر الزناتى عندما علموا بارسال المهدى جيشا كبيرا لا يحصى عددا لاسترداد تاهرت ، فترك محمد بن

---

(١٠٤) كتاب زهر المعانى ، ص ٦٨ — ٦٩ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ٩٣ — ٩٦ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٥٦ ، أنظر . Ivanov, op. cit., P. 53

(١٠٥) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ٣ ص ٥١ ، انظر ، رزق الله منقريوس ، دول الاسلام ، ١ ص ٣١٩ .

(١٠٦) لم نستطع تحديد موضعها ولم نجدها فى الكتب أو المعاجم الجغرافية التى أطلعنا عليها .

(١٠٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ٥١ .

(١٠٨) المقريزى ، اتعاظ ، ص ٥١ .

(١٠٩) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٥ .

خزر المدينة وعاد الى مضاربه ، ودخل الجيش الفاطمى مدينـــة تاهرت وأخضعها فى قسوة فى صفر سنة ٢٩٩ ﻫ / سبتمبر ٩١١م ، اذ قتلوا الرجال ، وسبوا النساء والذرية ، وانتهبوا الاموال ، وحرقوا المدينة بالنار ، وبلغ عدد القتلى ثمانية آلاف (١١٠) ، واختار المهدى واحـدا من اخلص قواده هو مصالة بن حبوس المكناسى لولاية تاهرت (١١١) •
والغالب على الظن أن المهدى اختار مصالة بن حبوس المكناسى لذلك ، لما له من قوة العصبية ، اذ أن قبيلة مكناسة التى ينتمى اليها كان لها وزنها وقوتها ، وبدافع العصبيـــة تقف قبيلة مكناســـة الى جانب مصالة ابن حبوس تحميه وتؤازره ضد هجمات زناتة ، وبخاصـــة أن العداء كان قائما بين محمد بن خزر زعيم زناتة ، وموسى بن أبى العـــافية زعيم مكناسة (١١٢) •

كانت القسوة التى اخضع بها جيش المهدى الفاطمى مدينة تاهرت ، وما خسرته زناتة المغرب الأوسط من فرسان فى معاركها مع الفاطميين سببا فى خلودها الى الهدوء حتى تستعيد أنفاسها وترتب قواتها من جديد ، فحملت بطون زناتة الضاربين حول طرابلس عبء التمرد على الفاطميين واقلاق راحتهم ، ربما تضامنا مع زناتة المغرب الأوسط فى عدائهم للفاطميين ، وأنفة من الخضوع لقبيلة كتامة البرنسية ، اذ كان والى مدينة طرابلس من قبيلة كتامة ، وبسط أيدى أبناء عمومته على الناس ، فثار أهل المدينة عليه سنة ٣٠٠ ﻫ / (٩١٢ — ٩١٣) م ، وهرب والى المدينة ، وأغلق أهلهـــا أبوابها ، وكان أحد أبواب مدينة طرابلس يعرف ببـــــاب زناتة (١١٣) ، وقتلوا من بها من كتامة ، واختاروا لهم واليا ، فاخـــرج اليهم الخليفة المهدى جيشا وأسطولا ، فحاربا أهل طرابلس شـــــهورا دون أن يتمكنا من اخضاعهم ، لذلك أرسل المهدى جيشا آخر يقـــوده ولى عهده أبو القاســـم فى جمادى الأولى من نفس السنة / ديسمبر ٩١٢ م • فحارب أبو القاســـم ولى العهد القبائل البربرية الضاربة حول طرابلس

---

(١١٠) نفسه ، ص ١٦٦ ، أنظر • Julien, op. cit., P. 56

(١١١) نفسه ، ص ١٩٧ •

(١١٢) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٧ •

(١١٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٦ ص ٩٨ •

من زناتة وغيرها حتى أخضعهم ، ثم تقدم الى مدينة طرابلس وحاصرها حتى أكل أهلها الميتة وطلبوا الأمان ، فأمنهم أبو القاسم ودخل المدينة ، وقبض على واليها وقتله (١١٤) ، وفرض على أهلها غرامة مقدارهـــا ثلاثمائة ألف واربعين ألف دينار (١١٥) .

أقلقت قبيلة زناتة راحة الفاطميين ،فما أن ينتهوا من حرب معها فى المغرب الأوسط حتى تتمرد بطونها فى افريقية ، فكانت السنوات الأولى من خلافتهم حربا مستمرة مـــع زناتة ، ولم يتمكنوا من اخضاع المغرب بسبب عداء زناتة لهم (١١٦) ، فما ان كانت الجيوش الفاطمية تعـــود الى القيروان حتى تعود قبائل زناتة المغرب الأوسط الى تمردهـــا واستقلالها (١١٧) ، ولذلك لم يصف المغرب لهم أو يسلس قياده (١١٨) ، فكان على المهدى أن يبحث عن مكان حصين يحتمى فيه اذا ما تغيرت عليه نفوس رعاياه ، لأن مدينة رقادة كانت تقع فى سهل فسيح لا يفى بالأغراض الدفاعية اللازمة (١١٩) ، وخرج بنفســـه يرتاد موضعـــا ليتخذ فيه عاصمة جديدة تحميه من غدر البربر وثوراتهم ، اذ كان لا يثق فيهم ، فلم يجد المهدى الفاطمى موضعا أحسن ولا أحصن من الموقع الذى بنيت فيه المهدية (١٢٠) ، فهو عبارة عن جزيرة متصلة بالبر على هيئة كف متصلة بزند ، وقد ابتدأ المهدى فى بنـــاء عاصمته الجديدة التى سميت المهدية يوم السبت لخمس خلون من ذى الحجة سنة ٣٠٣ هـ / الحادى عشر من

---

(١١٤) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٨ — ١٦٩ ، الانصارى ، المنهل ، ص ٩٧ .

(١١٥) ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص ٥٦ .

(١١٦) انظر . Abun-Nasr, op. cit., P. 82.

(١١٧) أنظر . بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢٠ .

(١١٨) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٤٥ ، انظر . ماجد ، ظهور ، ص ٩٤ .

(١١٩) عنها ، انظر . ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٢٦٧ .

(١٢٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٣٢ — ٣٣ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ١٩٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٢٠٥ — ٢٠٨ .

(١٢٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٣٢ — ٣٣ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ١٩٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٢٠٥ — ٢٠٨ .

يونيه سنة ٩١٦ م (١٢١) ، وموقعها على بعد مرحلتين من القيروان (١٢٢)، أو ستين ميلا (١٢٣) .

كان الموضع الذى اختاره المهدى لبناء عاصمته الجديدة ذا حصانة طبيعية ، ولكنه عمل على زيادة تحصينها ، فجعل لهـــا سورا محكما عرضه ممشى ستة أفراس فى صف واحد (١٢٤) ، وأبوابا ضخمة زنة كل مصراع مائة قنطار (١٢٥) ، وأمـــر بحفر مرسى للمدينة فى حجر صلد ليكون حصنا لمراكبة ، وكان المرسى يسع ثلاثين مركبا (١٢٦) ، وكان على فم المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد ، فاذا أريد ادخال سفينة فى المرسى أرسل حراس أحد البرجين أحد طرفى السلسلة ، ثم تعاد السلسلة كما كانت حتى لا تدخل المرسى مراكب معادية (١٢٧) ، كما أمـــر بنقر دار صناعة فى الجبل تسع مائة شينى (١٢٨) ، وعليها باب مغلق ، فيدخل الشينى وعليه مقاتلته الى داخل دار الصناعة فلا يقدر أحـــد ممن فى البر على منعه (١٢٩) ، وأمر بنقـــر أهراء للطعـــام فى أرض

---

(١٢١) ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ١٩٢ ، ابو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ١٦٨ ، الدواداری ، كنز ، ٦ ص ١٠٨ ، انظر . Marçais, L'Art de L'Islamic, P. 68, Hill, Islamic Architecture in North Africa, PP. 102 — 103.

والموقع الذى اختير لبناء المهدية عليه عبارة عن شبه جزيرة طولها لا يزيـد عن ميل ، وعرضها اقل من خمسمائة ياردة ، ويقع بين مدينتى سوسه وسفاقس ، انظر . Ency, of Isl. (Art Al-Mahdiya), led, t 3, P. 121 ، الا أن الاندلسى يذكر أن الخليفـة المهدى خرج للبحث عن مكان لعاصمته سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ (الحلـل السندسية ، ١ ص ٤٥٦) .

(١٢٢) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٣ .

(١٢٣) البكرى ، المغرب ، ص ٢٩ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٧ .

(١٢٤) المراكشى ، المعجب ، ص ٢٢٩ .

(١٢٥) التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٢ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٠١ ، أنظر . Marçais, L'Architecture Musulmane, P. 90 وعن طريقه عمل ابـواب المهدية وكيف أمكن وزنها ، (الاندلسى ، الحلل السندسية ، ١ ص ٤٥٧ — ٤٥٨) .

(١٢٦) البكرى ، المغرب ، ص ٣٠ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٨ .

(١٢٧) نفس المصدر والصفحة ،التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٢ ، أنظر . Marçais, l'Architecture Musulmane, P. 91.

(١٢٨) عنه ،انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٢٢٢ .

(١٢٩) المراكشى ، العجب ، ص ٢٢٩ .

المهدية (١٣٠) ، وكان بها ثلاثمائة وستون ماجلا (١٣١) لماء المطر ، سوى ما كان يجرى اليها من القناة التى أوصلها المهدى الى عاصمته من قرية قشايش القريبة منها (١٣٢) .

انتهى المهدى من بناء عاصمته الجديدة ، وانتقل اليها فى شوال سنة ٣٠٨ هـ / فبراير سنة ٩٢١ م (١٣٣) ، والغالب على الظن أن المهدى قام ببناء عاصمته الجديدة بهذه الحصانة لتحميه من ثورات البربر ، وبخاصة أنه لم يكن يثق فيهم (١٣٤) . فقد قضى المهدى سبع سنوات بافريقية قبل ان يشرع فى بناء المهدية ، بذل فيها كل جهده لاخضاع المغرب ، ولكن قبائل زناتة وهى من أكبر وأقوى القبائل البربرية لم تسلس قيادها له ، وأقلقت راحته ، فكانت تنتهز أية فرصة للتمرد عليه ، ولم يستطع اخضاعها بالقوة ، اذ كانت زناتة اذا أيقنت الهزيمة أمام الفاطميين تنسحب الى الصحراء ، ثم تعود من جديد لتهاجم المدن التى اخضعها الفاطميون ، وتعلن التمرد والاستقلال (١٣٥) ، وقبيلة كتامة التى ساندت الدعوة الاسماعيلية بالمغرب ، وقامت الخلافة الفاطمية على أكتاف رجالها لا تفتأ تثور بين حين وآخر (١٣٦) ، لذا لم يكن المهدى يثق فى البربر بكل قبائلهم ، ودليلنا على ذلك بناء المهدى لمدينة زويلة بالقرب من

---

(١٣٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٣٣ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٠٢ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ١٩٧ .

(١٣١) والماجل وجمعه مآجل وليس مواجل ، وهو مجتمع الماء ، (انظر . ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٥٩) ، وربما كانت خزانات مكشوفة لجمع ماء المطر .

(١٣٢) مجهول ، الاشبصار ، ص ١١٧ ، وأقام الخليفة المهدى مسجدا فى عاصمته ، عنه أنظر ،
Marçais, L'Architecture Musulmane, PP. 69 — 70.
كما أنشأ فيها قصورا ، عنها انظر . Marçais, Op. Cit., PP.. 78 Sqq.

(١٣٣) ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ١٩٢ ، ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٢٧٢ .

(١٣٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٣٢ — ٣٣ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ١٩٦ .

(١٣٥) انظر . بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢٠ .

(١٣٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٦٠ .

مدينة المهدية (١٣٧) ، لتكون سكنا للعامة من الرعية من قبيلة كتامة وغيرهم من أتباعه ، أما هو وأهله وحشمه وأعيان جنوده ووجوه قواده فسكنوا المهدية (١٣٨) ، فكانت أموال الرعية وتجارتهم بالمهدية ، وفى زويلة سكناهم ، وكانوا يدخلون المهدية بالنهار للمعيشة ، ويخرجون بالليل الى أهاليهم فى زويلة ، وعندما قيل للمهدى ان رعيتك فى عناء من جراء ذلك ، فكان رده مؤكدا عدم ثقته فى البربر اذ قال ، « ولكن أنا فى راحة ، لأنى بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم ، وبالنهار أفرق بينهم وبين أهاليهم ، فآمن غائلتهم بالليل والنهار » (١٣٩) ٠

وربما أوحت اليه المجاعة الكبيرة التى حلت بافريقية والمغرب والأندلس (١٤٠) ، فى نفس السنة التى شرع فيها فى بناء المهدية ، بنقر أهراء الطعام ومآجل الماء لتكون لظروف القحط أو مجاعة مشابهة ، وقصارى القول ، أن المهدى أقام عاصمته الجديدة غاية فى المناعة ، اذ كان بنيانها محكما ووثيقا ، ولا يمكن الوصول اليها من البر الا عن طريق باب واحد ، أما من أراد دخولها عن طريق البحر فيكون تحت رحمة من فيها (١٤١) ، فكانت المهدية حصنا منيعا وقاعدة حربية ، وبعيدة كل البعد عن عوامل الترف والابهة (١٤٢) ، خوفا من قبائل البربر وبخاصة قبيلة زناتة التى أعلنت عدائها للفاطميين واضحا سافرا منذ بداية دعوتهم بالمغرب ، فأقلقت راحتهم بعد قيام دولتهم به ، ويؤكد ذلك قول ابن الخطيب فى سبب بناء المهدية ، بأن « المهدى عمل حساب تقلب الزمان ، وتعاقب الخوف فيه والأمان ، فشرع فى بناء المهدية واتخذها قاعدة للشدة ، واستكثر

---

(١٣٧) عن زويلة ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٤١٨ — ٤١٩ ،
Ercy, of Isl. (Art Al-Mahdiya), led, t 3, P. 121.

(١٣٨) المراكشى ، المعجب ، ص ٣٥٠ ٠

(١٣٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٤١٩ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٩٤ ، ٢٧٦ ٠

(١٤٠) ابن أبى زرع ، الأنيس ، ١ ص ١٤٨ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٧٤ ٠

(١٤١) المراكشى ، المعجب ، ص ٢٢٩ ٠

(١٤٢) أنظر ٠ العبادى ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠١ ،
Marçais, Le Berber Musulmane, PP. 134 — 135.

بها من العدة والخـــزين » (١٤٣) .

وفى الوقت الذى كان العمل مستمرا ، لاتمام العاصـــمة الجديدة ، كان المهدى الفاطمى يعمل على اخضاع قبائل زناتة بالمغرب الأوسط ، ويبدو أن المهدى كان يقـــدر لزناتة المغرب الاوسط قوتها وشدة مراسها وصعوبة اخضاعها ، فابتعد عن الاحتكاك المباشر بها ، ولم يعمل للاستيلاء على مدينة تلمسان وما حولها التى كانت تحت سلطان محمد بن خزر أمير مغراوة الزناتيـــة ، وانمـــا عمل على تطويقها حتى يسهل عليه اخضاعها . فمن قبل استولى الفاطميون على مدينة وهران (١٤٤) التى تبعد عن تلمسان قلب مضارب زناتة مسيرة ليلة واحدة (١٤٥) ، ثم كتب المهـــدى الى مصالة بن حبوس واليه على مدينة تاهرت بالاستيلاء على مدينـــة نكور (١٤٦) ، فخرج مصالة بن حبوس من تاهرت فى ذى الحجة سنة ٣٠٤ هـ / مايو سنة ٩١٧ م (١٤٧) ، وحارب أهل مدينة نكور ودخلهـــا بالحيلة فى المحرم سنة ٣٠٥ هـ / يونيه سنة ٩١٧ م ، وقتل أميرها وبعث برأسه الى القيروان فطيف بها هناك (١٤٨) ، وفر من نجا من الأسرة الحاكمة الى أمير الأندلس عبد الرحمن بن محمد ، وما أن خرج مصالة بن حبوس من مدينة نكور حتى عاد اليها أمراؤها الأول ، وأخرجوا الوالى الفاطمى منها وكتبوا بالفتح الى أمير الأندلس (١٤٩) .

---

(١٤٣) أعمال الأعلام ، ٣ ص ٥٠ ، أنظر .
Marçais, L'Architecture Musulmane P. 89.

(١٤٤) البكرى ، المغرب ، ص ٧٠ ، كان استيلاؤهم عليها سـنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، نفس المصدر والصفحة .

(١٤٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٤٣٦ .

(١٤٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٧٩ ، كانت مدينة نكور مركـزا لامارة مستقلة وكان يحكمهـا سعيد بن صالح حينما قامت الخلافة الفاطمية بافريقية ، وسعيد هذا يرجع بنسبة الى صالح بن منصور الذى افتتح هـــذه المنطقة من شـمالى أفريقيـا فى فترة حكم الخليفـة الاموى الوليد بن الملك ، (البكرى ، المغرب ، ص ٩٠ — ٩٩) .

(١٤٧) البكرى ، المغرب ، ص ٩٥ .

(١٤٨) نفسه ص ٩٦ .

(١٤٩) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٨٠ .

خرج مصالة بن حبوس من مدينة نكور بعد أن أخضعها لطاعة الفاطميين وولى عليها الى مدينة فاس عاصمة الادارسة سنة ٣٠٥ هـ / (٩١٧ — ٩١٨) م (١٥٠) ، ليكمل حصار مضارب زناتة بالمغرب الأوسط ، فخرج أمير فاس يحيى بن ادريس ليدافع عن المدينة ، بيد أن مصالة بن حبوس المكناسى الذى انضمت اليه قبائل مكناسة بزعامة موسى بن أبى العافية استطاع أن يهزم يحيى بن ادريس ، فاسترضاه يحيى بالمال ، وكتب بالبيعة للخليفة الفاطمى ، وقبل أن يترك مصالة ابن حبوس مدينة فاس عائدا الى ولايته فى تاهرت قدم موسى بن أبى العافية زعيم قبيلة مكناسة على بلاد المغرب (١٥١) •

لم ترتح زناتة لخضوع الادارسة لطاعة الفاطميين ، ولتقدم موسى ابن أبى العافية زعيم مكناسه على بلاد المغرب ، فأعلنت التمرد من جديد ، وخرجت الى مدينة فاس تساند الأدارسة فى حرب مكناسة حتى استعادوا سلطانهم على مدينة فاس من جديد سنة ٣٠٧ هـ / (٩١٩ — ٩٢٠) م ، وبعد أن أصبح لقبيلة زناتة السلطة على فاس ، أزالوا الخطبة من جامع الشرفاء لصغره ، وأقيمت بجامع القرويين لاتساعه وكبره (١٥٢) • ولم تستمر سلطة زناتة والادارسة على مدينة فاس طويلا ، اذ جهز المهدى الفاطمى جيشا بقيادة مصالة بن حبوس المكناسى لاسترداد فاس ثانية من أيدى الادارسة وزناتة ، ودخل مصالة مدينة فاس بمساعدة قبائل مكناسة سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م ، وقبض على يحيى بن ادريس وعذبه

---

(١٥٠) ابن ابى زرع ، الأنيس ، ١ ص ١١٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٣٤ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٦٦ ، الا أن أبا الفدا يذكر أن غزوة مصالة بن حبوس على المغرب كانت سنة ٣٠٧ ، (المختصر ، ٢ ص ٧٠)، ويذكر المغربى ان دخول مصاله بن حبوس مدينة فاس كان سنة ٣٣٠ هـ ، (الجمان ، ورقة ٢٠٧ ظهر) ، وعن مدينة فاس ، أنظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٣٢٩ — ٣٣١ •

(١٥١) ابن أبى زرع ، الأنيس ، ١ ص ١١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥ •

(١٥٢) الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٣٥ ، مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٧٠ •

واستولى على أمواله ، ونفاه الى مدينة أصيلا (١٥٣) ، التى لم تكن خضعت لسلطة الفاطميين بعد (١٥٤) ثم عاد مصالة بن حبوس الى افريقية بعد أن ولى على مدينة فاس ريحان المكناسى احد ابناء عصبيته (١٥٥) •

أحاط عبيد الله المهدى مضارب زناتة بأنصاره بعد أن استولى على مدينة هران ، وانضمت قبائل ازداجة الى الدعوة الفاطمية ، واستولى على مدينة فاس وانضمت قبائل مكناسة وزعيمها موسى بن أبى العافية لطاعته ، واعتقد أن فى استطاعته غزو مضارب زناتة بالمغرب الأوسط واخضاعها ، فجمع الخليفة المهدى الفاطمى جيشا عظيما ، وقدم عليه مصالة بن حبوس المكناسى واليه على مدينة تاهرت ، وأرسله لغزو مضارب زناتة بالمغرب الأوسط ، واخضاع أميرهامحمد بن خزر سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م • وتقدم مصالة بن حبوس فى ديار زناتة يقتل ويسبى ، وبث سرايا الخيل فى النواحى الخاضعة لسلطان محمد بن جزر أمير مغراوة الزناتية ، والتى كان بها وجوه رجاله وأكثر فرسانه ، وبلغ محمد بن خزر ما فعله مصالة بن حبوس فى ديار قومه ، فقصد اليه ، ودارت المعارك بين الفريقين حتى قتل مصالة بن حبوس المكناسى ، فانهزم أصحابه لعشر بقين من شعبان سنة ٣١٢ هـ / عشرون من نوفمبر سنة ٩٢٤م (١٥٦) •

اختار المهدى أخا لمصالة يدعى يصل بن حبوس ليكون واليه على مدينة تاهرت ، لاهمية تاهرت بالنسبة للفاطميين فى صراعهم مع زناتة ، اذ أنها من أهم مدن المغرب الأوسط ، وتقع بين مضارب زناتة (١٥٧) ،

---

(١٥٣) ابن أبى زرع ، الأنيس ، ١ ص ١١٧ – ١١٨ ، عنها ، انظر • ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٧٩ •

(١٥٤) الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٤ •

(١٥٥) ابن أبى زرع ، الأنيس ، ١ ص ١١٨ •

(١٥٦) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٨٩ ، ١٩٧ ، انظر • سرور ، سياسة الفاطميين ، ص ٢١٩ : الا أن ابن خلدون يذكر أن مقتل مصالة بن حبوس كان سنة ٣٠٩ ، العبر ، ٧ ص ٢٥ •

(١٥٧) انظر • حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٨٥ ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٦٠ •

وحتى يعمل يصل بن حبوس المكناسى على تجميـــع قبائل مكناسة للأخذ بثار زعيمها من قبيلة زناتة (١٥٨) ، فيتمكن الفاطميون من النيل من زناتة بمســاعدة مكناسة ، وخرجت جموع مكناسة يقودهم موسى بن أبى العافية ومعه والى تاهرت ووالى فاس فى الجيش الفاطمى لمحاربة زناتة والادارسة ، فاستولى موسى بن أبى العافيــة على امارات الادارسة حتى اتصلت أملاكه بأملاك محمد بن خزر زعيم زناتة بالمغرب الأوسط (١٥٩) ٠

كانت مدينة تاهرت قاعدة لقبيلة زناتة (١٦٠) ، وكان الزعيم الزناتى محمد بن خزر يدرك أهمية تاهرت فى صراعه مع الفاطميين ، ولذلك لــم يكف عن المحاولة للاستيلاء عليها من أيدى الفاطميين ، وزحف اليهـــا مع قومه من زناتة فى سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م ، وحاصر المدينة حينما امتنعت عليه ، فارســل المهدى الفاطمى جيشــا يقوده أحد زعماء كتامة ومعه جماعة من القواد ، فما أن وصل الجيش الفاطمى الى مدينة طبنة حتى انسحب محمد بن خزر أمير زناتة الى الصحراء تاركا تاهرت ، وابقى أخاه عبد الله مع وجوه فرسانه فى وادى مطماطة (١٦١) ٠ والغالب على الظن أن محمد بن خزر أراد استدراج الجيش الفاطمى الى الصحراء ، أو ايقاعه بين قواته وقوات أخيه عبد الله ، فقـــد استخدمت زناتة الكمين فى الكثير من حروبها ، كما أن طريقتهم فى القتال تعتمد أساسا على خفـــة الحركة وسرعة الكر والفر (١٦٢) ، الا أن الجيش الفاطمى لــم يطارد

---

(١٥٨) اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٧١ ٠

(١٥٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥ ، الا ان ابن أبى زرع يذكر أن موسى ابن أبى العافية استولى على مدينة تلمسان ، (الأنيس ، ١ ض ١٢٤) ، ولكن ذلك بعيد التصديق ، اذ لم يذكـر ذلك غيره ، كما انه من المعروف أن مدينـــة تلمسان ظلت تحت سلطان زناتة منذ تأسيسها قبل الفتح الاسلامى لبــلاد المغرب وحتى سنة ٣٦١ هـ ، أى بعد أن شرد بلكين بن زيرى زعيم صنهاجة قبائل زناتة من المغرب الأوسط ، انظر بعده ٠

(١٦٠) ابن ابى زرع ، الأنيس ، ١ ص ١٤٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٧٤ ٠

(١٦١) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩١ ٠

(١٦٢) انظر ٠ العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧ ، محمد المنونى ، نظم الدولة المرينية ، ص ٢١٨ ٠

محمد بن خزر ، والتقى مع جيش أخيه عبد الله ، ودارت معركة بينهما كان النصر فيهـا حليف ابن خزر وقومه من زناتة ، فارسل المهـدى جيشا آخر بقيادة اسحاق بن خليفة ، ولكن قبائل لماية التى تقطن منطقة الزاب أعلنت التمرد على الفاطميين ، وطلبوا من محمد بن خزر الزناتى الامدادات فولى عليهم أخاه عبد الله (١٦٣) • لم يتقدم الجيش الفاطمى الـذى يقوده اسحاق بن خليفة لمحاربة زناتة بعد انضمام قبائل لماية اليها ، وأرسل قادة الجيش الى المهدى ليمدهم ، فبعث اليهم بجيوش كثيرة ، ودارت معارك عـديدة بين زناتة يقودها محمـد بن خزر وبين جيوش الفاطميين (١٦٤) ، فكان الظفر فى النهاية لقبيلة زناتة وزعيمها ، وقتل كثير من عسكر كتامة ، فكان وقع ذلك على المهدى عظيما (١٦٥) ، اذ أن كتامة كانت عصب الدولة الفاطمية ، كما أن منطقـة الزاب خرجت من سلطانه ، وأصبحت تحت سيطرة قبيلة زناتة المعادية لدولتهم •

كان استيلاء زناتة على منطقة الزاب من أيدى الفاطميين ليس بالحدث الهين الذى يتجاوز عنه الخليفة المهدى ، لأن منطقة الزاب جـزء من املاك الخلافة الفاطمية ، كما كان لهذه المنطقة أهميتهـا الاقتصادية ، لكونها معبرا للتجـارة مـع بـلاد السودان فضلا عن أهميتهـا العسـكرية فى صراعهم مع قبيلة زناتة ، كما كان على المهدى الأخـذ بثأر قتلى كتامة من زناتة • لذلـك أعد المهدى الفاطمى جيشا كبيرا وجعل قيادته لابنه وولى عهده أبى القاسـم ، وخرج الجيش الفاطمى لمحاربة محمد بن خـزر ومن معه من زناتة ، واستعادة منطقة الزاب فى صـفر سنة ٣١٥ هـ / ابريل سنة ٩٢٧ م (١٦٦) ، وعرج أبو القاسم على مضارب كتامة لينضموا الى جيشه ، وتقدم الى مواطن بنى برزال الزناتيين فى منطقة الزاب ، وحاربهم حتى أخضعهم (١٦٧) ، وواصل الجيش الفاطمى

---

(١٦٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩١ •

(١٦٤) نفس المصدر والصفحة •

(١٦٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٦٠ ، ابن ظافـر ، أخبار ، ص ١١ ، ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ١٢ •

(١٦٦) العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ٣٠٦ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٠٤ ، ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ١٧ ، الا أن ابن خلدون ، يذكر أن خروج أبى القاسـم الى المغرب كان سنة ٣١٠ هـ ، (العبر ، ٤ ص ٨٢) •

(١٦٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩١ •

اخضاع منطقة الزاب حتى وصل الى ماوراء مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط (١٦٨) ، ووصل الى مدينة تامغيلت وهى مضارب بنى دمر الزناتيين (١٦٩) ، واقام بها شهرين مناظرا لمحمد بن خزر الذى انسحب بجيشه الى الصحراء (١٧٠) ، كما هى عادته دائما عندما يكون التفوق واضحا فى صالح الفاطميين ، ووجد أبو القاسم أن لا فائدة من الانتظار • ويبدو أنه لم يكن قادرا على المغامرة فى الصحراء لمطاردة زعيم زناتة ، فانصرف الى المهدية دون أن يلقى محمد بن خزر زعيم زناتة فى سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م (١٧١) •

رأى أبو القاسم ولى العهد أن قبيلة زناتة حتما ستعود سيرتها وتهاجم الأراضى الخاضعة للفاطميين بعد عودة الجيش الفاطمى الى العاصمة • وأنه لابد من انشاء مدينة فى منطقة الزاب لتكون حاجزا أمام هجمات زناتة ، وقاعدة للهجوم على قبائلها الضاربة حول مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط (١٧٢) ، ولذا اختط أبو القاسم وهو فى طريق عودته من مطاردة زناتة صفة مدينة وأسماها المحمدية وهى التى عرفت بالمسيلة (١٧٣) • وقد اختار أبو القاسم منطقة الزاب لبناء مدينته ، وأختار مضارب بنى برزال الزناتيين موقعا لها (١٧٤) ، لتسهل مراقبتهم، ولأهمية المنطقة الاستراتيجية (١٧٥) ، اذ تقع عند حد افريقية وتبعد عن مدينة تاهرت ثلاثة أيام (١٧٦) ، فتكون مدينة المسيلة سدا

---

(١٦٨) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٦ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٠٤ •

(١٦٩) البكري ، المغرب ، ص ١٤٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٠

(١٧٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٣ ، ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ١٢ •

(١٧١) نفس المصدر والصفحة •

(١٧٢) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٨ •

(١٧٣) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٠٥ ، عنها ، انظر • ياقوت ، معجم البلدان ٨ ص ٥٨ — ٥٩ •

(١٧٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٦٠ ، انظر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ، ١ ص ٢٨٥ هامش •

(١٧٥) أنظر • اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٥٩ •

(١٧٦) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٧ •

بين الفاطميين وزناتـــة ، وبذلك تكف عادية زناتة عن الزاب (١٧٧) ، حيث تعيش قبائل موالية للفاطميين ، واخذوا بمذهب الشيعة مثل عجيسة (١٧٨)، وكان على الخليفة الفاطمى حمايتهم من هجمات زناتة وغاراتها • ولأهمية الغرض الذى من أجله رأى أبو القاسم بناء المسيلة اختار احد المخلصين للدعــوة الفاطمية ، وهو على بن حمدون الأندلسى (١٧٩) ، ليتولى بناء المدينة ، ثم ولاه عليها (١٨٠) وأمره بأن يكثر من الطعام ويخزنه ويحتفظ به فى المدينة (١٨١) ، حتى تكون معــدة لظروف الحصار اذا ما أقدمت قبيلة زناتة على مهاجمتها • وقصارى القول ، ان زناتة كانت السبب المباشر وربما الوحيد فى بناء مدينة المسيلة بمنطقة الزاب ، كما أن المدينة أقيمت على أرض بنى برزال الزناتيين وفى وسط مضاربهم ليسهل مراقبتهم واخضاعهم اذا ما حاولوا التمرد والعصيان •

لم يثن بناء المسيلة فى منطقة الزاب محمــد بن خزر زعيم زناتة عن الهجوم على أراضى الفاطميين ، واستطاع الاستيلاء على منطقة الزاب كلها سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (١٨٢) ، الا أن صراعه مع الفاطميين على الحدود الشرقية لامارته شــغله عن الاهتمام بالجانب الغربى منها ومساندة الادارسة فى صراعهم مع قبيلة مكناسة ، فقد قاد موسى ابن أبى العافية أمير مكناسة قومه وحاصر مدينة نكور ، وتغلب عليها

---

(١٧٧) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٨ •

(١٧٨) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٦٧ ، وعجيسة احدى قبائــل البرانس التى انضمت الى الفاطميين •

(١٧٩) كان على بن حمدون من الاندلس فعرف بالاندلسى ، واتصل بعبيد الله وهو بالمشرق وبعثوه من طرابلس الى أبى عبيد الله الشيعى ، ولما استفحل ملكـــهم رقـوه الى الرتب ، واستعمله أبو القاسم ولى العهد على بنـــاء المسيلة ، (ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٨٢) •

(١٨٠) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧٢ ، ابن ظافـر ، اخبار ، ص ١١ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٦ •

(١٨١) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٦٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٨٢، المقريزى اتعاظ ، ص ١٠٥ ، ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ١٣ •

(١٨٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٥

وخربها سنة ٣١٧ ﻫ / ٩٢٩ م (١٨٣) ، ثم سار الى مدينة جراوة التى كانت تحت سلطان الحسن بن عيسى المعروف بابن أبى العيش عميد الادارسة ، وأستولى عليها ، وجال موسى بن أبى العافية بتلك النواحى حتى استولى على كل مدنها ، وهرب كل أمراء الادارسة منها ، وطرد موسى بن أبى العافية قواد بنى خزر الزناتيين وعمالهم من تلك النواحى، فأصبح ملكه من تاهرت حتى السوس الأقصى (١٨٤) • وعندما علم محمد بن خزر أمير زناتة بما حاق بأمراء الادارسة وعماله أرسل الى موسى بن أبى العافية بأن الادارسة فى حمايته وأنه يؤيد أميرهم ابن أبى العيش ، وعليه أن يترك له امارته ، فأنف موسى بن أبى العافية ، وهاجم محمد بن خزر أمير زناتة المغرب الأوسط على غرة وقتل بعض رجاله ، وانصرف الى مدينة جراوة سنة ٣٢٠ ﻫ / ٩٣٢ م (١٨٥) •

لم يظل موسى بن أبى العافية على عدائه لأمير زناتة المغرب الأوسط وولائه للفاطميين ، ولكنه نفض يده من طاعة الفاطميين ، وأعلن موالاته لخليفة قرطبة الأموى (١٨٦) بعد ما رأى ازدياد قوة زناتة ، وظهور

---

(١٨٣) البكرى ، المغرب ، ص ٩٧ •

(١٨٤) ابن أبى زرع الأنيس ، ١ ص ٢٢٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٤ ، ٢١٣ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٣٤ ــ ١٣٥ •

(١٨٥) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥ •

(١٨٦) وخليفة قرطبة هذا هو عبد الرحمن بن محمد الذى ولى عرش الامارة بالاندلس فى شهر ربيع الاول سنة ٣٠٠ ﻫ/اكتوبر سنة ٩١٢ م ، (ابن الفرضى تاريخ علماء ، ١ ص ٧ ، ابن الابار ، الحلة ، ١ ص ١٩٧) ، ثم اتخذ لقب أمير المؤمنين وتلقب بالقاب الخلافة ، واتخذ لقب الناصر ، (السيوطى ، تاريخ الخلفا ، ص ٣٩٢ ، انظر ، الباشا ، الالقاب الاسلامية ، ص ٥٢٥) ، فى مستهل ذى الحجة سنة ٣١٦ ﻫ / السادس عشر من يناير سنة ٩٢٩ م ، (ابن عذارى البيان ، ٢ ص ٢١٢) ، وبدات اطماعه فى الاستيلاء على شمالى أفريقيا من ايدى الفاطميين ، فكاتب أمراء القبائل البربرية فى المغربين الاوسط والاقصى بالانضمام اليه وموالاته ، وخلع طاعة الفاطميين فكان أمير زناتة المغرب الاوسط أول من انضم اليه ، (ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٤١) • الا أن أحد المشتشرقين يذكر أن الناصر الاموى هو الذى أرسل الى موسى بن أبى العافية واقنعه بالدخول فى طاعته ، (أنظر • Julien, Op. Cit, p. 58.

أمرها بالمغرب بعد مساندة خليفـــة قرطبة لها ضد الفاطميين (١٨٧) ، وانضمت قبيلة مكناســـة يتزعمها موسى بن أبى العافية الى قبائل زناتة فى مناوئة الفاطميين ، فخرج المغرب الأقصى كلية عن طاعتهم ، ولذا أعد المهدى الفاطمى جيشا قوامه عشرين ألفا ، وجعل قيادته لعامله عــلى تاهرت حميد بن يصل المكناسى ، وأرسله لاخضاع قبائــل المغرب الأقصى من مكناسة وزناتة ، واستعــادة مدينة فاس فى سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م (١٨٨) • والغالب على الظن أن اختيار الخليفة المهــدى لحميد ابن يصـــل المكناسى لقيادة هذا الجيش ترجع الى أنه من قبيلة مكناسة لعله يتمكن من استمالتها أو على الأقل استمالة بعضها بما له فيها من العصبية ، فيســـهل عليه اخضاع قبائل زناتة المغرب الاقصى واسترداد مدينة فاس • وبالفعل استطاع حميـــد بن يصـــل المكناسى استعادة مدينة فاس لطاعة الفاطميين ، وولى عليها حامد بن حمــدان الهمذانى ثم انصرف راجعا بجيشه الى افريقية (١٨٩) • ولم يشر أحد من المؤرخين الى أن القائد الفاطمى أخضع قبائل زناتة بالمغرب الأقصى فى غزوته هذه أو أنهـــا دخلت فى طاعة الفاطميين • ومن المرجح أن ســـــلطان الفاطميين على المغرب الأقصى لــم يتعد مدينة فاس آنذاك •

وقصارى القول ، ان قبيلة زناتة لم تتشـــيع ، بل عارضت التشيع ، ووقفت موقف العداء من قيـــام الخلافة الفاطميـــة ، كما أن الخليفة

---

(١٨٧) مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٧٠ ، الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٣٦ ،

(١٨٨) ابن أبى زرع ، الأنيس ، ١ ص ١٢٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٤٢ ، ٦ ص ١٣٥ •

(١٨٩) مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقة ٧٠ ، الجزنائى ، زهـرة الآس ، ص ٣٦ •

المهدى الفاطمى لــم يستطع استمالتها ، ولم ينجح فى تطويق مضاربها بالمغرب الأوسط تمهيدا للاستيلاء عليها ، واخضاعها لسلطانه ، اذ كــان بالمغرب الأوسط غالبيــة بطون زناتة وأقواها ، وقد وقفت هذه البطون الزناتية حجر عثرة أمام محاولة الفاطميين للاســتيلاء على المغــرب الأوسط والأقصى أيضــا •

الفصل الرابع

ثورة زناتة الكبرى عـلى الفاطميين

أسباب ثورة أبى يزيد ــ أبو يزيــد مخلد بن كيداد الزناتى ــ زناتيــة ثورة أبى يزيــد ــ مراحلها ــ نتائجهــا ٠

لا شــك أن قبيلة زناتة وقفت موقف المعارضة من قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب ، وأن عبيد الله المهدى مؤسس الخلافة الفاطمية بذل غاية جهــده لاخضاع قبيلة مغراوة ، أقوى البطون الزناتيــة فى المغرب الأوسط ، وعمل على تطويق مضاربها بأنصاره من البربر أتباع الفاطميين حتى يسهل عليه اخضاعها ، الا أن المنية وافته قبل أن يحقق هدفه ، فعمل أبو القاسم القائم بأمر الله ، الذى أتى فى الخلافة بعد عبيد الله المهدى ، على أن يسير على نسق أبيه ، ويكمل احاطة مضارب بطون زناتة بالمغرب الأوسط بمواقع موالية للفاطميين حتى يتمكن من القضاء عــلى معارضتهم ، وان نجح فى مهمته بالنسبة لبطون زناتة بالمغــرب الأوسط ، فان معارضة زناتة تبلورت فى ثورة عارمة ، قادتها بطون زناتة بافريقية ، وانضم اليها بعض القبائل البربرية الأخرى ، بسبب الاتجاه المذهبى للخليفة القائم بأمر الله ، وسياسته المالية الجائرة •

فقد عمل القائم بأمر الله على استمالة زيرى بن مناد زعيم قبيــلة صنهاجة بعد ظهور قبيلة صنهاجة كقوة لها وزنها تحت زعامة زيرى بن مناد ، وبدأت تغير على مضارب زناتة بالمغرب الأوسط ، وقامت الحروب بين القبيلتين (١) ، بحكم العــداء القبلى بين البتر ، وهم أهل البداوة وعلى رأسهم قبيلة زناتة ، والبرانس ، وهم أهل الزراعة والاستقرار ومنهم قبيلة صنهاجة • وربما يكون مرجع هذا العــداء الى الاختلاف فى الحياة الاجتماعية ، اذ أن البدو أهل ترحال ، ويقومون بالاغــارة على جيرانهم من أصحاب الزراعة والاستقرار ، لذا كان البدوى يرى فى

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٦٤ -

الحضرى فريسة لـه ، وكان الحضرى ينزل البدوى منزل الوحش غير المقدور عليه .

وبعد أن انضم الى زيرى بن مناد بطون صنهاجة وغيرهم من قبائل البرانس وكثر جمعه ، وأوقع ببطون زناتة بالمغرب الأوسط بعض الهزائم أراد أن يتخذ معسكرا ليكون مركزا لجموع قومه ، ومن انضم اليه من قبائل البرانس ، واختار موقعه فى جبال تترى Titteri ، وهو الذى عرف باسم مدينة آشير ، وبدأ فى بنائها حوالى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م (٢)، أمده الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله بمواد البناء والحديد ، والبنائين والصناع (٣) . والغالب على الظن أن الخليفة القائم بأمر الله كانت له يد فى اختيار موقع مدينة أشير التى سعد ببنائها (٤) ، لتكون حاجزا أمام هجمات زناته بالمغرب الأوسط على أراضى الفاطميين (٥) ، وليقوم زيرى بن مناد زعيم صنهاجة بحماية أهل تلك النواحى من رعايا الفاطميين من هجمات زناتة (٦) ، بل صارت مدينة آشير قاعدة هجوم للفاطميين على مضارب زناتة بالمغرب الأوسط (٧) . وخلاصة القول ، ان الخليفة القائم بأمر الله أول من استطاع من الفاطميين استمالة شخصية كبيرة من البرانس ، مثلما فعل أبو المهاجر دينار مع كسيلة زعيم قبيلة أوربة البرنسية أثناء الفتح الاسلامى لبلاد المغرب .وبانشاء مدينة أشير أصبحت مضارب زناتة بالمغرب الأوسط محاطة بأنصار الفاطميين من كل جانب ، بعد أن أخضع الفاطميون وهران ، وفاس ، وتاهرت ، وأقاموا المسيلة فى وسط مضارب زناتة بمنطقة الزاب ، وكانت كلها مراكز معادية للفاطميين منذ قيام دولتهم ، فكفت بطون زناتة بالمغرب الأوسط عن مناوئة الفاطميين الى حين ، اذ لم يستطع الفاطميون القضاء على قوتها

---

(٢) نفس المصدر والصفحة ، بيبرس ، زبدة ٦ ورقة ١٢٣ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٧ .

(٤) نفس المصادر والصفحات .

(٥) أنظر . Ency. of Isl. (Art Zirids), led, t 1, P. 1229.

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص. ٢٦٤ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٢٣ .

(٧) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٢ .

أو اخضاعها • أما بطون زناتة بافريقية فقد خضعت مرغمة لطاعة الفاطميين لقرب مضاربها من مركز الخلافة ، فكانوا فى متناول يد جيوشها، فظلوا على قوتهم محافظين ، ولم ينكل بهم الفاطميون •

وكان الاتجاه المذهبى للخليفة القائم بأمر الله سببا فى أن انضمت قبائل بربرية أخرى الى بطون زناتة فى ثورتهم على الفاطميين ، فلم يتبع القائم بأمر الله نهج سابقيه فى التسامح مع الرعية ، فبعد أن قضى الفاطميون على دولة الأغالبة ، أراد بعض المتحمسين للمذهب الاسماعيلى فرضه على رعايا الدولة الفاطمية (٨) ، فمنعه أبو عبد الله الشيعى ، الذى كان من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون (٩) ، اذ كان يرى أن الدولة الفاطمية « يجب أن تكون الحجة والبيان رائدها ، وليس القهر والاستطالة » (١٠) • ويبدو أن الخليفة عبيد الله المهدى عمل بنصيحة داعيته أبى عبد الله الشيعى ، اذ كف الدعاة عن طلب التشيع من العامة (١١) ، مما حدا بالمؤرخ السيوطى — وهو سنى المذهب — أن يصف المهدى بأنه « بسط العدل والاحسان فى الناس حتى انحرفوا اليه » (١٢) •

أما القائم بأمر الله فقد عمل على ارغام الناس على اعتناق المذهب الشيعى قسرا (١٣) ، وعذب وقتل معارضيه من أهل السنة (١٤) ، مما

---

(٨) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣١ •
(٩) المقريزى ، اتعاظ ، ص ٩٧ •
(١٠) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣١ •
(١١) المقريزى ، اتعاظ ، ص ٩٦ — ٩٧ •
(١٢) تاريخ الخلفاء ، ص ٣٧٩ •
(١٣) المغربى ، الجمان ، ورقة ١٩٨ ، السيوطى ، تاريخ الخلفا ، ص ٣٩١ ، انظر ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٤٧ ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٦٧ ، Osborn, Op. Cit., P. 234.
(١٤) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٦ ، انظر ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى ، ص ١٦٩ ، على الشابى ، نعيم اليافى ، محققا طبقات علماء افريقية ، ص ١٨ •

اضطر بعض علماء أهل السنة الى الهروب من القيروان بمذهبهم (١٥) •
وان كانت مصادر هذا الاضطهـــاد مصادر سنية ، فمما يجعلنا نثق فيها الى حدما ، أن هذه المصادر نفسها وصفت سلفه بالعدل والاحسان الى الناس ، كما وصفت خلفه المنصور بالله بالتســامح المذهبى ، وتقريب الفقهاء والصالحين من أهل السنة (١٦) ، وربما كانت طبيعة القائم بأمر الله العسكرية — اذ قاد الكثير من الجيوش الى مصر وافريقية والمغرب ، وحقق نجاحــا فى غزواته — سببا فى محاولته فرض المذهب الاسماعيلى بالقوة على رعاياه، أو أنه تحمس لنشر مذهبه ،أو لطبيعة المذهب الاسماعيلى نفسه ، اذ يرى أحد المستشرقين أن دعوة بمثل هذه الطبيعة المذهبية ، ما أن يكتمل سلطانها السياسى ، فان الخليفة لا يسمح لرعاياه بعــدم طاعته أو الانحراف عن مذهبه (١٧) ، وعلى كل حال ، فقــد شــارك الخليفــة القائم بأمر الله عماله وفقهــاء مذهبه من أمثال محمد بن عمر المروزى ، وعبد الله بن محمد الكاتب وغيرهما اضطهــاد أهل الســنة وعلمائها (١٨) ، ليتمكنوا من اغواء الرعية بالدخــول فى مذهبهم على حد تعبير المؤرخ السيوطى (١٩) ، ومع ذلك وقف فقهــاء المالكية يدا واحدة فى وجه انتشار المذهب الشيعى ، وصدوا الناس عن الدخول فيه (٢٠) ، ثم انضموا الى الزعيم الزناتى فى ثورته على الفاطميين (٢١) •

---

(١٥) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢١ ، ٢٥ ، انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٩٧ •

(١٦) أنظر ، بعــده •

(١٧) أنظر ، Vatikictis, The Fatimid Theory of State, p. 177.

كما يرى متز أن مذهب الشيعة يحمل بين ثناياه الكثير من الافكار الشرقية القديمة ،ويجعلها مكان بعض الافكار الاسلامية ، (انظر ، الحضارة الاسلامية ، ١ ص ١٠١ ولعله يقصــد بذلك سلطة الحاكم على رعاياه ، وحُتميــة طاعتهم له حتى فى معتقداتهم •

(١٨) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢٥ •

(١٩) تاريخ الخلفــا ، ص ٣٩١ •

(٢٠) انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٧٢ وما بعدهــا ، محمــد الشاذلى النيفر ، تاريخ قفصة ، ص ١٠٨ •

(٢١) انظر The Cambridge History of Islam, Vol. 2, 218, ; Idris, Contribution à l'Histoire de l'Afrikya, pp. 81—82.

ولم يكن فرض المذهب الاسماعيلى بالقوة هو الشىء الوحيد الذى أثار رعايا الخلافة الفاطمية على الخليفة القائم بأمر الله ، ولكن السياسة المالية الجائرة التى اتبعها ساهمت هى الاخرى فى اثارة النفوس (٢٢) ، اذ اشتط فى جمع الضرائب وعمل على زيادتها (٢٣) ، فعلى سبيل المثال ، وضع الخليفة الفاطمى أمناء بالموانى مثل مرسى الخزر ، ليقاسموا الناس ما يستخرجونه من المرجان (٢٤) ، بالرغم من أن المرجان كان يستخرج من مرسى الخزر دون مشقه ، وليس للسلطان فيه حصة (٢٥) ، وكان يفرض ضرائب على القوافل المارة بالبلاد الخاضعة لسلطانه ذاهبة وآتية من بلاد السودان فضلا عن ما يبتزه عماله من أصحاب القوافل (٢٦) ، كما استولى على أموال الأحياس والحصون (٢٧) .

والخلاصة ، ان عدم القضاء على مقاومة بطون زناتة أو استمالتها فى عهدى المهدى والقائم بأمر الله ، وموقف القائم بأمر الله من التسامح المذهبى ، وسياسته المالية الجائرة ، كانت سببا فى اندلاع فتنة كبرى كادت تقضى على خلافة الفاطميين بزعامة رجل من زناتة اسمه : أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتى .

واذا تناولنا سيرة هذا الثائر الزناتى ، الذى وجدت فيه بطون زناتة بافريقية والمغرب الأوسط زعيما التفت حوله ، لتعلن معارضتها للمذهب الاسماعيلى ، اذ كانت غالبية بطون زناتة على مذهبى الخوارج والمعتزلة،

---

(٢٢) يفهم ذلك من قول الدباغ ، بأن المنصور الفاطمى اسقط الخراج عن الرعية بعد أن قضى على ثورة ابى يزيد الزناتى ، معالم ، ١ ص ٢٦ .

(٢٣) أنظر ، كرد ، الاسلام والحضارة العربية ، ٢ ص ٤٧٨ ،
Abun-Nasr, Op. Cit., P. 83.

(٢٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٦ .

(٢٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٢٤ ، وربما كان المرجان يستخدم فى صناعة الحلى وللزينة ، اذ يذكر ياقوت ان المرجان كان يستخرج على هيئة جسم مشجر اغبر القشر ، فاذا نزع عنه قشره خرج احمر اللون فتفصله الصناع ، نفس المصدر والصفحة .

(٢٦) ابن حوقل ، صورة ص ٧٠ .

(٢٧) أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٦٥ ، ٢١٢ .

والبقيه منهم على مذهب أهل السنه ، وتوحد عدائها للخلافة الفاطمية التى اعتمدت على قبائل البرانس ، وساندتهم فى النيل من زناته ، فاننا لا نجد نصوصا واعية عن حياته الأولى ، اذ لم توجد ترجمه له فى كتب الطبقات ، لان المصادر السنيه والشيعيه تعتبره خارجا على السلطه الشرعيه ، كما تعتبره المصادر الاباضيه منشقا على مذهبهم • الا انه توجد نبذات قليله عن حياته الاولى فى كتب المؤرخين •

فلم يختلف المؤرخون على ان ابا يزيد من قبيلة زناتة (٢٨) ، ولكنهم اختلفوا حول البطن الزناتى التى ينتمى اليها ، فيذكر المؤرخ الدرجينى ان ابا يزيد من بنى واسين الزناتيين (٢٩) ، ويذكر المؤرخ ابن حماد انه من بنى جعفر من زناته (٣٠) ، ويذكر ابن حوقل انه من سماطه (٣١) ، ولعله يقصد بذلك البلد الذى نشأ وعاش فيه أو الذى أعلن ثورته منه ، اذ أن سماطه اسم لموضع (٣٢) ، وليس اسما لأحد البطون الزناتية ، أما غالبية المؤرخين فيذكرون أن أبا يزيد من بنى يفرن الزناتيين (٣٣) ، وحدد ابن خلدون اسم البطن اليفرنى التى ينتمى اليها أبو يزيد ، وهم بنى واركو (٣٤) •

وقد أحاط الغموض حياة أبى يزيد الأولى (٣٥) ، وما أمدتنا به المصادر فهو قليل عن حياته قبل قيامه بحركته الكبرى على الخلافة

---

(٢٨) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، ابن عذارى ، البيان ١ ص ٢١٦ ، أبو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ٩٢ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٠٩ ، انظر ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٥٢ •

(٢٩) طبقات ، ١ ورقة ٤٣ ، ومضارب بنى واسين فى بلاد قسطيلية من افريقية ، وفى المغرب الأقصى أيضا ، انظر ، قبله •

(٣٠) أخبار بنى عبيد ، ص ١٨ ، ولم يذكر هو أو غيره مضاربهم •

(٣١) صورة ، ص ٩٤ •

(٣٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١١٩ •

(٣٣) ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٢٦٠ ، مجهول ، نبذ ، ص ٦١ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١١ ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٥ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٥ •

(٣٤) العبر ، ٧ ص ١٣ •

(٣٥) انظر ، Le Tourneau, La Revolté d'Abou-Yazid, P. 104

الفاطمية ، التى سنطلق عليهـا منذ الآن « ثورة » وهى نفس الكلمة التى استخدمها المؤرخون ، فذكروا لنـا أن والده كيداد كان يعيش بمدينة توزر (٣٦) قاعدة بلاد الجريد (٣٧) ، وكان يعمـل بالتجارة مع بـلاد السودان (٣٨) ، فتزوج من جارية سوداء (٣٩) تدعى سبيكـة (٤٠) أو سيكة (٤١) ، فأنجبت له أبا يزيد بكركوا (٤٢) من بلاد السـودان حوالى سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م (٤٣) ، وأتى به أبوه الى مدينة توزر حيث نشـأ بها وتعلم القرآن (٤٤) ، وأخذ العلم عن مشـايخها ، وقـرأ مذهـب الاباضية من الخوارج ، ففقه فيه ، ومهر فى الجدل عليه (٤٥) ، ورأس فيه وفى الفتيا (٤٦) ، ثم رحل الى سجلماسة حيث درس على ابن الجمع شيخ

---

(٣٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، ابن حماد ، اخبار بنى غبيد ، ص ١٨ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٠٩ ٠

(٣٧) العمرى ، مسالك الأبصار ، ٥ ورقة ١١٦ ، وتنقسم بلاد الجريد الى قسمين رئيسيين هما : قسطيلية وهى عبارة عن توزر واعمالها ، والزاب ويعنى بسـكرة وأعمالها ، (المراكشى ، المعجب ، ص ٣٥٥) ٠

(٣٨) ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ١٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ٠

(٣٩) أبو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ٩٢ ، الاندلسى ، الحلل السندسية ، ١ ص ٩٠٠ ، الا ان ابن الأثير والمقريزى يذكران أن امه من قبيلة هـوارة ، (الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، اتعاظ ، ص ١٠٩) ٠

(٤٠) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ١٨ ، انظر ، بونار ، المغرب العربى ، ص ١٧٣ ، Ency. of Isl. (Art Abou-Yazid), 2ed, V. 1, P. 163.

(٤١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، انظر ، الزاوى ، تاريخ الفتح العربى ، ص ١٦٨ ٠

(٤٢) لم يشر الى موضعها احد المصادر التاريخية أو المعاجم الجغرافية التى اطلعنا عليها ٠

(٤٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، انظر ، Ency. of Isl. (Art Abu-Yazid), 2ed, V. 1, p. 163.

(٤٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ٠

(٤٥) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ١٨ ٠

(٤٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٥ ، انظر Cherbonneau, Documents, P. 473 والاباضية احدى فرق الخوارج ، ونسبت الى عبد الله بن اباض ، (البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٨٢ ــ ٨٣ ، انظر ، محمود اسـماعيل ، الخوارج ، ص ٤٢) ٠

الاباضية هناك لمـدة عامين (٤٧) ، وخالط النكارية (٤٨) ، وقرأ على الفقيـه أبى عمار الأعمى النكارى ، وتلقن عنه مذهبه (٤٩) ، ثـم رحل الى مشيختهم ــ كما يذكر المؤرخون ــ فى تاهرت ، وأخذ عن الفقيـه أبى عبيدة أحد شـيوخهم فى الوقت الذى كان فيه عبيـد الله الامام الاسماعيلى فى سجلماسة (٥٠) ، وتقف المصادر المغربيـة صامتة عن سبب تحول أبى يزيد من الاباضية الوهبية (٥١) الى مذهب النكار فيما عدا المؤرخ الشماخى الذى يسوق لنا قصة هذا التحول ، فيذكر أن أبا يزيد كان على مذهب الاباضية الوهبية ، وخرج يوما مـع أبى الربيـع سليمان ابن زرقـون النفوسى الذى كان من علمـاء الاباضية الوهبية فقضيا ليلة عند بعض أهل الدعوة من الوهبيـة ، فلم يحسنوا ضيافتهما ، ثم مروا ببعض النكار ، فأحسنوا انزالهما ، فتحول أبو يزيـد من الوهبية الى النكارية حبا فى الدنيـا (٥٢) • وهذه القصـة تبين لنا مـدى تحيز مؤرخى الاباضية لمذهبهم وعلمائهم ، وان لم يكن لدينـا سواهـا • والخلاصة ، ان أبا يزيـد كان عالما شهيرا من زناتة (٥٣) ، بل من مشاهير حملة العلم فى البربر (٥٤) ، دان بالمذهب الاباضى (٥٥) ، ولم يكن سنيا

---

(٤٧) أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٧٩ •

(٤٨) والنكارية فرقة انشقت عن الاباضية ، وهم الذين انضموا الى يزيد ابن فندين ، وانكروا امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، فسموا نكارا ، (الشماخى ، السير ، ص ١٤٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ٣ ص ٥٣ ، انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١١٧ وما بعدها) •

(٤٩) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٥ •

(٥٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ •

(٥١) والاباضية الوهبية هم الاباضية الذين ظلوا على ولائهم لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم حين انشق عليه يزيد بن فندين ومن تبعه من النكار ، فنسبوا اليه ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١١٨) •

(٥٢) السير ، ص ٢٧٦ ــ ٢٨٠ •

(٥٣) أنظر ، الحجى ، محقق ، المقتبس ، ص ٣٥ هامش •

(٥٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٥ •

(٥٥) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٢ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٧ ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٥ ، الأزدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٦ •

كما ذكر البعض (٥٦) ، أو من الخـوارج الصفرية (٥٧) كما ذهب ابن خلدون وغيره (٥٨) ، كما لم يكن من الخوارج الأزارقة أو الحرورية كما ذكر بعض المؤرخين (٥٩) •

ظل أبو يزيد فى تاهرت حتى خرج أبو عبد الله الشيعى من القيروان الى سجلماسة ليحرر الامام الاسماعيلى عبيد الله من أيدى بنى مدرار أمراء سجلماسة ، وانتقل الى تقيوس (٦٠) ، وهى من بلاد قسطيلية(٦١) الواقعة فى أقصى افريقية من نواحى الزاب من أعمال الجريد (٦٢) ، وكان أبو يزيـد على حال من الفقر والخصاصة ، اذ لـم يترك لـه أبوه مالا ، فكان أهل البلد من زناتة يصلونه بفضـل أموالهم ، وكان يعـلم صبيانهم القرآن ومذهب النكارية (٦٣) ، كما كان يتردد بين تـوزر

---

(٥٦) أنظر ، مؤنس ، محقق ، رياض ، ١ ص ٢٣ — ٢٤ ، النصولى ، الدولة الأموية ، ١ ص ١١٧ •

(٥٧) والخوارج الصفرية نسبة الى زياد بن الأصفر ، (البغـدادى ، الفرق بين الفرق ص ٧٠) ، أو نسبة الى عبد الله بن الصفار ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٣٧) •

(٥٨) العبر ، ٤ ص ٤٠ ، ٦ ص ١٠٥ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٥ ، انظر ، رزق الله منقريوس ، دول الاسلام ، ٢٠ ص ٣٣٢ ، محمد بن تاويت ، محقق ، التعريف ، ص ١٦٤ هامش ٦ ،
Gautier, Op. Cit., P. 382; Fournel, Op. Cit., P. 225

(٥٩) الجوذرى ، سيرة ، ص ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٥ ، كتاب زهر المعانى ، ص ٧٨ ، والأزارقة هم فرقة من الخوارج من اتباع نافع بن الأزرق ، وكانت من اكثر فرق الخوارج عددا ، وأشـدهم شوكة ، (البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٦٢ — ٦٦) •

(٦٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٠ ، وعن تقيوس ، أنظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٩٩ ، وتقيوس عبارة عن أربعة مدن متقاربة عليها اسوار يكاد يكلم بعضها بعضـا لتقاربهـا ، (مجهول ، الاستبصار ، ص ١٥٦) •

(٦١) مجهول ، الاستبصـار ، ١٥٦ •

(٦٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٢٨ ، ٧ ص ٨٨ •

(٦٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص٥٨ ، الا أن ابن الأثير يذكر أن ابا يزيد اشترى ضيعة وأقام بهـا بعد انتقاله الى تقيوس ، (الكامـل ٨ ص ١٥٠) ، وذلك يتنافى مع ما كان عليه أبو يزيـد من التقشف ولبس الخشن والصوف •

وتقيوس لاثارة أهلهما بالجانب الدينى على ولاة الفاطميين (٦٤) ، اذ كانت المســافة بين البلدين نحوا من عشرين ميلا (٦٥) ، وبدأ أبو يزيــد يحتسب على الناس ، وعلى جباة الأموال فى كثير من أفعالهم سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م (٦٦) ، ودأب على اثارة أهل تقيوس على عاملهــا حتى ثاروا عليه، ثم أمرهم بقتله فقتلوه ، فأهدر والى قسطيلية دمه (٦٧) ، ففزع أبو يزيد لذلك ، وخرج الى الحج ناجيا بنفسه فى نفس السنة (٦٨) ، وفى طريق عودته من الحج ، وحين وصل الى جبل نفوســة معقل اباضية المغرب ، أرسل اليهم يدعوهم الى الثورة على الفاطميين (٦٩) ، ولكنهم لــم يسمعوا له ، فعاد الى تقيوس ، الا أن كتب عبيد الله المهدى وصلت الى والى تقيوس يأمره بالقبض على أبى يزيــد ، مما أضطره الى الاختفــاء حتى مــات المهدى (٧٠) .

وبعد أن تولى القائم بأمر الله الفاطمى عرش الخلافة سنة ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤ م ، عــاد أبو يزيد سيرته الأولى ، وأخذ فى اثارة أهل توزر عــلى الخليفــة القائم بأمر الله (٧١) ، فظهر أمــره من جديد سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م (٧٢) ،فأرسل الخليفة القائم بأمر الله الى والى قسطيلية فى البحث عنه والقبض عليه (٧٣) ، مما أضطر أبو يزيد الى الاختفاء ثانيــة ، ولكن سعى به عند الوالى ، فتمكن من القبض عليه (٧٤) ، وأودعه ســـجن

---

(٦٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، انظر ،
Abun-Nasr, Op. Cit., P. 84.

(٦٥) الادريسى ، نزهــة ، ٣ ص ٢٧٧ .

(٦٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٠ .

(٦٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ .

(٦٨) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٣ ، الا ان ابن خلدون يذكر أن ابا يزيد خرج الى الحج سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، (العبر ، ٧ ص ١٣) .

(٦٩) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٣ .

(٧٠) ابن عذارى ، البيــان ، ١ ص ١٩٣ ــ ١٩٤ .

(٧١) ابن حمــاد ، اخبار بنى عبيد ، ص ١٨ ــ ١٩ .

(٧٢) ابن عــذارى ، البيــان ، ٢ ص ٢٢٥ .

(٧٣) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٤ .

(٧٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ .

توزر (٧٥) ، فأقبل فرســـان زناتة من أنصاره وبما له معهم من العصبية ، وطلبوا من الوالى اطلاق سراحه ، وعندما أراد الوالى مراوغتهم عمدوا الى السجن ، وقتلوا الحرس ، وأخرجوا أبا يزيد عنوة (٧٦) ، وهرب أبو يزيد الى قبيلة واركلا الزناتية ، وأقام فى حمايتهم لمـــدة سنة كان يتردد خلالها على بنى برزال الزناتيين ، وبنى زنداك أحد بطون مغراوة الزناتيـــة ، يدعوهم الى مذهبه والثورة على الفاطميين حتى أجابوه ، ثم انتقل الى جبل أوراس ، فاجتمعت اليه القرابة من أهل عصبيته وهم بطون زناتة الضاربة فى تلك النواحى ، وبايعوه على قتال الفاطميين سنة ٣٣١ ﻫ / ٩٤٣ (٧٧) .

---

(٧٥) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٤ ، الا أن ابن حماد يذكر أن مقدم توزر استدعى أبا يزيد بعد ان اتصل به انه يثير أهل البلد على الخليفة القائم بأمر الله ، وأن ما استجاب له نحو ثلاثمائة رجل ، وتهدده ، فأنكــر ابو يزيد مارمى به وتبرأ منه فخلى عنه ، وخاف أصحابه الذين اجابوه ، فتفرقوا عنه ، وهجروا مجلسه وتركوا الحضور فيه ومعه ، فخرج ابو يزيــد من بلاد قسطيلية كلها وسار الى جبل أوراس ، (أخبار بنى عبيد ، ص ١٩) . وما ذكره ابن حماد فيه الكثير من التجنى على أبى يزيد ، وواضح فيه تعصبه للفاطميين ، وخالف فيه غيره من المؤرخين ، ولا غرو فان ابن حماد شــيعى اسماعيلى ، (أنظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٣) .

(٧٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، ويذكر الدرجينى تفاصــيل كثيرة عن ما فعله فرســـان زناتة لاطلاق سراح أبى يزيد من سجن توزر ، وهى الى الأسطورة أقرب ، (طبقات ، ١ ورقة ٤٤) .

(٧٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ، الا أن أحد المستشرقين يذكــر أن ابا يزيد عمل على اقناع أهل جبل أوراس أنه نبى مرسل من عند الله ، (انظر ، Osborn, Op. Cit., P. 236 ، وهذا تجن واضح ،ولم يحدد لنا المصدر الذى اعتمد عليه فى هذا التجنى ، أما بروكلمان فيذكران ابا يزيد كان يظهر بين الناس راكبا حماره على طريقة الأنبياء القدماء ، (انظر ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٥٢) ، اما الزاوى فيذكر أن ابا يزيد ادعى انه ابن المهــدى ، وانه أعلن ثورته من طرابلس ، (انظر ، تاريخ الفتح العربى ، ص ٦٩) ، ويبدو أن الزاوى قد خلط بين أبى يزيد مخلد الزناتى وبين ابن طالوت القرشى الــذى ثار فى طرابلس سنة ٣٢٢ ﻫ / ٩٣٤ م ، بعد وفاة المهدى الفاطمى ، وزعــم أنه ابن المهدى ، (ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٩٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٩ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٤٩) ، كمــا أن البعض يذكر تواريخا اخرى لخروج أبى يزيــد على الفاطميين ، فيذكــر المقريزى أن خروج أبى يزيد على الفاطميين كان سنة ٣٠٣ ﻫ / ٩١٥ م ، (اتعاظ ، ص ١٠٩) ويذكر الحجى =

ويذكر الدرجينى أن جيوش الخلافة الفاطمية حاصرت أبا يزيد بجبل أوراس سبع سنوات قبل اعلان ثورته على الفاطميين (٧٨) • وذلك يعنى أن أبا يزيد كان محاصرا فى جبل أوراس منذ أطلق فرسان زناتة سراحه عنوة من سجن توزر سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م ، حتى اعلان ثورته سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م • وهذا احتمال ليس ببعيد عن الحقيقة ، اذ أن هذه المنطقة صعبة المسالك ،ولم يكن من السهل اقتحامها ، وكانت خارجة على طاعة الفاطميين حتى ذلك الوقت ، لأن أول من أخضعها لطاعة الفاطميين الخليفة الفاطمى المعز لدين الله سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م (٧٩) •

وقد اختلف المؤرخون حول الاتجاه المذهبى للثورة ، فقيل انها سنية (٨٠) ، أو أنها رد فعل للاباضية فى مواجهة الشيعة الاسماعيلية(٨١)، اذ كان أبو يزيد اباضيا • الا أن غالبية المؤرخين اتفقوا على أن هذه الثورة

= ومحمد بن تاويت أن أبا يزيد خرج على الفاطميين سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، (محقق ، المقتبس ، ص ٣٥ هامش ، محقق ، التعريف ، ص ١٦٤ هامش ٦) ، وكلا من التاريخين لا تؤيده الحوادث ، اذا كان المقصود هو اعلان الثورة على الفاطميين ، كما لم تشر اليهما المصادر الأخرى •

(٧٨) طبقات ، ١ ورقة ٤٤ ، ويذكر الدرجينى تفاصيل كثيرة عن حيل ابى يزيد الزناتى لفك الحصار ، (طبقات ، ١ ورقة ٤٤ وما بعدها) •

(٧٩) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٦ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٣٤ ، انظر ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٣ •

(٨٠) انظر ، مؤنس ، محقق ، رياض ، ١ ص ٨ م ، يذكر التصولى أن ابا يزيد كان سنيا يدعو الى مذهب مالك ، (انظر ، الدولة الأموية ، ١ ص ٢١٧) ، ومن المعروف ان ابا يزيد كان من الخوارج الاباضية ، ولم يكن سنيا •

(٨١) انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٧٧ ، الا ان غالبية المؤرخين لم يذكروا قبائل نفوسة — وهى اكبر معاقل الاباضية فى افريقية والمغرب — ضمن القبائل التى شاركت فى الثورة ، الا بعد أن استولى ابو يزيد على معظم مدن افريقية وضرب الحصار حول المهدية ، (ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٤) ، رغم أن أبا يزيد ارسل اليهم يحرضهم على الثورة ضد الفاطميين قبل ان يعلنها حربا عليهم بسنوات ، (الدرجينى ، طبقات ، ورقة ٤٣) •

قامت على أكتاف قبيلة زناتة التى كانت عصب الثورة (٨٢) ، وان كانت هذه الثورة فى ظاهرها حربا بين الخوارج والشيعة ، فانها فى حقيقتها صراع بين أهل البداوة من البتر وعلى رأسهم زناتة ، وبين أهل الزراعة والاستقرار من البرانس ومنهم كتامة وصنهاجة (٨٣) ، ولذا كانت ثورة أبى يزيد سببا فى التفاف كتامة البرنسية من جديد حول الفاطميين بسبب العداء بين قبيلة كتامة وقبيلة زناتة (٨٤) ، التى اعتمد عليها أبو يزيد فى ثورته (٨٥) ، وسببا فى انضمام قبيلة صنهاجة البرنسية الى جانب الفاطميين ، لأن أبا يزيد كان زناتيا ، وتؤيده قبيلة زناتة المنافسة لها (٨٦) ، بالرغم من أن قبيلة صنهاجة لم تكن من القبائل التى أخذت بالدعوة الاسماعيلية وقت قيام الخلافة الفاطمية بأرض المغرب (٨٧) .

ومما يؤكد أن قبيلة زناتة كانت عصب ثورة أبى يزيد ، أن الذين أشعلوها هم بنو واركوا احد بطون بنى يفرن الزناتيين الضاربين فى جبل أوراس ، وهم البطن الزناتى التى يتتمى اليها أبو يزيد (٨٨) ، ثم انضم اليه العديد من بطون زناتة رغم اختلاف مذاهبهم ، فانضم اليه بنو زنداك

(٨٢) انظر ،
Terrasse, Op. Cit., P. 185; O'leary, Op. Cit., P. 89; Vatikiotis, Op. Cit., P. 137.

(٨٣) انظر ، العبادى ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٦٢٧ ، Julien, Op Cit., P. 63

(٨٤) انظر ، Vatikiotis, Op Cit., PP. 135 — 136

(٨٥) انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٩ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٠٥ .

(٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٣٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٢ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٩ ، ٢٤١ ، العبادى ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠٢ ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٢٣٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ٢ ص ٦٢٧ .

(٨٧) اليمانى ، سيرة جعفر » ص ١٢٦ ، كما أن بطون صنهاجة الضارب حول مدينة تكور بالمغرب دخلت دعوة الشيعة مرغمة سنة ٣٠٥ هـ ، (البكرى ، المغرب ، ص ٩٢ ـ ٩٧ ، ابن عذارى البيان ، ١ ص ١٧٥ ـ ١٧٦) .

(٨٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٢ ، ١٣ ، انظر ، دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٣ ص ٤٦٠ .

أحد بطون مغراوة الزناتية (٨٩) ، وبنو خزر أقوى بطون مغراوة وأمرائها، وكان أميرهم محمد بن خــزر الزناتى من أعيان أصحاب أبى يزيد (٩٠) ، رغم أن أفراد مغراوة الزناتية كانوا على مذهب أهل السـنة (٩١) ، ورغم القطيعة التى كانت بين زناتة المغرب الأوسط ، وزناتة افريقية بعد أن تخلى أبو قـرة اليفرنى ــ زعيم زناتة المغرب الأوسط ، وأمير تلمسان فى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى (٩٢) ــ عن زناتة افريقية فى حصار مدينة طبنة (٩٣) ، كما انضم الى أبى يزيد بنو برزال الزناتيون(٩٤) وغيرهم من البطون الزناتية (٩٥) ، ووقفوا الى جانبه حتى بعد أن تخلى عنه الكثير من أهل مذهبه مثل هوارة وبنى كمـلان (٩٦) ، وقد عبر ابن خلدون فى اختصار عن انضمام بطون زناتة الى أبى يزيد قبل اعلان ثورته بقولـه « واجتمـع اليه القـرابة » (٩٧) . وخلاصـة القول ، ان بطون زنـاتة انضـمت الى أبى يزيـد على اختلاف مذاهبها بدافع العصبية ، لأن العصبية التى تقوم أساسا على رابطة النسـب والنعرة على ذوى القربى (٩٨) ، يكون لها الغلبة على المذهب الدينى (٩٩) ، ولذلك

---

(٨٩) نفسه ، ص ٥٧ .

(٩٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٧ .

(٩١) ابن حـزم ، جمهرة ، ٤٩٨ .

(٩٢) انظر ، قبله .

(٩٣) انظر ، Gautier, Op. Cit., P. 389.

(٩٤) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢٧ ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ ، ابن خلدون العبر ، ٧ ص ٥٣ .

(٩٥) ومن هذه البطون الزناتية : مرنجيصة ، واركلا ، واغمرت ، (ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٣ ، ١٣ ، ٥١ ، ٥٠) .

(٩٦) المقريزى ، اتعـاظ ، ص ١٢٤ .

(٩٧) العبر ، ٧ ص ١٣ .

(٩٨) انظر ، الجابرى ، العصبيـة والدولة ، ص ٢٥٧ .

(٩٩) انظر ، النص ، العصبية ، ص ٣٥٤ ، ومما يؤكد ان العصبية لها الغلبـة على المذهب الدينى أن زناتة افريقية تخلوا عن أبى الخطـاب عبد الأعلى ابن السمح المعافرى ومن معه من هوارة فى حربه مع ابن الأشعث القائد العباسى، بسبب تتيل من زناتة اتهموا فيه جند هوارة ، رغم ان زناتة افريقية وهوارة كان كلاهما خوارج اباضية فى مواجهة الجيش العباسى السـنى ، (ابن الأثير ، الكامل ، ٥ ص ١٢٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٧٢) .

عاضدت بطون زناتة أبا يزيد معاضدة قوية (١٠٠) ، فبلغ الخطر الزناتى على الفاطميين أقصاه فى هذه الثورة (١٠١) ، التى اتخذت من المذهب الدينى ستارا لها (١٠٢) ، وربما كان انضمام بطون زناتة الى أبى يزيد بسبب كراهيتهم للفاطميين (١٠٣) ، وللانتقام من البرانس الذين انضموا الى الفاطميين ، واستطالوا بهم على قبيلة زناتة (١٠٤) .

ومما يزيدنا تأكيدا بأن فرسان زناتة كانوا عصب ثورة أبى يزيد ، أن أبا يزيد وصف بسوء السلوك وأبشع الصفات (١٠٥) ، ورغم ذلك لم يقتله أتباعه مثلما حدث من قبل مع ميسرة المطغرى الذى قاد ثورة البربر فى أول أمرها سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م (١٠٦) ، وعيسى بن يزيد الأسود الذى أسس مدينة سجلماسة ودولة الخوارج الصفرية سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م (١٠٧) ، ولكن أتباع أبى يزيد وقفوا الى جانبه ودافعوا عنه حتى نهاية ثورته (١٠٨) ، وذلك لأنهم من عصبيته ، ومن كانت له عصبية تسانده ، فانها تمنعه اذا أخطأ (١٠٩) .

---

(١٠٠) انظر ، بونار ، المغرب ، ص ٢٢٠ .

(١٠١) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٩ .

(١٠٢) انظر ، Ency. of Isl. (Art Tunisia), led, t 4, P. 850.

(١٠٣) انظر ، Ency. of Isl. (Art Berbers), 2ed, V. 1, P. 1175.

(١٠٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٣ .

(١٠٥) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢٠ ، مجهول ، الإستبصار ، ص ٢٠٥ ، كتاب زهر المعاني ، ص ٧٩ .

(١٠٦) انظر ، قبله .

(١٠٧) انظر ، محمد بن تاويت ، نشأة دول الخوارج ، ص ٢٧٢ ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٨٧ — ٨٨ ، وعن الخوارج الصفرية ، (انظر ، قبله) ، وقد انتشر المذهب الصفرى فى بلاد المغرب فى القرن الثانى الهجرى وأخذت به قبائل زناتة ومكناسة ومطغرة ، وشاركوا فى ثورة البربر أول أمرها ، ثم انسحبت قبيلتا مكناسة ومطغرة فى أول الثورة بسبب زناتيتها ، واقاموا دولة الخوارج الصفرية — ، هى دولة بنى مدرار نسبة الى حكامها — فى سجلماسة ، (انظر ، قبله ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٨٢ وما بعدها) .

(١٠٨) انظر ، بعده .

(١٠٩) الشماخى ، السيرة ، ص ١٤٠ .

وقد حاول بعض المؤرخين تفسير ثورة أبى يزيد على أنها تعبير عن نزعة الاستقلال عند البربر (١١٠) ، أوأنها ذات صفة قومية ضد السيادة الفاطمية (١١١) ، فان كان ذلك حقيقة ، فمما لا شك فيه أن أصحاب هذه النزعة أو الصفة هم قبائل البتر ، وبخاصة زناتة بعد أن خضعت قبائل البرانس للدولة الفاطمية ، وايدوها ودافعوا عنها ، ونالوا بها الملك والسيادة • وان صور أحد المستشرقين ثورة أبى يزيد على أنها جزء من الصراع بين الفاطميين بالمغرب والأمويين بالأندلس (١١٢) فلم يبعد كثيرا عن أن زناتة كانت عصب هذه الثورة — أى زناتية الثورة — لأن الصراع بين الأمويين والفاطميين فى المغرب لم يكن صراعا مباشرا ، اذ لم تلتق قواتهما وجها لوجه على أرض المغرب ، وانما استمال عبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس زعماء زناتة (١١٣) ، التى أصبحت رأس حربة للأمويين فى صراعهم مع الفاطميين (١١٤) • وبذلك يمكننا القول ، أن ثورة أبى يزيد كانت زناتية قادة وجنودا ، وقامت تعبيرا عن رغبة زناتة فى الاستقلال بالمغرب ، ومؤكدة عدائها للفاطميين الذين اختلفوا عن زناتة فى المذهب الدينى ، وعملوا على القضاء على استقلالها ، وساندوا البرانس على الاستطالة على بطونها والنيل منهم •

ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض القبائل البربرية انضمت الى أبى يزيد فى ثورته على الفاطميين ، وذلك بسبب الموقف المذهبى والسياسة المالية للخليفة القائم بأمر الله (١١٥) ، ولكن انضمام هؤلاء الى أبى يزيد كان بعد أن حقق الكثير من الانتصارات على الفاطميين ، واستولى على معظم مدن افريقية ، وخرج الى حصار المهدية عاصمة الفاطميين ، ولعل

---

(١١٠) انظر ، Bel, La Religion Musulmane, P. 150

(١١١) انظر ، العبادى ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٣٣٣ ، سياسة الفاطميين ، ص ٣٠٢ •

(١١٢) انظر ، Brunschvig, La Tunisie dans Le haut moyen age, P. 17

(١١٣) مجهول ، نبذ ، ص ٤ •

(١١٤) انظر ، The Cambridge History of Islam, Vol. 2, P. 219.

(١١٥) انظر ، قبله •

هذا ما يعنيه ابن خلدون بقوله « وانغمست أيدى البربر فى الفتنة » (١١٦). وما لبث أن انفض هؤلاء عن أبى يزيد عند ما بدأت الهزائم تلاحقه ، فما أن فشل فى الاستيلاء على المهدية حتى تخلى عنه أهل السنة ، والقبائل البربرية التى جاءت طمعا فى الغنائم (١١٧) ، ثم تخلى عنه من هم على مذهبه ، وليسوا من عصبيته ، مثل بنى كملان (١١٨) ، وهواره (١١٩) ، أما قبائل زناتة الأوراس ، وهم عصبيته القريبة ، فقد ظلوا الى جانبه يحاربون معه حتى قبض عليه جريحا وقضى على ثورته (١٢٠) ، وكذلك بنو برزال الزناتيون الذين كانوا على مذهبه (١٢١)، ثم انضموا الى ابنه فضل حينما أراد مواصلة الثورة على الفاطميين (١٢٢) وعلى كل حال ، فقد أعلن أبو يزيد ثورته على الفاطميين سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م ، واستمرت نحوا من خمس سنين ، وكادت أن تقوض أركان الخلافة الفاطمية بالمغرب .

ونحن اذا تتبعنا ثورة أبى يزيد ، فانه يمكن أن نقسمها الى ثلاثة مراحل ، لكل منها سمة تميزها عن غيرها ، اذ بدأت وليدا نما واشتد عوده، والتف حوله الأنصار والناقمين على الخلافة الفاطمية ، فانتزع معظم مدن افريقية من سلطان الفاطميين ، ثم يأتى دور جديد يتسم بصمود الفاطميين فى آخر معاقلهم ، فكان التعادل بين الفريقين ، والحرب سجال ، ثم يتفرق الأتباع ، وتبدأ حركة الاسترداد من جانب الفاطميين ، وتكون الهزائم ، فيتخلى الأنصار ، وتتلاحق الهزائم ، ويفقد ما استولى عليه

---

(١١٦) العبر ، ٧ ص ١٤ .

(١١٧) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٦٠ .

(١١٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

(١١٩) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٤ ، انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٨٦ .

(١٢٠) التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٦ .

(١٢١) ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٢٧ ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ .

(١٢٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

من مدن ، ثم فى النهاية حياته • وسوف نتتبع الحديث عن هذه المراحل فيما يلى :

المرحلة الأولى :

بعد أن اجتمعت بعض بطون زناتة الى أبى يزيد الزناتى ، وأخذت له البيعة على قتال الفاطميين أعلن أنه خرج غضبا لله سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م (١٢٣) ، ظنا منه أن الفاطميين حرفوا فى الشريعة ، وخرج الى مدينة باغاية (١٢٤) سنة ٣٣٢ هـ / (٩٤٣ ــ ٩٤٤) م ، وعندما علم الخليفة القائم بأمر الله بمسير أبى يزيد اليها ، أرسل الى واليها جيشا من كتامة (١٢٥) ، لمعاونته فى صد أبى يزيد عنها ، الا أن أبا يزيد استطاع هزيمة الجيش الفاطمى ودخول المدينة (١٢٦) ، ثم كتب الى بنى واسين الزناتيين الضاربين حول قسطيلية (١٢٧) يأمرهم بحصارها فحاصروا قسطيلية وتوزر (١٢٨) ، ثم رحل الى مدينة تبســة (١٢٩) ، ودخلها

---

(١٢٣) الأزدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٦ ، انظر ، الميلى ، تاريخ الجزائر ، ٢ ص ١٢٢ •

(١٢٤) وهى مدينة كبيرة بأقصى افريقية بين مجانة وقسنطينة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤١ •

(١٢٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ١٤ ، ويذكر ابن حوقل أن مدينتى نفايض وكمونس الصابون كانتا فى غاية الجمال سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م ، فأتى عليهما ابو يزيد (صورة ، ص ٩٢) ، مما يوحى بأن ابا يزيد أعلن ثورته قبل سنة ٣٣٢ هـ / (٩٤٣ ــ ٩٤٤ م) ، التى اجمع عليها غالبية المؤرخين •

(١٢٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ •

(١٢٧) وهى كورة بافريقية فى منطقة الزاب ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٢٨ ، ٧ ص ٨٨ •

(١٢٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٤ ، الا أن ابن خلدون يذكر فى موضعين آخرين أن بنى واسين حاصروا مدينة قسنطينة بناء على امر ابى يزيد ، العبر ، ٤ ص ٤١ ، ٧ ص ٥٨) ، الا أن الغالبية من المؤرخين على انها قسطيلية ، (ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٠) ، وتوزر وهى أم كورة قسطيلية ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٢٨ ــ ٤٢٩ •

(١٢٩) وهى مدينة بافريقية بينها وبين قفصة ست مراحل ، وبينها وبين سطيف ست مراحل ايضا ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٦٣ •

صلحا (١٣٠) ، وهدم جزءا من سورها (١٣١) ، ومنها انطلق الى مدينة مجانة (١٣٢) ، فدخلها وهدم سورها بعد أن أمن أهلها (١٣٣) ، ثم استولى على مرماجنة (١٣٤) ، وأهدى أهلها اليه حمارا أشهب ، فكان يركبه منذ ذلك اليوم حتى اشتهر به (١٣٥) ، وعرف بصاحب الحمار (١٣٦) ، وتسمى بشيخ المؤمنين (١٣٧) ، وكان يلبس جبة من الصوف قصيرة وضيقة الكمين (١٣٨) . وفى الوقت الذى كان فيه أبو يزيد يخوض معاركه ضد الفاطميين ، كان محمد بن خزر زعيم مغراوة الزناتية بالمغرب الأوسط يهاجم المدن الفاطمية القريبة من أملاكه ، فاستولى على مدينة بسكرة (١٣٩) وقتل عاملها الفاطمى زيدان الخصى (١٤٠) .

واصل أبو يزيد تقدمه ، وأرسل بعضا من جيشه الى مدينة

---

(١٣٠) مجهول الاستبصار ، ص ١٦٢ — ١٦٣ .

(١٣١) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٥ .

(١٣٢) وهى مدينة بافريقية بينها وبين القيروان خمس مراحل ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٣٨٦ .

(١٣٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ .

(١٣٤) وهى قرية بافريقية بينها وبين الأربس مرحلة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٢٩ .

(١٣٥) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤١ ، انظر ،
Ency. of Isl. (Art Abu-Yazid), 2ed, V. 1, P. 163.

(١٣٦) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٧ ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٨٢ ، انظر . Julien, Op. Ci., P. 60

(١٣٧) مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٧ ، الا أن ابن حماد يذكر أن أبا يزيد تسمى بشيخ المسلمين ، (اخبار بنى عبيد ، ص ٢٠) .

(١٣٨) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤١ ، وكان أبو يزيد اعرجا وقبيح الصورة (أبو الفدا المختصر ، ٢ ص ٩٢ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٠) .

(١٣٩) وهى مدينة بمنطقة الزاب المتاخمة للمغرب الأوسط ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٨٢ .

(١٤٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ .

سبيبة (١٤١) ، ففتحها وصلب عاملها (١٤٢) ، وسـار هو على رأس بقية الجيش الى مدينة الأربس (١٤٣) ، وهى على مسيرة ثلاثة أيـام من القيروان (١٤٤) ، وكان بها عسكر كتامة الذين ما أن علموا بخروج أبى يزيد اليهم ،حتى تركوا المدينة وفروا عنها فدخلها أبو يزيد(١٤٥)•وكان استيلاء أبى يزيد على مدينة الأربس سببا فى فـزع أهل المهدية ، لأن مدينـة الأربس باب افريقية (١٤٦) ، ولذلك جهز القائم بأمر الله الفاطمى ثلاثة جيوش فى وقت واحـد لتستطيع الوقوف أمام زحف أبى يزيد ، فأرسل أحـد هذه الجيوش بقيـادة خليل بن اسحق (١٤٧) الى مدينـة القيروان (١٤٨) ، وجعل على الجيش الثانى أعظم قواده وهو ميسـور

---

(١٤١) وهى مدينة من اعمال القيروان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٣٢ •

(١٤٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ •

(١٤٣) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ١٧١ — ١٧٢ •

(١٤٤) الأندلسى ،الحلل السندسية ، ١ ص ٥٢٦ ، ومدينة القيروان اعظم مدن افريقية ، وانشأها عقبة بن نافـع وعمرت المدينة سنة ٥٥ هـ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ١٩٣ — ١٩٥ ، انظر ، Hill, Op. Cit., PP. 91 — 94. وكلمة القيروان فى اللغة تعنى معظم العسكر ، وربما أخذت عن الكلمة الفارسـية كاروان ، وتعنى جماعة من الناس أو القافلة ، (ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ١٥٢) •

(١٤٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٤ •

(١٤٦) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٠ ، اذ قال اهل المهدية للخليفة القائم بأمر الله تعبيرا عن فزعهم « الأربس باب افريقية ، ولما اخـذت زالـت دولة بنى الأغلب » ، (نفس المصدر والصفحة) •

(١٤٧) كان خليل بن اسحق عاملا لعبيد الله المهدى يصرفه فى الأعمال وجبايات الأموال ، ومحاسبة الدواوين ، وهو الذى عذب اهل طرابلس عندما ثاروا على المهدى سنة ٢٩٩ هـ ، ثم ابغضه المهدى ، وكاد ان يقتله لولا تدخل ابنه وولى عهده ابى القاسم ، وبعد ان ولى ابو القاسم القائم امر الخـلافة ، ارسل خليل بن اسحق واليا على صقلية ، ثم ما لبث أن استدعاه الى افريقية سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م ، فكان يفخـر بمـا ارتكب من ظلم ومـا قتل من الأنفس حين كان واليا على صقلية ، (ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٣٠٢ ، ابن عـذارى ، البيـان ، ١ ص ٢١٥) •

(١٤٨) ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٣٠٢ •

الفتى ، وعسكر هذا الجيش بالقرب من مدينة المهـــدية عاصـــمة الفاطميين (١٤٩) ، أما الجيش الثالث فقد أرسله الخليفة القائم بأمر الله بقيـــادة مولاه بشرى الصقلى الى مدينة باجة (١٥٠) ، ليقف الى جانب واليها فى مواجهة أبى يزيد الذى خرج يقود جيوشه للاستيلاءعليها ، وصـــل بشرى بجيشه الى مدينة باجة قبل وصول أبى يزيد اليها (١٥١)، واستطاع أبو يزيد أن يجبر بشرى وجيشه على التراجع الى مدينـــة تونس (١٥٢) ، ودخل أبو يزيـــد مدينة باجة (١٥٣) ، الا أن أهـــل تونس ثاروا على بشرى الصقلى ، وكتبوا الى أبى يزيـــد يطلبون الامان، فأمنهم وولى عليهم رجلا منهم يقال له رحمون (١٥٤) ، فاضطر بشرى الصقلى الى الرحيل الى مدينة سوسة (١٥٥) ، التى تبعـــد عن تونس أربعين ميـــلا (١٥٦) ، أو ثلاثة مراحل (١٥٧) ، فأمـــده الخليفة القائم بأمر الله بالجيوش والأموال ، ليعود الى محاربة أبى يزيد من جـــديد ، فأرسل اليه أبو يزيد قائده أيوب بن خيران الزويلى ، والتقى الجيشان

---

(١٤٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٤ .

(١٥٠) وهى بلد بافريقية بينها وبين تنس يومان ، ياقوت ، معجـــم البلدان ، ٢ ص ٢٥ — ٢٧ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٦٠ .

(١٥١) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٥٨ .

(١٥٢) مدينة بافريقية على ساحل بحر الروم وبيها وبين القيروان حوالى مائة ميل ، وبينها وبين المهدية نحو منه ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٣٢ — ٤٣٥ .

(١٥٣) التجانى ، رحلة ، ص ٢٤ — ٢٥ ، امارى ، المكتبة الصقليـــة ، ص ٣٧٦ .

(١٥٤) ابن الأثير ،الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١١ ، ويذكر القزوينى أن أهل تونس موصوفون بالبخل واللؤم الشديد ، والشغب والخروج على الولاة ، (آثار ، ص ١٧٤) .

(١٥٥) وهى مدينة صغيرة بافريقية ، تقع بين سفاقس والقيروان ، ويحيط بها البحر من ثلاث نواح كما أن عليها سور حصين من صخر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١٧٣ — ١٧٥ .

(١٥٦) ابن بطوطة ، رحلة ، ١ ص ١٠ .

(١٥٧) المراكشى ، المعجب ، ص ٣٥٠ .

بالقرب من مدينة سوسة عند قرية أهريقيلية (١٥٨) ، فهزم أيوب وقتل من جيشه أربعة آلاف ، وأسر خمسمائة ، وأرسل بشرى الصقلى بالأسرى الى المهدية فى السلاسل ، فقتلهم أهل المهدية (١٥٩) ، ثم ما لبث بشرى أن عاد بجيشه الى المهدية (١٦٠) ٠

خرج أبو يزيد من باجة متجها الى القيروان (١٦١) ، فاعترض طريقه جيش من كتامة ، فأجهز أبو يزيد عليه ، ودخل مدينة رقادة (١٦٢) ، وأسرع بارسال قائدة أيوب الزويلى الى القيروان ، قبل أن يصل ميسور الفتى فى الجيش المرابض عند المهدية مددا لخليل بن اسحق الذى كان بالقيروان ، فأفتتح أيوب الزويلى مدينة القيروان فى صفر ٣٣٣ هـ / اكتوبر ٩٤٤ م (١٦٣) ، وأخذ خليل بن اسحق الى أبى يزيد فقتله (١٦٤) ، وخرج شيوخ القيروان من أهل السنة الى أبى يزيد ، وهو مازال فى رقاده، يطلبون الأمان فأمنهم (١٦٥) ٠

---

(١٥٨) التجانى ، رحلة ، ص ٢٥ ، امارى ، المكتبة الصقلية ، ص ٣٧٦ ، واهر يقيلية قرية تقع بالقرب من مدينة سوسة على سفح جبل مطل على البحر ، (التجانى ، رحلة ، ص ٢٤) ٠

(١٥٩) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤١ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٥٨ ٠

(١٦٠) امارى ، المكتبة الصقلية ، ص ٣٧٧ ٠

(١٦١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٣ ٠

(١٦٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥١ ، ويذكر ابن الأثير أن جيش أبى يزيد كان مائة الف ، (الكامل ، ٨ ص ١٥١) ، أما ابن خلدون فيذكر أنهم مائتى الف ، (العبر ، ٤ ص ٤١) ، ومائة الف فى موضع آخر ، (العبر ، ٧ ص ١٤) ، ومن المؤكد أن هذه الأرقام مبالغ فيها ، ورقادة كانت عاصمة الاغالبة منذ سنة ٢٦٣ ، وبينها وبين القيروان أربعة أميال ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٢٦٧ — ٢٦٨ ٠

(١٦٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٧ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٢ ٠

(١٦٤) النعمان ، افتتاح ، ورقة ٢٠٣ ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٤ ، الأزدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ٠

(١٦٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤١

ومما لا شك فيه أن سقوط القيروان فى يد أبى يزيد كان نكبة على الخليفة القائم بأمر الله ، لذا أرسل قائده الصقلى ميسور الفتى فى جيش كبير لاسترداد القيروان ، وكان بنو كملان (١٦٦) ضمن جيش ميسور الفتى ، فكاتبوا أبا يزيد فى الغدر بميسور أثناء المعركة ، الا أن القائم بأمر الله عرف ما يضمرون ، فكتب الى قائده ميسور بطرد بنى كملان من الجيش قبل معركته مع أبى يزيد ، فانضم بنو كملان الى أبى يزيد ، وحثوه على سرعة الخروج للقاء ميسور (١٦٧) ، وتقدم ميسور صوب القيروان ، فخرج اليه أبو يزيد فى جيشه ، والتقى الجمعان فى موضع بين المهدية والقيروان (١٦٨) ، يقال له الاخوان (١٦٩) ، فقتل ميسور ، وانهزم الجيش الفاطمى فى ربيع الأول سنة ٣٣٣ هـ / نوفمبر ٩٤٤ م (١٧٠) ، وكتب أبو يزيد بالبشرى الى البلاد ، وطيف برأس ميسور فى مدينة القيروان (١٧١) .

عاد أبو يزيد الى مدينة القيروان ، وخير أهلها فيمن يختاروه لتطبيق الأحكام الشرعية ، فاتفق أهل القيروان على احمد بن أبى الوليد، الذى كان يتولى الصلاة والخطبة بالجامع الأعظم بالقيروان ، وذلك لدينه وفضله (١٧٢) ، وخرج وفد من علماء القيروان برئاسة تميم ابن المحدث المشهور أبى العرب التميمى (١٧٣) الى الناصر الأموى خليفة

---

(١٦٦) وبنو كملان احد بطون قبيلة هوارة البربرية ، انظر ، قبله .

(١٦٧) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥١ .

(١٦٨) النعمان ، افتتاح ، ورقة ٢٠٣ .

(١٦٩) البكرى ، المغرب ، ص ٣١ .

(١٧٠) نفس المصدر والصفحة ، وفى هزيمة ميسور فى هذه الموقعة يقول الشاعر :

هذا وكم من وقعة مشهورة	ابنيتها مثلا لكل ممثل
بثنية الاخوان يوم تركتهم	متوسدين وسايدا من جندل

(١٧١) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٢ .

(١٧٢) الدباغ ، معالم ، ٣ ص ٧٥ .

(١٧٣) وابو العرب هو محمد بن احمد بن تميم مؤلف كتاب طبقات رجال افريقية ، (الخشنى ، قضاة قرطبة ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ ، الحميدى ، جذوة ، ص ١٧١) ، وكان من فقهاء القيروان الذين خطبوا الناس وحثوهم على =

الأندلس فى شوال سـنة ٣٣٣ هـ / يونيه ٩٤٥ م ، ليخبروه بتغلب أبى يزيـد على القيروان ورقادة وما جاورهما (١٧٤) ، ويطلبون منـه العون والمسـاعدة على أن يدعـو أبو يزيـد لـه على المنـابر ويعتـرف بولايته (١٧٥) ، وقـد رجع الوفـد من عند الناصر الأموى بالقبول والوعـد ، وان لم تسفر هـذه الاتصـالات عن نتائج ايجابية (١٧٦) ، وخرج فقهاء القيروان يخطبون الناس ويحثونهم على قتال الفـاطميين والانضمام الى أبى يزيـد (١٧٧) ، الذى مدحه شـاعر القيروان محمد بن

=

الانضمام الى أبى يزيد ومحاربة القائم الفاطمى ، وخرج مع اهل القيروان الذين انضموا الى ابى يزيد فى حصار المهدية ، فأسر وقتل فى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ٣٣٣ هـ / السابع من يوليه سنة ٩٤٥ م ، (بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ٣ ص ٧٩) ٠

(١٧٤) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ، انظر ، حسن ابراهيم، المعز لدين الله ، ٣٦ ، Provinçal, La Politica, P. 372

الا ان د ٠ العبادى يعتقد انهما سفارتان ذهبت احداهما الى الأندلس سـنة ٣٣٣ هـ ، والاخرى سنة ٣٣٤ هـ برئاسة تميم ابن ابى العرب ، (انظر ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٤) ، وقول ابن عذارى فى ذلك ان سـفارة أبى يزيـد الى الناصر وصلت فى شوال سنة ٣٣٣ هـ ، وفى سنة ٣٣٤ هـ جلس الناصر لوداع رسل اهل القيروان وفيهم تميم بن أبى العرب ، (البيان ، ٢ ص ٢٢٨ — ٢٢٩)، فاذا اخذنا فى الاعتبار ان سفاره ابى يزيد وصلت فى شوال وهو فى اواخر سـنة ٣٣٣ هـ ، وان ابن عذارى ذكـر أن وداع الناصر لسفارة أبى يزيد فى أول احداث سـنة ٣٣٤ هـ ، يتضح لنـا انهـا سفارة واحدة وليست سفارتين ٠

(١٧٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٤ ،

Provinçal, Histoire, Vol. 2, P. 103

(١٧٦) انظر ،

Julien, Op. Cit., P. 61; Fournel, Op. Cit., P. 338; Brunschvig, Op. Cit., P. 17.

، الا ان د ٠ حسن ابراهيم يذكر ان الناصر الاموى أمـد ابا يزيد بالجيوش ، (المعز لدين الله ، ص ٣٦) ٠

(١٧٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٧ ، الدباغ ، معالم ، ٣ ص ٤٤ — ٤٥ ، ٧٥ ، انظر ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، ص ٧٨ — ٨٠ ، على الشابى ، نعيم اليافى ، محققـا ، طبقات علمـاء افريقية ، ص ١٩ — ٢٠ ،

Idris, Op. Cit., PP. 81 — 82.

عبد الله الفزارى (١٧٨) ، مما يدحض قول بعض المؤرخين ، بأن أبا يزيـــد أباح القيروان لجنوده ينهبون ويقتلون ، وماطل علمــاء القيروان فى اعطائهم الأمان (١٧٩) ، وربما كان انضمام أهل القيروان وعلمائها الى أبى يزيد بسبب ما فعله القائم بأمر الله الفاطمى من تعذيب علمــاء أهل السنة وقتلهم (١٨٠) ، وما بدله فقهاء الشيعة فى الشرائع (١٨١) ، وافتاء علماء أهل السنة بأن الشيعة زنادقة وكفرة ، وأن جهادهم أفضل من جهاد أهل الشرك (١٨٢) •

استقرت الأمور لأبى يزيد فى القيروان ، فقام بسك عمــلة خاصة به فى نفس الســـنة التى استولى فيها على القيروان (١٨٣) ، كما عمل الأخبيـــة والبنود ، فكان له سبعة بنود كتب عليها الآيات القرآنية (١٨٤)، وعمل على أخضـــاع المدن التى حول القيروان قبل خروجه لحصـــار المهدية عاصـــمة الفـــاطميين ، فأرســـل قواته الى كل ناحيـــة لهـــذا الغرض ، وافتتح مدينة سوسة بالقوة بعد أن استعصت عليـــه

---

(١٧٨) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢٢ ، انظر ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ٢ ص ١٠٤ •

(١٧٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤١

(١٨٠) السيوطى ، تاريخ ، ص ٣٩٨ •

(١٨١) الدباغ ، معــالم ، ١ ص ٢٥ •

(١٨٢) الدباغ ، معالم ، ٢ ص ١٨٥ ، انظر ، حسن محمود ، قيــام دولة المرابطين ، ص ٩٧ •

(١٨٣) والعملة التى ضربها ابو يــزيد عبــارة عن دينار ، (انظر ، حسن حسنى عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية ، ١ ص ٤٤٠) •

(١٨٤) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٧ ، وهذه البنود : بندان أصفران مكتوب فى أحدهما ، « البسملة ، ومحمد رسول الله » وفى الآخر ، « نصر من الله وفتح قريب على يد الشيخ أبى يزيد ، اللهم انصر وليك على من سب أوليــائك»، وبند آخر مكتوب عليه ، « قاتلوا ائمة الكفر •• الآية » ، وبند آخر مكتوب فيه ، « وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم » ، وبند آخر مكتوب فيه ، « البسملة ، ومحمد رسول الله وابو بكــر الصديق وعمر الفاروق » ، وبند آخر مكتوب فيه ، « لا اله الا الله محمد رسول الله ان تنصروه فقد نصره الله ،اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ همــا فى الغــار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٧ •

لحصانتها (١٨٥) ، ولما عرف عن أهلها من البأس والنجدة (١٨٦) ، وقتل جنود أبى يزيد كثير من رجال سوسة ، وأحرقوا المدينة (١٨٧) ، وربما كان دافعهم الى ذلك ما فعله أهل سوسة من مساندتهم لقائد الفاطميين بشرى الصقلى بعد أن ثار عليه أهل تونس وطردوه من مدينتهم (١٨٨) ، وربما لأن هذه طبيعة الحرب وزهوة المنتصر .

المرحلة الثانية :

كان جيش ميسور الفتى أمل الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله فى استرداد هيبة الخلافة ، ووقف تقدم أبى يزيد ومن ناصروه من زناتة ، لذا كانت هزيمة ميسور ومقتله من أشد الأحداث التى أثرت على القائم بأمر الله وعظمت فى نفسه (١٨٩) ، وأصبح الطريق الى المهدية عاصمة الفاطميين خاليا من كل مقاومة أمام جيش أبى يزيد ، فخاف أهل المهدية وأرباضها ، وأراد أهل زويلة (١٩٠) ربض المهدية الانتقال الى المهدية ليحتموا فى حصانتها ، الا أن القائم الفاطمى منعهم من ذلك ، فعادوا الى زويلة واستعدوا للحصار (١٩١) ، وأمر القائم بأمر الله ببناء سور حول زويلة (١٩٢) ، وحفر خنادق حول أرباض المهدية وزويلة (١٩٣) ، وكتب القائم بأمر الله الى زيرى بن

---

(١٨٥) اذ يحيط بها البحر من ثلاث جهات وعليها سور حصين من صخر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١٧٣ — ١٧٥ .

(١٨٦) التجانى ، رحلة ، ص ٢٧ .

(١٨٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥١ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٥٩

(١٨٨) أنظر ، قبله

(١٨٩) أنظر ، شعيره ومحمد حسين ، محققا ، سيرة جوذر ، ص ١٨١

(١٩٠) وهى مدينة بافريقية بناها عبيد الله المهدى مؤسس الخلافة الفاطمية بالمغرب ، بالقرب من مدينة المهدية ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٤١٩

(١٩١) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٢ .

(١٩٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ ، المقريزى ، انماط ، ص ١١٤ انظر ، شعيره ومحمد حسين ، محققا ، سيرة جوذر ، ص ١٨٤

(١٩٣) التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٤ — ٣٢٥

منــاد زعيم صنهاجة (١٩٤) ، والى سادات كتامة يستنصرهم ، ويحثهم على اللحاق بالمهديــة ، ويحرضهم على قتــال أبى يزيد (١٩٥) ، اذ أن العداء بين البتر والبرانس كان قائما ، وبخاصة بين قبيلة زناتة وقبيلة صنهاجة (١٩٦) .

حين سمع أبو يزيــد بتأهب صنهاجة وكتامة لنصرة القائم بأمــر الله رحل الى المهدية ، ونزل على بعد خمســة عشر ميلا منهــا (١٩٧) ، فى مكان يعرف بخربة جميل (١٩٨)، وبث سراياه حول معسكره ليؤمن المكان، فخرج اليه الجيش الفاطمى ، والتقى معه عند مكان يقال له الوادى الملح يقع بين المهدية وتماجر (١٩٩) ، فهزم الجيش الفاطمى وقتل الكثــير من عساكره (٢٠٠) ، ثم جاءت الانباء الى القائم بأمــر الله أن جنود أبى يزيــد قــد تفرقوا للاغــارة على ما حول المهدية من الأماكن ، ربمــا استعدادا لحصارها ، فأرسل جنود كتامة مع الجيش الفاطمى فى جمــادى الآخرة ســنة ٣٣٣ هـ / يناير ٩٤٥ (٢٠١) ، ليلحقوا بأبى يزيــد وهو فى قله من أصحابه ، فأرسل اليهم أبو يزيد ابنه فضل فى عسكر من أهــل القيروان ، ليعوقوا تقدمهم حتى يتمكن من تعبئة جنوده ، ويلحق بهمببقية الجيش ، والتقى فضل مع جند كتامة وجيش القائم بأمر الله عند الموضع

---

(١٩٤) عنه ؛ انظر ،
Ency. of Isl. (Art Zirids), led, t. 4, P. 1229.
وعن بداية علاقة زيرى بن مناد وقومه صنهاجة بالفاطميين ، انظر ، قبله .

(١٩٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٣ . ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٥٩ ، انظر ؛
Hassan Ibrahim, Relations, P. 57.

(١٩٦) أنظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٢٤١

(١٩٧) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ .

(١٩٨) التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٥ .

(١٩٩) البكرى ،المغرب ، ص ٢٩ ، وتماجر تقع فى وسط المسافة بين المهدية والقيروان ، نفس المصدر والصفحة ، الا أن ابن حوقل يذكر أن وادى الملح موضع بين المسيلة واشير ، (صورة ، ص ٨٧) .

(٢٠٠) ابن عــذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٨ .

(٢٠١) المقريزى ، اتعــاظ ، ص ١١٣ .

المعروف بسوق الأحد ، فيما بين المهدية ومعسكر أبى يزيد (٢٠٣) ، وعلى بعد ستة أميـال من المهدية ، فانهزم أهل القيروان قبل وصول أبى يزيد ببقية الجيش ، وما أن وصل أبو يزيـد ، ورآه الكتاميـون حتى فروا من أرض المعركة ولحق بهم جنود القائم بأمر الله ، فطارهم أبو يزيد حتى أبواب المهدية ، ثـم عـاد الى معسكره (٢٠٤) .

ضرب أبو يزيد معسكره فى ترنوط على ستة أميال من المهدية (٢٠٥)، وحفر خندقـا حول معسكره واجتمـع اليه كثير من القبائل من افريقيـة والزاب ونفوسـة وأقاصى المغرب (٢٠٦) ، فخرج أبو يزيـد فى جيشه الكبير يريد الاستيلاء على المهدية فى جمـادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ / فبراير ٩٤٥ م ، واقتحم السور المحيط بزويلة الذى أمـر القائم بأمـر الله بانشـائه ، وحاول دخول المهديـة عن طريق البحر لصـعوبة اقتحامهـا من البر (٢٠٧) ، فبلغ المـاء صدور الدواب ولـم يستطع متابعة التقدم ، فعاد الى البروحارب جيش القائم بأمـر الله من العبيد ، واستطاع هزيمته ، ووصل الى باب المهدية (٢٠٨) ، بعـد أن استولى على زويلة ربض المهدية (٢٠٩) . ووصل المـدد من صنهاجـة فى ذلـك

---

(٢٠٢) التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٥ .

(٢٠٣) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٣ .

(٢٠٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٢

(٢٠٥) البكرى ، المغرب ، ص ٣١ ، الا ان التجانى يذكر أن ترنوطة على خمسة أميال من المهديـة ، (رحلة ، ص ٣٢٥) ، ويذكر ابن عذارى أن أبا يزيد كان يزحف من سلقطة على المهـدية ، وهى على بعد ثمانية أميـال منهـا ، وكانت محلته فى ترنوط ، (البيان ، ١ ص ٢١٩) .

(٢٠٦) ابن الأثير ، الكامـل ، ٨ ص ١٥٢ ، اتعاظ ، ص ١١٤ ، وهـذه أول مـرة يذكر فيهـا اسـم قبائـل جبل نفوسة ـ معقل الاباضية ـ وانضمامها الى أبى يزيد .

(٢٠٧) وذلك لحصـانة المهدية الطبيعية من جهـة البر ، وما أضافه المهدى الفاطمى الى ذلك من تحصينات ، انظر ،

Marçais, L'Architecture Musulmane, PP. 88 Sqq,

Hill, Op. Cit., PP. 102 — 103 قبله ، الفصـل الثالث .

(٢٠٨) ابن الأثير ، الكامـل ، ٨ ص ١٥٢ .

(٢٠٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ .

الوقت ، اذ كان القائم بأمر الله قد أرسل الى زيرى بن مناد زعيم صنهاجة يستنصره ويخبره بما فيــه أهل المهدية من الجهــد والغــلاء ، فبعث اليه زيرى بن مناد بالمؤن والاقــوات ، ومعهــا بعض فرسان صنهاجة وخمسمائة من عبيده (٢١٠) ، فكانت هــذه الامــدادات أعظم خدمات قدمها زعيم صنهاجة للفاطميين (٢١١) ، وحق لبعض المؤرخين تســمية زيرى بن مناد بمنقذ الخلافــة الفاطميــة (٢١٢) •

علم أبو يزيــد بوصول جند صنهاجة ، فقصــد أحد أبواب المهدية ليأتيهم من الخلف ، ولكن أهل الأرباض خرجوا اليه مدافعين بعــد أن قويت نفوسهم بما وصــل اليهم من امدادات ، وقطعــوا عليه طريق العودة ، وكــاد أن يقع أسيرا بين أيديهم ، الا أن أصحابه خلصوه بعــد جهــد كبير (٢١٣) • عــاد أبو يزيــد الى معســكره ، وضرب الحصار حول المهدية ، ومنع الناس من الدخول اليها أو الخروج منها (٢١٤) ، ثم زحف اليهــا فى العشر الأخيرة من جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ / فبراير ٩٤٥ م ، وقاتل جيوش القائم بأمر الله حتى وصل الى باب المهدية ، ولكنه لم يستطع اقتحامهــا لاستبســال جنود القائم بأمر الله فى الدفــاع عنهــا (٢١٥) ، فكتب أبو يزيــد الى عامله على القيروان ليمده بجنود من أهلهــا ، وما أن وصــل المدد الى أبى يزيــد حتى زحف بهم الى المهــدية من جديد فى آخر رجب من نفس الســنة / مارس ٩٤٥ م ، فدارت الدائرة على أبى يزيــد ، وقتل كثير من جيشه (٢١٦) •

ويورد ابن عذارى قصــة فحواها أن أبا يزيــد هو الذى أراد أن يقتــل أهل القيروان فى هذه المعركــة ، فقال لجنوده قبل المعركــة

---

(٢١٠) ابن الأثير ، الكامــل ، ٨ ص ٢٢٤ ، النويرى ، نهايــة ، ٢٢ ورقــة ٤٧ •

(٢١١) أنظر ، Ency. of Isl. (Art Zirids), led, t. 4. P. 1229

(٢١٢) أنظر ، Terrasse, Op. Cit., P. 185; Julien, Op. Cit., P. 62.

(٢١٣) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٢ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٥٤ •

(٢١٤) نفس المصدر والصفحة •

(٢١٥) بيبرس ، زبدة ، ورقة ٥٤ •

(٢١٦) المقريزى ، اتعــاظ ، ص ١١٥ •

« اذا التقيتم مع القوم ــ يقصــد جيش القائم بأمــر الله وأنصاره من كتامة وصنهاجة ــ فانكشفوا عن أهل القيروان ، حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم ، فيكونوا هم الذين قتلوهم لا نحن فنستريح منهم » ، لأنه أراد الراحة منهم ، ولأنه ظن اذا قتــل شيوخ القيروان وائمة الدين تمكن من أتباعهم فيدعوهم الى ماشاء فيتبعونه (٢١٧) • وهذه الرواية غير مقبولة منطقيا ، لأن أبا يزيد كان مازال محتاجا الى مساعدة أهل القيروان ، ولوأنه أراد البطش بهم ما منعه أحد يــوم أن استولى على القيروان ، وهــو الذى اتهم بالبطش بالمدن ، ولمــاذا لــم يفعل ذلك مع أهل جبــل نفوسه ، وهم من الاباضيــة الوهبية ، كمــا كان معه الكثير من بطــون زناتة التى على مذهب أهل السنة وغيره من المذاهب الأخرى ، فالغالب على الظن أن سبب قتل الكثير من أهل القيروان فى هذه المعركــة ، أنهم لم يكونوا جيشا منظمــا مدربا على القتال ، بــل كانوا من المتحمسين للقتال دون تدريب أو نظام ، ومما يرجح ذلك قــول المقريزى «بأنــه قتــل فى هذه المعركة جماعة من أصحاب أبى يزيد ، وأكثر أهــل القيروان » (٢١٨) ، كما أن رواية ابن عذارى مضطربة فى ذكر أحداث هذه الثورة وأغفلت معظم أحداثهــا • فضلا عن أن بعض فقهاء القيروان ظلوا الى جانب أبى يزيد بعد ذلك ، فيذكــر بروكلمان أن أبا العرب تميم المحدث المشــهور وفقيه القيروان ، ظل الى جانب أبى يزيد حتى أسر وقتل فى الثانى والعشرين من ذى القعــدة سنة ٣٣٣ هـ / السابع من يوليه ٩٤٥ م (٢١٩) أى بعد حوالى أربعة شهور من المعركــة التى قتل فيها أكثر أهل القيروان •

وأيا ما كان السبب فى قتل الكثير من أهل القيروان ، فقد عاد أبو يزيد الى معسكره ثانية ليسترد أنفاسه ويعيد ترتيب قواته ، ثــم زحف الى المهدية للمرة الرابعة فى أواخــر شوال سنة ٣٣٣ هـ / يونيــة ٩٤٥ م ولكنه فشــل فى اقتحامهــا (٢٢٠) ، فضرب الحصــار حولها ، وأحكمه

---

(٢١٧) البيــان ، ١ ص ٢١٨ •

(٢١٨) اتعاظ ، ص ١١٥ •

(٢١٩) تاريخ الأدب العربى ، ٣ ص ٧٩ •

(٢٢٠) ابن الأثير ، الكامــل ، ٨ ص ١٥٢ •

حتى أكل أهلها الدواب والميتة ، وخرج منها أكثر السوقة والتجار ، ولم يبق بها سوى الجنود (٢٢١) ، ففتح القائم بأمر الله الأهراء التى بها المؤن ، لاسيما القمح ، التى أعدها عبيد الله المهدى مؤسس الخلافة الفاطمية بالمغرب والمهدية من قبل ، ووزع ما فيها على جنده وعبيده (٢٢٢) ، وبفضل هذه الأهراء ومآجل (٢٢٣) الماء استطاع جند القائم بأمر الله الصمود أمام حصار أبى يزيد الزناتى ، ولولاها ما أطاقوا هذا الحصار (٢٢٤) .

ضاق أهل المهدية بالحصار ، فكتب الخليفة القائم بأمر الله خطبة أعطاها لأحد فقهائه ، ويدعى أحمد بن محمد بن عمر المروزى ليخطب بها فى كتامة ، ويثير حماسهم لحرب أبى يزيد (٢٢٥) ، واجتمعت قبائل كتامة فى قسنطينة (٢٢٦) أكثر مدن افريقية مناعة وحصانة (٢٢٧) ، لامداد الخليفة القائم بأمر الله ، فأرسل اليهم أبو يزيد جيشا هزمهم وفرق شملهم ، فيئس القائم بأمر الله من امدادهم (٢٢٨) . ولم يعد أمام أبى يزيد سوى الاستمرار فى حصار المهدية بعد أن فشل فى اقتحامها مرات لحصانتها ، واستبسال من فيها فى الدفاع عنها ، ولكن لم يبق معه من أنصاره الا القليل ، فقد انقلعت عنه قبائل البربر الذين

---

(٢٢١) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٥ ، انظر ،
Ency. of Isl. (Art Mahdiya), led, t 3, P. 121

(٢٢٢) ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٦٠

(٢٢٣) وكان المهدى انشأ بالمهدية ٣٦٠ ماجلا لماء المطر ، (انظر ، قبله) والماجل هو المكان الذى يجتمع فيه الماء ، (ابن الشباط ، وصف الاندلس ، ص ١٥٩) ويبدو انها خزانات مكشوفة ليجتمع فيها ماء المطر .

(٢٢٤) التجانى ، رحلة ،ص ٣٢٣ .

(٢٢٥) الجوذرى ، سيرة ، ص ٥٤ ـ ٥٥ ، انظر الملاحق .

(٢٢٦) وهى قلعة كبيرة جدا حصينة عالية ، ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها ، وهى على حدود افريقية من جهة المغرب ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٨٩ .

(٢٢٧) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٦٥ .

(٢٢٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ .

انضموا اليه طمعا فى الغنائم ، بعـد أن أصاب الدمار افريقيـة ، ولم يبق بهـا ما يغنمون (٢٢٩) ، وانشقت عليه بعض قواته وانضموا الى القائم بأمر الله (٢٣٠) ، وعـاد آخرون الى مواطنهم (٢٣١) ، ولـم يبق معه سوى أهل عصبيته من زناتة الأوراس وبعض هوارة (٢٣٢) .

ما أن علم القائم بأمر الله بأن أنصار أبى يزيـد قد تفرقوا عنه ، حتى أرسل اليه جيشـا فى ذى القعدة سنة ٣٣٣ هـ / يوليه ٩٤٥ م — وهى المعركة التى أسر فيها أبو العرب تميم المحدث المشهور وفقيه القيروان — وكانت الحرب بينهم سجالا (٢٣٣) ، فبعث أبو يزيـد الى عصبيته بجبل أوراس يستمدهم فأمدوه ، واستطاع بهم أن يهزم جند القائم بأمر الله ، ويعيد الحصار حول المهدية الى ما كان عليه ، فهرب الكثير من أهل المهدية الى صقليـة وطرابلس ومصر (٢٣٤) ، واستمرت المعـارك بين أبى يزيـد وجند القائم بأمر الله حتى انفض عن أبى يزيـد معظم أنصاره ، اما بسبب المنافسـة فيما بينهم (٢٣٥) ، واما بسبب المقاومة العنيدة من أهل المهدية وجندها (٢٣٦) ، مما كان سببا فى فتور حماس أتباع أبى يزيد (٢٣٧) ، فرحل أبو يزيـد عن المهدية دون حرب فى صفر

---

(٢٢٩) ابن الأثير ، الكامـل ، ٨ ص ١٥٣ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٥٥ .

(٢٣٠) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٦ ، ويبدو أن ذلك الانشقاق كان بسبب الخلاف بين العصبيات اذ يذكر المقريزى « انهم فروا الى المهدية بسبب عداوة كانت بينهم وبين اقوام سعوا بهم اليه ، (اتعاظ ، ص ١١٦) .

(٢٣١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ ، انظر ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٩١ .

(٢٣٢) التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٦ ، انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج، ص ١٨٤ .

(٢٣٣) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٥ — ١١٦ ، اذ يذكر عـدة معارك كان النصر فيهـا قسمة بين الفريقين .

(٢٣٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٣ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٥٥

(٢٣٥) ابن خلدون ، العبز ، ٤ ص ٤٢ ، ويذكر ابن النديم أن أبا يزيد أظهر المذهب الاباضى فتفرق الناس عنه ، (الفهرست ، ص ٢٦٥) .

(٢٣٦) أنظر ، O'leary, Op. Cit., P. 89

(٢٣٧) أنظر ، Abun-Nasr, Op. Cit., P. 84

ســـنة ٣٣٤ هـ / سبتمبر ٩٤٥ م (٢٣٨) ، وترك جميـــع أثقاله وخيامه ومعداته ، فاستولى أهل المهديـــة على معسكره ، وغنموا طعاما كثيرا ، فحسنت حالهم ورخصت الأســـعار (٢٣٩) ، مما يبين لنا ما أعده أبـــو يزيد استعدادا لطول مـــدة الحصار ، الا أن أتباعه خذلوه وتفرقوا عنه ، فلم يجـــد بدا من الرحيل عن المهدية .

وبعد أن تفرق عن أبى يزيـــد الكثير من أنصاره ، وبقيت معـــه عصبيته من زناتة عـــاد الى القيروان ، فأراد أهلهـــا أن يســـلموه الى القائم بأمر الله ، ولكنهم أخفقوا فى سعيهم (٢٤٠) لوجود عصـــبيته معه تحميـــه وتذود عنه ، وثارت معظم مدن افريقيـــة : سوسة ، وتونس ، وتبسة ، ومجانة ، والأربس ، ورقـــادة (٢٤١) ، على أبى يزيـــد ، ودخلت فى طاعة القائم بأمر الله الفاطمى (٢٤٢) ، الا أن مدينة باجة — الواقعة بالقرب من تونس وعلى الطريق بين المهدية وقسنطينة (٢٤٣) — ظلت على ولائها لأبى يزيـــد ، فارســـل ابنه أيوب اليهـــا لحمايتهـــا ، وينتظر وصول المدد ، فجاءت الأنباء الى أيوب بأن على بن حمـــدون الأندلسى والى مدينة المسيلة من قبـــل الفاطميين ، فى طريقه الى المهدية بجيش من أهل قسطنطينة وسطيف (٢٤٤) وهم من قبائل كتامة لامداد القائم بأمر الله ، فكمن له أيوب فى الطريق وأخـــذه على غرة ، وبدد شمل الجيش ، وغنـــم أثقالهم ، وفر على بن حمـــدون الأندلسى بنفسه ناجيـــا (٢٤٥) .

---

(٢٣٨) ابو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ٩٢ .

(٢٣٩) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٧ .

(٢٤٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٥ .

(٢٤١) لم يذكر احد من المؤرخين اسماء المدن التى خرجت على ابى يزيـــد ودخلت فى طاعة القائم بأمر الله ، الا ان هذه المدن هى التى رفضت ان يدخلهـــا ابو يزيد بعد تخليه عن حصار المهدية .

(٢٤٢) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٢ .

(٢٤٣) انظر ، ما جد والبنا ، الأطلس التاريخى ، خريطة رقم ١٠ .

(٢٤٤) وهى تقع فى جبال كتامة بين تاهرت والقيروان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٨٢ .

(٢٤٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص٨٢

وبعث أبو يزيد قائده مستويه الخارجى النكارى مثله لاعادة تونس الى الطاعة (٢٤٦) ، ودخلها عنوة فى صفر سنة ٣٣٤ هـ / سبتمبر ٩٤٥ م (٢٤٧) ، فأرسل القائم بأمر الله جيشا لمساعدة أهل تونس ، وخرج مستويه اليه والتقى به خارج المدينة ، واستطاع هزيمته ومن معه من كتامة هزيمة منكرة ، الا أن مستوية جرح وهو يطارد فلول الجيش الفاطمى (٢٤٨) ، فكر الجيش الفاطمى عليه وهزمه واستعاد تونس فى ربيع الأول سنة ٣٣٤ هـ / أكتوبر ٩٤٥ م (٢٤٩) ، فأرسل أبو يزيد ابنه أيوب لاستعادة تونس ثانية ، ونجح فى مهمته وأخضع تونس للطاعة ، الا أن القائم بأمر الله الفاطمى لم يتخل عنها ، وأرسل اليها جيشا تلو الآخر ، فكسب أيوب المعارك الاولى ، ولكنه هزم فى النهاية(٢٥٠) وترك تونس الى مدينة باجة التى خرجت على الطاعة ، فاستردها وأضرم فيها النيران (٢٥١) ، ثم عاد الى القيروان فى آخر ربيع الأول سنة ٣٣٤ هـ / نوفمبر ٩٤٥ م (٢٥٢) .

وفى الوقت الذى كان فيه أبو يزيد يحاول استرداد المدن القريبة من المهدية مثل تونس وباجة لطاعته ، كان على بن حمدون الاندلسى والى المسيلة من قبل الخليفة القائم بأمر الله ، ومن انضم اليه من جنود كتامة يغيرون على مضارب القبائل التى انضم فرسانها الى أبى يزيد(٢٥٣) حتى يرغمه على ارسال جيوش لحمايتها ، أو ينفض عنه بعض أصحابه

---

(٢٤٦) التجانى ، رحلة ، ص ٢٢ .

(٢٤٧) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٧ .

(٢٤٨) التجانى ،رحلة ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢٤٩) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٧ .

(٢٥٠) ابن الأثير ،الكامل ، ٨ ص ١٥٤ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢٥١) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٧ .

(٢٥٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٤ .

(٢٥٣)ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٢ .

لحماية مضاربهم وذويهم ، فتضعف قوة أنصاره ، لـذا ما أن عـاد أيوب الى القيروان حتى بعثه ابو يزيد لقتال على بن حمدون الأندلسى ، فانتصر على بن حمدون عليه وعلى كل الجيوش التى أرسـلها اليه أبو يـزيد ، واسـترد مدينتى باغاية وتيجس لطاعة الفاطميين (٢٥٤) ، وقد أعـانه على ذلك أن غالبيـة سـكان تيجس من كتامة (٢٥٥) • وقد أبلى عـلى ابن حمدون الاندلسى أحسن البلاء فى حربه مع أبى يزيد حتى سـقط به فرسـه فـدق عنقـه فى ربيع الآخر سـنة ٣٣٤هـ/ديسمبر ٩٤٥ م ، وخلفه ابنه جعفر فى رئاسة المسيلة وفى حرب أبى يزيد الزنانى (٢٥٦)•

ويبدو أن أهل سوسة كانوا من المتعصبين لاهل السنة (٢٥٧) ، اذ ثاروا على أبى يزيد بعيد أن فارقه أهل القيروان ، وقبضوا على ولاته

---

(٢٥٤) نفس المصدر والصفحة ، ويذكر ابن الأثير تفاصيل كثيرة عن حروب على بن حمدون مع الجيوش التى ارسلها أبو يزيد للدفاع عن مضارب القبائل التى ظلت على ولائها لأبى يزيد وهم زناتة افريقية وبعض هـوارة ، (الكامل ، ٨ ص ١٥٥) ، الا أن ابن حماد يذكر أن أيوب بن أبى يزيد هـزم على بن حمدون ، (أخبار بنى عبيد ، ص ١٩ ـ ٢٠) •

(٢٥٥) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٧ •

(٢٥٦) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٥ ، انظر ، شعيرة ومحمد حسين ، محققا سيرة جوذر ، ص ١٧٥ •

(٢٥٧) اذ اشتهر من مدينة سوسة الكثير من الفقهاء والمحدثين ، (ابن القيسرانى ، الأنسـاب ، ص ٧٨ ـ ٧٩ ، ابن الاثير ، اللباب ، ١ ص ٥٧٧) ، وعلى مقربة منهـا يوجد المنستير حيث يجتمع عباد افريقيـة ، (ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٥ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٢٠) ، وبداخلهـا وحولها محارس وروابط ومجامع الاوليـاء والصالحين ، (البكرى ، المغـرب ، ص ٣٥)، لذا فان بعض الشعراء شبهوا سوسة بالمدينة المنورة ، ومن ذلك يقول احدهم :

ألـم بسوسـة وبغى عليهـا	ولكن الالـه لهـا نصـير
مدينة سـوسة للغـرب ثغر	يدين لها المدائن والقصـور
لقد لعن الذين بغوا عليهـا	كما لعنت قريظة والنضير ،

(ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٩) •

وأتباعه بالمدينة ، وبعثوا بهم الى المهدية (٢٥٨) ، مما أثار غضب أبى يزيد على أهل سوسه ، مجد حينئذ فى أمره وجمع العساكر حتى بلغ فرسان جيشه ثمانين ألفا (٢٥٩) ، وسار الى مدينة سوسة فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ هـ / يناير ٩٤٦ م ، وبهـــا جيش القائم بأمر الله ، وضرب حولها الحصار (٢٦٠) ، ونصب عليها الدبابات والمنجنيقات والآت الحصـــار (٢٦١) ، ودارت الحرب سجالا حول سوسة ، اذ وقفت مناعة المدينة ـــ التى يحيط بها البحـــر من ثلاث جهـــات وعليها سور من صخر محكم ومتقن البناء ، الى جانب ما عرف عن أهلهـــا من الشـــدة والبأس (٢٦٢) ـــ أمام غضبـــة أبى يزيد وكثرة جيشـــه وقوة معداته ، ومن ثم استطاعت أن تصمد للحصار طويلا .

وتوفى الخليفـــة الفاطمى القائـــم بأمر اللـــه أثناء حصار أبى يزيد لمدينـــة ســـوسة ، ليس أثنـــاء حصـــاره لمدينـــة المهـــدية كما اعتقد بعض المؤرخين (٢٦٣) ، اذ توفى يوم الاحـــد لثلاث عشرة مضـــت من شوال ٣٣٤ هـ / التاسع عشر من مايو (٢٦٤) ، بعد أن بذل كل

---

(٢٥٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٤ ، الأندلسى ، الحلل السندسية ، ١ ص ٣٠٠ .

(٢٥٩) البكرى ، المغرب ، ص ٣٥ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١٧٤ ، وان كان فى هذا العدد مبالغة واضحة ، فانه يدل على كثرة الجيش الذى أعده أبو يزيد لحصار سوسة .

(٢٦٠) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١١٩ ، الا أن الأندلسى يذكر أن حصار أبى يزيد لمدينة سوسة كان سنة ٣٣٢ هـ / (٩٤٣ ـــ ٩٤٤) م ، (الحلل السندسية ، ١ ص ٣٠٠) .

(٢٦١) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٢ .

(٢٦٢) البكرى ، المغرب ، ص ٣٥ ، التجانى ، رحلة ، ص ٢٧ .

(٢٦٣) ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٢٩٠ ـــ ٢٩١ ، ابن خلكان ، وفيـــات ، ١ ص ٧٧ ، ابن عـــذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢٩ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٥ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٠٢ .

(٢٦٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٦٣ ، ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٢٩٠ ، ٢ ص ٣٨٧ ، ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٢١ ، ابن عذارى ، البيان ١ ص ٢٠٨ ، الازدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ، بيبرس ، زبـــدة ، =

من شوال ٣٣٤ هـ / التاسع عشر من مايو ٩٤٦م (٢٦٤) ، بعد أن بذل كل اعداد الجيوش ، وارسالها تباعا لتوقف تقدم ابى يزيد وأتباعه الا أنها منيت بالهزيمـة ، وعمل على استنفار قبيلتى كتامه وصنهاجة ، وحثهم على قتال أبى يزيد ومن معه من زناتة ، فامدته كتامة بكل فرسـانها ، أما زعيم صنهـاجة وان أمد القائم بأمر الله بما أعانه واهل المهدية على الصمود للحصـار ، الا أنه لم يدخل بكل ثقله الى جانب الخليفة القائم بأمر الله ٠

وفى رأينا أن القائم بأمر الله لم يكن فى مقدوره أن يفعـل أكثر من ذلك أمام ثورة فى بداية انطلاقها وتضم بطون زناتة التى عادت الفاطميين فضلا عن قبائل بربرية أخرى انضمت الى أبى يزيد وزناتة بسـبب الاتجاه المذهبى للخليفة القائم بأمر الله وسياسته الماليـة الجائرة ، سوى أن يخرج بنفسه يقود جيوش الخلافة حتى يزيد من حماس جنده كما سيفعل خلفه اسماعيل المنصور بالله ٠

المرحـلة الثالثـة :

كان الخليفة الفاطمى القـائم بأمر الله قد فوض الخلافة الى ابنه وولى عهده اسماعيل فى رمضان سنة ٣٣٤ هـ / ابريـل ٩٤٦ م (٢٦٥) ، وأشهد جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم على هذا التفويض (٢٦٦) ،

= الله، أنظر ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩٨ ، ٥٣٤ ، الدوادرى ، كنز، ص ١٢٦ ، الا أن بعض المؤرخين ذكروا تواريخـا اخرى لوفاة القائم بأمـر الله ، انظر ، السيوطى ، تاريخ الخلفـاء ، ص ٣٩٨ ، ٥٢٤ ، الدواداري ، كنز ، ٦ ص ١١٥ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقـة ٣٣٤ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٢٠ ٠

(٢٦٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٥ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٧ ٠

(٢٦٦) ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٢٩٠ ، ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢١ ، اذ جمـع القائم بامر الله الفاطمى جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم وقال لهم « هذا مولاكم ، وولى عهدى والخليفة من بعدى » ، (نفس المصـادر والصفحات) ٠

ودعى لاسماعيل على منابر افريقيه بعد توليته العهد (٢٦٧) ، وتوفى القائم بأمر الله بعد ذلك بما يقرب من شهر ، فكتم اسماعيل — الذى اتخـذ فيما بعد لقب المنصور بالله — خبر وفاة أبيه حتى لا يفت فى عضد أتباعه (٢٦٨) ، وخوفا من أن يعلم أبو يزيد الذى كان ما يزال على حصار مدينة سوسة (٢٦٩) ، ولذا لم يغير اسماعيل — الذى سنسميه بلقبه الخلافى — شيئا من رسوم الخلافة ، فلم يتسـم بالخليفة ، ولم يغير الخطبة والبنود والسكة (٢٧٠) ، فكانت أول عملـة ضربها باسمه سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م (٢٧١) ، أى بعد القضاء على ثورة أبى يزيد — وكان المنصور بالله شجاعا رابط الجأش جيد الحدس حاد الذهن (٢٧٢) ، خرج الى محـاربة أبى يزيد بنفسـه وجد فى مطاردتـه ، وبـذل الامـوال فى سـخاء لاسـتمالة الرجال والقبائـل .

---

(٢٦٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٨ .

(٢٦٨) لم يصرح المنصور بالله بموت أبيه الا بعد ان كاد يقضى عـلى ثورة أبى يزيـد ، اذ يذكـر الجوذرى أن المنصور بالله صرح بموت القـائم بأمر الله بعد انتصاره الحاسم على ابى يزيـد واسترداد القيروان ، (سيرة ، ص ٤٦) ، ويحدد ابن الآبار ذلك بيوم عيد الاضحى سـنة ٣٣٥ هـ ، (الحلة ، ٢ ص ٣٨٨) .

(٢٦٩) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٦٩ .

(٢٧٠) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٦٣ ، ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعـلام ، ٣ ص ٤٨ ، الضياف ، اتحاف ، ص ١٢٤ ومما يؤكد أن المنصور بالله لـم يتخذ لقب الخلافة بعد موت والده مبـاشرة ، ما ذكره الجوذرى بأن الكتب كانت ترد من المنصور الى جوذر نائبه عـلى المهدية ، وعليها اسم الخليفة القائم بأمـر الله ، وذلك بعد وفاة القـائم بأمر الله ، (سيرة ، ص ٤٤) ، انظر ، الملاحق .

(٢٧١) انظر ، Lane-Poole, Catalogue of the Collection of Arabic Coins in the British Museum, Vol. 4, P. 6 ، الا ان الدرجينى يذكر ان أبا يزيد علم بوفاة الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله حين حدوثهـا ، (طبقات ، ١ ورقة ٤٤) .

(٢٧٢) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٧٧ ، ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٢٩١ ، ابن ظافـر ، أخبار ، ص ١٨ — ١٩ .

فما أن حمل المنصور بالله مسئولية الخلافة - وان لم يعلن عن ذلك - حتى جهز المراكب وشحنها بالمؤن والعتاد والرجال بعد أن بذل لهم الأموال (٢٧٣) ، وجعل قيادة الاسطول الى رشيق الكاتب (٢٧٤) ، وبعثه الى سوسة ليعينها على الصمود لحصار أبى يزيد (٢٧٥) ، وأراد المنصور بالله أن يقود الجيش الذى خرج مع الأسطول بنفسه ، فمنعه أصحابه وخاصته خوفا عليه (٢٧٦) • وصلت جند المنصور بالله الى سوسة ، فانضم اليهم أهلها ، واستطاعوا هزيمة أبى يزيد ، واستباحوا معسكره ، ووضعوا السيف فى جيشه ، ومن « سلم من السيف مات جوعا وعطشا فى طريقه فارا الى القيروان » (٢٧٧)، وقد أراد أبو يزيد دخول القيروان بعد هزيمته عن سوسة ، فثار أهلها عليه ومنعوه من دخولها (٢٧٨) ، فرحل الى سبيبة التى تقع على مسافة يومين من القيروان ، ولحق به من نجا من جيشه(٢٧٩) وأرسل ابنه أيوب الى عبد الرحمن الناصر خليفة الاندلس ، يطلب العون والمساعدة ، فوصل أيوب الى قرطبة سنة ٣٣٥ هـ / (٩٤٦ - ٩٤٧) م (٢٨٠) •

---

(٢٧٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٩ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٦١ •

(٢٧٤) وكل ما نعرفه عن رشيق الكاتب هذا ، انه كان كاتبا لجوذر ، وظل فى خدمته حتى سنة ٣٥٠ هـ ،) الجوذرى ، سيرة ص ٣٣) •

(٢٧٥) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٣ ، الضياف ، اتحاف ، ص ١٢٤ •

(٢٧٦) التجانى ، رحلة ص ٢٢٧ •

(٢٧٧) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٥ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٢٠ •

(٢٧٨) التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٧ •

(٢٧٩) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٢٠ ، الا أن ابن عذارى يذكر ان ابا يزيد عاد الى المهدية وحاصرها بعد هزيمته عن سوسة ، (البيان ، ١ ص ٢١٩) •

(٢٨٠) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٩٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٠ ، انظر ، Provinçal, Histoire, Vol. 2, P. 104; La Politica, P. 372

جاءت الانبـاء الى المنصـور باللـه بهزيمـه أبى يزيد ورحيلـه عن سـوسه ، فعقـد العزم على الخروج بنفسـه للقضـاء على هـده الثوره ، وترك المهديه فى اخر شوال سنه ٣٣٤ هـ / مايو ٩٤٦ م (٢٨١) ، بعد أن استخلف مولاه جوذر (٢٨٢) ، على العاصمه وسائر البـلاد وأعطاه مفاتيح بيت المال (٢٨٣) ، ونزل بجيشه غربى القيروان (٢٨٤) ، وأمن أهلها وعفا عنهم لما كان منهم من طرد أبى يزيد عن مدينتهم (٢٨٥) ، وحفر خندقا حول معسكره (٢٨٦) ، وأرسل ابو يزيد سرية من جيشه يتحسسون الاخبار ، وعلم المنصور بالله خبرها فأرسل جيشا للقضـاء عليها ، فكمن بعض أصحاب أبى يزيد ، والتقى الباقون مع جيش المنصور بالله ، وانهزموا أمامه يستدرجونه ، وخرج الكمين عليهم ، فهزموا جيش المنصور بالله وقتلوا الكثير منهم (٢٨٧) • عادت الثقـة الى أبى يزيد وأتباعه ، وخرج يريد استرداد القيروان ، وتعددت المعارك بين الفريقين ،

---

(٢٨١) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٨ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٢٠ •

(٢٨٢) وجوذر هذا عمل فى خدمة الخليفـة الفاطمى المهدى ، وكان بيديه أموال وأمـر قصر المهدى ، وقد قلده المهدى الفاطمى هذا المنصب لعلمه باخلاص جوذر فى طاعتهم • وقـد خـدم جوذر من الخلفـاء الفاطميين المهدى والقائم بأمـر الله والمنصور بالله والمعز ، كتـاب زهـر المعانى ، ص ٧٠ — ٧١ •

(٢٨٣) الجوذرى ، سيرة ، ص ٤٤ •

(٢٨٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٤ •

(٢٨٥) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٨ •

(٢٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٣ •

(٢٨٧) ابن الأثير ، الكامـل ، ٨ ص ١٥٦ ، لقد استخدم أبو يزيـد الكمائن فى كثـير من معاركه مع الفاطميين ، وعمـل الكمين عـرف به فرسان زناتـة الذين اعتمدوا فى حروبهم على سرعـة الكروالفر ، فقـد اسـتطاع خالد بن حميد الزناتى هزيمة كلثوم بن عياض القشيرى بالكمين سنة ١٢٣ هـ ، وحاول أبو قرة اليفرنى الزناتى استدراج الاغلب بن سالم والى العباسيين على افريقية سنة ١٤٨ هـ ، فهرب أمامه ، وعمل محمد بن خـزر أمير زناتة المغرب الأوسط على تنفيذ فكرة الكمين فى حروبه مع عبيد الله المهدى ، انظر قبـله •

وكانت الحرب سجالا بينهما (٢٨٨) ، وفشل أبو يزيد فى استرداد القيروان لاستماتة أهلها فى الدفاع عنها الى جانب المنصور بالله الفاطمى (٢٨٩) .

رحل أبو يزيد عن القيروان اخر ذى القعدة سنة ٣٣٤هـ / يوليه ٩٤٦ م ، بعد أن رأى امتناعها عليه (٢٩٠) ، وأرسل الى المنصور بالله فى حرمه وعياله الذين تركهم بالقيروان ، على أن يدخل فى طاعته بعد أن يؤمنه هو وأصحابه فأجابه المنصور بالله الى مطالبه ، ولكن أبا يزيد أعاد الكرة على القيروان فى المحرم سنة ٣٣٥ هـ / أغسطس ٩٤٦ م ، فهزمه المنصور بالله وقتل كثيرا من أنصاره (٢٩١) . وما أن وصل المدد الى المنصور بالله حتى عقد العزم على القضاء على الثوار ، وخرج الى لقاء أبى يزيد وعلى ميمنته أهل القيروان ، وعلى ميسرته كتامة ، وهو وعبيدة وخاصته فى القلب (٢٩٢) ، والتقى الجمعان فى سابع المحرم سنة ٣٣٥ هـ / التاسع من أغسطس ٩٤٦ م ، فكانت الهزيمة الساحقة لابى يزيد ومن معه ، وفقد على أثرها القيروان نهائيا ، ولم يحاول استردادها ثانية ، وعرفت هذه الموقعة الفاصلة بوقعة يوم الجمعة (٢٩٣) ، وفر أبو يزيد على أثرها تاركا أثقاله واسلحته (٢٩٤) .

---

(٢٨٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٦ ، ويذكر ابن الاثير تفاصيل كثيرة عن هذه المعارك وهى الى الأسطورة اقرب ، ويردد المقريزى وابن الخطيب أقوال ابن الأثير ، (اتعاظ ، ص ١٢١ ، اعمال الاعلام ، ٣ ص ٥٤) .

(٢٨٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

(٢٩٠) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٣ .

(٢٩١) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٢٢ .

(٢٩٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٦ .

(٢٩٣) الجوذرى ، سيرة ، ص ٤٤ — ٤٦ ، ويورد الجوذرى نص رسالة المنصور الى مولاه جوذر بعد انتصاره على ابى يزيد فى هذه الموقعة ، وبها وصف المعركة ، (انظر ، الملاحق) ، الا أن ابن الأثير والمقريزى يذكران أن هذه الموقعة كانت فى منتصف المحرم من سنة ٣٣٥ هـ ، (الكامل ، ٨ ص ١٥٦ ، اتعاظ ، ص ١٢٢) .

(٢٩٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٢٢ .

لم يمهل المنصور بالله أبا يزيد حتى يسترد أنفاسه ، فاستخلف على القيروان مداما الصقلى (٢٩٥) ، وطارد أبا يزيد الذى ضرب الحصار حول باغاية ،ولكنه ترك حصارها حين علم بقدوم المنصور بالله اليه ، وأراد أبو يزيد أن يتحصن بغيرها ، فكان المنصور بالله يسبقه الى كل مدينة يقصدها (٢٩٦) • وما أن وصل المنصور بالله الى مدينة طبنة (٢٩٧) التى تبعد عن باغاية بأربعة مراحل (٢٩٨) ، حتى وصلته رسل محمد بن خزر — أمير مغراوة الزناتية والمغرب الاوسط ، والذى كان من أعيان أصحاب أبى يزيد — بالاستعداد لمساندته ، فأكرم المنصور بالله رسله ، وكتب اليه باقتفاء أثر أبى يزيد (٢٩٩) ووعده بعشرين حملا من المال اذا ما قبض عليه (٣٠٠) ،الا أن معبد ابن خزر الزناتى — أخ محمد بن خزر أمير مغراوة — أبى التخلى عن أبى يزيد ، وظل على مساندته فى بعض مغراوة الزناتية حتى نهاية ثورته (٣٠١) • والغالب على الظن أن محمد بن خزر الزناتى تخلى عن أبى يزيد الزناتى بعد أن أيقن من هزيمته — وبخاصة أنه ليس من عصبيته القريبة ، وليس على مذهبه النكارى — وهو ما عبر عنه جوتييه « بان زناتة المغرب الأوسط انسحبت من مساندة أبى يزيد فى

---

(٢٩٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٧ •
(٢٩٦) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٣ — ٤٤ •
(٢٩٧) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٢٨ •
(٢٩٨) الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٧٧ •
(٢٩٩) الأزدى ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ، انظر ،
Gautier, Op. Cit., P. 384

(٣٠٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ ، ٢٦ ، وينفرد ابن حماد باخبار لم يذكرها غيره بأن محمد بن خزر الزناتى أرسل الى المنصور بالله الفاطمى بأنه اقام دعوته بأعماله ، وسأله ان يبعث اليه بالخطبة والسكة ، ليضربها على اسمه ، فبعث اليه المنصور بالله ما طلب ، ثم كتب المنصور بالله الى زناتة بالاغارة على بعض انصار ابى يزيد ففعلوا ، (اخبار بنى عبيد ، ص ٣٠) ، وما ذكره ابن حماد لايحتاج الى تعليق اذ كان اسماعيليا شيعيا ومن قبيلة صنهاجة •

(٣٠١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ •

الوقت المناسب » (٣٠٢) .

بعد أن تخلت مغراوة الزناتية ، وزعيمها محمد بن خزر عن أبى يزيد ، لم يعد معه سوى أهل عصبيته من بنى يفرن ، والبطون الزناتية التى أخذت بمذهبه ، ففر يعتصم ببنى برزال الزناتيين الذين دانوا بمذهب النكار (٣٠٣) ، وكانوا أهل بأس ونجده (٣٠٤) ، فاجتمعوا اليه وكمن بهم فى طريق المنصور بالله حتى يأخذه على غرة ، ولكن المنصور بالله الذى فطن الى طريقة أبى يزيد فى عمل الكمائن ، حذر جيشه فى الوقت المناسب ، وهزم أبا يزيد (٣٠٥) ، وهى المعركة التى عرفت بموقعة قصور الحيتان (٣٠٦) ، وفر أبو يزيد الى جبل سالات مضارب بنى برزال الزناتيين (٣٠٧) وغيرهم من البطون الزناتية (٣٠٨) ، فلم يستطع المنصور بالله مطاردته لوعورة الجبال ، وقلة الزاد (٣٠٩) ، وعاد الى بلاد صنهاجة (٣١٠) .

ومن الواضح أن زيرى بن مناد وقومه صنهاجة لم يشاركا الفاطميين فى القضاء على ثورة أبى يزيد منذ أن أمدوا القائم بأمر الله الفاطمى بالمؤن والفرسان أثناء حصار المهدية وحتى خروج المنصور

---

(٣٠٢) انظر ، Le passé de L'Afrique du Nord, P. 394

(٣٠٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص٥٣

(٣٠٤) نفسه ، ص ١٩٢ — ١٩٣ .

(٣٠٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٧ .

(٣٠٦) الجوذرى ، سيرة ، ص ١٢٧ ، وقد انشد المنصور بالله بعد انتصاره فى هذه المعركة .

أرونى فتى يغنى غنائى ومشهدى ... اذا رهج الوادى لوقع الحوافر
أنا الطاهر المنصور من نسل أحمد ... بسيفى أقد الهام تحت المغافر ،

نفس المصدر والصفحة

(٣٠٧) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢٧ .

(٣٠٨) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٤ ، ٧ ص ١٦ .

(٣٠٩) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٢٣ .

(٣١٠) أبو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ٩٢ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص ٧٤ .

باللـــه لمطاردة أبي يزيد ، وما أن اســـتعصى على المنصور باللـــه القبض على أبي يزيد لو عورة المنطقة التى لجأ اليها أبو يزيد ، حتى كاتب زيرى ابن مناد الصنهاجى ، « وبعث اليه أموالا جمة ، ومن الذهب والتحف والطرف ما استمال به النفوس ، واستلان به القلوب » (٣١١) ، لأن زيرى بن منـــاد كان على عـــداء مع قبيلة زناتة ، وقـــام بالاغارة على مضاربها بافريقية والمغرب الأوسط (٣١٢) ومن الضرورى أنه كان يعرف المنطقة التى لجـــأ اليها أبو يزيـــد ، فأراد المنصور بالله الاستعانة به فى مطاردة أبى يزيد . وبالفعل انضم زيرى بن مناد فى عساكر صنهاجة الى المنصور بالله « فأفاض عليه وعلى كافة صنهاجة الواصلين معه الأموال ، افاضـــة استسلم بها قلوبهم ، وصفت نياتهم ، وخلصت طوياتهم » (٣١٣) .

فى الوقت الذى انضم فيه زعيم صنهاجة وقومـــه الى المنصور بالله تخلى فيه بنو كملان عن أبي يزيد وطلبوا الأمان من المنصور باللـــه فأمنهم (٣١٤) ، الا أن المنصور بالله أصابه المرض ، واشتد عليه حتى يئس من نفسه (٣١٥) ، واستمر مرضه لمـــدة شهرين ، وعميت عليـــه أخبار أبى يزيد ، وعزم على الســـير الى تاهرت (٣١٦) ، لاستردادها من أيدى زناتة المغرب الاوسط الذين استغلوا فرصـــة انشـــغال الفاطميين بثورة أبي يزيد الزناتى واستولوا على تاهرت وطردوا واليها الفاطمى فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ / يناير ٩٤٥ م (٣١٧) . وبلغ أبا يزيد ما اعتزمه المنصور باللـــه فضرب الحصار حول مدينة المسيلة ، بيد أن المنصور بالله

---

(٣١١) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢٧ .

(٣١٢) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ ، انظر ،
Cherbonneau, Op. Cit., P. 485

(٣١٣) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢٩ .

(٣١٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

(٣١٥) النعمان ، المجالس ، ٢ ورقة ٦٥٢ .

(٣١٦) ابن حمـــاد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢٩ .

(٣١٧) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ .

لم يمهله وكر راجعا اليه وأزاحه عنها فى رجب سنة ٣٣٥ هـ لأ يناير ٩٤٧م (٣١٨) ، لأن مدينة المسيلة كانت ذات أهمية خاصة بالنسبة الى المنصور بالله فى تلك الظروف ، فقد كان بها الطعام مخزونا منذ بنائها ، وكانت عساكره تستمد منها الأقوات وتمتاد ، لانها لم يكن فى تلك المنطقة مدينة سواها (٣١٩) .

هرب أبو يزيد الى بلاد كيانة (٣٢٠) ، وعاد المنصور بالله الى المسيلة ، ووجه أحد قواده الى سطيف لاستنفار كتامة وآخر الى ميلة (٣٢١) لنفس الغرض (٣٢٢) ، وما أن جاءته الامدادات حتى خرج لمطاردة أبى يزيد فى شعبان سنة ٣٣٥هـ / مارس ٩٤٧م ، ودارت رحى معركة أبلت فيها صنهاجة وزعيمها زيرى بن مناد أحسن البلاء ، وكانت غاية زيرى بن مناد الصنهاجى قتل أبى يزيد ، الا أن استماتة أصحاب أبى يزيد فى الدفاع عنه ، وقفت حائلا أمام تصميم زيرى (٣٢٣) ، وتقهقر أبو يزيد الى قلعة بجبل كيانة (٣٢٤)، على بعد اثنى عشر ميلا من المسيلة (٣٢٥) ، ليتحصن بها من مطارديه ،

---

(٣١٨) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٢٣ .

(٣١٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٦٠ ، ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ١٣ .

(٣٢٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٢٠ ، انظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٥٩ .

(٣٢١)وهى مدينة صغيرة باقصى افريقية بينها وبين بجاية ثلاثة ايام وبينها وبين قسنطينة يوم واحد ، وأهلها من قبيلة كتامة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٣٢٢) ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٣٠ .

(٣٢٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٤ .

(٣٢٤) الجوذرى ، سيرة ، ص ٤٨ ، التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٧ ، انظر ، O'leary, Op. Cit., P. 91 ، ويذكر النعمان أن المنصور بالله أرسل الى ابى يزيد واصحابه بالامان وهو محاصر لهم بقلعة كيانة ، فردوا رسالته ، (المجالس ، ٢ ورقة ٥١٥) .

(٣٢٥) ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ١٣ .

ولم يستطيع المنصور بالله اقتحام القلعة ، فأضرم النيران فى الشعراء المبجطة بها ، ثم اقتحمها جند المنصور بالله وحاول أبو يزيد الهرب ، فوقع مثخنا بالجراح فى قبضـــة جند المنصور بالله (٣٢٦) ، فحملوه الى المنصور بالله لخمس بقين من المحـــرم ســـنة ٣٣٦ هـ / السابع عشر من أغسطس ٩٤٧ م ، فسجد المنصور بالله لله شكرا (٣٢٧) .

وكان أبو يزيد أرســـل ابنـــه أيوب الى عبد الرحمن الناصر لدين الله خليفة الأندلس ، فوصل الى قرطبة فى ربيـــع الأول ســـنة ٣٣٥ هـ / أكتوبر ٩٤٦ م ، فأحسن الناصر لدين اللـــه اســـتقباله وأنزله قصـــــر الرصافة (٣٢٨) ، وظل أيوب فى ضيافة الناصر لدين الله حتى جاءته رسل أبى يزيد ، أثنـــاء حصاره لمدينة المســـيلة ، يتعجل ارســـال المـــــدد الذى جاء أيوب الى الناصر لدين اللـــه من أجله ، فتعلل الناصر لدين اللـــه ووعدهم خيرا ، وأجل امداد أبى يزيد حتى يرى نتيجة ثورته (٣٢٩) . ويبدو أن رأى الناصر لدين اللـــه اســـتقر فى النهاية على امـــداد أبى يزيد بالمســـاعدة ، اذ يذكر البعض أن الناصر لدين الله الأموى أرســـــل أســـطوله بقيادة ابن رماحس لمســـاندة أبى يزيد ، الا أن الأنبـــــاء جاءت الى قائـــد الاســـطول بهزيمة أبى يزيد ، وتقهقـــره أمام قـــوات الفاطميين ، فعـــاد ثانية الى الأندلس (٣٣٠) .

وبعد أن قبض على أبى يزيد ، ظل فى الاسر أياما ، ثم كانت وفاته فى آخر المحرم سنة ٣٣٦ هـ / ٢٢ أغسطس ٩٤٧ م ، من أثـــر ما أصيب

---

(٣٢٦) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٧٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

(٣٢٧) ابن ظافر ، اخبار ، ص ١٨ ، ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٧٧ .

(٣٢٨) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٩٠ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٠ ، انظر

Provinçal, Histoire, Vol. 2, P. 104; La Politica, P. 372.

(٣٢٩) نفس المصدر والصفحة

(٣٣٠) انظر ،

Ency. of Isl. (Art Abu-Yazid), 2ed, V. 1, P. 163

به من جراح (٣٣١) ، ومثل المنصور بالله بجثته بعد موته (٣٣٢) ، اذ أمر بسلخ جلده وحشوه تبنا أو قطنا ، واتخذ له قفصا أدخله فيه مع قردين يلعبان عليه ، وطيف به من جبال صنهاجة بالمغرب الأوسط حتى المهدية ، ثم صلب على سور المهدية حتى نسفته الرياح (٣٣٣) ، وكان المنصور بالله قد أمر بارسال الكتب الى جميع عماله ببلاد شمالى أفريقيا بانتصاره على أبى يزيد ، وبما أفاء الله عليه من فتح (٣٣٤) ، وجاءت الوفود الى المنصور بالله مهنئين ، والشعراء مادحين بالقضاء على ثورة أبى يزيد (٣٣٥) ٠

وبذلك أخفقت ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى بعد أن حقق الكثير من الانتصارات على الفاطميين ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى من القضاء على خلافتهم ، اذ استولى على كل افريقية فيما عدا المهدية عاصمة الخلافة الفاطمية (٣٣٦) ، وبلغ الخطر الزناتى على الفاطميين أقصى مداه (٣٣٧) ، ولكن حالت عوامل عدة دون تحقيق الهدف ، ومن المحقق أن استبسال كتامة وصنهاجة فى الدفاع عن الفاطميين كان من

---

(٣٣١) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٨ ، ويذكر رزق الله منقريوس ، أن الذى قتل أبا يزيد هو أحد أصحابه ، ثم أحضر رأسه الى المنصور بالله ، (دول الاسلام ، ١ ص ٣٢٧) ، وربما خلط بين أبى يزيد وابنه فضل ، انظر ، بعده ٠

(٣٣٢) ابن الخطيب ، ٣ ص ٥٤ ، ابن خلدون ، ٤ ص ٤٤ ، التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٨ ٠

(٣٣٣) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٩ ، التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٨ ، أبى دينار ، المؤنس ، ص ٦١ ، مع اختلافات بسيطة فى التفاصيل ، أما ابن عذارى فيذكر أن أبا يزيد وضع فى قفص وهو مازال حيا ، وجيء به الى المنصور بالله بالمهدية ، فقتله وصلبه على باب المهدية ، ثم أمر بسلخه وحشو جلده قطنا وصلبه ، (البيان ، ١ ص ٢٢٠) ٠

(٣٣٤) الجوذرى ، سيرة ، ص ٥١ ، ابو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ٩٣ ٠

(٣٣٥) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٩ ، انظر ٠
Cherbonneau, Op. Cit., P. 498

(٣٣٦) ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٢٠ ٠

(٣٣٧) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٩ ٠

أهم العوامل التى سببت فشل زناتة فى اسقاط الخلافة الفاطمية ، وكان الخليفة الفاطمى المنصور بالله الذى قاد جيوش الخلافة بنفسه ، واشترى ولاء صنهاجة وعجيسة من البرانس بما أغدقه عليهم من أموال (٣٣٨) ، سببا فى القضاء على الثورة ، وقتل زعيمها الذى التفت حوله بطون زناتة افريقية •

وتحامل غالبية المؤرخين من سنة ومتعاطفين مع العلويين وشيعة على أبى يزيد ، فاتهمه ابن الأثير وابن الخطيب وغيرهما ، بأن مذهبه كان تكفير أهل السنة ، وأنه كان يستحل دماء وأموال المخالفين لمذهبه (٣٣٩) ، كما كان يستحل نساءهم وأعراضهم (٣٤٠) ، وأنه كلما دخل بلدا قتل الرجال وسبى النساء والاطفال ، وقطع الأعضاء وبقر البطون (٣٤١) ، وأنه ترك جنده يقتلون وينهبون القيروان بعد أن استولى عليها حتى خربت (٣٤٢) ، ويردد المتعاطفون مع العلويين من المؤرخين ذلك (٣٤٣) ، أما مؤرخو الشيعة فمن الطبيعى أن يرددوا نفس الاتهامات بل ويزيدوا عليها ، فهو فى نظرهم مارق عن الدين (٣٤٤) ، وتخلى عن المبادىء التى ثار من أجلها (٣٤٥) ، وكان يعمل من رءوس

---

(٣٣٨) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢٧ ، ٢٩ •

(٣٣٩) الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، اعمال الاعلام ، ٣ ص ٥٣ ـ ٥٤ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٥ •

(٣٤٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٣ ، التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٨ •

(٣٤١) التجانى ، رحلة ، ص ٢٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٢٥ ـ ٢٦ ، ٤٣٣ •

(٣٤٢) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥١ •

(٣٤٣) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٠ ، ويضيف ابن خلدون ان ابا يزيد كان يجاهر بالمحرمات ، (نفسه ص ٤٢) •

(٣٤٤) اذ يذكرون أنه كان يرى الجمع بين الأختين بملك اليمين ، (ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٢٠) ، ويفض الاخوة الابكار فى فراش واحد ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، كتاب زهر المعانى ، ص ٧٩ •

(٣٤٥) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٤ ، ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٢٠ •

القتلى أكواما ويأمــر المؤذنين بالآذان عليها (٣٤٦) .

وليس من شك فى تجنى هؤلاء المؤرخين على أبى يزيــد ، ويستشف ذلك مما ذكروه من أخبار عنه ، فقــد تعلم القران وعلمه (٣٤٧) ، ودرس الفقه ومذاهب الاباضــية المختنفــة حتى رأس فى الفتيا (٣٤٨) ، وكان من مشاهير حملة العلم فى البربر (٣٤٩) ، وأحد أئمة الاباضيــــة النكار (٣٥٠) ، بل تفرد بامامة الأباضــية النكارية فى عصره (٣٥١) ، والمذهب الأباضى أقــرب المذاهب الاسلاميــة لأهل السنة (٣٥٢) ، اذ أنه لا يستحل الدماء والأموال والفروج لمخالفيهم ، ولــم يستحلوا من أموالهم سوى الخيــل والســــلاح ،أما الذهب والفضــــة فترد الى أصحابها (٣٥٣) ، كما أن الخوارج على وجه العموم مشهورون بالزهد ، لأنهم أهل عبادة ونسك (٣٥٤) ، وكان أبو يزيــد مثالا لهم (٣٥٥) ، فقــد خرج غضبا لله (٣٥٦) ، ولم يكن يلبس الا الخشن من الصوف ، ولا يركب الاحمارا (٣٥٧) ، وكرس حياته لدعوته ، فكــان مثــالا

(٣٤٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٦ .

(٣٤٧) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٠٩ .

(٣٤٨) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٠٥ .

(٣٤٩) نفس المصدر والصفحة .

(٣٥٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٦ ، السطر الأخير .

(٣٥١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ .

(٣٥٢) انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ٤٢ ، مغربيــات ، ص ٧٨ .

(٣٥٣) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ١ ص ٨٢ ، انظر ، البشبيشى ، الفرق الاسلامية ، ص ٤٧ ــ ٤٩ .

(٣٥٤) انظر ، العبادى ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٢٣٣ ، البشبيشى ، نفس المرجع ، ص ٥٢ .

(٣٥٥) اذ كان أبو يزيد كثيرا ما يتمثل قول الشاعر .

اذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاتــه منهــا فليس بضائر

(ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٢١) .

(٣٥٦) الأزدى ، اخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٥ ، النويرى ، نهــاية ، ٢٦ ورقة ٣٦ .

(٣٥٧) نفس المصادر والورقات ، انظر ، Gautier, Op. Cit., P. 382

للرجل العظيم (٣٥٨) ، فقد أخذ نفسه بالاحتساب على الناس والولاة وجباة الضرائب فى أعمالهم وأفعالهم حتى صار له جماعه يعظمونه قبل القيام بثورته (٣٥٩) ، وقام بثورته وهو فى سن الشيخوخة وبعد أن بلغ الستين من العمر (٣٦٠) ، ولم يكن شابا كما ذكر البعض (٣٦١) . وقد أعطى أبو يزيد ، الذى عرف بشيخ المؤمنين (٣٦٢)، الكثير من المدن التى فتحها الامان ، ولم يلجأ الى أساليب البطش الاحين تمردت عليه هذه المدن ، وانضمت الى خصومه (٣٦٣) ، وهذه طبيعة الحرب ، فما فعله الجيش الفاطمى فى أنصار أبى يزيد بعد أن استردوا مدينة سوسة فى أول عهد المنصور بالله ، يفوق فى قسوته كل ما وصف به أبو يزيد من بطش بالمدن . ومما يدحض أقوال المؤرخين عن استباحة أبى يزيد لمدينة القيروان بعد أن استولى عليها من أيدى الفاطميين ، انضمام فقهاء القيروان اليه بعد استيلائه على المدينة، وخروجه لمحاربة الفاطميين ، واثارتهم لاهل القيروان بالخطب الحماسية ، لينضموا اليه فى قتال الفاطميين ، وخروج أولياء القيروان وفقهائها معه وعلى رأسهم أبو العرب تميم المحدث المشهور (٣٦٤) ، الذى أسر وقتل فى احدى المعارك مع الفاطميين (٣٦٥) ، ثم خروج وفد من أهل

---

(٣٥٨) Provinçal, Histoire, Vol. 2, P. 103; Le Tourneau, Op. Cit., P. 123

(٣٥٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٠ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٠٩ .

(٣٦٠) ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ١٩ ، Ency. of Isl. (Art Abu-Yazid), 2ed, Vol. 1, P. 163 ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٩٣ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ١٧٠ .

(٣٦١) أنظر ، النصولى ، الدولة الأموية ، ١ ص ١١٧ .

(٣٦٢) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٧٧ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٦ ، انظر ، العبادى ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠١ .

(٣٦٣) انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٨٨ .

(٣٦٤) الدباغ ، معالم ، ٣ ص ٤٤ ، ٧٥ ، انظر Idris, Op. Cit., PP. 81 — 82

(٣٦٥) انظر ، بروكلمان ، تاريخ الادب العربى ، ٣ ص ٧٩ .

القيروان وعلى رأسهم تميم بن أبى العرب الى الناصر لدين الله الاموى خليفـة الاندلس يطلبون منه مـد يـد العـون والمسـاعدة الى أبى يزيد (٣٦٦) ، كمـا أن شـاعر القيروان أبا القاسم محمد بن عبد الله الفزارى نفسه مدح أبا يزيد (٣٦٧) .

وقصارى القول ، علينـا ان نضع فى الاعتبـار « ان المنتصر دائما صاحب الحق ، وصاحب الصورة المشرفـة ، بينمـا الويـل كل الويل للمغلوب » (٣٦٨) ، ومما لا شـك فيه أنه لو قدر لثورة ابى يزيد مخلد الزناتى النجاح ، لصار هو من مشاهير التاريخ (٣٦٩) .

وقد حاول فضـل بن أبى يزيد الاستمرار بالثورة التى بدأها أبوه وراح ضحيتها ، فعمل على ايستنفار بطون زناتة ، وذهب الى شيخى بنى واسين الزناتيين أبى القاسم وأبى خزر يستنصرهما ، فرفضا الانضمـام اليه (٣٧٠) ، لما كان بين القبيلتين الزناتيتين من حروب وثـارات قديمة (٣٧١) ، الا أن معبد بن خزر انضم اليه فى بعض قومه مغراة الزناتيـة ، وأغاروا على الجيش الفاطمى فتصدى لهم زيرى بن مناد فى عساكر صنهاجة ، واستطاع ردهم على أعقابهم (٣٧٢) ، ثم أرسل المنصور بالله الفاطمى جيشا بقيادة موليبه شفيع وقيصر لمطاردة فضل بن أبى يزيد ومن معه من زناتة ، فظلوا على مطاردتهم حتى انقطع أثرهم (٣٧٣) ،

---

(٣٦٦) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ٢٢٨ — ٢٢٩ ، انظر
Provinçal Histoire, Vol. 2, PP. 103 — 104.
العربى ، ٢ ص ١٠٤ .

(٣٦٧) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢٢ ، انظر ، بروكلمان ، تاريخ الادب العربى ، ٢ ص ١٠٤ .

(٣٦٨) انظر ، ماجد ، العصر العباسى الاول ، ١ ص ٢٩٦ .

(٣٦٩) انظر ، Fournel, Op. Cit., P. 275

(٣٧٠) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٦ .

(٣٧١) الشماخى ، السير ، ص ٣٥٥ — ٣٥٦ .

(٣٧٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٦ .

(٣٧٣) نفس المصدر والصفحة ، انظر ، شعيرة ومحمد حسين ، محققا ، سيرة جوذر ، ص ١٨٠ .

وما ان عاد الجيش الفاطمى حتى عاد فضل ومن معه من زناتة ثانية يغيرون على حورة قسطيليه ، فخرج المنصور بالله الفاطمى بنفسه فى جيش عظيم ليرهبهم ، فتوغلوا فى الصحارى هربا من مواجهته ، وظلوا بها حتى عاد المنصور بالله بجيشه الى القيروان(٣٧٤)، ثم عاد فضل من جديد الى جبل أوراس ، وضرب الحصار حول مدينة باغايه ، الا أن بعض أصحابه غدروا به وقتلوه ، وحملوا رأسه الى المنصور بالله ، فطيف برأس فضل فى القيروان (٣٧٥) ، وعاد المنصور بالله الى المهدية مطمئن البال فى رمضان سنة ٣٣٦ هـ / مارس ٩٤٨ م (٣٧٦) .

وبعد ان عاد ايوب بن ابى يزيد من قرطبه — وبعد مقتل اخيه فضل — عمل على اثارة عصبيته من بنى يفرن للاخذ بثار زعيمها ، ولكنه اغتيل قبل أن يتم مهمته ، اذ اغتاله عبد الله بن بكار اليفرنى ، وقدم رأسه الى المنصور بالله تقربا اليه (٣٧٧) ، وتتبع المنصور بالله الفاطمى بطون زناتة بافريقية ، وبخاصة بنى يفرن الزناتيين ، بالسطوة والقهر ، وانزال العقوبات بالأنفس والأموال (٣٧٨) ، ولم تستطع بطون بنى يفرن بافريقية أن تتكاتف سويا أمام هذا الخطر المشترك ، فلم تصمد طويلا أمام هجمات المنصور بالله وصنهاجة ، لانهم كانوا يعيشون متفرقين وغير مترابطين ، وليس تحت سقف خيمة واحدة مثل مغراوة الزناتية على حد تعبير جوتييه (٣٧٩) . ولم يفلت عبد الله بن بكار من قصاص زناتة اذ استطاع الخير بن محمد بن خزر زعيم مغراوة بالمغرب الأوسط القبض عليه وأرسله الى يعلى بن محمد اليفرني زعيم بنى يفرن

---

(٣٧٤) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٥ .

(٣٧٥) ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٣٨ .

(٣٧٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٨ ، الدرجينى ، طبقات ١ ورقة ٤٦ .

(٣٧٧) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٢ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٧ ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٣٩ .

(٣٧٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٧ ، ٢٣ .

(٣٧٩) انظر ، Le Passé, P. 388

الزناتيين بالمغرب الاوسط للثأر منه (٣٨٠) •

لقد كان فشـل ثورة أبى يزيـد الزناتى ، انهيارا لبطون زناتـة بافريقيـة (٣٨١) ، ولكنهـا أعطت الفرصـة لزناتة المغـرب الأوسط لاستعادة سلطانها عليه ، فما أن شـغل الفاطميون بثورة أبى يزيـد حتى خرجت مغراوة الزناتيـة يقودهم الخير بن محمد بن خـزر وأخوه وعمه ، وبنو يفرن يقودهم زعيمهم يعلى بن محمد اليفرنى الى تاهرت واستولوا عليها عنـوة (٣٨٢) وأخرجوا منهـا واليها الفاطمى فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٣ هـ / ينايـر ٩٤٥ م (٣٨٣) ، وأرسل زعيم مغراوة الخير بن محمد بن خزر بالنصر الى خليفـة الأندلس عبد الرحمن الناصر نكاية فى الفاطميين ، وأقام الخطبة على منابر تاهرت باسـم الناصر الأموى (٣٨٤) ، ليتخـذ حكمه صفة المشروعية ، فعقـد الناصر الأموى لزعيم مغراوة على تلمسـان وأعمالهـا ، ولزعيم بنى يفرن على بقية ولايات المغرب الأوسط (٣٨٥) • وبذلك خرج المغربان الأوسـط والأقصى كليـة على طاعة الفاطميين ، وخطب للناصر الأموى على المنابر ما بين تاهرت وطنجة (٣٨٦) ، اذ كان أمراء الادارسـة بالمغرب الأقصى خلعوا طاعة الفاطميين ، وأعلنوا ولاءهم لخليفة الأندلس (٣٨٧) •

---

(٣٨٠) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٢ ، ويبدو أن عبد الله بن بكار هذا لم يكن من عليه القوم أورؤساء بنى يفرن ، بـل كان فردا عاديا من هـذه القبيلة الزناتية ، اذ يذكـر ابن عذارى أن أمير بنى يفرن يعلى بن محمد رفض أن يقتله أخذا بالثأر لانه ليس كفء لعبده ، ودفـع به الى رجل من البـربـر كان عبد الله بن بكار قتل ابنه ، فقتله بـه ، (البيان ، ٢ ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣)

(٣٨١) انظـر Gautier, Op. Cit., P. 387

(٣٨٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ •

(٣٨٣) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٨ •

(٣٨٤) ابن عـذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢٨ •

(٣٨٥) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ ، انظر ، O'leary, Op. Cit., p. 91

(٣٨٦) نفسه ، ص ١٧ •

(٣٨٧) ابن عذارى ، البيـان ، ٢ ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ •

ويبدو أن محمد بن خزر زعيم مغراوة الزناتيــة وأمير تلمســان شعر بنفسه قوة بعد أن استولت زناتة على المغرب الأوسط ، وبالفاطميين ضعفــا بعد أن أنهكتهم ثورة أبى يزيــد ، فعاد سيرته الاولى ، وأغــار على أراضى الخلافــة الفاطميــة المتاخمــة للمغــرب الأوسط ســنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م ، فقــاد المنصور بالله الفاطمى جيشــا بنفسه ، وخرج معه جنود صنهاجة وكتامة ، والتقى مع محمد بن خزر ومن معه من زناتة ، وتمكن من هزيمته ، واضطره الى التراجع (٣٨٨) ، والغالب على الظن أن هذه الموقعة التى انتصر فيهــا المنصور بالله الفاطمى على زناتة المغرب الأوسط كانت دافعــا الى العمــل على استرداد مدينة تاهرت من أيــدى بنى يفرن الزناتيين ، فأعد العدة لذلك ، واجتمعت اليه عساكر صنهاجة يقودهم زيرى بن مناد ، ورحلوا الى تاهرت واستخلصوها من أيدى بنى يفرن الزناتيين قبل أن تنتهى سنة ٣٣٦ هـ / (٩٤٧ — ٩٤٨) م (٣٨٩) ، وولى عليها المنصور بالله الفاطمى مولاه ميسورا ، الا أنه أساء السيرة مع أهلها فاســتدعوا محمد بن خزر الزنــاتى وابنه الخير ومن معهمــا من زناتة ليخلصوهم من سطوة الوالى الفاطمى ، ورحب زعيم مغراوة بالفرصــة وزحف على تاهــرت فى جمــع كبير من زناتة (٣٩٠) ، والتقى الجمعان وكادت زناتة تخسر المعركــة ، فكر فرسانهــا على ميسور ومن معه ، واستطاعوا هزيمــة الجيش الفاطمى ، وأسر ميسور وكثير من أصحابه ، ودخل الخير بن محمد بن خزر مدينة تاهرت فى ذى القعــدة سنة ٣٣٨ هـ / ابريل ٩٥٠ م (٣٩١) ، ثــم اضطرب أمــر تاهرت عــلى مغراوة الزناتية ، واستولى عليهــا يعلى بن محمد اليفرنى زعيم بنى يفرن من يد أبنــاء عمومته ، وظل واليــا عليهــا حتى خــرج جوهــر قائــد الفاطميين بحملته على المغرب الأقصى سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م (٣٩٢) •

---

(٣٨٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ١٥٨ •

(٣٨٩) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٥ •

(٣٩٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٨ •

(٣٩١) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٣٣٢ •

(٣٩٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٨ •

ولم يحاول المنصور بالله استعادة المغرب الأوسط من أيـدى زناتة ثانيـة ، واكتفى فى مناوئتهم بأن رماهم بزعيم صنهـاجة ، فتحول الصراع بين زناتة والفاطميين الى صراع قبلى بين زناتة وصنهاجة ، وأغار زعيم صنهاجة على مضارب زناتة ، فحاصرت زناتة مدينة أشير قصبة زيرى بن مناد زعيم صنهاجة ، ودارت معارك عديدة بين القبيلتين قتل فيها كثير من الفريقين (٣٩٣) ، ويبدو أن هذه المعارك كانت اغارة من جند صهاجة على مضارب زناتة ، فيرد فرسان زناتة بالاغارة لتثـأر لنفسهـا ، أى أن معاركهم كانت من ذلك النوع من الصراع القبلى ، الذي تتحدد فيه غاية كل قبيلة فى قتل فرسان القبيلة الأخـرى ، وتخريب مضاربهـا ٠

أما معبد بن خزر الزناتى الذى ناصر أبا يزيـد ، ولم يتخـل عنه وقت الشـدة مثلمـا فعل أخوه محمد بن خـزر زعيم مغراوة ، ثـم ناصر فضـل بن أبى يزيـد حتى أغتيـل فضـل ، وقضى على ثورة أبى يزيد نهائيا (٣٩٤) ، فلم يعـد الى مضارب قومه بالمغرب الأوسط ، وانمـا ظل يغير على أراضى الفاطميين ، ويفـر الى الصحراء عندمـا تطارده قوات المنصور بالله الفاطمى ، حتى سـقط أخيرا فى الأسر ومعه ابنـه ، واقتيدا الى المنصور بالله ، فطيف بهمـا فى أسواق العاصمـة ، ثم أمر المنصور بالله بقتلهمـا سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م (٣٩٥) ٠

ولم تقف آثار ثورة أبى يزيـد الزناتى على الفاطميين عند حـد خروج المغربين الأوسط والأقصى عن طاعتهم ، وخضوعهما لأمراء زناتة ، وانما كانت لها نتائج أخرى على سياسة الفاطميين الخارجية والداخلية ،

---

(٣٩٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ ٠

(٣٩٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٣٦ ٠

(٣٩٥) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٥ ، ويذكر ابن خلدون فى موضع آخر ان المنصور بالله استطاع القبض على محمد بن خزر زعيم مغراوة سـنة ٣٤٠ هـ ، وقتله ونصب رأسه بالقيروان ، (العبر ، ٧ ص ٣٦) ، الا أن محمد ابن خزر ظل على قيد الحيـاة حتى خلافة المعز الفاطمى الـذى خلف المنصور بالله ، انظر ، بعـده ٠

فقد كانت سببا فى توقف الحملات الفاطمية على مصر (٣٩٦) ، اذ استنفذت كل جهود الفاطميين ، « وجعلت خزائنهم خلوا من البيضاء والصفراء ، ولولاها لأتيح للفاطميين فتح مصر على أهون سبب» (٣٩٧) كما كان لها أثرها على اهتمام الفاطميين بالاسطول ، وحركة الفتح فى البحر المتوسط (٣٩٨) ، فتوقفت هجمات الفاطميين على السواحل الأوربية حتى سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م (٣٩٩) ٠ والغالب على الظن أن الأسطول الفاطمى توقف هو الآخر عن العمل ، وتوقفت خطوط التجارة بين الفاطميين والدول الأخرى ، مما حدا بالمنصور بالله الفاطمى – وهو يطارد أبا يزيد – أن يرسل الى مولاه جوذر نائبه على المهدية يطلب منه صنع السيوف بالمهدية ليستعملها فى معاركة مع أبى يزيد بدلا من السيوف اليمانية والأفرنجية التى كانت مستعملة فى شمالى أفريقيا الى ذلك الحين ، والتى كانت تستجلب من أفرنجة واليمن مع التجارات المتبادلة بينهما (٤٠٠) ٠

ولأن الحياة الاقتصادية تتأثر بأقل الاحداث السياسية التى تحدث ذعرا فى النفوس (٤٠١) ، فمثل هذه الثورة كانت سببا فى أن تعطلت الزراعة وركدت حركة التجارة فى شمالى أفريقيا ، هذا الى جانب ما خربته الحرب من المدن ، وما دمرت من المحاصيل ، وما قتل من الأنفس ، ولعل هذا الدمار واضمحلال الموارد فى شمالى أفريقيا كانا سببا فى انضمام سكان المدن الى الفاطميين والثورة على أبى يزيد ، لأنه كان عليهم أن يختاروا بين مساعدة الفاطميين لتحقيق الاستقرار والأمن ، أو يرتضوا الموت اذا ما استمرت

---

(٣٩٦) انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٨ ٠

(٣٩٧ انظر ، حسن ابراهيم ، عبيد الله المهدى ، ص ١٨٥ – ١٨٦ ، المعز لدين الله ، ص ٢٤ ٠

(٣٩٨) انظر ، ديباب ، سياسة الدول الاسلامية ، ص ١٠٠ – ١٠١ ٠

(٣٩٩) انظر ، لويس ، القوى البحرية ، ص ٢٣٥ ٠

(٤٠٠) الجوذرى ، سيرة ، ص ٤٧ ، انظر ، شعيرة ومحمد حسين ، محققا ، سيرة جوذر ، ص ١٥٩ – ١٦٠ ٠

(٤٠١) انظر ، البراوى ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٨٣ هامش ٠

الحرب (٤٠٢) • وليس هناك من شـك فيما أفسدته هذه الثورة ، اذ قضى الخليفة الفاطمى المنصور بالله سنوات حكمه بعد القضاء على الثورة ، فى تنظيم البلاد ، واصلاح ما أصابها من الخراب والدمار والفساد (٤٠٣)

ورغم ما أفسدته الثورة ، فقد كان لها نتائجها الطيبة على الفاطميين ، اذ كان خروجهم ظافرين من هذه المحنة من أهم العوامل التى ساهمت فى دعم نفوذهم ببلاد المغرب (٤٠٤) ، وسببا فى انضمام قبيلة صنهاجة اليهم ، لأن أبا يزيد كان زناتيا وتؤيده قبيلة زناتة المنافسة لصنهاجة (٤٠٥) • ولا غزو فان انضمام قبيلة صنهاجة الى الفاطميين كان كسبا كبيرا لهم ، ساعدهم على دعم نفوذهم بافريقية والمغربين الأوسط والأقصى ، وحمل عنهم معظم عبء حرب قبيلة زناتة ، حتى أنه يمكننا القول أن فترة حكم الخليفة الفاطمى المعز لدين الله فى شمالى أفريقيا قامت على الصراع بين زناتة وصنهاجة ، « فكلما ثار أحد زعماء زناتة رماه المعز بقرينه زيرى بن مناد الصنهاجى » على حد قول المؤرخ ابن خلدون (٤٠٦) •

كما كان لهذه الثورة أثرها على الاتجاه المذهبى والسياسة المالية التى اتبعها الفاطميون مع رعاياهم ، فقد غير المنصور بالله ما أتبعه سلفه ، فبعد عن التعصب المذهبى ، وأظهر تعظيم الشريعة (٤٠٧) ، وعمل على التقرب من الفقهاء والصالحين من أهل السنة (٤٠٨) ،

---

(٤٠٢) انظر ، Gautier, Op. Cit., P. 385

(٤٠٣) انظر ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٢ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ١٧٣ ، O'leary, Op. Cit., PP. 91 — 92.

(٤٠٤) انظر العبادى ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠١ ٢٠٢ ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٨٨ •

(٤٠٥) انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٩ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٥ •

(٤٠٦) العبر ، ٦ ص ١٥٤ •

(٤٠٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٥ •

(٤٠٨) الدباغ ، معالم ، ١ ص ٢٦ •

ويؤكــد ذلك ما ذكره القاضى عبد الجبار من أن « اسماعيل المنصور بالله الخليفة الفاطمى الثالث قد تظاهر بعد هزيمةأبى يزيد بالعودة الى الاسلام، فقتل الدعاة ، ونفى بعضهم الى الأندلس والى بلاد أخرى ، وقال للعامة ، من سمع منكم أحد يسب النبى فليقتله وأنا من ورائه ، وقرب اليه الفقهاء والمحدثين ، واستمع اليهم ، كما خفض الضرائب ، وأظهر ولعـــا بالفقه » (٤٠٩) ، كما عمد المنصور بالله الى تغيير السياسة المـالية التى اتبعها سـابقوه ، فأبطل المظالم (٤١٠) ، وأسقط الخراج عن الرعية حتى صلحت أحوالهم (٤١١) ، وخفف من الضرائب . الا أن ابن عذارى يسوق لنـا من أخبار المنصور بالله الفاطمى ما لم يذكـره غيره، اذ يذكر أن المنصور بالله بعد أن قضى على ثورة أبى يزيـد عـاد الى القيروان فى نفس السـنة ، وقتل من أهلهـا خلقا وعـذب آخرين ، ولم يزل أهل القيروان معه فى الامتحـان الى أن هلك ، ويضيف ابن عذارى أنه نقل هذا عن ابن حمادة (٤١٢) . وليس هناك من شك فى أن ما ذكـره ابن عذارى ـ الذى اعتدنا منه الاضطراب فى أحداث ثورة أبى يزيـد فقط ـ لا يصمد للنقـد ، اذ خالف فيه غالبيـة المؤرخين الذين تحاملـوا على الفاطميين والذين دافعوا عنهم .

ولم يكن الطاهـر اسماعيل قد غير شيئا من رسوم الخلافـة بعـد وفـاة القائم بأمـر الله سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م ، وحتى قضى على ثروة أبى يزيد ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م ، فاتخذ لقب المنصور بالله (٤١٣) ، وقام بسك

---

(٤٠٩) وهذا النص من كتاب تثبيت نبوة سيدنا محمد ـ مخطـوط باسطنبول فى مكتبة شـهيد على باشـا ، وقـد اقتبسناه نقلا عن د . محمود اسماعيل من كتابه ، الخوارج ، ص ١٨٩ .

(٤١٠) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩٩ .

(٤١١) الدباغ ، معـالم ، ١ ص ٢٦ .

(٤١٢) البيان ، ١ ص ٢٢٠ .

(٤١٣) الجوذرى ، سيرة ، ص ٤٦ ، الا ان د . مشرفـة يذكـر ان لقبه هو المنصور بنصر الله ، (انظر ، نظم الحكم ، ص ٩) .

أول عمله باسمه سنة ٣٣٦ هـ / (٩٤٧ — ٩٤٨) م (٤١٤) ، واتخذ عاصمة جديدة للخلافة ، اذ سبق له أن أمر باعادة تخطيط مدينة صبرة (٤١٥) ، وأمر فتاه مدام ببناء سور حولها ، وبناء قصر الخليفة بها ، فى الوقت الذى كان يطارد أبا يزيد الزناتى ، وانتقل المنصور بالله الى عاصمته الجديدة فى جمادى الآخرة سنة ٣٣٦ هـ / يناير سنة ٩٤٨ م(٤١٦) وأسماها المنصورية (٤١٧) ، ونقل اليها سوقة القيروان ، (٤١٨) وقد ظلت المنصورية ، التى تقع على نحو نصف ميل من القيروان ، (٤١٩) ، وعلى الطريق بين طرابلس وقابس (٤٢٠) ، دار ملك للفاطميين حتى انتقلوا الى مصر (٤٢١) ٠

---

(٤١٤) انظر ،

Lane-Poole, Catalogue of the Collection of Arabic Coins in the British Museum. Vol. 4, P. 6

(٤١٥) يذكر ياقوت أن المنصورية من بناء مناد بن بلكين وسميت بالمنصور بن يوسف بن زيرى بن مناد ، ، معجم البلدان ، ٥ ص ٣٣٦) ، ولم يختلف المؤرخون والجغرافيون على أنها من بناء اسماعيل المنصور بالله ٠

(٤١٦) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٩ ، ويذكر ابن حماد أن المنصور بدأ فى أعادة تخطيط صبرة سنة ٣٣٤ هـ ، (أخبار بنى عبيد ، ص ٣٣) ، وانتقل اليها سنة ٣٣٦ هـ ، (نفس المصدر ، ص ٣٨) ، الا أن التجانى يذكر أن انتقال المنصور بالله الى المنصورية كان فى أول سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م ، (رحلة ، ص ٣٢٨) ، ويذكر آخرون أن المنصور بالله أنشأ عاصمته الجديدة موضع الموقعة التى أسر فيها أبا يزيد وانتقل اليها سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م ، (ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٧٧ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٧ ، ابن ظافر ، أخبار ، ص ١٨) ٠

(٤١٧) التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٨ ، ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٣٨ ٠

(٤١٨) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢١٩ ٠

(٤١٩) نفس المصدر والصفحة ٠

(٤٢٠) البكرى ، المغرب ، ص ١٧ ٠

(٤٢١) ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٢٣ ، التجانى ، رحلة ، ص ٣٢٨ ٠

ومجمل القول ، ان بطون زناتة بافريقية خضعت لطاعة الفاطميين مرغمة ، وأراد القائم بأمر الله الفاطمى أن يكمل حصار مضارب زناتة المغرب الأوسط بأنصاره والخاضعين لطاعته حتى يسهل عليه اخضاعها ، اذ كانت ما تزال مستقلة بمضاربها فى تلمسان وما حولها ، لكن زناتة افريقية اجتمعت حول زعيم دينى منها ، وأعلنت الثورة على الفاطميين واتخذت من المذهب الدينى ستارا ، فانضم اليها بعض زناتة المغرب الأوسط ، وبعض القبائل الناقمة على الفاطميين ، وكادت هذه الثورة أن تقوض أركان الخلافة الفاطمية ، لولا صمود القائم بامر الله ، واستبسال كتامة فى الدفاع عنها ، وانضمام صنهاجة اليها ، وشجاعة المنصور بالله الفاطمى • ورغم فشل الثورة الا أنها أوقفت نشاط الفاطميين الخارجى نحو التوسع فى المشرق فترة من الزمن ، وأجبرتهم على تغيير سياستهم فى التعامل مع رعاياهم ، وان أخضعت زناتة افريقية بالسطوة والقهر ، فان زناتة المغرب الأوسط استعادت سيادتها عليه كلية • ولقد شغلت ثورة أبى يزيد الزناتى الخليفتين القائم بأمر الله والمنصور بالله (٤٢٢)، وقضى المنصور بالله البقية الباقية من حكمه فى تنظيم شئون الدولة واصلاح ما أفسدته هذه الثورة (٤٢٣) ، حتى كانت وفاته فى سلخ شوال سنة ٣٤١ هـ / التاسع عشر من مارس ٩٥٣ م (٤٢٤) ، ودفن فى قصره بالمنصورية (٤٢٥) ، واعتلى منصب الخلافة الفاطمية أحد ابنائه ويدعى معد ، واتخذ لقب المعز لدين الله ، وكانت فترة حكمه قمة ما وصلت اليه خلافة الفاطميين من عظمة (٤٢٦) •

---

(٤٢٢) انظر ،

Vatikiotis, Op. Cit., P. 137

(٤٢٣) انظر ،

O'leary, Op. Cit., PP. 91 — 92

(٤٢٤) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٣٩ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٨ ورقة ٤٢٣ ، الدوادارى ، كنز ، ٦ ص ١١٦ •

(٤٢٥) ابن الآبار ، الحلة ، ٢ ص ٣٨٩ •

(٤٢٦) انظر ،

O'leary, Op. Cit., P. 93; Abun-Nasr, Op. Cit., P. 84

الفصل الخامس

الصراع بين زناتة وصنهاجة

الامارات الزناتية بالمغربين الاوسط والاقصى ـ ظهور صنهاجة وانضمامها الى الفاطميين ـ قيام جوهر الصقلى باخضاع الامارات الزناتية بالمغربين الأوسط والأقصى بمساعدة صنهاجة ـ ثورة أبى خزر الزناتى ـ المعز لدين الله يعقد لزعيم صنهاجة على حرب زناتة ـ تشتيت زناتة المغرب الاوسط وفرارها الى المغرب الاقصى ـ قيام دولة صنهاجة بالمغرب ـ تشريد زناتة المغرب الاقصى فى الصحارى ٠

كادت ثورة زناتة الكبرى ، متمثلة فى ثورة أبى يزيـــد الزناتى ، تطيح بالفاطميين وتقضى على خلافتهم ، لولا أن ساندتهم قبيلة صنهاجة، حيث هى وزناتة يعتبران من أكبـــر القبـــائل البربريـــة فى المغـــرب فحينمـــا تولى المعز لدين الله الفاطمى منصب الخلافة بعد المنصور بالله كان المغربان الاوسط والاقصى خارجين على طاعـــة الفاطميين وفى أيدى أمراء زناتة (١) ، بـــل كانت منطقة جبل أوراس فى افريقيـــة نفسهـــا متمردة على طاعة الفاطميين (٢) ، اذ كانت ملجـــأ لكل الخارجين على طاعتهم (٣) ، لوعورتهـــا وصعوبة ارتياد الجيوش لهـــا •

ومما لا شـــك فيه أن انتصـــار الفاطميين السابق كان عـــاملا حاسما فى الصراع بينهم وبين قبيلة زناتة ، الا أنه كان من الضرورى اقتـــلاع جذور المخاطـــر ، بالقضـــاء على قوة زناتة ، ولذلك صمم المعز لدين

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ ، ويصور ابن خلدون حالة شمالى أفريقيا حين ولى المعز لدين الله الفاطمى امر الخلافـــة بقوله « كان على أشـــير واعمالها زيرى بن مناد الصنهاجى ، وعلى المسيلة جعفـــر بن على الاندلس ، وعلى باغاية واعمالها قيصر الصقلى ، وعلى تاهرت وافكـــان يعلى بن محمـــد اليفرنى الزناتى ، وعلى فاس احمـــد بن أبى بكر الزناتى ، وعلى سجلماســـة محمد بن واسول المكناسى » ، (العبر ، ٤ ص ٤٦) ، كما كان على تلمســـان واعمالها بنو خزر الزناتيون ، (العبر ، ٧ ص ٢٦) ، وكان زيرى بن منـــاد مواليـــا للفاطميين ، أما جعفـــر بن على وقيصر الصقلى فكانا عمـــالا من قبـــل الخليفـــة الفاطمى •

(٢) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ •

(٣) المقريزى ، اتعاظ ،ص ١٣٤ •

الله على أن يجعل قبيلة صنهاجة تستمر فى دورها فى مســاندة الفاطميين ، فاستغل العداء والمنافســة بينهـا وبين قبيلة زناتة لتحقيق هدفه ، وقمع تمرد بطون زناتة المستمر على الفاطميين ، ولذا اتسمت فترة حكم المعز لدين الله فى المغرب بالصراع بين قبيلة زناتة التى عادت الخلافة الفاطمية، وقبيلة صنهاجة التى والتهم ، وقد صور المؤرخ ابن خلدون ـــ الــذى أرخ لقبائل البربر بالمغرب ـــ هذا الصراع فى دقة حين ذكر بأنـــه « كلما ثار أحد زعمــاء زناتة رماه المعز بمنافســه زيرى بن مناد زعيـــم صنهاجة » (٤) .

ونذكر بأن بطون زناتة بالمغربين الاوســط والاقصى ـــ أثنـــاء ثورة أبى يزيــد الزناتى ـــ قــد بسطت سلطانها على المغرب الأوسط وجل المغرب الاقصى بمساعدة الخليفة الاموى فى الاندلس عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وأقامت لـــه الدعــوة على المنابر (٥) ، ولا يعنى ذلك خضوع أمراء زناتة بالمغربين الاوسط والاقصى للخليفــة الامـــوى بالاندلس ، وانمـــا اقامتهم الدعوة له كانت حجة أو تكئة ليكتسب حكمهم مشروعيته (٦) ، لانه فى ذلك الوقت لا شرعية لحكم بدون ســـند شرعى من خليفـــة ، وكان عبد الرحمن الناصر قد اتخــذ لقب الخلافـــة فى مستهل ذى الحجة سنة ٣١٦ هـ / ١٦ ينايــر ٩٢٩ م (٧) ، ثـــم وصلت

---

(٤) العبر ، ٦ ص ١٥٤ ، مجهول ، نبذ ، ص ٦ .

(٥) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٢٨ .

(٦) انظر ، شعيرة ، المرابطون ، ص ٧١ .

(٧) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢١٢ ، انظر ، النصولى ، الدولة الاموية ١ ص ١١٣ ، الباشا ، الالقاب الاسلامية ، ص ١٩٥ ـــ ١٩٦ ، وقــد اختلف المؤرخون حول السنة التى أعلن فيهـا عبد الرحمن الناصر نفســه خليفــة بالاندلس ، وحول الاسباب التى من أجلهـا اتخــذ لقب الخلافة ، وعن ذلك انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٩٢ ، الحميدى ، جذوة ، ص ١٣ ، ابن سعيد ، المغرب ، ١ ص ١٨٢ ، ابو الفدا ، المختصر ، ٢ ص ١٠٢ ، السيوطى ، تاريخ الخلفا ، ص ٢٥٢ ، وايضــا انظر ، كرد ، الاسلام والحضــارة العربية ، ٢ ص ٤٦٨ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلاميــة ، ص ٢٩٤ ، Lewis, The Arabs, P. 124. Hassan Abrahim, Relations, P. 53; Lane-Poole, The Moors, P. 122; Scott, Op. Cit., P. 586; Read, Op. Cit., P. 73.

الخلافـــة الاموية بالاندلس قمـــة عظمتهـــا وقوتهـــا فى فترة حكمه(٦) ، ولذلك حق لابن خلدون القول « أن الملك والسلطة فى المغرب لم يكـــن للخليفة الأموى منها شيء » (٩) ، وانمـــا كان لامراء البطـــون الزناتية، مثلما كان لبنى خزر أمراء مغراوة الزناتية تلمسان وأعمالهـــا ، ولأمير بنى يفرن الزناتيين تاهرت وما والاها (١٠) وكلاهما بالمغرب الاوسط .

ولا شك أن قوة بنى يفرن الزناتيين بالمغرب الاوسط بالذات ، كانت قد ضعفت وخفت صوتها قبيل قيـــام دولة الادارسة سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م ، حيث استولى زعيم مغراوة الزناتية آنذاك — وهو منافس لزعيم بنى يفرن — على مدينة تلمسان من أيديهم ، ثم انضم الى طاعة الادارسة، وحارب بطون بنى يفرن لارغامها على الخضوع للادارسة (١١) ، الا أن نجم بنى يفرن قـــد عاد الى الظهور ثانية بعد أن تولى زعامتهم يعـــلى بن محمد اليفرنى ، الذى كان على ما يبدو شجاعا طموحا عالى الهمـــة ، فاستولى على تاهرت مع مغراوة الزناتيـــة أثنـــاء ثورة أبى يزيـــد ، ثم استخلصهـــا لنفســـه وقومه ، وأصبح واليا عليها من قبـــل الخليفة عبد الرحمن الناصر الاموى (١٢) ليعطى حكمة نوعـــا من الشرعية .

وقد اجتمعت بطون بنى يفرن الزناتيين ، وبعض البطون الزناتيـــة الاخرى الى يعلى بن محمد حتى كثر جمعة ، ولان أهل تاهرت لم يكونوا كلهم من زناتة ، وكثيرا ما ثاروا على أمرائهـــا الزناتيين ، فقد عمـــد يعلى بن محمـــد اليفرنى الى اتخـــاذ مدينة جديدة تكون مركزا لامارته ، وتجتمع حولهـــا البطون الزناتية التى دانت له بالولاء والطـــاعة ، وبدأ فى تأسيسها فى سفح جبل يقع بين مضارب زناتة ســـنة ٣٣٨ هـ (٩٤٩ —

---

(٨) انظر ، Hole, Andalus, P.P. 23 — 24, 86.

(٩) المقدمة ، ص ٣٧٤ .

(١٠) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ .

(١١) انظر ، قبله .

(١٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ١٩٨ ، انظر ، Terrasse, Op. Cit., P. 185.

٩٥٠ (١٣) ، وعلى بعد ثلاث مراحل شرق تاهرت (١٣) ، واسماها افكان (١٥) ، ثم انتقل اليها بعض أهالى المدن التى حولها ، وان ظل الزناتيون بها هم الأغلبية ، فعمرت المدينة وعظمت وتمدنت (١٦) ، وبنى بها جامع وحمامات وفنادق وقصور (١٧) ، وحولها سور غاية فى الارتفاع والعرض (١٨) ، واتخذها زعيم بنى يفرن الزناتيين معسكرا له ومركزا لامارته طوال حياته (١٩) ، لكونها بين أهله وعصبيته ، فتكون أكثر أمنا وحماية له ولأنصاره .

وقد كانت مدينة وهران (٢٠) الواقعة — بالقرب من افكان خاضعة

(١٣) البكرى ، المغرب ، ص ٧٩ ، وينسب البعض خطأ بناء مدينة افكان الى يعلى بن عبد الله بن بكار ، (أنظر ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢١) .

(١٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٨ ، وموقع مدينة افكان على بعد خمسة عشر كيلو مترا بالجنوب الغربى للمعسكر المعروف اليوم باسم افكان بالجزائر الحالية ، (انظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٩٧) .

(١٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠٦ .

(١٦) البكرى ، المغرب ، ص ٧٩ .

(١٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٣٠٦ .

(١٨) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٨ : الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٥١ .

(١٩) أنظر Gautier, Op. Cit., P. 393.

(٢٠) يذكر البكرى وابن عذارى أن الذى أسس مدينة وهران احد الاندلسيين ، ويدعى محمد بن أبى عون ومعه جماعة من الاندلسيين البحريين اصحاب القرشى سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ، (المغرب ، ص ٧٠ ، البيان ، ١ ص ١٣٦) ، الا أن الجيلالى ، احد مؤرخى المغرب المحدثين — يذكر نقلا عن أحد المؤرخين القدامى الذى لم يمكننا الحصول على كتاباته ، ويدعى المشرفى ، وهو صاحب كتاب بهجة الناظر ، « أن الصحيح فى تأسيس مدينة وهران انما يرجع الى ما يعرف عن خزر بن حفص المغراوى الزناتى ، فهو الذى انشأ مدينة وهران وبناها على سيف البحر الرومى كما امره بذلك أمراؤه الأمويون بالاندلس ، حيث كان يرجع اليهم بالولاء ، (انظر ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٥١) ، وفى راينا ، انه لاتعارض فى ذلك ، اذ يبدو أن امير الاندلس آنذاك ارسل جماعة من رعيته — ويؤكد ذلك ما ذكره البكرى وابن عذارى أن جماعة الاندلسيين كانوا من اصحاب القرشى اى امير الاندلس — الى المغرب لبناء مدينة وهران ، وكتب فى نفس الوقت الى امير مغراوة ، الذى =

وما حولها من القبائل لطاعة الفاطميين من سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م (٢١)، ولكنها كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة الى خليفة الاندلس ، اذ كانت ميرة أهل ساحل الأندلس منها (٢٢) ، بالاضافة الى أنها تشكل خطرا على مدينة افكان ومن بها ومن حولها من زناتة بخضوعها للفاطميين ، فانتهز يعلى بن محمد اليفرنى فرصة أن طلب الناصر الاموى منه اخضاع مدينة وهران ، وقاد جموع قومه من زناتة اليها ، وشتت شمل القبائل الضاربة حولها فى منتصف جمادى الاول سنة ٣٤٣ هـ / ١٦ سبتمبر ٩٥٤ م (٢٣) ، ثم استولى على مدينة وهران وأضرمها نارا (٢٤) ، بعد أن نقل أهلها الى مدينة افكان فى ذى القعدة من نفس السنة / مارس ٩٥٥ (٢٥) ، وأجبرت القبائل الضاربة حول وهران على خلع طاعة الفاطميين (٢٦) ٠

ولم يقف دور أمراء زناتة المغرب الأوسط على الاستيلاء عليه من أيدى الفاطميين ، بل زحفوا بمن معهم من زناتة الى المغرب الاقصى لاخضاع أمراء الادارسة ، الذين خلعوا طاعة بنى أمية ، واعترفوا بسيادة الفاطميين (٢٧) ، وأرسل الناصر الاموى خليفة الاندلس

= كان صاحب السلطة الفعلية على المغرب الاوسط ، بمساعدة رجاله وتسهيل مهمتهم ، أو أن محمد بن أبى عون ومن معه من الاندلس كانوا هم البنائين والعارفين بتخطيط المدن ، فأرسلهم أمير الاندلس لمساعدة امير مغراوة الزناتية فى بناء مدينة وهران بعد ان امره ببنائها ٠

(٢١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ٠

(٢٢) الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٢ ٠

(٢٣) البكرى ، المغرب ، ص ٧١ ، انظر ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٥٧ ، الا أن صاحب كتاب الاستبصار يذكر ان هجوم بنى يفرن الزناتيين على مدينة وهران والقبائل المحيطة بها كان بسبب الثأر ، (مجهول ، ص ١٣٤)

(٢٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٤٥ ، ٧ ص ١٧ ٠

(٢٥) البكرى ، المغرب ، ص ٧١ ٠

(٢٦) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٥ ٠

(٢٧) ابن ابى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٠ ٠

جيشا الى المغرب الاقصى ليساعدهم فى مهمتهم (٢٨) ، وبعد أن أخضعوا أمراء الادارسة طلب يعلى بن محمد زعيم بنى يفرن الزناتيين من الناصر الاموى أن يولى رجال من زناتة على أمصار المغرب الاقصى ليضمن ولائهم وطاعتهم ، فعقد الناصر الاموى لاحد أمراء زناتة على مدينة فاس أعظم مدن المغرب الاقصى (٢٩) ، فاستخلف الامير الزناتى على ولاية فاس ابن عمه احمد بن أبى بكر الزناتى (٣٠) ، الذى أصلح جامع القرويين فى فاس وزاد فيه زيادة كبيرة ، واختط

---

(٢٨) الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٣٦ ، نخب ، ص ٢٤ ، انظر . Provinçal, Histoire, Vol. 2 وقد كان الصراع قائما بين الفاطميين بالمغرب والامويين بالاندلس بعد قيام الخلافة الفاطمية ، وكان كل منهما يؤيد ويشجع الثوار القائمين علي الاخر ، فقد أيد عبيد الله المهدى عمر بن حفصون الذى ثار على أمراء الاندلس ، (انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٨) ، وقد بدأ عمر بن خصون ثروته على أمراء الاندلس ، سنة ٢٦٧ هـ ، (ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٠٦) ، واستمرت سنوات عديدة حتى قضى عليها سنة ٣٠٥ هـ ، (ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ١٧٨ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ٢ ص ٣١ — ٣٢) ، وايد الامويون قبيلة زناتة فى صراعها مع الفاطميين ، ولم يقف الصراع بين الامويين والفاطميين عند حد تشجيع كل منهما الثوار على الاخر ، وانما أرسل الفاطميون جواسيسا ، الى الاندلس ، (انظر ، مكى ، التشيع فى الاندلس ، ص ١١١ — ١١٥ ، العبادى ، سياسة الفاطميين ، ص ٢٠٥ وما بعدها .(Scott, Op. Cit., P. 582 وأرسل الامويون كذلك جواسيسهم الى المغرب ، (انظر ، مكى ، التشيع فى الاندلس ، ص ١٢٢ — ١٢٦) ، كما استولوا على بعض مدن المغرب الاقصى ، وبدءوا بمدينة سبتة سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، (البكرى ، المغرب ، ص ١٠٤ ، المقرى ، نفح ، ص ٣٦٧) .

(٢٩) ابن خلدون ، العبر ، ٧ص ١٧ ، ابن زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣١ ، ويضيف السلاوى أن خليفة الاندلس ولي يعلى بن محمد اليفرنى على مدينة طنجة واحوازها ، فنزلها فى قبائل بنى يفرن ، وأمضى أمره ونهيه فيها سنة ٣٤٧ هـ ، (الاستقصا ، ١ ص ١٧٩) .

(٣٠) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٥ ، الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٣٦ .

صومعته ، وانتهى من ذلك فى ســـنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م (٣١) ٠

وقد سعى الفاطميون الى الاعتماد على قوة منافســة لزناتة ، متمثلة فى صنهاجة التى كانت قبيلة كبيرة مثــل زناتــة ، ولم تكن قبيلة صنهــاجة حليفــة للفاطميين بعــد ، حين قامت دولتهم بالمغرب سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م ، كمــا لم يكن زعيمها زيرى بن منــاد قــد اعتنق المذهب الشيعى الفاطمى آنذاك (٣٢) ، الا أن اجتماعهمــا على عداء قبيلة زناتة قرب بينهمــا ٠ وفى الواقع لــم تكن صنهاجة قوة يخشى بأسهــــا بالمغرب قبل أن يتزعمهــا زيرى بن مناد هذا ، وانمــا قوتهــا بــــدأت تظهر مــع بداية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى بفضــل هذه الزعامة ، فيذكر بعض المؤرخين أن زيرى بن مناد كان أول زعيم ظهر لقبيلة صنهاجة (٣٣) ، وهو نفسه شخصية استطاعت أن تجمــع اليهــا جميــع بطون صنهاجة ، وحتى قبائل أخرى من البرانس (٣٤) ، ومما يؤكد صحة ما ذكره المؤرخون من أن ظهور صنهاجة كقوة لهــا وزنها بالمغرب مع بدايــة القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، أنه لــم يأت ذكر

---

(٣١) السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٦٠ ، نخب ، ص ٢٤ ، ويتفق غالبيــة المؤرخين على أن مسجد القرويين انشىء بمدينة فاس ســنة ٢٤٥ هـ ، (ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ٧٦ – ٧٧ ، مجهول ، تاريخ مدينة فــاس ، ورقــة ٧٠) ، الا أن احــد المؤرخين المحدثين عثر على نقش يؤكد أن بنــاء جامع القرويين بفاس كان سنة ٢٦٣ هـ ، (انظر ، التازى ، نظرية جــديدة فى بناء جامع القرويين ، ص ٢٨١) ، وعن الزيادات التى أدخلها أحمد بن ابى بكر الزناتى على جامع القرويين ، (ابن أبى ابى زرع ، الانيس ، ١ ص ٧٩ – ٨٠ ، مجهول تاريخ مدينة فاس ، ورقــة ٧٠ ، الجزنائى ، زهرة الآس ، ص ٣٦ وما بعدهــا ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٥ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٦٠) ٠

(٣٢) اليمانى ، سيرة جعفر ، ص ١٢٩ ، وكانت بطــون صنهــاجــة الضاربة حول نكور لــم تخضع للفاطميين حتى أخضعهم مصالة بن حبوس قائــد الفاطميين ســنة ٣٠٥ هـ ، (البكرى ، المغرب ، ص ٩١ ، ٩٦) ثم مالبثوا أن أعلنوا التمرد ثانية بعــد عودة مصالة مباشرة ، (البكرى ، المغــرب ، ص ٩٧) ٠

(٣٣) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقــة ٤٦ ، الضياف ، اتحــاف ، ص ١٣١ ٠

(٣٤) ابن الاثير ، الكامــل ، ٨ ص ٢٢٤ ٠

كثير لهـذه القبيلة فى كتب المؤرخين القدامى ـ الذين كتبوا عن تاريخ المغرب ـ طوال القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، فيما عدا تلك القوة القليلة التى شاركت منها فى ثورات البربر على الولاة الامويين والعباسيين (٣٥) .

وعلى كل حال ، فان زيرى بن مناد الصنهاجى قاد الجموع التى خضعت له ـ وذلك فى عهدى المهدى والقائم بأمر الله ـ وأغار بهم على مضارب من حوله من القبائل المنافسة ، فنال النصر مرة بعد مرة (٣٦)، الا أن زيرى بن مناد لم يكن يستطع أن يهاجم مضارب زناتة الموجودة بالمغرب الاوسط ، لكثرة عدد فرسانها الذين يعتبرون من أشجع فرسان البربر (٣٧)، لذا انتهز فرصة وجود نزاع قبلى بين زناتة وقبيلة اسمها مغيلة (٣٨) ، وقيام بعض فرسان زناتة بالاغارة على مضارب مغيلة ، وهاجم فرسان زناتة على غرة ليلا وهم مطمئنون بأرض مغيلة ، فقتل منهم عددا كبيرا وغنم ما معهم (٣٩) ، وعندما شاع خبر انتصاره على فرسان زناتة فى سائر المغرب ، وتسامع به الناس عظموا أمره ، وانضمت اليه الكثير من قبائل البرانس التى كانت تتردد فى حلفهمع أنها من نفس جذمه ، وانضوت تحت لوائه ، فكثر جمعه حتى ضاقت بهم مضاربهم (٤٠) .

ولما لم يكن لزيرى بن مناد زعيم صنهاجة قصبة يتخذها مركزا لامارته للوقوف امام زناتة ، فانه اختار موقعا حصينا على المنحدرات الجنوبية لجبل تترى Titteri الواقعة فى آخر افريقية من جهة

---

(٣٥) انظر ، قبله .

(٣٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٦٤ .

(٣٧) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٤ .

(٣٨) وهى احدى قبائل البتر من البربر ، وكانت مضاربها بالمغرب الأوسط .

(٣٩) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٢٣ .

(٤٠) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ١٩٧ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٧ .

المغرب (٤١) ، لبناء معسكر يكون مقرا له ، ومركزا لتجمع أنصاره ،وأسماه أشير (٤٢) ، وبدأ فى بنائه سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م (٤٣) ، فأصبحت مدينة أشير حاجزا بين بطون زناتة الضاربة فى المغرب الاوسط ، والمناطق الخاضعة للفاطميين بافريقية ، والتى كانت بطون زناتة دائمة الاغارة عليها (٤٤) ، مما كان سببا فى زيادة حدة العداء والمنافسة بين زناتة وصنهاجة (٤٥) .

ما أن ظهرت قبيلة صنهاجة كقوة لها وزنها ، وكانت فى عداء مع زناتة ، حتى حرصت الخلافة الفاطمية منذ عهد القائم بأمر الله على التقرب من زعيم صنهاجة وكسب وده — اذ كان زعيم القبيلة فى ذلك الوقت يعنى القبيلة كلها ، لانها تأتمر بأمره ولا تخرج على طاعته — فمناه الخليفة القائم بأمر الله بأن يكون سنده فى النيل من زناتة ، والغلبة عليها (٤٦) ، وما أن علم بشروع زيرى بن مناد فى بناء مدينة أشير ، حتى أمده بالبنائين والصناع ومواد البناء (٤٧) ، وربما كان للقائم بأمر الله يد فى اختيار المنطقة التى بنيت فيها مدينة أشير (٤٨) .

أما الانضمام الفعلى من قبيلة صنهاجة وزعيمها زيرى بن مناد

---

(٤١) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٧٠ ، انظر
Abun-Nasr, Op. Cit., P. 84
Ency. Of Isl. (Art Zirids), led, t. 4, P. 1229.

(٤٢) ياقوت ،معجم البلدان ، ١ ص ٢٦٤ .

(٤٣) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٧ .

(٤٤) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٢ .

(٤٥) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٢٣ .

(٤٦) انظر ، مؤنس ، محقق ، رياض ، ١ ص ١٥ م .

(٤٧) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٦٤ ، انظر ، Julien, Op. Cit., P. 66 الا أن ابن عذارى يذكر ان المعز لدين الله الفاطمى هو الذى أمر ببناء مدينة اشير ، (ابن عذارى البيان ، ٣ ص ٢٦٢) ، ويقول ابن عذارى أخذ د . حسن ابراهيم ، (انظر ، الدولة الفاطمية ، ص ٢٥١) .

(٤٨) انظر ،قبله .

الصنهاجى الى الفاطميين ، فكان فى عهد المنصور بالله الفاطمى ، وأثناء مطاردته لابى يزيد الزناتى • ويبدو أنه لم يكن هناك اتفاق سابق بينهما ،ولم تكن صنهاجة قد والت الفاطميين بعد ، وقد فطن احد المؤرخين المحدثين لذلك ، فذكر أن انضمام صنهاجة للفاطميين أثناء ثورة أبى يزيد كان « مدد على غير انتظار » (٤٩) ، مؤكدا أن انضمام صنهاجة الى الفاطميين لم يكن مع بداية قيام دولتهم ، وانما بعد أن استوثق ملكهم بافريقية كما ذكر ابن خلدون (٥٠) ، ومن ثم عمل زيرى بن مناد الصنهاجى على أن يحكم مراقبة بطون زناتة بالمغرب الاوسط ، فجدد مدينة مليانة (٥١) ، التى تشرف على مضارب زناتة بالمغرب الاوسط ، وأسكنها ولده بلكين مع بعض قومه (٥٢) ، كما أقام سلسلة من الحصون فى أملاكه بين مليانة وأشير ، فاستطاع أن يرد عدوان الزناتيين عن افريقية (٥٣) •

واذا كانت قبيلة زناتة التى عادت الفاطميين قد استولت على المغربين الاوسط والاقصى كما ذكرنا انفا ، فان ما قام به المعز لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين يبرز مرحلة أخرى هامة فى الوقوف أمام زناتة والقضاء على قوتها حتى لا يكون للفاطميين مناوىء بالمغرب يؤرق مضجعهم ويهدد وجودهم ، ولا سيما أن المعز لدين الله وضع نصب عينيه تحقيق حلم أجداده بتقويض دعائم الخلافة العباسية بالمشرق ، وانتزاع زعامة العالم الاسلامى منها ، فقد كان التوسع نحو المشرق غاية أمل سابقية من الخلفاء الفاطميين ، وكان هو أكثرهم اصرارا وتصميما فى نقل الخلافة من المغرب الى المشرق ، لذا كان عليه أن يقضى على كل مقاومة لسلطانهم فى المغرب حتى يتفرغ لتحقيق الهدف الذى من أجله أقاموا خلافتهم بالمغرب ، « فلا نزاع فى

---

(٤٩) انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٩ •

(٥٠) العبر ، ٦ ص ١٥٣ •

(٥١) وهى مدينة تقع فى آخر افريقية من جهة الغرب ، وبينها وبين تنس أربعة أيام ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ١٥٥) •

(٥٢) البكرى ، المغرب ، ص ٦٩ ، الضياف ، اتحاف ، ص ١٣١ ، انظر Ency. of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 1039.

(٥٣) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٧٩ •

أن الفاطميين لم يرحلوا الى المغرب ، الا ليعودوا فى قوة الى المشرق » (٥٤) .

ولذلك ما أن تولى المعز لدين الله منصب الخلافة حتى عمل على تأصيل العداء والمنافسة بين زناتة وصنهاجة واستغلاله ، فاعتمد على قبيلة صنهاجة فى اخضاع الخارجين على طاعته وحرب زناتة ، كما اعتمدعلى نفسه فى استمالة زعماء القبائل البربرية المعارضين للفاطميين فعندما أراد اخضاع منطقة جبل أوراس بافريقية — التى كانت ملجأ للخارجين على طاعة الفاطميين ، ولم تكن دخلت فى طاعة احد من الخلفاء الفاطميين من قبل (٥٥) ليؤمن ظهر قواته اذا ما خرجت من افريقية لاخضاع الامارات الزناتية بالمغربين الاوسط والاقصى — جهز بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى (٥٦) ، ووجهه الى جبل أوراس سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م (٥٧) ، فهزم بلكين بن زيرى القبائل المناوئة للفاطميين به ، وشتت جموعهم ، فاضطروا الى الفرار الى بلاد الزاب وغيرها ، وخضعت المنطقة لطاعة المعز لدين الله الفاطمى (٥٨) .

وقد عمل المعز لدين الله — الذى كان من أعظم الخلفاء الفاطميين (٥٩) ، كما كان عالما فاضلا جوادا سمحا شجاعا ، حسن السيرة ومنصفا للرعية (٦٠) — على استمالة زعماء القبائل البربرية بافريقية بالسياسة واللين ، بدلا من العنف والقهر ، فأمر عماله على الولايات بالاحسان الى رعاياهم ، ومعاملتهم باللين ، فأتت سياسته ثمارها وجائته وفود القبائل البربرية طائعة ، ولم يبق احد من افريقية الا وجاء

---

(٥٤) انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٩٤ .
(٥٥) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٦ .
(٥٦) ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٤٠ .
(٥٧) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٣٤ .
(٥٨) ابن حماد ، أخبار بنى عبيد ، ص ٤٠ .
(٥٩) ابن الابار ، الحلة ، ٢ ص ٢٩١ ، انظر Vatikiotis, Op. Cit., P. 137.
(٦٠) ابن أبى دنيار ، المؤنس ، ص ٦٣ .

الى المعز لدين الله وشمله احسانه ، كما يذكر بعض المؤرخين (٦١) .

ويذكر بعض المؤرخين أن محمد بن خزر زعيم مغراوة الزناتية بالمغرب الاوسط قدم على الخليفة الفاطمى المعز لدين الله يطلب الامان لنفسه سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م ، ففرح المعز لدين الله بقدومه عليه وأكرمه وأحسن اليه ، وأبقاه عنده بالقيروان حتى توفى بها سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م ، وقد نيف على المائة عام (٦٢) ، الا أن ذلك يدعونا الى التساؤل عن سبب ذهاب أمير مغراوة الزناتية مستأمنا الى الخليفة الفاطمى ، مع ما عرف من عداء مغراوة الزناتية للدعوة الاسماعيلية ، وحروبها مع الخلفاء الفاطميين طوال امارة محمد بن خزر هذا وفى الوقت الذى أصبحت فيه مغراوة صاحبة السيادة على تلمسان وأعمالها بالمغرب الاوسط ؟ فاذا كان ما ذكره هؤلاء المؤرخون حقيقة ، فيكون وفود محمد بن خزر على المعز لدين الله ، اما نكاية فى زعيم بنى يفرن الزناتيين الذى استولى على مدينة تاهرت من أيدى أمراء مغراوة الزناتية بعد أن استخلصوها من سلطان الفاطميين سنة ٣٣٨ هـ / ٩٥٠ م (٦٣) ، واما ـ وهو الارجح فى رأينا ـ حدث خلاف بين محمد بن خزر هذا وابنه الخير ، اذ يذكر ابن عذارى أن الخير بن محمد كان أمير زناتة وكبير أمراء المغرب سنة ٣٣٩ هـ / (٩٥٠ ـ ٩٥١) م (٦٤) ، كما أن محمد بن خزر قدم على المعز لدين الله يطلب الامان لنفسه ، وليس لقومه من مغراوة الذين لم يدخلوا فى طاعة الفاطميين من قبل أو من بعد وفود محمد بن خزر على المعز لدين الله .

---

(٦١) النويرى ،نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٦ ، المقريزى اتعاظ ، ص ١٣٤ .

(٦٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٧٩ ، الازدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٦ ، ٧ ص ٢٦ ، انظر ، Gautier, Op. Cit., P. 394. الا أن ابن الاثير يذكر أن ذهاب محمد بن خزر الى المعز لدين الله كان سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ ، نفس المصدر والصفحة .

(٦٣) ابن عذارى ، البيان ،٢ ص ٢٣٢ .

(٦٤) نفسه ، ص ٢٣٣ .

وأيا ما كان الامـــر ، فبعد أن أسلمت قبائل افريقيـــة قيادهـــا للمعز لدين الله ، ولم يعد بهـــا من يناوئه ، بدأ فى اعداد العـــدة لاخضاع المغربين الاوسط والاقصى ، وظل خمس سنين فى تجهيز جيش كبـــير لتحقيق هذا الغرض ، وجعـــل على قيادته جوهر الصقلى (٦٥) ، الذى صار فى رتبة الوزارة (٦٦) ، ومعه زيرى بن مناد زعيم صنهاجة العـــدوة التقليدية لقبيلة زناتة (٦٧) ، على أن تكون امـــارة الجيش قســـمة بين القائد الفاطمى جوهر الصقلى ، وزيـــــرى بن مناد زعيم قبيلـــة صنهاجة (٦٨) ، وخرج الجيش الفاطمى من افريقية فيما يزيد على عشرين ألفا من قبيلتى كتامة وصنهاجة (٦٩) فى السابع من صفر سنة ٣٤٧ هـ / ٣٠ مايو ٩٥٨ م (٧٠) ، متجها الى المغرب الاوسط ، فقضى فى طريقة على البقية الباقية من امـــارة بنى يرنيان الزناتيين التى كانت حول مدينـــة

---

(٦٥) وجوهر الصقلى رومى الاصل ، جلبه احد الموالى الذى يدعى صابر ، ثم انتقل الى حوزة خفيف الخادم الذى وهبه الى الخليفة المنصور باللـــه ، فظهر جوهر عنده ، (ابن حماد ، اخبار بنى عبيد ، ص ٤٠ ، ابن عـــذارى ، البيان ، ١ ص ٢٢١) ، ثـــم عظم أمـــر جوهر عند الخليفة المعز لدين الله ، وعلت مكانته حتى صار فى رتبة الوازارة ، (المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥) ، وقد نال هذه الدرجة الرفيعة والرتبة العالية سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م ، (ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٦٣) .

(٦٦) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٦٧) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٦ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ٢٤١ ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطميـــة ، ص ٢٥١ .

(٦٨) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٩٧ ، انظر O'leary, Op. Cit., P. 99

ويذكر النعمان أن بنى كملان انصار أبى يزيد الزناتى فى ثورته على الفاطميين قدموا الى المعز لدين الله ، فعفا عنهم واخرجهم مع جيش جوهر الصـــقلى . (المجالس ، ١ ورقات ٣٢ ـ ٣٣) .

(٦٩) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٢ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٨٠ .

(٧٠) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٣٥ ، الا أن حسن حسنى عبد الوهاب يذكر أن غزوة جوهر الصقلى على المغـــرب كانت سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م ، (خلاصة ، ص ١٠٤) ، ويبدو انـــه خلط بين الغزوة التى أرسلها المعز الفاطمى لاخضاع جبل أوراس بقيـــادة بلكـــين ابن زيرى الصنهاجى سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م ، وبين هذه الغـــزوة التى نحن بصددها على المغربين الاوسط والاقصى .

هـاز (٧١) ، اذ كان زيرى بن مناد الصنهاجى قد خرب هذه الامارة حين أخذ بمبادىء دعوة الشيعة (٧٢) ، ولم يجد الكثير من فرسان بنى يرنيان بدا من العبور الى الاندلس ، وعملوا فى جيوش بنى أمية هناك ، فكانوا من أفحل جند الاندلس وأشدهم شوكة (٧٣) •

وصلت الاخبار الى يعلى بن محمد اليفرنى زعيم بنى يفـرن الزناتيين ، وأمير تاهرت وافكان بقدوم الجيش الفاطمى ، فخـرج يعلى الى لقاء الجيش الفاطمى قبل أن يصل الى تاهرت ، بعد أن حشـد قومه من بنى يفرن (٧٤) • والغالب على الظن أن يعلى لم يكن مقدرا لقوة الجيش الفاطمى ، أو أنه كان واثقا فى شجاعته وبأسه وقوة قومه (٧٥) ، والتقى الجمعان ، ودارت بينهمـا رحى معركة أبلت فيها جموع زناتة احسن البلاء ، فلم يجد جوهر من وسيلة لهزيمة زناتة الا قتل زعيمها غيلة حتى تنفض جموعهم عندما لا يجدون من يلتفون حوله ، ولذا بـذل الاموال لزعماء كتامة وصنهاجة لقتل زعيم بنى يفـرن الزناتيين ، فبذلوا غاية جهدهم لتحقيق ما يريد جوهر الصقلى ، وقتلوا زعيم بنى يفرن واحتزوا رأسـه ، وأتوا بها جوهرا لليلتين بقيتا من جمادى الاولى

---

(٧١) انظر ، الجيلالى ،تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٤٩ ، وعن امارة هاز ، اليعقوبى ، البلدان ، ص ١٠٤ ، ومدينـة هاز تقـع بين تاهـرت والمسـيلة ، (البكرى ، المغرب ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤) •

(٧٢) البكرى ، المغرب ، ص ١٤٣ •

(٧٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٤٩ ، انظر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ، ٢ ص ٥١ هامش •

(٧٤) ابن ابى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٣ ، انظر ، حسن ابراهيم ، المعز لدين الله ، ص ٣١ ، الا أن ابن خلدون يذكر أن يعلى بن محمد اليفرنى خرج الى جوهر الصقلى مذعنا طائعا ، فقبل جوهر طاعته ، واضمر الفتك به ، لـذا اختلق جوهر نفرة فى اعقاب الجيش ، فانطلق زعمـاء كتامة وصنهاجة وزناتة اليها ، وقبض على يعلى بن محمد اليفرنى ، وقتله رجال صنهاجة وكتامة بالرماح ، بناء على اتفاق سابق مع جوهر ، (العبر ، ٧ ص ١٨) •

(٧٥) مجهول ، نبذ ، ص ٤ ، الا انه يذكر أن لقـاء جوهر الصـقلى مع يعلى بن محمد اليفرنى بعد انتهـاء جوهر من غزو المغربين الأوسـط والاقصى واثناء عودته الى افريقية ، نفس المصدر ، والصفحة •

سنة ٣٤٧ هـ / الثامن عشر من أغسطس ٩٥٨ م (٧٦) ، فأرسلها جوهر الى الخليفة المعز لدين الله حيث طيف بها فى القيروان (٧٧) •

وهزم بنو يفرن الزناتيون وتفرقت جموعهم بعد مقتل زعيمهم (٧٨)، وتتبعهم جوهر الصقلى بجيشه الى مدينة أفكان ، ودخلها فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٧ هـ / أغسطس ٩٥٨ م ، فنهب المدينة وقصورها ، ثم أمر بهدمها واضرام النار فيها (٧٩) ، وأسر يدو بن يعلى ، وأرسله الى الخليفة المعز لدين الله (٨٠) • جد جوهر الصقلى وزيرى بن منـاد الصنهاجى فى مطاردة بنى يفرن بالمغرب الاوسط (٨١) ، فهربت معظم بطونهم الى المغرب الاقصى ، وجاز كثير منهم الى الاندلس (٨٢) ، فكانت هزيمة بنى يفرن الزناتيين وتشريدهم من أكبر العوامل التى مهدت لنجاح غزوة جوهر الصقلى ، كما مكنت الفاطميين من الاستيلاء على تاهرت ، وكانت خطوة أولى لان يكون المغرب الاوسط — وهو مغرب زناتة — فى قبضة زعيم صنهاجة بعد ذلك (٨٣) •

خرج جوهر الصقلى بجيشه الى المغرب الاقصى لاسترداد مدينة فاس (٨٤) ، من أيدى الامير الزناتى احمد بن أبى بكر الزناتى ، فأغلق أميرها أبواب المدينة ، واستعد للقتال ، فضرب جوهر الحصار حول المدينة وقاتل أهلها ، فاستماتوا فى الدفاع عنها وعن

---

(٧٦) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٥٥ •

(٧٧) مجهول ، نبذ ، ص ٥ ، ابن ابى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٣ •

(٧٨) نفس المصادر والصفحات

(٧٩) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٨٩ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٩٦ ، انظر ، Gautier, Op. Cit., P. 393.

(٨٠) ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ٤٦ ، انظر ، رزق الله منقريوس ، دول الاسلام ، ١ ص ٣٢٨ •

(٨١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٨ •

(٨٢) نفس المصدر والصفحة ، مجهول ، نبذ ، ص ٤٥ •

(٨٣) انظر ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٤ •

(٨٤) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٦ ص ٣٢٩ - ٣٣١

واليهم الزناتى ، الذى كان من أهــل الفضل والورع (٨٥) ، ولا غرو فهو الذى جدد جامع القرويين وزاد فيه زيــادات كثيرة (٨٦) ، فأشــار أصحاب جوهر عليه بالرحيل عن فاس الى مدينة سجلماسة (٨٧) التى قطع أميرها محمد بن الفتح دعوة الفاطميين وخلع طاعتهم ، ودعــا الى نفسه ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وتلقب بالشاكر لله (٨٨) ، وضرب السكة باسمة ، وعرفت عملته بالشاكرية ، وكانت غايــة فى الطيب (٨٩) ، فخرج جوهر الى سجلماسة وضرب الحصار حولها (٩٠) ، واستمر محــاصرا لها ثلاثة شهور ، ولم يتمكن من الاستيلاء عليهــا ، حتى هرب الشــاكر لله من المدينة بماله وأهله وخاصته الى حصن منيع بالقرب من سجلماسة(٩١) فدخل جوهر المدينة وأمن أهلهــا (٩٢) ، وظل بها حتى غدر قوم من قبيلة

---

(٨٥) مجهول ، تاريخ مدينة فاس ، ورقــة ٧٠ ظهر .

(٨٦) انظر ، قبله .

(٨٧) وسجلماسة مدينة على طرف الصحراء بالمغرب الاقصى لا يوجد قبليها ولا غربيهــا عمران ، اذ هى على الحد ما بين العمران والرمال من جهــة الجنوب ، (ابن خلدون ، التعريف ، ص ٣٧٠) وقد أسسها بنو مــدرار سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، واقاموا حولهــا دولة كانت سجلماسة عاصمتهــا ، ومذهب الخوارج الصفرية عقيدتها ، (مجهول ، الاستبصار ، ص ٢٠٠ ــ ٢٠١) ، عنها انظــر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٤٢ .

(٨٨) النعمان ، المجالس ، ١ ورقة ٢٩٥ ، مجهول ، نبذ ، ص ٤ ، ابن الخطيب أعمال الاعــلام ، ٣ ص ١٤٨ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٩٦ ، ويذكر ابن أبى زرع ، أن الشاكر لله كان مالكى المذهب ، (الانيس ، ١ ص ١٣٣) ، ولكنه كان خارجيــا صفريا ، (مجهول ، نبذ ، ص ٤ ، انظر ، محمــود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٦٩) .

(٨٩) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٣ ، انظر
Lavoix, Cataloque des monnies
Musulmane de la Bibithéque Nationale, t. 2, PP. 401 — 402.
Lane-Poole, Catalogue of the Collection of the Arabic Coins presented in the Khidivial Library, P. 328.

(٩٠) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٣ ، المغربى ، الجمان ، ورقــة ١٩٧ .

(٩١) ابن الخطيب ، أعمال الاعــلام ، ٣ ص ١٤٨ .

(٩٢) النعمان ، المجالس ، ١ورقة ٢٩٦ .

مطغرة بالشـاكر لله ، وقبضوا عليه ، وأتوابه الى جوهر أسيرا (٩٣) •

بعد أن أخضع جوهر الصقلى مدينة سجلماسة لطاعة الفاطميين ، خرج يقود جيشه ، ويجوس فى بلاد المغرب الاقصى يخضعهـا لطاعة الفاطميين حتى وصـل فى زحفه الى البحـر المحيط (٩٤) ، ثـم عـاد ثانية الى مدينة فاس ، وضرب الحصار حولهـا ، وظل يقاتل أهلهـا من كل ناحية مـدة ثلاثة عشر يوما دون أن يستطيع اقتحامهـا (٩٥) ، وربما أثار جوهر المنافسة والعداء فى نفس زيـرى بن مناد زعيم صنهاجة على أمير فاس الزناتى ، اذ نرى زيرى يختار أشجع فرسان صنهاجة ليصعدوا الى سور المدينة ليلا وأهلها آمنون ، ليفتحوا أبوابها للجيش الفاطمى(٩٦) فنجحوا فى مهمتهم واستولى الجيش الفاطمى على مدينة فاس لعشر بقين من رمضان سنة ٣٤٨ هـ / ٢٤ نوفمبر سـنة ٩٥٩ م (٩٧) ، وهرب أحمد ابن أبى بكـر الزناتى ، ولكن مـا لبث أن قبض عليه بعـد يومـين من فتح المدينة (٩٨) •

ولى جوهر على مدينة فاس واليا يدين بالطاعة للفاطميين ، وقـاد هو الجيش الفاطمى ليفتح المعاقل والحصون الباقية بالمغرب الاقصى ، ويطارد بطون زناتة به ، واضطرها الى الفرار أمامه (٩٩) ، وأخضع جوهر الصقلى ، ومعه زيرى بن مناد وقومه صنهاجة المغرب الاقصى لطـاعة

---

(٩٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٨٩ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعـلام ، ٣ ص ١٤٨ ، الا أن محقق هذا الجزء من كتاب أعمال الاعـلام يذكر أن مطغـرة قبيلة من زناتة ، (أعمال الاعـلام ، ٣ ص ١٤٨ هامش) ، ومطغرة ليسـت من بطون زناتة ، (انظر ، الفصـل الأول ، بـل كانت على عداء معهـا منـذ ثورة البربر التى انتزعت زناتة زعامتها منهـا ، (انظر ، الفصـل الثانى) •

(٩٤) ابن تغربردى ، النجوم ، ٤ ص ٧٠ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص١٠٤

(٩٥) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٤ ، مجهول ، نبذ ، ص ٥ •

(٩٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ١٨٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ •

(٩٧) مجهول ، نبذ ، ص ٥ ، النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ ، الازدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٧ ، الا أن ابن أبى زرع يذكـر أن فتح فاس كان فى رمضان سنة ٣٤٩ / نوفمبر سنة ٩٦٠ ، (الانيس ، ١ ص ١٣٤) •

(٩٨) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٩٧ •

(٩٩) ابن زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٤ •

الفاطميين ،فيما عدا مدينة سبتة التي ظلت خاضعة للامويين بالاندلس(١٠٠) . وكان الناصر الاموى أرسل جيشا من وجوه الموالى بقيادة مولاة بدر الفتى الكبير صاحب السيف للدفاع عن سبتة اذا ما حاول جوهر الصقلى الاستيلاء عليها ، وظل الجيش الأموى بها حتى انصرف القائد الفاطمى بجيشه عن المغرب الاقصى (١٠١) ، ووصل رقادة لاثنتى عشرة بقيت من شعبان ٣٤٩/١٢ أكتوبر سنة ٩٦٠ م (١٠٢) ، ومعه أمير سجلماسة وأمير فاس أحمد بن أبى بكر الزناتى ، وخمسة عشر رجلا من مشايخ فاس ، وكلهم فى اقفاص من خشب ، وطيف بهم فى أسواق القيروان ثم حملهم الى المعز لدين الله الفاطمى بالمهدية ، فحبسهم المعز لدين الله حتى ماتوا فى سجنها (١٠٣) ، وكافء الخليفة المعز لدين الله زيرى بن

---

(١٠٠) ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٩ ، ابن خلكان ، وفيات ، ٢ ص ١٠٢ ، الازدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ورقة ٤٧ ، ابن تغربردى ، النجوم ، ٤ ص ٧٠ وكان الناصر الاموى قد استولى على مدينة سبتة سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م من يد ولاتها بنى عصام ، (ابن خلدون ، العبر ، ٤ ص ١٤١ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٣٦٣) ، وبنو عصام احدى بطون قبيلة غمارة البربرية ، (عنهم البكرى ، المغرب ، ص ١٠٤) ، وكانوا يؤدون الطاعة للادارسة ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٠٣) ، وكان الناصر الاموى قد أمر والى مدينة سبتة بتحصينها وبناء سور حولها سنة ٣٤٦ هـ ، وقد تم بناء هذا السور فى سنة ٣٥١ ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٢٢ ، ٢٢٧) ، وكان استيلاء الناصر الاموى على مدينة سبتة لتامين بلاد الاندلس من الخطر الفاطمى ، لان قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب كان ينطوى على خطر مزدوج سياسى ودينى بالنسبة للامويين فى الاندلس ، (Vatikiotis, Op. Cit., P. 131) وعدوة المغرب تعتبر قاعدة لغزو الأندلس وخط دفاعها الاول ، اذ أن بين مدينة سبتة وما يقابلها من الاندلس مجاز ضيق لايتعدى العشرين ميلا ، (ابن خلدون التعريف ، ص ٣٧٠) ، وتؤكد الاحداث التاريخية ان من ملك مدينة سبتة فمن السهل عليه غزو الاندلس مثلما فعل المسلمون سنة ٩٢ هـ ، والمرابطون والموحدون بعد ذلك .

(١٠١) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٩ .

(١٠٢) النويرى ،نهاية ، ٢٦ ورقة ٣٨ .

(١٠٣) ابن ابى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٤ ، السلاوى الاستقصا ، ١ ص ١٨١ ، يذكر النعمان أن المعز قد أمر بعمل عجلتين احداهما لاحمد بن ابى بكر الزناتى والاخرى لابن واسول الشاكر لله ليطاف بهما عليهما ، (المجالس ١ ورقة ٣٦٤) ويضيف أن جوهر الصقلى أحضر معه بعد قفوله من غزوته =

مناد زعيم صنهاجة على حسن بلائه فى حرب زناتة ، بأن ولاة عـلى تاهرت بالمغرب الاوسط (١٠٤) •

ولقد أعاد جوهر الصقلى وزيرى بن مناد الصنهاجى المغربين الاوسط والاقصى لطاعة الفاطميين بعد أن استطاعا تشتيت شـمل واحدة من أقوى البطـون الزناتية بالمغرب الاوسط ، وهم بنى يفرن الزناتيين ، وبقيت بطون مغراوة الزناتيـة بالمغرب الاوسط فى تلمسان ، ووادى شلف (١٠٥) ، اذ لم يذكـر احد من المؤرخـين أن الجيوش الفاطمية قامت بغزو تلمسـان أو محاولة الاستيلاء عليهـا ، مـا يدعـونا الى التسـاؤل عن سبب ذلك • والغالب على الظن ، أن الجيوش الفاطمية لم تحـاول غزو مدينة تلمسان مثلمـا لم تحاول غزو مدينة سـبتة لوجود قوات للناصر الاموى فى كليهما ، فقد كان أسطول الناصر الاموى مرابطا عند مدينة أفسلان التى كانت من عمـل تلمسـان ، وخاضعة لامراء مغراوة (١٠٦) ، وربما لم تحاول القوات الفاطمية ذلك حتى لا تدخل فى مواجهـة مباشرة مع قوات الامويين بالاندلس ، اذ كانت المواجهة غير المباشرة هى سمة الصراع الاموى الفاطمى (١٠٧) • وعلى كل حال ، فقد اجتمعت بطون زناتة بالمغرب الاوسط الى محمد بن الخير بن محمد ابن خزر الزناتى ، الذى كان من أكبر أمراء زناتة جمعـا ، وأخذ عـلى

= أبناء جميع وجوه أهل المغرب ورؤسائهم رهائن وبكل من يخاف جانبـه ، وفيهم جماعة من أمراء الادارسة ، (المجالس ، ٢ ورقة ٤٩٧) ، وعن معاملة المعز لكل من الشاكر لله واحمـد بن ابى بكر الزناتى ، (النعمان ، المجالس ، اورقات ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، ٢ ورقة ٤٥١) •

(١٠٤) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ٩٧ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٧٤ •

(١٠٥) ابن خلدون ، التعريف ،ص ٢٩ ، ٣٧٠ ، ووادى شلف Cheliff هو البسـيط الممتد فيما بين مدينة مستغانم ومدينة الجزائر ، (انظر ، محمد بن تاويت ، محقق ، التعريف ، ص ٢٩ هامش ٥) •

(١٠٦) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٣٨ •

(١٠٧) انظر The Cambridge History of Islam, Vol. 2 P. 217.

عاتقة مناوئة الفاطميين ومحاربتهم (١٠٨) ، الا أن موت الناصر الاموى فى رمضان سنة ٣٥٠ هـ / اكتوبر ٩٦١ م (١٠٩) ، كان سببا فى وقف الامدادات والعون من الاندلس الى أمير زناتة بالمغرب الاوسط ، ولعل ذلك ما يعنيه بعض المؤرخين بقولهم ، « ان سياسة بنى أمية هدأت فى شمالى افريقيا بعد موت الخليفة الاموى عبد الرحمن الناصر » (١١٠) • ويبدو أن ذلك كان السبب فى أن أخلدت زناتة المغرب الاوسط الى الهدوء ، والبعد عن مناوئة الفاطميين ، اذ لم يكن فى استطاعتها القيام وحدها فى وجه الخلافة الفاطمية وأنصارها من صنهاجة وكتامة ، وبخاصة بعد الذى نالها على يد جوهر الصقلى وقبيلة صنهاجة فى المغربين الاوسط والاقصى •

كان خروج زناتة من حلبة الصراع ضد الفاطميين سببا فى أن استقرت الامور للمعز لدين الله ، ودانت له شمالى أفريقيا بالطاعة ، فانتعشت الزراعة والتجارة مع استتباب الامن ، وجمع المعز لدين الله من الاموال الكثير ، مما ساعده على تجهيز جيش لفتح مصر (١١١) • وقد بدأ المعز لدين الله فى اعداد العدة لغزو مصر سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م ، وفى الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٣٥٨هـ/٥ فبراير ٩٦٩ م خرجت الجيوش الفاطمية يقودها جوهر الصقلى من افريقية (١١٢) ، وبها الكثير من جنود كتامة (١١٣) فدخل جوهر الفسطاط عاصمة مصر آنذاك

---

(١٠٨) مجهول ، نبذ ، ص ٥ •

(١٠٩) ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٤٨ •

(١١٠) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٨٧ ،
Terrasse, Op. Cit., p. 186.

(١١١) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٣٩ ، انظر ، لويس ، القوى البحرية ، ص ٢٥٤ ، يحيى بن عزيز ، الموجز ، ١ ص ١٠٢ •

(١١٢) ابن تغربردى ، النجوم ، ٤ ص ٢٨ ، انظر ، محمد مختار ، التوفيقات ، ص ١٧٩ •

(١١٣) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٤١ •

فى منتصف شـــعبان سنة ٣٥٨ هـ / أول يوليه ٩٦٩ م (١١٤) ، وأقـــام بهـــا الدولة الفاطميـــة •

وتأتى مرحلة جديدة فى الصراع بين زناتة وصنهاجة ، فبعد أن خرج الجيش الفاطمى الى مصر ، اعتقد زعماء زناتة أنه يمكنهم التغلب على الفاطميين ، والقضـــاء على خلافتهم بالمغرب ، الا أن المعز لدين الله كان قد أعد للامر عدته ، واستمال زعيم قبيلة صنهاجة كلية الى جانبه ، ليعتمد عليه فى قمع تمرد الزناتيين فى افريقيـــة والمغربين الاوســـــط والاقصى ، وبخاصة بعد أن خرجت غالبية جنود كتامة ــ التى ناصرت الفاطميين منذ بداية دعوتهم فى بلاد المغرب ، وأخلصوا فى الولاء لهم ــ مع الجيش الفاطمى الى مصر •

فقد انتهزت بعض بطون زناتة بافريقية خـــروج الجيش الفاطمى الى مصر ، وأعلنت التمرد من جديد (١١٥) ، اذ ثارت هذه البطون الزناتية يتزعمهم أحد علمـــاء زناتة الذى كان يدين بمذهب الاباضية الوهبيـــة ويدعى أبو خزر الزناتى (١١٦) ، وقد أعلن هذا الزعيم الزناتى ثورته بعيد خروج الجيش الفاطمى الى مصر فى سنة ٣٥٨ / ٩٦٩ (١١٧) • ومن الجدير بالذكـــر أن معظم المصادر السنية لـــم تشر الى هـــذه الثورة ، أما القلة التى ذكرتها ، فقد أشارت اليها فى اختصار ، ولـــم تذكر شيئا عن زعيمها الزناتى ، أمـــا المصادر الاباضية فقد أفاضت فى ذكر التفاصـــيل عن حياة زعيم الثورة واحداثهـــا ، الا أنهـــا يجب أن تؤخذ بحذر شديد لتعصبهـــا لعلمـــاء الاباضية ، ولانها مليئـــة بالاساطير والخرافات •

---

(١١٤) ابن الابار ، الحلة ، ٢ ص ٣٩٢ ، انظر ، ماجد ، ظهور ، ص ١٠٧

(١١٥) انظر ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطميـــة ، ص ٥٦ •

(١١٦) انظر Ency. of Isl. (Art Ibadiyya), 2ed, V. 3, P. 656.

(١١٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ ، ويفهم ذلك مما ذكره الجوذرى ، (سيرة ، ص ١٠٨ ــ ١٠٩) ، الا أن البعض يذكر أن ثورة أبى خـــزر الزناتى قامت سنة ٣٥٩ هـ ، (أنظر دياب ، سياسة الدولة الاسلامية ، ص ١٢٠) •

وأبو خزر زعيم هذه الثورة من قبيلة زناتة (١١٨) وينتمى الى بنى واسين الزناتيين (١١٩) ، وكان يعيش بالحامة (١٢٠) ، وهى من بلاد قسطيلية (١٢١) ، وتقع بالقرب من مدينة توزر (١٢٢) ، وكان أبو خزر خارجيا يدين بمذهب الاباضية الوهبية (١٢٣) ، وهو المذهب الغالب على بلاد قسطيلية مثل الحامة ونفطة وسماطة وبشرى (١٢٤) ، ولم يكن من الاباضية النكارية كما ذهب البعض (١٢٥) • وقد تلقى أبا خزر علومه مع أحد أبناء قومه من بنى واسين الزناتيين ويدعى أبو القاسم ، ونبغا فى علوم الأصول والفقه واللغة والأعراب والسير حتى تصدرا حلقات العلم وهما فى مرحلة الشباب ، « واشتهر أمرهما وعلا ذكرهما » كما يذكر مؤرخو الاباضية (١٢٦) • وكان ابو القاسم اكبر سنا وأكثر مالا من أبى خزر (١٢٧) ، كما كان له منزلة خاصة عند المعز لدين الله ، لذا ما أن غضب المعز على أهل الحامة ، وأرسل جنده اليها حتى خرج أبو القاسم اليه يستعفيه عن أهل الحامة ، فعفا المعز لدين الله عنهم

---

(١١٨) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ ، الشماخى ، السير ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ •

(١١٩) ابو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٦ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٥٣ •

(١٢٠) نفس المصدر والورقة ، عن الحامة ، انظر ، ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٣٤٤ •

(١٢١) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٥٧ •

(١٢٢) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٤٤ ، وعنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ •

(١٢٣) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٦ •

(١٢٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٩٣ ، وينسب ابن حوقل الاباضية الوهبية الى عبد الله بن وهب الراسبى ، ولكنهم نسبة الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، انظر ، قبله ، وعن نفطة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٣٠٤ ، وعن سماطة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ١١٩ •

(١٢٥) انظر ، رزق الله منقريوس ، دول الاسلام ، ١ ص ٣٣٠ ، اقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٣٧٧ ، هامش •

(١٢٦) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٥٣ •

(١٢٧) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٦ •

اكراما لابى القاسم (١٢٨) ٠

ويبدو أن أبا القاسم كان يثير أهل الحامة وما حولها على الفاطميين اذ يذكر الشماخى أن المعز لدين الله تخوف من أبى القاسم بعد أن بلغه اعتزامه على الثورة ، وأرسل الى عاملة على الحامة بقتل أبى القاسم (١٢٩) ٠ وتصور المصادر الاباضية عامل الحامة الفاطمى متعاطفا مع أبى القاسم ، فيذكرون أنه أوعز الى أبى القاسم بالخروج من بلاد قسطيلية ، ولكنه رفض ذلك ، وتقبل قدره راضيا وسلم نفسه الى القتل طائعا مختارا (١٣٠) ٠

بلغ خبر مقتل أبى القاسم الى ابى خزر الزناتى خليفته فى زعامة بنى واسين ومذهب الاباضية الوهبية فى بلاد قسطيلية ، فعزم على الثورة على الفاطميين والأخذ بثأر أبى القاسم ، وعمل على حشد القوى المعادية للفاطميين لتنضم الى بطون زناتة بافريقية حتى يتمكن من الانتصار على الفاطميين ، فأرسل الى اباضية نفوسة (١٣١)

---

(١٢٨) نفس المصدر والورقة ، ويذكر أبو زكريا أن المعز أرسل جنده الى الحامة يحملون الراية الحمراء دلالة سخط الخليفة ، فخرج أبو القاسم الى المعز الذى عفا عن الحامة واهلها ، واعطى ابا القاسم راية بيضاء دلالة الرضا بعد السخط ، نفس المصدر والورقة ٠

(١٢٩) الشماخى ، السير ، ص ٣٤٨ ٠

(١٣٠) ابو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٨ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقات ٥٥ ـ ٥٦ ، الشماخى السير ، ص ٣٤٩ ٠

(١٣١) وجبل نفوسة يقع فى افريقية وبينه وبين طرابلس ثلاثة أيام ، وبينه وبين القيراون ستة ايام ، وجميع أهله من الاباضية ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٣٠٥) ، وكان هذا الجبل معقل الاباضية ، ولذا كان حكام الدولة الرستمية الاباضية يستعينون بعلماء نفوسة وفرسانهم فى المناظرات والمساجلات الكلامية ، (ابو زكريا ، السيرة ، ورقة ١٩ ، الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٢٦ ، الشماخى ، السيرة ، ص ١٥٥) ٠

واباضـــية جربة ، فاحتجـا بضعفهما ولم يمدوه (١٣٢) ، وكتـب الى الخليفة الأموى بالاندلس ليقف بجانبه فى ثورته على الفاطمـيين ، ولكن رسـالته وقعت فى أيدى جند المعز لدين اللـه الفاطمى ، ولم تصـل الى الخليفة الأمـوى (١٣٣) • ويدعى مؤرخو الاباضية أن الخليفة الفاطمى المعز لدين اللـه أرسـل الى أبى خـزر الزناتى عندما علم بنيتـه على الثـورة ، كتابا يعـده فيه بأن يكون له ولمن معـه ولاية تاهـرت ، ولكن الذين انضموا الى أبى خزر أبوا الامناصبة الخليفة الفاطمى العداء ، والخروج لقتاله ، والأخذ بثأر زعيمهم أبى القاسـم الزناتى (١٣٤) • وعلمت بطـون زناتة بمنطقة الزاب بخـروج أبى خـزر على الفاطميين فاستعدوا للانضمام اليه ، ولكن أبا خـزر لم ينتظر وصولهم وزحف بمن معه من قبيلة مزاتة وبنى واسـين الزناتيين ، وضرب الحصار حول مدينة باغاية ، فكتب واليها الى المعـز لدين الله الفاطمى يستمده (١٣٥) •

خرج المعز لدين الله بنفسه على رأس جيشه للقضـاء على هذا التمرد (١٣٦) ، رغم أنه كان يعد العدة للرحيل الى مصر ، اذ كان أمر مولاه جوذر بالخروج الى المهدية وجمع ما فى خزائنها من المال وشد الأمتعـة الى المشرق • ومـا ان اقتربت جيوش المعز من مدينة باغاية التى ضرب

---

(١٣٢) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقات ، ٥٦ ـ ٥٧ ، وجربة جـزيرة مقابلة لافريقية بالقرب من قابس ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٤) ، واهلهـا اباضيـة بعضهم وهبية ، وبعضهم نكار ، (انظر ، قبله) ، الا أن الادريسى يذكـر ان اهل جربة خوارج نكار على مذهب الوهبية ، (نزهة ، ٣ ص ٣٠٦) ، وهذا خلط بين فـرق الاباضـية ، اذ أن الوهبية فرقـة ، والنكارية أخرى •

(١٣٣) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٤٩ ، انظر ،
Ency. Of Isl. (Art Ibadiyya), 2ed. V. 3; P. 656.

(١٣٤) الشماخى ، السير ، ص ٣٥٠ •

(١٣٥) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقة ٥٧ •

(١٣٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ •
Ency. of Isl (Art Tunisia), led, t. 4, P. 850.

أبو خــزر الزناتى حولهــا الحصار حتى قــوى جنــان والى المدينة وعساكره ، ودافعوا عن المدينة ، وتغلبوا على المحاصرين (١٣٧) وحين وصلت القوات الزناتية يقودهم خزرون بن فلفول الزناتى أحد أمراء مغــراوة الزناتية كانت الهزيمة قد لحقت بأبى خزر الزناتى ومن معــه ، وكانت الجيوش الفاطمية قد اقتربت من مدينة باغاية ، فعادت قوات زناته أدراجهــا دون قتال (١٣٨) ولم ينضم بنو يفرن الزناتيون الى اخوانهم من بنى واسين فى الثورة على الفاطميين ـــ رغم العداء المدير بين بنى يفرن والفاطميين بسبب ثورة أبى يزيد الزناتى وما نالهم عــلى أيدى الفاطميين بعــد القضــاء على الثــورة ـــ لما كــان بين القبيلتــين الزناتيتين من الحروب القبلية (١٣٩) •

طارد المعــز الفاطمى فلول الثوار ، وكما هى عادة بطون زناتة كلما أيقنوا من الهزيمة ، فروا الى الصحارى والجبال ، فاختار المعــز الفاطمى بلكين بن زيــرى بن مناد الصنهاجى لمطاردة أبى خــزر الزناتى والبحث عنه (١٤٠) ، اذ كان المعــز لدين اللــه يعتمد كلية على قبيلة صنهاجة بعد خروج الجيش الفاطمى الى مصر ، وعمــل على محاربة ثوار زناتة بقبيلة صنهاجة التى انضمت اليه (١٤١) ، وبذل بلكين بن زيرى غايــة جهده فى البحث عن أبى خــزر الزناتى ، ولكنه لم يســتطع الاهتداء الى مكانه أو معرفة أخباره (١٤٢) ، اذ كان ابوخزر الزناتى قد اختفى فى الجبال أربعين يوما حتى فقــد مطاردوه الأمل فى العثور عليه ، وكفــوا البحث عنه ، فترك مخبئه بالجبال ، وانتقــل الى اباضية نفوسة يحتمى

---

(١٣٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ •

(١٣٨) أبو زكريا ، السيرة ، ورقة ٥٠ •

(١٣٩) الشماخى ، السير ، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ، ابو زكريــا ، السيرة ، ورقة ٥٤ •

(١٤٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ ، ويذكــر البعض ان زيــرى بن مناد هو الذى خرج لمطاردة أبى خزر الزناتى ، واستطاع القبض عليه ، (أنظر ، ديــاب ، سياسة الدول الاسلاميــة ، ص ١٢٠) •

(١٤١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ •

(١٤٢) ابن الأثير ، الكامــل ، ٨ ص ٢١٥ •

بهم (١٤٣) ، لما عرف عنهم من التمرد على طاعة الحكام الفاطميين (١٤٤).

ظل ابو خزر الزناتي مختفيا عند اباضية نفوسة حتى أرسل له المعز لدين الله الفاطمي بالامان (١٤٥) ، فحذره من حوله من تصديق أمان المعز خشية أن يكون خدعة للقبض عليه ، ولكن أبا خزر خرج الى المعز دون خوف ثقة في وعدة ، لأن « المعز لا ينقض عهدا ، ولا ينكث ميثاقا » على حد قول أبي خزر نفسه (١٤٦) . وما أن علم المعز بقدوم أبي خزر الزناتي اليه حتى أرسل اليه ثمانين فارسا من زناتة ليستقبلوه وليزداد اطمئنانا ، فالتقوا به عند مدينة قابس (١٤٧) ، وعادوا الى المعز (١٤٨) ، فرحب المعز بأبي خزر وأكرمه وأجرى عليه رزقا كثيرا بعد أن وصل اليه في ربيع الآخر سنة ٣٥٩هـ / فبراير سنة ٩٧٠ م (١٤٩) ، وأبقاه عنده حتى خرج الى مصر في ربيع الاول سنة ٣٦٢ هـ / ديسمبر سنة ٩٧٢ م (١٥٠) ، فأخذه معه خوفا من أن يثور

---

(١٤٣) الدرجيني ، طبقات ، ١ ورقة ٥٨ .

(١٤٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ٨ ص ٣٠٥ ، الا أن ابن حوقل يذكر أن جبل نفوسة كان خاضعا لطاعة الفاطميين ، (صورة ، ص ٩٣) ، الا أن خضوعه للفاطميين كان في فترة سابقه على اختفاء أبي خزر فيه ، كما أن خضوع اهل الجبل لسلطان الفاطميين لم يكن خضوعا تاما ، فلم يكن للخليفة الفاطمي واليا على جبل نفوسة ، وانما كان مشايخ الجبل يدفعون ضرائب للولاة الفاطميين على القيروان ، ثم تحرر اباضية نفوسة من كل سلطان للفاطميين ودفع الضرائب بعد ثورة أبي يزيد الزناتي سنة ٣٣٢ هـ ، (انظر ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٧٧) .

(١٤٥) ابو زكريا ، السيرة ، ورقة ٥٢ .

(١٤٦) نفس المصدر والورقة .

(١٤٧) عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧ ص ٤٠٢ .

(١٤٨) ابو زكريا ، السيرة ، ورقة ٥٢ .

(١٤٩) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢١٥ .

(١٥٠) مجهول ، نبذ ، ص ١٣ ، ويحدد ابن عذارى خروج المعز من عاصمته المنصورية متجها الى مصر لثمان بقين من شوال سنة ٣٦١ هـ / ٥ اغسطس سنة ٩٧٢ م . ، (البيان ، ١ ص ٢٢٨) ، وبهذا التاريخ أخذ البعض ، (انظر ، محمد مختار ، التوفيقات ، ص ١٨١) .

ثانية بالمغرب بعد خروجه عنه (١٥١) • وكانت هذه الثورة آخر الثورات التى قامت بها زناتة افريقية على الخلافة الفاطمية ، اذ ضعفت قواهـا وتشتت شمل بطونها بما أنزله بهـا الفاطميـون من عقوبات فى الأنفس والأمـوال •

أما زناتة المغـرب الاوسط ، فقد عـادت الى مناوئة الفاطميين من جـديد بعـد أن تولى زعامتهـا محمد بن الخير أمير مغـراوة الزناتية الذى كان جبارا عاتيا (١٥٢) ، فهاجم أراضى الفاطميين ، وعاث فيها حتى شغل المعز لدين الله أمره (١٥٣) ، فأختار المعز لدين الله زيرى بن مناد زعيم صنهاجة لمحاربة زناتة المغرب الاوسط (١٥٤) ، لما بين القبيلتين من عداء ومنافسة ، وليوجد لزيرى بن منـاد الصنهاجى منافسا بالمغرب حتى يأمن اسـتقلاله بالمغرب بعـد رحيله الى مصر (١٥٥) ، اذ يبدو أن المعز لدين اللـه الفاطمى كان قد اتخـذ قرارا بتولية زعيم صنهـاجة على المغرب بعد أن أتم فتـح مصر وانتوى الرحيل اليهـا • وقد عمل المعز لدين اللـه على حث صنهاجة للاغـارة على مضارب زناتة ، بأن عقـد لزيرى بن منـاد الصنهاجى على حرب زناتـة على أن يكون لزيرى بن منـاد ما يستولى عليه من أراضى زناتـة بقوة السيف (١٥٦) ، فجمـع

---

(١٥١) الدرجينى ، طبقات ، ١ ورقات ٦١ ـ ٦٢ ، الا أن الجيلالى يذكر أن ابا خزر ظل بالقيروان حتى توفى بها ، وقد أناف على مئة سنة ، (تاريخ الجزائر ، ١ ص ٢٩٦) ، والغالب على الظن انه خلط بين أبى خزر الزناتى عالم بنى واسين ، وبين محمد بن خزر الزناتى زعيم مغراوة الذى وفد عـلى المعز مستأمنـا سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م (ابن خلدون ، العبر) ٤ ص ٤٦ ، ٧ ص ٢٦ ، انظـر ، Gat Gautier, Op. Cit., P. 394.

(١٥٢) مجهول ، نبذ ، ص ٦ •

(١٥٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤.

(١٥٤) مجهول ، نبذ ، ص ٦ •

(١٥٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢١ ، انظر ، العبادى ، سياسـة الفاطميين ، ص ٢٠٩ •

(١٥٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٣٦ ، ابن الخطيب ، أعمـال الاعلام ، ٣ ص ١٥٣ • انظر ، Ency of Isl. (Art Zirids), Ied, T. 4, P. 1229.

زيرى بن مناد قبائل صنهاجة وحلفاءهم من البرانس ، وجد فى غزو ديار زناتة المغرب الاوسط • وكثرت المعارك بين القبيلتين ، فأراد محمد ابن الخير زعيم زناتة المغرب الاوسط أن يحسم الصراع ، وجمع اليه الكثير من بطون زناتة استعدادا لملاقاة صنهاجة فى معركة حاسمة (١٥٧) ، بيد أن بعض أولياء محمد بن الخير أرسل الى زيرى ابن مناد فى سرعة ، وجمع قبائل صنهاجة وأولياءهم من القبائل الاخرى، وربما استعان بقوات الفاطميين ، وجعل ولده بلكين على قيادة هذه الجموع ، وأخرجه لمهاجمة جموع زناتة بالمغرب الأوسط ، قبل أن تستكمل تعبئتها ، وتنتظم قواتها استعدادا للقتال (١٥٩) •

كان بلكين بن زيرى شجاعا حازما بعيد النظر (١٦٠) ، كما كان شديد الولاء للفاطميين (١٦١) ،شديد العداء لزناتة (١٦٢) ،فقد أسس مدينتى الجزائر ومليانة فى آخر افريقية من جهة الغرب سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م (١٦٣) ، ليحكم مراقبة بطون زناتة المغرب الأوسط ، ويقف حائلا أمام هجمات زناتة على املاك الفاطميين بافريقية ، كما أنه كان ساعد أبيه الايمن فى القيام بالاغارة على مضارب زناتة ، ثم خلفه فى زعامة صنهاجة وحرب زناتة ، فخاض حروبا عنيفة قاسية ضد زناتة ، وحالفة النصر فيها جميعا •

---

(١٥٧) مجهول ، نبذ ، ص ٦ •
(١٥٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٧ •
(١٥٩) مجهول ، نبذ ، ص ٦ •
(١٦٠) انظر ، بونار ، المغرب العربى ، ص ١٨٩ •
(١٦١) يفهم ذلك من قول ابن عذارى ، بأن العزيز بالله الفاطمى ، أرسل اليه من مصر بارسال بعض جند صنهاجة اليه فكان رد بلكين أنه على استعداد أن يسير بنفسه الى مصر ليضع نفسه فى خدمة الفاطميين اذا ما طلب الخليفة ذلك ، (البيان ١ ص ٢٣٨) •
(١٦٢) انظر ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٨٠ ،
Gautier, Op. Cit., P. 402
(١٦٣) انظر Ency. of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 130

انقض بلكين على جموع زناتة ، ودارت حرب بين القبيلتين لم يعهد بمثلها ، فاختل نظام فرسان زناتة الذين أخذوا على غرة قبل أن يكملوا التعبئة ويستعدوا للقتال ، وأيقن محمد بن الخير زعيم زناتة بالهزيمة ، وأن عدوه قد أحاط به ، وأن الأسر مصيره ، فأتكا على سيفه ، فذبح به نفسه (١٦٤) ، أنفه أن يقع فى أسر صنهاجة ، « فأتى بأمر عظيم طار ذكره فى أرض المغرب » (١٦٥) • وكان مقتله فى السابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ٣٦٠ / ١٧ فبراير ٩٧١ (١٦٦) ، فهزمت زناتة هزيمة قاسية ، وقتل بضعة عشر أميرا من أمرائها ، وكثير من فرسانها ، وبعث زيرى بن مناد الصنهاجى برءوس القتلى من أمراء زناتة الى المعز لدين الله ، فعظم سروره بهزيمة زناتة (١٦٧) ، وتقبل التهانى فى ذلك ثلاثة أيام (١٦٨) ، وأرسل بالبشرى الى مصر فقرأت على المنابر (١٦٩) ، مما يبين أهمية هذا النصر بالنسبة للفاطميين ، ومدى العداء بينهم وبين قبيلة زناتة • ومما لا شك فيه أن هذه الهزيمة القاسية التى نالتها زناتة على أيدى صنهاجة كانت من أكبر الخدمات التى أسداها زيرى بن مناد زعيم صنهاجة الى الخلافة الفاطمية بالمغرب (١٧٠) ، ولولاها ما استخلف المعز لدين الله زعيم صنهاجة فى حكم بلاد شمالى افريقيا ، اذ ثبت هذا النصر سلطان صنهاجة بأرض المغرب (١٧١) •

استطالت صنهاجة على بوادى زناتة بعد مقتل زعيمها محمد بن الخير ، وبخاصة على البطون الزناتية الضاربة حول مدينة المسيلة ، وأولياء جعفر بن على حمدون الاندلسى والى المسيلة من قبل

---

(١٦٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣ ، المغربى ، الجمان ، ورقة ٢٠٩ •
(١٦٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص٢٥٩
(١٦٦) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٨٠ •
(١٦٧) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ •
(١٦٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢١ •
(١٦٩) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٨٠ •
(١٧٠) أنظر Ency. of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 130
(١٧١) مجهول ، نبذ ، ص ٦ •

الفاطميين (١٧٢) ، اذ كانت المنافسة قائمة بين جعفر بن على الاندلسى وزيرى بن مناد الصنهاجى على التقرب الى الخليفة الفاطمى (١٧٣) • والغالب على الظن أن هذه المنافسة كانت لان كل منهما طمع فى أن يخلف المعز لدين الله على ولاية المغرب ، ولهذا فكلما زادت حظوة زيرى بن مناد عند المعز لدين الله كلما ساء ذلك جعفر بن على (١٧٤) ، وكان انتصار زيرى بن مناد الصنهاجى على زناتة سببا فى أن سما على جعفر بن على فى الرتب عند المعز الفاطمى (١٧٥) ، ثم عمل زيرى بن مناد على اذلال جعفر بن على بالاستطالة على أوليائه الزناتيين ، مما

---

(١٧٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٣، وجعفر بن على بن حمدون الاندلسى لم يكن واليا عاديا من ولاة الخليفة الفاطمى ، وانما كان صاحب منزلة خاصة عند المعز لدين الله ، (الجوذرى ، سيرة ، ص ١٢٩) ، لأن أسرته كانت من أخلص انصار الدعوة الاسماعيلية بالمغرب ، فقد صحب جده حمدون أبا عبد الله الشيعى ، وانضم أبيه على بن حمدون الى الدعوة الاسماعيلية سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ، ولما تغلب ابو عبد الله الشيعى على افريقية ظهر على بن حمدون ، ثم ازداد حظوة فى أيام المهدى ، وضمه الى ابنه أبى القاسم ولى عهده حيث خرج على بن حمدون مع أبى القاسم فى حملته على المغرب لاخضاع زناتة المغرب الاوسط سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، وأمره أبو القاسم ولى العهد ببناء المسيلة وولاه عليها ، فظل واليا عليها حتى كانت ثورة أبى يزيد الزناتى ، فأبلى فيها أحسن البلاء حتى سقط فى ميدان القتال سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م ، فخلفه جعفر بن على هذا على ولاية المسيلة ، ولم يزل متوليا عليها رفيع المنزلة عند الخليفة الفاطمى المعز لدين الله حتى خروجه عليه ، (ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٣ - ٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٥٨ - ٢٥٩) ، وكان جعفر بن على كثير العطاء مؤثرا لاهل العلم ، فعظم شأنه وعلا ذكره ، (ابن الآبار ، الحلة ، ١ ص ٣٠٥) ، فمدحه الشعراء ، ومنهم ابو القاسم بن هانىء الاندلسى شاعر المعز لدين الله ، (ابن دحية ، المطرب ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ابن الآبار ، التكملة ، ١ ص ٣٦٨) ، الا ان الحجى محقق كتاب المقتبس لابن حيان ينسب جعفر بن على الى قبيلة زناتة ، (المقتبس ، ص ٢٦ هامش ٣) •

(١٧٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٨ •

(١٧٤) نفس المصادر والصفحات •

(١٧٥) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ •

زاد جعفــر حقدا على زيرى بن منــاد (١٧٦) ، فخلع طاعة الفاطميين وانضم الى أمراء زناتة (١٧٧) •

حقيقة كان بين جعفــر على الاندلسى وزيرى بن مناد الصنهاجى احن ومشاجرات وضغائن فى النفوس (١٧٨) ، وقد بذل المعز جهدا كبيرا فى محاولة الصــلح بينهما (١٧٩) • والغالب على الظن أن ما بين جعفر بن على وزيرى بن بن مناد لم يكن الســبب الوحيد لتمرد جعفــر على طاعة الفاطميين والانضمام الى زنــاتة ، اذ كان هنــاك جفاء وخــلاف بين المعز الفاطمى وجعفــر بن على بسبب الالتزامات المالية التى فرضها المعــز على ولاية المسيلة (١٨٠) ، اذ فرض على أهل المسيلة من بنى برزال وبنى زنداج الزناتيين ضرائب وخراج غزير (١٨١) ، وكان هؤلاء أولياء جعفر بن عــلى (١٨٢) ، وربما زاد من هذا الجفاء ما شــاع فى المغرب آنذاك من أن المعز سوف يعطى جعفر بن على ولاية افريقية والمغرب كله لزيرى بن منــاد الصنهاجى ، مما عظم على جعفــر بن على الذى أراد أن لا يكون له شريك فى حكم المغرب (١٨٣) •

ورغم الجفاء بين جعفــر بن على والمعــز لدين اللــه لم يعزله الأخير عن ولاية المسيلة على أمــل أن يعد جعفــر الى ما كان عليــه أبوه من ولاء للفاطميين (١٨٤) ، الا أن زيرى بن منــاد عمل من ناحيتــه

---

(١٧٦) مجهول ، نبــذ ، ص ٧ •

(١٧٧) نفس المصدر والصفحة ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٧ •

(١٧٨) ابن خلكان ، وفيــات ، ١ ص ١١٣ ، النويــرى ، نهــاية ، ٢٢ ورقة ٤٨ •

(١٧٩) الجوذرى ، سيرة ١ ص ١٠٠ - ١٠١ ، انظر الملاحق •

(١٨٠) نفس ، ص ١٢٩ - ٣٢ ، انظر الملاحق •

(١٨١) ابن حوقل ، صورة ، ص ٨٥ •

(١٨٢) مجهول ، نبذ ، ص ٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٣ •

(١٨٣) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٨ •

(١٨٤) الجوذرى ، سيرة ، ص ١٢٩ - ١٣٢ • ، انظر الملاحق •

على أن يوسع هوة الخلاف بين المعز وجعفر ، وأخذ يرمى جعفر بالميل الى زناتة (١٨٥) ، ثم حصل على الدليل المادى لهذا الاتهام بعد غزوته الناجحة على مضارب زناتة ، اذ استولى على رسائل بخط جعفر بن على توضح علاقته مع محمد بن الخير زعيم زناتة ، وأرسلها الى المعز (١٨٦)، فحنق المعز على جعفر وكتب اليه يأمره بالمجىء اليه ومعه أهله وماله وولده ، فأسقط فى يد جعفر وأيقن بالموت اذا ذهب الى المعز (١٨٧) ، وبالفعل خرج جعفر بن على واخيه يحيى من المسيلة ومعهما جميع الأهل والولد والعبيد ، وما استطاعا حمله من المال فى جمادى الآخرة سنة ٣٦١ / ابريل سنة ٩٧١ م (١٨٨) ، ولكن ليس الى المنصورية عاصمة الخلافة الفاطمية ، وانما الى أمراء زناتة بالمغرب الاوسط وخلعا طاعة الفاطميين (١٨٩) ، فاستقبله أمراء زناتة استقبالا حافلا لخروجه على أعدائهم الفاطميين ونكاية فى زيرى بن مناد زعيم صنهاجة (١٩٠) .

علم زيرى بن مناد الصنهاجى بخروج جعفر بن على الى أمراء زناتة ، فأراد زيرى أن يبادر اليهم قبل أن تجتمع اليهم بقية البطون الزناتية وتشتد شوكتهم (١٩١) ، وزحف فى جموع صنهاجة ومن والاهم

---

(١٨٥) انظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٣١٥ .

(١٨٦) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٥ ، ويذكر ابن حيان أن زيرى بن مناد استولى من زناتة على فرس من عتاق الخيل كان المعز اهداه الى جعفر بن على ، فأهداه جعفر بن على الى أمير زناتة ، وأن زيرى أرسل الفرس مع الرسائل الى المعز ، (نفس المصدر والصفحة) .

(١٨٧) نفسه ، ص ٣٦ ، ويذكر ابن حيان أن المعز أرسل الى جعفر بن على يعزيه فى وفاة خليله محمد بن الخير أمير زناتة ويخبره بأمر الفرس الذى أرسله زيرى بن مناد اليه قائلا « أعظم الله اجرك فى خليلك ، فقد أجاد قتالنا على الفرس الذى كنا حملناك عليه وآثرناك به على أنفسنا » ، فعلم جعفر أن علاقته بزناتة قد عرفها المعز فأيقن الموت ، (نفس المصدر والصفحة) .

(١٨٨) مجهول « نبذ » ص ٧ ، ابن عذارى ، البيان ، ٢ ص ٢٥٩ .

(١٨٩) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ .

(١٩٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٤ .

(١٩١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٤ - ١٥٥ .

من قبائل البرانس الى المكان الذى اجتمعت فيه بطون زناتة مع جعفر ابن على (١٩٢) ، والتقى الجمعان فى رمضان سـنة ٣٦٠ هـ / يولية سنة ٩٧١ م (١٩٣) ، ودارت رحى معركة كان القتال فيها عنيفا ، وأسـفرت عن مصرع زيرى بن منـاد الصنهاجي وكثيرمن رجـاله ، واستولى الزناتيون على جميع معسكر زيرى ، وأدركوا ثأرهم من قبيلة صنهاجة حليفـة الفاطميين (١٩٤) ، واحتز فرسان زناتة رأس زيرى بن منـاد ، وحملها جعفـر بن على الاندلسى وأخيه يحيى وطائفة من وجوه زناتة الى الحكم المستنصر خليفة الاندلس (١٩٥) فأعد لهم الحكم المستنصر اسـتقبالا حافلا (١٩٦) وعلقت رأس زيرى بن منـاد على أسـوار قرطبة (١٩٧) ٠

كان لمقتل زيرى بن منـاد زعيم صنهاجة أكبر الاثر فى زيادة العداء والمنافسة بين صنهاجة وزنـاتة (١٩٨) ، وكانت هزيمة صنهاجة ومقتـل زعيمها ، وخروج جعفـر بن على وأخيـه يحيى على طاعة الفاطميين والانضمام الى أمراء زناتة نكبتين عظيمتين على الخليفـة الفاطمى المعز ،

---

(١٩٢) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٧ ٠

(١٩٣) ابن خلكان ، وفيـات ، ١ ص ١٩٧ ٠

(١٩٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٦ ، ابن عذارى ، البيـان ، ٢ ص ٢٥٩ ، أنظر ، عنان ، دولة الاسلام ، ١ ص ٢٤٠ ٠

(١٩٥) مجهول ، نبذ ، ص ٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٧ ، انظر ، اقبـال ، دور قبيلة كتامة ، ص ٥٤ ٠

(١٩٦) وقد قـدم لنا المؤرخ ابن حيان وصفا تفصيليـا لاستقبال خليفة الاندلس الحكم المستنصر الاموى لامراء زناتة وجعفـر بن على وأخيه يحيى ، (المقتبس ، ص ٣٩ ـ ٥٢) ثم اجمله فى النهاية بقوله « أن هذا اليوم كان من أحـد الايـام العقم بقرطبة فى أكتمال حسنه وجلال قدره ، وخلد حديثه زمنـا طويلا قاضيـا من عجب الجلالة » ٠ (المقتبس ، ص ٥٧) ٠

(١٩٧) وقد ظل رأس زيرى بن مناد الصنهاجي معلقـا على أسوار قرطبة حتى وصول زاوى بن زيرى لاجئا الى الاندلس بعد فشـل ثورته على باديس ابن بلكين بن زيرى فى افريقيـة ، وكان وصول زاوى الى الاندلس بعد سـنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م ، (انظر ، اسماعيل العربى ، غرناطـة عاصـمة بنى زيرى ، ص ٨) ٠

(١٩٨) انظر حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ٩٦ ٠

فقلد المعز لدين الله بلكين بن زيرى عمل والده ، وأمده بالمال والرجال والعتاد ، وأمره بالخروج الى المغرب الاوسط حيث الكثير من البطون الزناتية وأقواها ، ليشفيه من زناتة ، ويأخذ بثأر أبيه زيرى (١٩٩) ، وزحف بلكين بن زيرى الى المغرب الاوسط فى أول سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م ، ودارت معارك عديدة وعنيفة بين صنهاجة وزناتة كان النصر فيها حليف بلكين وصنهاجة ، وقتل الكثير من رجال زناتة ، وسبى نساءهم وأولادهم وجعل من جثث القتلى أكواما ، وأمر رجاله أن تجعل القدور على رؤوس قتلى زناتة ويطبخ فيها (٢٠٠) ، وربما كان فى ذلك بعض المبالغة ولكنه ليس بمستبعد على قبيلة خرجت للثأر لزعيمها من قبيلة كانت على عداوة قديمة معها ، الى جانب طبيعة البربر عموما من الخشونة وشدة الغضب .

استولى بلكين على جميع مدن المغرب الاوسط من أيدى زناتة ، وطرد القبائل الزناتية منه ، « ومحا آثار زناتة منه » على حد تعبير ابن خلدون (٢٠١) ، ودخلت مدينة تلمسان فى عمالة صنهاجة ، وأصبحت تحت سلطانها ، فكانت المرة الاولى فى تاريخ الخلافة الفاطمية أن تخضع هذه المدينة الزناتية لطاعتهم ، وتدخل تحت سلطان حليفتهم صنهاجة (٢٠٢) ، وأعيدت قبائل ازداجة البرنسية الى مدينة وهران(٢٠٣)، ودخلوا فى طاعة بلكين بن زيرى (٢٠٤) ، ثم زحف بلكين الى مضارب

---

(١٩٩) مجهول ، نبذ ، ص ٨ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٧ .

(٢٠٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢١ ، النويرى ، ٢٢ ورقة ٤٩ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ص ٧٤ ، انظر
Ency of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 1309.

(٢٠١) مجهول ، نبذ ، ص ٨ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٧ ، أنظر ،
Gautier, Op. Cit., P. 402

(٢٠٢) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٧٧ ، انظر
Julien, Op. Cit., P. 66.

(٢٠٣) ومدينة وهران تبعد ثلاثة مراحل عن تلمسان ، الادريسى ، نزهة ، ٣ ص ٢٥٢ ، وكان يعلى بن محمد زعيم بنى يفرن الزناتيين أخضع قبائل ازداجه لطاعته ، واستولى على مدينة وهران سنة ٣٤٣ هـ ، انظر قبله .

(٢٠٤) ابن حوقل ، صورة ، ص ٧٩ .

زناتة بالبوادى والصحارى ، فقتل من زناتة وجميع أصناف البربـــر الخصاصين ــ أى البتر ــ عددا كثيرا ، ورفع الامان عن كل من ركب فرســا أو نتج خيلا من سائر البربر البتر بالمغرب الاوسط (٢٠٥) ، فكان عمل بلكين هذا تعبيرا عن كراهيته للقبائل البترية وبخاصة قبيلة زناتة (٢٠٦) ، وقصــارى القول ، ان المغرب الاوسط ، وهــو بلاد زناتة (٢٠٧) ــ أصبح خاليــا من بطونهــا القوية ، ولم يعد به من بطون زناتة سوى بنى وما نوا وبنى يلومى ، فدخلوا فى طاعة صنهاجة ، وعملوا فى جيوشها بعد ذلك (٢٠٨) • ودخلت مدينة تلمسان الواقعة فى قلب مصارب زناتة فى طاعة الفاطميين للمرة الاولى فى تاريخهم •

هربت قبائل زناتةمن المغــرب الاوســـط تحت وطأة هجــوم صنهاجة الى المغرب الاقصى(٢٠٩)،كما خرجتبعضها الى الاندلس(٢١٠) فواصل بلكين بين زيرى زحفه على المغرب الاقصى لمطــاردة القبائل الزناتية التى فرت اليه ، واتبع آثار أمير مغراوة الزناتيــة الخير بن محمــد وقومه الى سجلماسة ، واستطــاع أن يقتله ويشتت جموعــه فى ســنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م (٢١١) ، ونذر دمــاء زناتة بجميع قبائلها ، فارتحلوا الى مــا وراء ملوية بالمغــرب الأقصى (٢١٢) • ، وبذلك تمكن بلكين من القضــاء على قوة مغراوة الزناتية وفرق شملهــا • وأصبح المغــرب الاوسط خلوا من زناتة لاول مرة منذ الفتــح الاســـلامى ، وقضى على زناتــة الجيل الاول بالمغــرب الاوسط وهاجرت فلولهــا

---

(٢٠٥) مجهول ، نبذ ، ص ٨ •

(٢٠٦) أنظر • Gautier, Op. Cit., P. 402

(٢٠٧) ابن خلدون ، التعريف ، ص ٣٧٠ •

(٢٠٨) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٥ •

(٢٠٩) أنظر • Ency of Isl. (Art Maghrawa) 1 ed. T. 3, P. 107.

(٢١٠) أنظــر • Terrasse, Op. Cit., P. 186

(٢١١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٨ Gautier, Op. Cit., P. 402

(٢١٢) نفسه ، ص ٢٧ •

الى المغـرب الاقصى ، وبدأت سيطرة صنهاجة على المغـرب الاوسط ، واصبح الطريق امامها مفتوحا للسيطرة على المغرب الاقصى .

انتقم بلكين بن زيرى من قبيلة زناتة انتقاما قاسـيا لمقتل أبيه ، وحقق رغبة المعـز لدين اللـه فى النيل من زناتـة ، بقتل امرائهـا وتشتيت جموعهـا بالمغرب الاوسط ، فأعجب المعـز بما فعـل بلكين ، واستدعاه اليـه ، وأثنى عليـه ، وحمد له ما فعله بقبائـل زناتـة ، وقلـده سيفه ،وأهـداه بالكثير من فاخر الثياب ، والخيل بسروجهـا المحلاه (٢١٣) ، وولاه على المسـيلة وأعمالها زيـادة على ما كان لابيـه زيرى مكافأة له(٢١٤)، فعمد بلكين الى اذلال بنى برزال الزناتيين النازلين حول المسيلة ، وأخذهم بالقهر والأضطهاد (٢١٥) ، لانهم من قبيلة زناتة عدوتهم التقليدية ، وأوليـاء جعفـر بن على الأندلسى منافس أبيـه زيرى ولم يكن لبنى برزال قدرة على الوقوف أمـام قـوة صنهـاجة صاحبة السيادة على تاهرت والمسيلة ، فأرسل أميرهم الى جعفر بن على الأندلسى بما نالهم من صنهاجة ، فأستأذن لهم جعفر الخليفة الامـوى الحكم المستنصر بالعبور الى الاندلس ، ووصفهم له بالشجاعة والانقياد للطاعـة (٢١٦) ، فاستدعاهم الحـكم المستنصر ، وأحسن قبولهم ، وزاد لهم فى العطـاء ، وضمهم الى جيشه مع من كان به من فرسان زناتة وغيرهم من البربر ، فظهر بنو برزال على أقرانهم فى الحروب (٢١٧) ،

---

(٢١٣) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٩ ، ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٧٥ .

(٢١٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ .

(٢١٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ .

(٢١٦) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٨ ، انظـر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ، ٢ ص ٥٠ هامش .

(٢١٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٥٣ ، وكان الحكم المستنصر معجبا بفرسـان بنى برزال ايما اعجاب ، وكان يجد متعة فى النظر اليهم اذا تحركوا للعلب ، وكان يقول لمن حوله « انظروا الى انطباع هؤلاء القـوم عـلى خيولهم ، فكأنهم الذى عناهم الشـاعر بقوله : فكأنما ولدت قياما تحتهم .. وكأنهم ولدوا على صهواتهـا » ، (ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢) .

وظلوا بالأندلس ، واستعان بهم المنصور بن أبى عامر ، فزادت مكانتهم بالاندلس (٢١٨) .

اعادت الغزوة الناجحة ـ التى قام بها بلكين على المغربين الأوسط والأقصى للانتقـــام من زناتة والاخذ بثأر أبيه ـ جميع بلاد المغـــرب الى طاعـــة الفاطميين كمـــا فعل جوهر الصقلى من قبل (٢١٩) ، مما كان سببا فى رفع قدر بلكين بن زيـــرى وقبيلة صنهاجـــة عند المعـــز لديـــن الله (٢٢٨) ، واختياره لبلكين بن زيرى ليخلفه فى حكم المغرب (٢٢١) ، وبالفعل سلمه المعز الفاطمى أعمال افريقية وأعمال المغرب ، وفوض اليه أمور البلاد كلها فيما عدا طرابلس وصقلية ، وأمر الناس بالســمع والطاعة له لسبع بين من ذى الحجة ســنة ٣٦١ هـ / الرابــع من أكتـــوبر ســنة ٩٧٢ م (٢٢٢) ، وخلع عليه لقب أبو الفتوح يوسف (٢٢١) ، ربما لما حقق بلكين بن زيرى من انتصارات على زناتة ، وفتوح فى أراضيها بالمغرب الاوسط ، اذ أخرجها منه وشردها . وقد أوصـــاه المعـــز الفاطمى بأمور كثيرة منها ألا يرفـــع السيف عن البربر (٢٢٤) ، وأن يشفيه من زناتة (٢٢٥) ، فامتثل بلكين وصيته (٢٢٦) ، وواصلت صنهاجة

---

(٢١٨) المقرى ، نفح ، ١ ص ٣٩٧ ، انظر ، مؤنس ، محقق ، الحلـة ، ٢ ص ٥٠ هامش ، وعن المنصور بن أبى عامـر ، الحميدى ، جـذوة ، ص ٧٣ ـ ٧٤ ، ابن الخطيب ، أعمـال الاعلام ، ٢ ص ٥٩) .

(٢١٩) ابن ابى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٣٥ .

(٢٢٠) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٩ .

(٢٢١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٥ ، انظر ،
Ency of Isl. (Art Bulugginl, 2 ed, V. 1, 1309

(٢٢٢) ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٩٣ ، العينى ، عقد الجمان ، ١٩ ورقة ٢٥٧ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص ٧٥ ، الا أن احد المستشرقـين يذكر أن المعز قلد بلكين ولايـــة افريقية والمغرب فى أوائل سنة ٣٦٣ هـ (O'leary. Op. Cit., P. 109)

(٢٢٣) انظر ، عبده بدوى ، حركة الاسلام فى افريقية ، ص ٨٢ .
Ency. of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 1309

(٢٢٤) النويرى ، نهاية ، ٢٦ ورقة ٤٣ .

(٢٢٥) أبو زكريا السيرة ، ورقة ٥٣ ، الشماخى السير ، ص ٣٥٤ .

(٢٢٦) ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٢٦٣ .

حرب زناتة • وعزم المعز على الرحيل الى مصر ، فأتاه بلكين بألفى جمل من ابل زناتة (٢٢٧) • والغالب على الظن أنها كانت ضمن ما استولى عليه بلكين فى غزوته الناجحة على مضارب زناتة ، وقدمها للمعز الفاطمى كرمز لتفوقه على زناتة وانتصاره عليهم ، فحمل المعز عليها جميع ما كان له بالقصور من الذخائر والأموال (٢٢٨) ، وخرج الى مصر فى ربيع الاول سنة ٣٦٢ هـ / ديسمبر سنة ٩٧٢ م (٢٢٩) ، فدخل مدينة الاسكندرية فى شعبان سنة ٣٦٢ هـ / مايو سنة ٩٧٣ م (٢٣٠) ، ووصل الى عاصمة ملكه القاهرة المعزية فى رمضان من نفس السنة / يونية سنة ٩٧٣ م (٢٣١) •

قامت دولة صنهاجة بالمغرب منذ أن قلد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله أمر بلاد المغرب الى بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى (٢٣٢) ، وصارت صنهاجة صاحبة السلطة الفعلية على افريقية والمغرب ، فأصبح الصراع بينها وبين قبيلة زناتة صراعا قبليا (٢٣٣) ، لا يستره مذهب دينى أو ميل سياسى • وما أن عاد بلكين من وداع المعز الفاطمى الى مدينة المنصورية وعقد للعمال على الولايات ، وأخرج جباة الأموال الى سائر البلدان حتى خرج بجيشه الى المغرب الاوسط على عجالة فى شعبان سنة ٣٦٢ هـ / مايو سنة ٩٧٣ م (٢٣٤) ، اذ بلغه أن أهل مدينة

---

(٢٢٧) المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٤٤ • وامتلاك زناتة للابل يوضح لنا طبيعة حياتهم ، بأنهم كانوا بدوا أهل ترحال ، وربما كانوا يستخدمون الابل فى التجارة عبر الصحراء مع السودان •

(٢٢٨) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٤٩ ، انظر الجيلالى ، تاريخ الجزائر ، ١ ص ٣٠٩ •

(٢٢٩) مجهول ، نبذ ، ص ١٣ •

(٢٣٠) ابن الابار ، الحلة ، ٢ ص ٢٩٣ ، ابن تغربردى ، النجوم ، ٤ ص ٧٢ •

(٢٣١) الدوادارى ، كنز ، ٦ ص ١٤٧ ، المقريزى ، اتعاظ ، ص ١٨٧ •

(٢٣٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٢٨ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٩٢ ، الا ان ابن خلدون يذكر ان تقليد المعز لبلكين بن زيرى أمور افريقية والمغرب كان سنة ٣٥٨ هـ ، نفس المصدر والصفحة

(٢٣٣) انظر ، Terrasse, Op. Cit., P. 186

(٢٣٤) مجهول نبذ ، ص ١٣ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٥٠ •

تاهرت قد أعلنوا التمرد والخروج على طاعته وطردوا عامله (٢٣٥) ، ومن المعروف أن تاهرت قاعدة زناتة (٢٣٦) ، كما بلغه أن قبائل زناتة بدأت تتجمع فى تلمسان (٢٣٧) ، فاتجه بلكين الى مدينة تاهرت أولا لاهميتها بالنسبة له ، وحارب أهلها ، ودخل المدينة عنوة ، وقتل الرجال وسبى النساء وأضرم المدينة نارا بعد أن خربها (٢٣٨) ، وقد ظل الخراب ظاهرا على مدينة تاهرت وأهلها سنين ، اذ يروى ابن حوقل أن أهل تاهرت كانوا على حالة من الفقر والخصاصة (٢٣٩).

رحل بلكين من تاهرت بعد أن خربها الى مدينة تلمسان حتى يقضى على بطون زناتة التى بدأت تتجمع فيها قبل أن يكتمل جمعهم ويشتد أمرهم ، فهربت البطون الزناتية من تلمسان عندما علموا بقدوم بلكين اليها (٢٤٠) ، اذ كانوا قليلى العدد وربما كانت القسوة التى انتقم بها بلكين من بطون زناتة أخذا بثأر والده جعلت البطون الزناتية تخشاه وترهبه . وعلى أية حال ، فقد ضرب بلكين الحصار حول مدينة تلمسان حتى استسلم أهلها ، فنقلهم الى مدينة أشير (٢٤١) ، ليكونوا تحت مراقبة قبيلة صنهاجة وفى متناول يدها اذا ما حاولوا التمرد والعصيان ، فأنشأ أهل تلمسان مدينة لهم بالقرب من أشير ، وأسموها تلمسان (٢٤٢) . وربما كان ذلك نوع من التعبير السلبى عن عدم

---

(٢٣٥) ابن الأثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٣ .

(٢٣٦) ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٤٩ ، السلاوى ، الاستقصا ١ ص ١٧٤ .

(٢٣٧) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ ، انظر ، العبادى ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٣١٦ .

(٢٣٨) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٥٠ ، انظر Julien, Op. Cit., P. 67

(٢٣٩) صورة ، ص ٩٣ .

(٢٤٠) بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٢٣ ، ابن ابى دينار ، المؤنس ، ص٧٦ .

(٢٤١) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٢٣ ، انظر Gautier, Op. Cit., P. 402

(٢٤٢) النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٥٠ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٢٣ .

الخضوع لقبيلة صنهاجة بعد أن فشلوا فى الوقوف أمام قوتهـا ، ويبين لنا مدى تمسـك أفـراد زناتة باسم مدينتهم التى أبعدوا عنها قسرا •
وما أن انتهى بلكين بن زيرى من اخضـاع جيوب المقاومة الزناتية فى المغرب الاوسط حتى أعد العـدة لمطاردة البطون الزناتيـة بالمغرب الاقصى ، فجاءته رسالة من المعز الفاطمى تنهاه عن التوغل فى بلاد المغرب فى الوقت الذى اضطربت فيه الامور بالقيروان (٢٤٣) ، ممـا اضطر بلكين الى الرجوع الى افريقية حتى تستتب الامور بهـا ، فشغله اضطراب افريقيـة حتى قضى عليه سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٥ م (٢٤٤) •

انتهزت بطون زناتـة بالمغرب الأقصى انشغال بلكـين بن زيرى بمشاكل افريقيـة ، وعملوا على فرض نفـوذهم على المغرب الاقصى ، وأعلنوا طاعتهم لخليفة قرطبة الحكـم المستنصر حتى يعطوا حكمهم لبلاد المغرب الاقصى نوعا من الشرعية ، فانضموا الى جيوش الخليفة الأمـوى التى جازت من الاندلس الى المغرب الاقصى لمحاربة الأدراسة (٢٤٥) • وأعـادوا مدينتى فاس والبصرة الى الطاعـة فى رمضـان سنة ٣٦٣ هـ / يولية ٩٧٤م (٢٤٦) ، ثم احتاج الامويون الى جيوشهم بالمغرب الأقصى لسـد ثغور الاندلس (٢٤٧) ، فتضافرت جهود أمراء زناتة على انتزاع المغرب الاقصى من طاعة الفاطميين ، والوقوف فى وجـه بلكين بن زيرى ودفعه عن المغرب الاقصى (٢٤٨) •

---

(٢٤٣) وكان ذلك الاضطراب بسبب سياسة نائبه عبد الله بن محمد الكاتب التميمى المعروف بالمختال مع أهل القيروان ، فكتب زيادة الله بن القائم بأمـر الله الفاطمى الى المعز لدين الله بالقاهرة بمـا حدث فى القيروان والذى يمكن أن يؤدى الى الفتنة والحرب ، فأرسـل المعز لدين الله برسالته الى بلكين بالعودة الى افريقيـة ، مجهـول ، نبـذ ، ص ١٣ •

(٢٤٤) مجهول ، نبذ ، ص ١٣ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ •

(٢٤٥) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٢٣ — ١٢٤ •

(٢٤٦) ابن ابى زرع ، الانيس ، ص ١٣٦ — ١٣٩ •

(٢٤٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٨ •

(٢٤٨) مجهول نبذ ، ص ١٤ •

وكانت مدينة سجلماسة لم تخضع لطاعة زناتة وحلفائهم الامويين بالأندلس من قبل ، اذ ظلت فى أيدى الخوارج الصفرية منذ نشأتها سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م حتى إخضعها جوهر الصقلى لطاعة الفاطميين وولى عليها من قبلهم سنة ٣٤٨ هـ / ٩٦٣ (٢٤٩) ، الا أن الخوارج الصفرية ما لبثوا أن استردوا مدينة سجلماسة لطاعتهم سنة ٣٥٢ هـ /٩٦٣م(٢٥٠) واتخذ اميرها من بنى مدرار لقب المعتز بالله (٢٥١) ، وظلت المدينة فى طاعته حتى زحف اليها خزرون بن فلفول الزناتى فى جموع مغراوة ، وهزم جيوش المعتز وقتله فى رمضان سنة ٣٦٧ هـ / ابريل سنة ٩٧٨ م (٢٥٢) ، ودخل المدينة واستولى على ما فيها من مال وسلاح ، وقضى على دولة الخوارج الصفرية (٢٥٣) ، وأرسل رأس المعتز الى هشام المؤيد خليفة الأندلس (٢٥٤) ، فعقد الخليفة الأموى لخزرون بن فلفول على سجلماسة (٢٥٥) • والجدير بالذكر أن خليفة الاندلس لم يساعد أمير مغراوة الزناتية فى الاستيلاء على سجلماسة ،

---

(٢٤٩) انظر قبله •

(٢٥٠) مجهول ، نبذ ، ص ١٦ ، اذ وثب اهل سجلماسة على العامل الذى ولاه جوهر واختاروا لهم واليا ، النعمان ، المجالس ، ورقة ٢٩٦ •

(٢٥١) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٣٧ •

(٢٥٢) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٠٣ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ مجهول نبذ ، ص ١٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٣٨ ، بيد أن ابن خلدون ذكر فى موضع آخر من كتابه العبر أن خزرون بن فلفول استولى على سجلماسة فى سنة ٣٦٦ هـ ، (العبر ، ٧ ص ١٩) ، وبهذا التاريخ أخذ بعض المؤرخين المحدثين ، (انظر ، السيد عبد العزيز سالم ؛ المغرب الكبير ، ٢ ص ٦٤٢ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢٧ ، محمود اسماعيل ، الخوارج ، ص ١٧١) •

(٢٥٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٣٨ ، انظر
Bel, Op. Cit., P. 169

(٢٥٤) مجهول ، نبذ ، ص ١٦ ، وقد تولى هشام عرش الخلافة بقرطبة بعد وفاة ابيه الحكم المستنصر فى صفر سنة ٣٦٦ هـ / اكتوبر سنة ٩٧٦ م ، (ابن عذارى ، البيان ٢ ص ٢٦٩ ، ابن دحية ، المطرب ، ص ٠١٤)

(٢٥٥) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٩ •

كما لم يكن فى استطاعته طرد أمير مغراوة منها ، الا أن الامير الزناتى كتب بالفتح الى خليفة الاندلس حتى يكتسب حكمة صفة المشروعية.

وظهر بين أمراء زناتة فى تلك الفترة من عرف بشجاعته وطموحه ، وهو زيرى بن عطية الزناتى الذى عمل على جمع شمل قبائل زناتة بالمغرب الاقصى ، وبالفعل نجح فى مهمته ، وانضوت الكثير من البطون الزناتية بالمغرب الاقصى تحت قيادته ، وكثر جمعه سنة ٣٦٨ هـ / (٩٧٨ — ٩٧٩ م) (٢٥٦) ، فقام باخضاع مدن المغرب الاقصى وحصونه لطاعته ، فعظم شأن زناتة بالمغرب الاقصى ، واتسع ملكهم به (٢٥٧).

لم يكن بلكين بن زيرى زعيم صنهاجة ليترك قبيلة زناتة تثبت سلطانها على المغرب الاقصى وتزداد قوتها ، وتعمل على استعادة المغرب الاوسط الذى أخرجت منه مرغمة فأعد جيشا عظيما وخرج به لاسترداد المغرب الاقصى من أيدى زناتة لخمس بقين من شعبان سنة ٣٦٨ هـ / السابع والعشرين من مارس سنة ٩٧٩ م (٢٥٨) ، فاستولى

---

(٢٥٦) ابن ابى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٥٦ ، فقد ملك زيرى بن عطية هذا مدينة فاس وغيرها وصار امير زناتة كلها فى وقته ، (ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٥٢) ، واستطاع ان يسترجع قسما كبيرا من المغرب الاوسط من ايدى صنهاجة ، وان يلحقه بامارته بالمغرب الاقصى سنة ٣٨١ هـ ، (انظر بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢٣) ثم قامت الحروب بينه وبين المنصور محمد بن ابى عامر بأرض المغرب الاقصى مما كان سببا فى هزيمته وتشتيت قواته سنة ٣٨٩ هـ ، (ابن عذارى ، البيان ١ ص ٢٥٢ — ٢٥٣) .

(٢٥٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٨ ص ٢٤٠ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٣٧ .

(٢٥٨) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٢٠٩ ، انظر Ency of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1309

ويختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ هذه الغزوة ، فيرى ابن الاثير ، وبيبرس والعينى ان بلكين بن زيرى خرج الى المغرب الاقصى للقضاء على زناتة سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ — ٩٧٦) م ، (الكامل ، ٩ ص ٢٠ ، زبدة ، ٦ ورقة ١٣٧ ، عقد الجمان ، ١٩ ورقة ٢٩٤) ، اما النويرى فيرى انها كانت سنة ٣٦٧ هـ / (٩٧٧ — ٩٧٨) م ، (نهاية ، ٢٢ ورقة ٥١) ، ويرى السلاوى وبعض المحدثين انها كانت سنة ٣٦٩ هـ / (٩٧٩ — ٩٨٠) ، الاستقصا ، ١ ص ١٨٩ ، انظر ، الجيلالى ، تاريخ الجزائر ١ ص ٣٢٦ ، بونار ، المغرب العربى ، ص ٢٢١ ، عنان ، دولة الاسلام ، ١ ص ٤٩٢ .

على مدينة البصرة (٢٥٩) من يد يحيى بن على الاندلسى (٢٦٠) والى المدينة من قبل الأمويين وحليفتهم زناتة (٢٦١) ، ثم خرج الى مدينة فاس التى كان والياها (٢٦٢) يدينان بالطاعة لامراء زناتة ، ويدعون للخليفة الاموى بقرطبة على منابرها ، وضرب الحصار حولها وقاتل أهلها حتى أسلمت له أمرها ، فقتل عامليها (٢٦٣) ، وبعد أن ولى على مدينة فاس انطلق بجيوشه الى سجلماسة أحد معاقل زناتة القوية بالمغرب الاقصى ، وقاتل جموع زناتة بها حتى هزمهم وقتل أميرهم (٢٦٤) •

ارتاعت بطون زناتة بالمغرب الاقصى بعد أن هزم بلكين أقوى بطونهم به ، واستولى على البصرة وفاس وسجلماسة أقوى معاقلهم فيه ، وقتل أمير مغراوة الزناتية الذى كان أكثرهم جمعا ، لذا فروا الى مدينة سبتة واحتموا بها (٢٦٥) لانها كانت خاضعة لبنى أمية حلفائهم ، وبها

---

(٢٥٩) البصرة مدينة بالمغرب الاقصى بحذاء جبل طارق ، الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٤ ، ابن حوقل ،صورة ، ص ٨١ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ١٨٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٢٠٧ •

(٢٦٠) كان الحكم المستنصر خليفة الاندلس قد عقد لجعفر بن على واخيه يحيى هذا على المغرب سنة ٣٦٥ هـ ، (مجهول ، نبذ ، ص ١٤) ، وامدهما بالاموال والخلع لاستمالة أمراء زناتة ، فانضم اليهما غالبية أمراء زناتة بالمغرب الاقصى لمحاربة بلكين بن زيرى الصنهاجى ، (مجهول ، نبذ ص ١٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٩) ، ثم استدعى محمد بن أبى عامر حاجب الخليفة هشام المؤيد جعفر بن على الى الاندلس سنة ٣٦٧ هـ ، وأبقى أخاه يحيى حاكما على مدينة البصرة ، (ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٢٠٩) •

(٢٦١) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٨٩ •

(٢٦٢) كان لمدينة فاس عاملين احدهما على عدوة القرويين وهو محمد بن على بن قشوش ، والاخر على عدوة الاندلسيين ويدعى عبد الكريم بن ثعلبة ، (ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٥٤) •

(٢٦٣) ابن عذارى ،البيان ، ١ ص ٢٣١ ، ابن أبى زرع ، الانيس ، ١ ص ١٥٤ •

(٢٦٤) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ •

(٢٦٥) مجهول ،نبذ ، ص ١٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ٢٠٩ •

بعض جنودهم (٢٦٦) ، والاهم من ذلك لحصانتهـا ، اذ يحيط بها البحـر من كل النواحى ، فيما عدا موضعـا ضيقا (٢٦٧) ، وبشرقيها جبل كبير تحيط به الشعار الكثيفة (٢٦٨) . كما كان عليها أسوار عظيمـة من صخر (٢٦٩) .

وكان بلكين بن زيرى يعرف مناعة سبتة وحصانتها ، فلم يعمد اليها مباشرة ، وانما وجه جهوده الى الاستيلاء على بقية مدن المغرب الاقصى ، فاستولى عليها ، وطرد منها جميع عمال بنى أمية الموالين لزناتة ، فأمن بذلك ظهر قواته ، ورحل الى مدينة سبتة ليقضى على من لجـأ اليها من زناتة (٢٧٠) ، ومـا أن ضرب بلكين الحصـار حـول المجاز الذى يصـل مدينة سبتة بأرض المغرب حتى أيقن محمد بن الخير زعيم بنى خـزر الزناتيين من اصرار بلكين على القضـاء عليهم داخل سبتة ، فجاز الى الاندلس مستغيثا بالمنصور محمد بن أبى عامـر (٢٧١) ، صاحب

---

(٢٦٦) نفسه ، ص ١٥ .

(٢٦٧) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ٣٥ ، البكرى ، المغرب ، ص ١٠٣ .

(٢٦٨) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٣٧ ، والشعار هو الشجر الكثيف ، المصباح المنير ، ص ٦٧٩ .

(٢٦٩) ابو الفدا ، تقويم ، ص ١٣٣ .

(٢٧٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣١ ، النويرى ، نهاية ، ٢٢ ورقة ٥١ .

(٢٧١) عمل محمد بن أبى عامـر فى خدمة الخليفة الاموى الحكم المستنصر حتى وفاته سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ، وكان ابنه هشاما وولى عهـده صغيرا ، فضمن محمـد بن ابى عامـر لام هشام سكون الحال ، واستقرار الملك لابنها على أن تمده بالاموال وتوليه قيادة الجيوش ، فاستمال العسكر ، وقضى على منافسيه ، فصار صاحب التدبير ، والمتغلب على الامور ، واسقط رجـال الحكم المستنصر من سـائر الطبقات ، وكون جيشـا يدين لـه بالولاء ، ثـم حجب هشاما المؤيد ، وتلقب بالمنصور ، ودانت له اقطار الاندلس كلهـا حتى كانت وفاته سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م ، (الحميدى ، جذوة ، ص ٧٣ — ٧٤ ، ابن بسام ، الذخيرة ، القسـم الرابع ، المجلد الاول ، ص ٤٣ — ٤٤ ، ابن الابار الحلة ، ١ ص ٢٦٩ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعـلام ، ٢ ص ٥٩) .

السلطة الفعلية بالاندلس ، ليقف الى جانبهم ويدفع عادية بلكين بن زيرى زعيم صنهاجة عنهم (٢٧٢) ، اذ أن قوة زناتة المغرب قد ضعفت بسبب هجرة الكثير من فرسانها الى الاندلس (٢٧٣) ، والعمل فى جيوش بنى أمية (٢٧٤) ، وبخاصة بعد أن أصبح المنصور محمد بن أبى عامر صاحب السلطة الفعلية بالاندلس ، فقد استعان بهم فى القضاء على العصبية العربية بالاندلس (٢٧٥) •

خرج المنصور بن أبى عامر لامداد زناتة بنفسه ، وقاد جيوش الاندلس حتى الجزيرة الخضراء (٢٧٦) ، وعقد لجعفر بن على الاندلسى على حرب بلكين بن زيرى وقبيلة صنهاجة ، وأمدة بالجند والمال ، وأجازه البحر الى المغرب (٢٧٧) ، وعبر مع جعفر بن على الاندلسى الكثير من فرسان زناتة الذين كانوا يعملون فى جيوش المنصور بن أبى عامر بالاندلس (٢٧٨) ، واستعدت جيوش الاندلس وفرسان زناتة للقتال (٢٧٩) ، وعندما خرج بلكين بن زيرى فى خاصته الى الجبل المطل على سبتة ليروا من أين تؤتى ، رأى بلكين وخاصته جموع زناتة وجند الاندلس المستعدة للقتال ، فأيقن استحالة الاستيلاء على مدينة سبتة

---

(٢٧٢) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ ، ٧ ص ٢٨ ، مجهول ، نبذ ، ص ١٧ •

(٢٧٣) عن هجرة البطون الزناتية الى الأندلس ، (ابن عذارى ، البيان ، ٣ ص ٦٦ — ٦٨ ، ٢٦٢ — ٢٦٧ ، ٣١١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩٢ — ١٩٣) •

(٢٧٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص ١٩١ — ١٩٢ •

(٢٧٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٧٧ — ٢٧٨ ، المقرى ، نفح ، ١ ص ٣٩٧ ، ٤٢٧ ، انظر ، مؤنس ، محقق ، الحلة ، ٢ ص ٥١ هامش •

(٢٧٦) وتقع بالاندلس ، وتقابل مدينة سبتة بالمغرب ، ويفصلها عنها مضيق جبل طارق ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٩٩) •

(٢٧٧) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، ١ ص ١٨٩ •

(٢٧٨) ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ •

(٢٧٩) مجهول ، نبذ ، ص ١٧ •

بدون مســاعدة الاسطول (٢٨٠) ، فأعرض بلكين عن مهاجمة سبتة وترك حصارها وعاد بجيوشه الى الهجوم على مدينة البصرة ، وأمــر بنهبهــا وهدمها (٢٨١) ، فصارت كأن لم تكن من قبــل ، ولم يعد لها أثر (٢٨٢) .

استولى بلكين بن زيرى على المغرب الاقصى فيمــا عدا مدينة سبتة التى ظلت خاضعــة للخليفــة الاموى بالاندلس (٢٨٣) ، وولى عــلى

---

(٢٨٠) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣١ ، النويرى ، نهــاية ، ٢٢ ورقة ٥١ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٣٧ ، الا ان ابن خلدون يذكر أن سبب رجوع بلكين عن مهاجمــة سبتة ، أنه عندما خرج الى سبتة مع خاصته ليرى من اين تؤتى ، رأى جيشــا من زناتة وجند الاندلس لاقبل لــه به ، (العبر ، ٧ ص ٢٩) ، وقال لمن معــه « هذه أفعى فغرت الينا فاها » ، وكر راجعا تاركــا مدينة سبتة ومن بهــا من زناتة ، (العبر ، ٦ ص ٢٥٦) ، ويضيف مؤرخ مجهول ، أن بلكين عاد الى معسكره بعد أن رأى هذا الجمــع الكبــير من فرسان زناتة وحلفائهم الامويين ، وجمــع رجاله للمشوره ، فقال احدهم : « أرى أن تنصرف عن القوم ، فقــد اقمتهم بين البحر والسيف ، ولا مهــرب منهما ، فسيقاتل كل منهم قتال مستميت وخلفك من قبائلهم وعساكرهم من قد طويت الديار دونه ، فان انكسرت أطبقــوا عليك ، فعسى تخلصك ، وان ظهرت فبعــد صبر يذهب فيه من يعز فقــده من رجالك ولا يســد موضعه ، فخشى بلكين ان يشيع هذا الراى فى زناتة وتأخذ به » ، (نبذ ، ص ١٧ - ١٨) ، ويبين ذلك أن المدد الاموى الذى جاز سبتة لــم يكن بالعدد والقــوة اللذين صورهما ابن خلدون ، وأن المنصور بن أبى عامــر لــم يكن جادا فى مساندة زناتة وامدادها ، وانمــا خرج فى شبه مظاهرة عسكرية لارهــاب بلكين بن زيرى ، والا فلماذا لــم تخرج هذه الجموع من الجيش الاموى ومن معهــا من زناتة لمطاردة بلكين وحربه بعد أن عــاد عن ســبتة الى مــدن المغرب الاقصى يهدمهــا وينهبهــا ، ولمــاذا كان فرار زناتة الى الصحارى بعــد ابتعاد بلكين عن سبتة كما سنشير الى ذلك ؟ .

(٢٨١) مجهول ، نبذ ، ص ١٧ ، ويذكر د . حسن ابراهيم ، أن المنصور ابن أبى عامر اضطر للاتفاق مع بلكين بن زيرى عندما حاصر بلكين هذا مدينة ســبتة ، وذلك ليتفــرغ لحروبه ضــد المســيحيين فى شــمالى الاندلس ، (انظــر (Relations, P. 63

(٢٨٢) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣٢ .

(٢٨٣) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٩ .

اعماله ولاة من قبله (٢٨٤) ، ورحل بعساكره لحرب أمير برغواطة (٢٨٥) ، عندما لم يجد من يناوئه من امراء زناتة فى حكم بلاد المغرب (٢٨٦) ، وما أن علمت بطون زناتة المحاصرة فى مدينة سبتة برحيل بلكين عنها حتى خرجوا منها ، وفروا الى أقاصى المغرب فى الرمال والصحارى (٢٨٧) وقد صور المؤرخ ابن عذارى حال بلاد المغرب وأمراء زناتة بعد هذه الغزوة التى قادها بلكين بن زيرى قائلا ، « وأقام أبو الفتوح بلكين فى بلاد المغرب ، وهو قد ملكها ، وأهل سبتة منه خائفون ، وزناتة مشردون ، وذلك من سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٩ م » (٢٨٨) ، فكف بلكين بن زيرى عن غزو بطون زناتة (٢٨٩) حتى وفاته فى ذى الحجة سنة ٣٧٣ هـ / مايو ٩٨٤ م (٢٩٠) .

وقصارى القول ، ان المعز لدين الله استغل الصراع بين قبيلة زناتة وقبيلة صنهاجة لصالح الخلافة الفاطمية ، فعقد لزعيم صنهاجة على حرب أمراء زناتة ، وسانده فى النيل من زناتة التى ضعفت قواها فى المغرب بسبب عبور الكثير من فرسانها الى الاندلس تحت وطأه هجمات صنهاجة ، وللعمل فى جيوش خلفاء بنى أمية الذين شجعوهم على الوفود الى الاندلس بكل الطرق الممكنة ، فاستطاعت صنهاجة تشتيت بطون زناتة من المغرب الاوسط الذى عرف بها ، بل وتشريدها من المغرب الاقصى بعد ذلك ، فظلوا فى التيه طوال سنوات حكم بلكين بن زيرى زعيم صنهاجة .

---

(٢٨٤) نفسه ، ص ٣٨ .

(٢٨٥) ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٢٣٧ ، وامارة برغواطة قامت ببلاد تامسنا فى المغرب الاقصى ، وعنها ، انظر ، البكرى ، المغرب ، ص ١٣٤ - ١٤١ ، ابن عذارى ، البيان ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٧ .

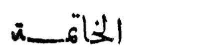
(٢٨٦) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ١٩ .

(٢٨٧) ابن الاثير الكامل ، ٨ ص ٢٤٠ ، بيبرس ، زبدة ، ٦ ورقة ١٣٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٦ ص ١٥٦ .

(٢٨٨) البيان ، ١ ص ٢٣٧ .

(٢٨٩) مجهول ، نبذ ، ص ١٨ .

(٢٩٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٩ ص ١٣ ، ابن خلكان ، وفيات ، ١ ص ٩٣ ، انظر ، Ency. of Isl. (Art Buluggin), 2ed, V. 1, P. 1309


الخاتمة

ممـــا سبق تبين لنا أن بطون قبيلة زناتة انتشرت فى كل شـــمالى افريقيا بأقاليمه الثلاثة المعروفة ، افريقية ، والمغربين الأوسط والأقصى، وان كانت غالبية البطون الزناتية وأقواها عاشت فى المغرب الأوسط حتى أنه عرف بهم ، فأطلق عليه مغرب زناتة ، فكانت زناتة صاحبة السيادة عليه ، اذ تبادلت قبيلتـــا مغراوة وبنى يفرن الزناتيتين هذه الســـيادة عليه • وكان تباعـــد مضارب بطون زناتة فى شـــمالى أفريقيـــا بعضها عن بعض سببا فى ضعف الترابط فيما بينهـــا ، فكانت كل منهـــا تعيش وكأنها قبيل قائم بذاته لا يربطه بغيره من البطون الزناتية رابطـــة العصبية ، وبالاضـــافة الى ذلك ، فان بعض بطـــون زناتة كانت متكافئة القوة والعدد ، وبخاصـــة مغراوة وبنى يفرن ، فلم تخضع احداهمـــا للأخرى ولم تجتمعـــا على رئاسة واحدة ، لأن كل منهما طلب الرئاسة ، ممـــا كان سببا فى تفرق كلمتهما ، وقيام الحروب بينهما ، فضعفت قوة كل منهما ، « لأن القبيل الواحد ، وان كانت فيه بيوتات متفرقـــة ، وعصبيات متعددة ، فلابد من عصبية تكون أقوى من جميعها ، تغلبهـــا وتستتبعها ، وتلتحم جميع العصبيات فيهـــا ، وتصير وكأنها عصبة واحدة ، والا وقع الافتراق المفضى الى الاختلاف والتنازع ، لان الرئاسة تكون فى فرع واحد ، ولا تكون فى الكل ، والرئاسة تكون بالغلب ، لذلك يشترط أن تكون عصبية الفرع الذى يطلب الرئاسة أقوى من ســـائر البطون الأخرى ليقع الغلب وتتم الرئاسة » ، كما ذكر المؤرخ ابن خلدون (١) ، الذى قام بدراســـة العصبية القبليـــة ، واستنبط نظرياته

---

(١) المقدمة ، ص ٢٨٣ •

عنهـا من دراستة لتاريخ المغرب وقبائله ، وبخاصة قبيلة زناتة التى لا يفتأ يذكرها كلما أراد الاستدلال على شىء خاص بالعصبية أو تأكيده (٢) .

وعندما قام العرب بفتح المغرب وضح عدم الترابط بين بطون زناتة اذ انضمت بعض البطون الزناتية مثل مغراوة وبنو عبد الواد الى العرب مع أول الفتح ، ووقفت بطون زناتية آخرى مثل جراوة وبنو يفرن تقاوم العرب الفاتحين مقاومة عنيدة حتى هزمهم العرب وآخضعوهم فتحولت بقية البطون الزناتية الى الاسلام ، وشاركوا العرب فى اتمام فتح المغرب وفتح الأندلس . وبعد ذلك اعتنقت بعض بطون زناتة مبادىء الفرق الاسلاميه المختلفة من المعتزلة والخوارج الصفرية والاباضية — مما كان سببا فى زيادة ضعف رابطة العصبية بين البطون الزناتية — وثاروا على الخلافة الاموية والعباسية ، واقتطعوا المغربين الأوسط والأقصى من سلطة الخلافة وأقاموا عليها امارات زناتية مستقلة ، وساندوا الدول المستقلة التى قامت هناك مثل الرستميين والادارسة ، فنالت بطون زناتة بالمغربين الاوسط والاقصى الاستقلال بمضاربهم فى ظل هذه الدول ، اذ كان للادارسة والرستميين السلطة الاسمية على مضارب زناتة ، ولامراء زناتة السلطة الفعلية ، الا أن اختلاف المذاهب الدينية بين البطون الزناتية زاد من التباعد والتنافس وحدة الصراع بينهما ، وبخاصة فرعيها الكبيرين مغراوة التى كانت على مذهب أهل السنة ، وبنى يفرن الذين دانوا بمبادىء الخوارج الصفرية والاباضية ، فقامت الحروب بينهما ، لأن قبيلة زناتة وهى أشبه القبائل البربرية بالعرب لا يمكن أن تجتمع الا بصبغة دينية « لان خلق التوحش الذى فيهم يجعلهم أصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلظة وبعد الهمة ، والمنافسة فى الرياسة ، فقلما تجتمع أهواؤهم » (٣) ،

---

(٢) عن ابن خلدون ودراسته للعصبية القبلية بالمغرب ، انظر ما قبله .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٩ .

ومما يؤكد لنا أن ضعف قوة قبيلة زناتة كان بسبب اختلافهم فى المذاهب الدينيـة التى اعتنقوها ، وعـدم وجـود زعامة دينية يجتمعون حولها أن قبيلة زناتة كانت أكثـر عددا وأكبر قوة وأشد توحشا من قبيلـة مصمودة ، ولكن وجود زعامة دينية اجتمعت عليها قبيلة مصمودة «ضاعفت من قوة مصمودة وعصبيتها ، فغلبوا على زناتة واستتبعوهم » (٤) . وخلاصة القول ، ان بطون زناتة لم تجتمـع على زعامة سياسية أو دعوة دينيـة حينما قامت الخلافة الفاطميـة فى شـمالى افريقيا ، وان كانت بطون زناتة هى صاحبة السلطة الفعليـة فى المغرب الأوسط وقتذاك .

ولم تتفق بطون زناتة حول شىء ما قدر اتفاقها على معـاداة الدعوة الفاطمية ، وعدم الخضوع لطاعة الفاطميين أو الانضمام لهم ، وان كانت بطون زناتة بافريقية قـد خضعت مرغمة لسلطة الفاطميين ، فذلك مرجعة الى قرب مضاربها من مركز الخلافة ، وأنهم كانوا فى متناول يد جيوشها ، كما كانت مضاربهم محاطة بأنصار الفاطميين من قبائـل البرانس . رغم ذلك كثيرا ما أعلنوا الثورة والتمرد . أما زناتة المغـرب الأوسط ، الذين كانوا أكثـر تماسكا تحت زعامة محمد بن خـزر أمير مغراوة الزناتية فقد ظلت فى صراع مستمر مع الخليفتين المهدى والقائم بأمر الله ، ووقفوا حجر عثرة أمام محاولات الفاطميين لاخضاع المغرب ولم تمكن الخلفاء الفاطميين من بسط سلطانهم على تلمسان وأعمالها ، كما قامت بالاغارة على ممتلكات الفاطميين بافريقية مما كان سببا فى أن أسس الفاطميون مدينة المسيلة ، وأعانوا صنهاجة على بناء مدينة أشير لتقفـا حاجزا بين زناتة وأملاك الفاطميين بافريقية . ولم تدخل بطون زناتـة المغرب الأقصى فى صراع مباشر مع الفاطميين لأنهم كانوا أكثـر بطون زناتة بداوة ، وكانت حياتهم ترحال ولم يعرفوا الاستقرار ، ولم يقـع اعتداء مباشر من الفاطميين عليهم ، كما لم يكن لهم زعامة يجتمعون حولها، فانضموا الى قبيلة مكناسة فى حربهم مع الفاطميين ، وما أن كانت الجيوش الفاطميـة تعود من المغرب الأقصى حتى تعلن هذه البطون الزناتيـة التمرد من جديد .

---

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢١ .

وقد ظلت البطون الزناتية بافريقيـــة على خضوعها مرغمة للفاطميين حتى وجدت زعامة دينية بينهم ممثلة فى أبى يزيد الزناتى ، فاجتمعوا حوله وأعلنوا الثورة على الفاطميين واتخذوا من المذهب الدينى ستارا لثورتهم، وانضمت اليهم بعض بطون زناتة المغرب الأوسط ، وحققوا الانتصارات على الفاطميين ، واستولوا على معظم مـــدن افريقيـــة ، ولم يبق فى يـــد الفاطميين سوى مدينة المهدية ، الا أن المنافســـة بين أنصار أبى يزيـــد بسبب الاختلاف فى المذاهب ، ودخول قبيلة صنهاجة الى جانب الفاطميين نكاية فى قبيلة زناتة المنافسة لها كانا سببا فى هزيمة أبى يزيـــد ومن معه من زناتة افريقية ، ورغم فشـــل ثورة أبى يزيد الا أنها كانت سببا فى أن تخلى المنصور بالله عن الاتجاه المذهبى والسياسة المالية التى اتبعها القائم بأمر الله مع رعاياهم ،. وأوقفت نشـــاط الفاطميين الخـــارجى كليـــة طوال مـــدة الثورة ، وأعطت زناتة المغرب الأوسط الفرصـــة لفرض سلطانها عليه واستعادة مدينتى تاهرت وفاس من أيدى الفاطميين.

وكان انضمام صنهاجة الى جانب الفاطميين سببا فى تغيير ميزان القوى كليـــة لصالحهم ، واستطاع الخليفـــة الفاطمى المعز لدين الله ، أن يستغل العداء والتنافس بين صنهاجة وزناتة أفضل استغلال لصالح الخلافة الفاطميـــة ، « فكلما ثار أحـــد زعماء زناتة رماه المعـــز بقرينه زيرى بن منـــاد زعيم صنهاجة » (٥) ، فاستطاع المعـــز الفاطمى بمعاونة صنهاجة استرداد تاهرت بالمغرب الأوسط ، ومدن المغرب الأقصى من أيدى زناتة ، وأوقع الهزيمـــة ببنى يفـــرن الزناتيين وفرق شملهم ، وأخرجهم من حلبة الصراع . وبعد أن خرج الجيش الفـــاطمى لفتح مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م اعتمد المعز الفاطمى كلية على قبيلـــة صنهاجة ، وعقد لزعيمها زيرى بن مناد على حرب زناتة عـــلى أن يكون له ما يستولى عليه من أراضى زناتة بقوة الســـيف (٦) ، فشمر زعيم

---

(٥) ابن خلدون ، العبر ٦ ص ١٥٤ .

(٦) مجهول ، نبذ ، ص ٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ٧ ص ٢٦ ، ابن الخطيب، أعمال الاعـــلام ، ٣ ص ١٥٣ .

صنهاجة عن ساعده واغــــار على مضـــارب زناتة حتى سقط قتيلا فى احدى المعارك ، فقاد ابنه جموع صنهاجة للاخذ بثأر أبيه ، وآمـــده المعـــز لدين اللـــه الفـــاطمى بالمـــال والرجـــال ، فأنـــزل الهزائم المتتاليـــة بقبائـــل زناتة بالمغرب الأوسط ، وأضطرهم الى الارتحـــال عنه حتى أصبح المغرب الأوسط خلوا من زناتة • وبعد خروج الخليفـــة الفاطمى المعز لدين الله الى مصر شنت قبيلة صنهاجة ــ التى صارت صاحبة السلطة الفعلية على شـــمالى افريقيا ــ هجومـــا عنيفـــا على قبائل زناتة بالمغرب الاقصى ، واضطرتهم الى الفرار الى الصحارى ، وبذلك أخرجت قبائل زناتة من المغربين الأوســـط والأقصى وشردوا فى الصحارى •

وكان للتحالف بين زعماء زناتة وخلفاء قرطبة الأمويين أثـــره على علاقة زناتة بالفاطميين فى المغرب ، كما كان له أثـــره على قبيلة زناتة نفسها ، اذ كان سببا فى ازدياد العـــداء بين زناتة والفاطميين ، ووقوف زناتة أمام رغبـــة الفاطميين لمد سلطانهم على المغربين الأوسط والأقصى ، فقد كانت زناتة رأس حربة للامويين فى صراعهم مع الفاطميين • ولكن هذا التحالف كان وبالا على زناتة ، لان خلفاء قرطبة لم يمدوا قبيـــلة زناتة بالعون الكافى للوقوف أمـــــام هجمات الفاطميين وأنصارهم من البرانس ، فانهزمت زناتة فى الكثير من معاركهـــا ، وكلما هزمت زناتة على أيدى الفاطميين عبرت بعض بطونها الى الاندلس ، وشجع خلفـــاء قرطبة فرسان زناتة على العبور اليهم ، واعتمدوا عليهم فى حروبهم مـــع النصارى ، ممـــا كان سببا فى نقص جموع زناتة بالمغرب ، وبالتـــالى ضعف قوتهـــا ، وفى النهاية هزيمتهـــا القاســـية أمام صنهاجة وتشريدها فى الصحارى •

وقصارى القول ، ان زناتة أقلقت راحة الفاطميين بالمغرب ، وعطلت الكثير من مشاريعهم ، بينمـــا كان هـــذا الموقف العدائى من الفاطميين ســـببا فى أن خسرت زناتة الكثير من فرسانها ، ومضاربهـــا بالمغربين

الأوسط والاقصى ، وان عادت بعض بطون زناتة بعد ذلك بسنوات لتبدأ فترة جديدة من تاريخها أقامت فيهـا امارات مستقلة فى فاس وسجلماسة وسـلا (٧) ، وتادلة (٨) ، وأغمـات (٩) ، وطرابلس (١٠) .

---

(٧) وهى مدينة بأقصى المغرب ، عنها ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٥ ص ٩٩ ـ ١٠٠ ، ماجد والبنا ، الأطلس التاريخى ، خريطة رقم ١٠ .

(٨) مدينة بالمغرب الأقصى تقع بالقرب من فاس ، ياقوت ، معجـم البلدان ، ٢ ص ٣٥٢ ، وعن هذه الامارات الزناتية ، انظـر ، العبـادى ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٩) وهى تقع بالمغرب الأقصى وتبعد ثلاثة فراسخ عن مراكش ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

(١٠) وقد قامت هذه الامارة الزناتية سنة ٣٩٠ هـ ، ابن عذارى ، البيان ، ١ ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ .

الملاحـــــق

خطبة أعدهـا القائم بأمر الله وأمر أحد فقهائه ، أبو جعفر احمد بن محمد بن عمر المـروزى أن يخطب بها رجـال قبيـلة كتـامة أثنـاء حصار أبى يزيد الزناتى للمهـدية .

بعد حمد الله والثنـاء عليه والصلاة على النبى محمد صلى الله عليه ، وعلى آله الطيبين ، أيها الناس ، ان هذا اللعين النكارى قد استشره شره ، واستوبأ مرتعه ، وحملته الأمانى الغرارة ، والنفس التى هى بالسوء أمارة ، على غمط نعمة الله عليه ، وسول له الشيطان الذى هـو قرينة ألا غالب له ، وانمـا أرخى له أمير المؤمنين فى زمامه ، ليعثر فى فضل خطامه ، فلعنه الله لعنـا وبيلا ، وأخزاه خزيا طويلا ، وصـيره الى نار تلظى ، « لا يصلاها الا الأشقى الذى كذب وتولى » ، وقد علمتم يامعشر كتامة ما مضى عليه آباؤكم وقدماء أسلافكم من لزوم الطاعـة والاعتصـام بحبلهـا ، والتفىء بظلهـا ، والمجاهدة فى الله حق الجهاد وأنكم خبيئة الله لهذا الحق المحمدى الفاطمى المهدى حتى أظهره الله وأعلاه ، وجعل لكم فخـره وسناه ، فأنتم كحوارى عيسى ، وأنصـار محمد صلى الله عليه . يا أبنـاء المهاجرين والأنصـار الأولين السابقين المقربين ، أليس بكم أزال الله دولة الظالمين التى مضت أحقاب السنين ، حتى جعلهم الله حصيدا خامدين ، وأورثكم أرضهم وديارهم ، فصرتم تغزون بعد أن كنتم تغزون . نزل بازائكم الدجال اللعين فى شرذمة ضالة مضلة ، لم يستضيئوا بنور هداية ، فهم كالانعام المهملة ، والصور الممثلة ، والخشب المسندة ، والحمر المستنفرة ، ان أقاموا هلكوا ، وان

طولبوا أدركوا ، فلا تنكصوا بعد الاقدام ، وأنتم حزب الله ، وهم حزب الشيطان ، وقتيلكم فى الجنـــة ، وقتيلهم فى النار ، فأى حق بعـــد هذا الحق تطلبون ، ومع أى امام بعد امامكم تقاتلون ، قاتلوا رحمكم الله أحزاب الضلال ، وذئاب الطمع ، وفراش النار ، واطلبوهم فى نواحى الأرض ، وأقاصى البلدان ، وجميـــع الآفاق ، حتى يحق الحق ، ويبطل الباطل ، ولو كره المشركون » •

الجوذرى ، سيرة ، ص ٥٤ ــ ٥٥

خطاب المنصور بالله الى مولاه جوذر نائبه على المهدية ، وقد وصل عنوان الخطاب باسم القائم بأمر الله ، يصف فيه انتصاره على أبى يزيد الزناتى فى موقعة يوم الجمعة •

الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله • والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد ، الحمد لله على نعمه التى لا تحصى ، ومننه التى لا تجارى ، لا اله الا الله ، والله أكبر تكبير ولى عهـــد المسلمين ، سيف أمير المؤمنين ناصر الدين ، شـــكرا لنعمته رب العالمين ، ياوارث النبيين ، ياســـيد المسلمين ، ياخليفة رب العالمين ، ياخير الخلق أجمعين ، ياولى رب العالمين ، اليوم أعز الله دين جدك ، محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، وسنته وأمته ، وأدعم أركان الدين ، وأظهر برهان أمير المؤمنين وأفلج حجته ، وأعلا كلمته ، ونصر حزبه ، اليوم فتحت مشارق الأرض ومغاربها ، اليوم ازداد الحق ضياء وسناء وعـــلاء • الحمـــد لله رب العالمين الذى نصر عبـــده ، وأعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده ، والله ياسيدنا مولانا أمير المؤمنين ، ما ســـمع من عهـــد جدك المصطفى صلى الله عليه ، بيوم كان أعز نصرا وتأييدا وظفرا وقهرا ، أن عانـــد الفســـقة الفجرة عنـــاء من أيقن بالموت واستبســـل ، وناصب وعاند ، فأبى الله عز وجل الا اتمام نوره ، واعلاء كلمته على كره الكافرين رغم الراغمين ، جملة ما أبشر به ســـيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، أن قتلاهم غطـــت الأرض ، وامتلأ العسكر المنصور من غنائمهم ، وكذلك مدينة القيروان ، وما عجز الأولياء من حملة واستثقلوه أطلقت النـــار عليه فأحرقته ،

واستولينا على مناخ اللعين بمـــا فيه من قليل وكثير ، فقتل به ما لا يحصى سوى من قتل فى المعركـــة ، وليس الى احصاء قتلاهم سبيل لكثرتهم ، وكان اللعين قـــد صابر وحامى ، فقصدته بنفسى ، فأخذته الســيوف والرماح بين يدى ، وليس على اللعين الا قميص واحد ــ سربله الله سرابيل جهنم ــ فقيل انه قد صرع فى المعركة ، وقد أمــرت بالتفتيش عليه ، وأرجو ذلك ، على أنه ان كان قد هرب بحشـــاشه نفسه ، فهــو أسير يومه أوغده ، وأنا راحل فى ليلتى هذه بعد نصف الليل أو فى السحر لأشق البلاد طولا وعرضـــا أطأ ديار الفاسقين ، وأمحو بسيفك آثارهم بحول الله وقوته ، وعزه ونصرته ، وقد بعثت بكتابى هذا الى أمــير المؤمنين مع ثلاثة من عبيده ممن شــــهدوا الوقعة الميمونـــة تحت ركابى ، ليشافهوا أمير المؤمنين صلى الله عليه بمـــا شاهدوه ، وان كان وصف النعمـــة معيبا ، وشكرها معجزا • والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد نبيه ســيد المرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين • وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم ســـنة خمس وثلاثين وثلاثمائة •

الجوذرى ، سيرة ، ص ٤٥ ــ ٤٦

خطاب المنصور بالله الى جوذر يأمره بصنع سيوف بالمهدية بدلا من الافرنجية واليمانية •

اعمـــل لنا سرجا مذهبا خفيفـــة سفرية بأقل من ألف درهم ، وتخير لها عودا واســـعا جيدا ، واعمـــل بمـــا بقى منهـــا سيوفا بحمائل على نصول تطبعهـــا بالمهدية تكون لها ، ولا يكون منها افرنجى ولا يمانى ولا غيره ،فان هـــذه السيوف المستعملة أمضى من كل ســيف رأينـــاه ، وقد اختبرنا ذلك وجربناه مرارا ، وليكن حلية كل سيف منها بخمسين دينارا ليكون لك بذلك أجران : أجـــر فيما تقربت به الى الله عز وجـــل ، وأجر تشـــارك فيه من يجاهـــد بها بين أيدينـــا فى ســبيـــل الله ان شاء الله ، وسائر مالك فانتفـــع به ، ثمـــره الله لك ومتعك به •

الجوذرى ، سيرة ، ص ٤٧

خطاب المعز لدين الله الى محمد الكاتب بعد أن خرج المعز لدين الله للقضاء على ثورة أبى خزر الزناتى .

يامحمد . ابعث الى جوذر سلمه الله بتوقيعنا هذا تعرفه أنا ذكرناه بعين كسرى ، ذكره الله بالرحمة والعافية ، وأنا أمرنا أن يملأ له بين أيدينا من رأس العين حملين مـاء ، وأنفذناهما اليه ، وبعثنا اليه بخمسة دنانير من السكة المباركة المضروبة بمصر على اسمنا بفضل الله وعظيم امتنانه ، ليراها ويتبرك بها ، وأرجو أن يمد الله فى عمره حتى يحج منا ، ونعطيه مما يضرب لنا ببغداد ، وقد أكمل الله لنا الأمال ، وعرفه ما نحن عليه من السلامة ، وتتابع النعم ، وما معنا من الجموع التى يستعملها الله فيما يرضيه على استيباء أعدائنا حيثما كانوا ، فليطب نفسا ، فما نلنا الا كل خير الذى يسره الله به ، والحمد لله كما هو أهله .

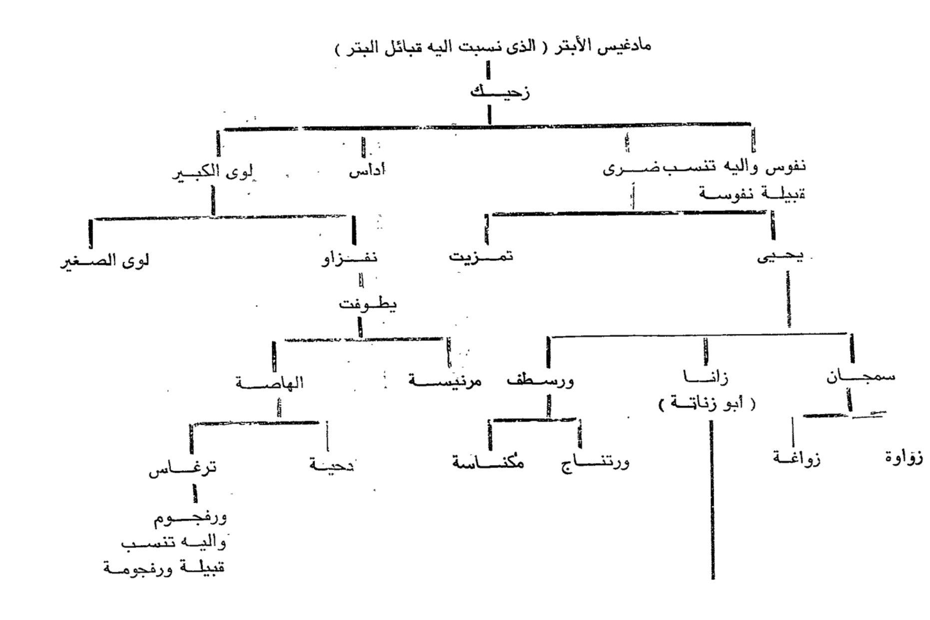
الجوذرى ، سيرة ، ص ١١١ .

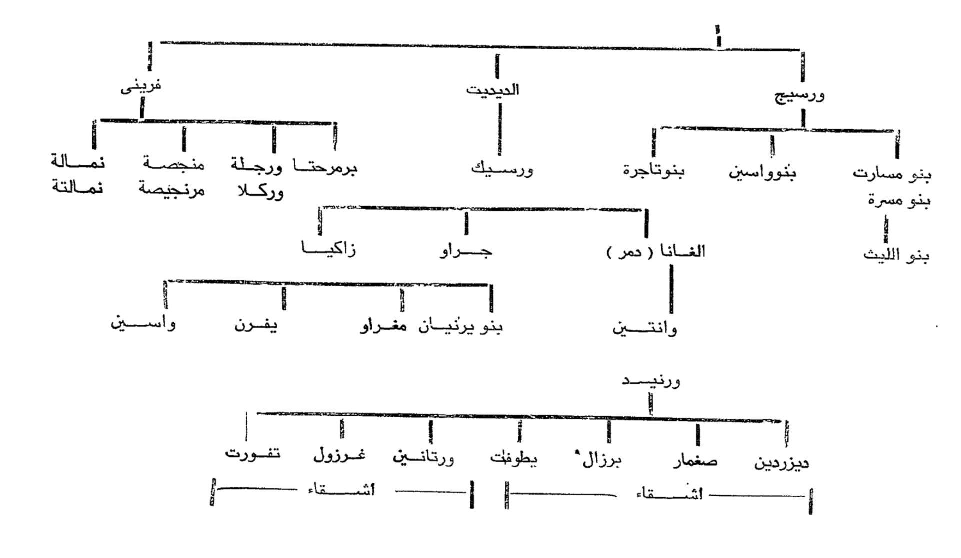
خطاب المعز لدين الله الى مولاه جوذر يذكر فيه ما قام به من الصلح بين جعفر بن علي الاندلسي وبلكين بن زيرى الصنهاجى لحسم الاختلاف بينهما .

ياجوذر . كان ما بلغك والحمد لله ، وأنه لحقيق بأن يسربه كل ولى ، ويكمد به كل شقى غوى ، ولقد احتملنا منهم ما لو كان بين يدى أقل عبيدنا لكبر عليهم ، لكن للذى أردناه من صلاح الاحوال احتملنا ذلك وصبرنا عليه ، ولا سيما أن كان ذلك بين أيدينا ، وفى خلوة لم يبد لأحد من أوليائنا أو عبيدنا ، وقد علم الله أن ذلك ليس هو لفقرنا الى أحد منهما جميعا ، بل لو شئنا الاستبدال بهما لوجدنا كثيرا يبذلون على ذلك الأموال العظيمة ، فيجب عليك أن تؤكد على جعفر فى موافاة نفسه ، وأخذها بما يجب لنا عليه من امتثال أمرنا ، فان مات عاملا بأمرنا ، فأقل ما أوجبه الله عليه . ذلك لو كنا صرفناه . فكيف ونحن الامة المفترضة طاعتنا ذوو الأنفس

الطاهرة فى الحنـــان والاشفاق والسماح والاحتمال ، والحمد للـــه على ذلك كثيرا ، فالعمل بأمرنا واجب من كل الوجوه ، فان يجمـل لــــه ما أوردناه ، فقـــد سـعد واستعجل الراحـــة وأراحنـــا ، وان مـــات باذلا روحـــه فيمـــا أرضانا ، فقـــد قضى فرضه وكشف لنـــا ما اشتبه علينـــا ، فخـــذه فى هذا الباب بمـــا تعلم أن تتم معه ارادتنـــا ، فليس والله فى كل وقت تتسـع الصـــدور بمثل الذى كان منا ، وهـــذا المقام هو الفصـــل بخير لنـــا ولهم بحول الله ، وضده لمن تنكب ارادتنا ، وانما ذكرنا ذلك لبعض ماشاهدناه بالامس ، فقـــد يبدو لنـــا أن اليأس من صلحهم أغلب علينـــا ، ثم نعود الى الرجاء فيما عودنـــا الله الى أن تم ما رأينـــاه ، وبلغك ، وان كان ثـــم فيه بعض ما فيه ، لكن عوائد الله علينـــا جميلة ، وفضله علينـــا واســـع وهو يجزينا على أفضل ما عودناه ان شـــاء الله ٠

الجوذرى ، سيرة ، ص ١٠١ — ١٠٢


مادغيس الأبتر (الذى نسبت اليه قبائل البتر)
زحيك
نفوس واليه تنسب قبيلة نفوسة
ضرى
اداس
لوى الكبير
يحيى
تمزيت
نفزاو
لوى الصغير
يطوفت
سمجان
زانا
(أبو زناتة)
ورسطف
مرنيسة
الهاصة
زواوة
زواغة
ورتناج
مكناسة
نحية
ترغاس
ورفجوم
واليه تنسب
قبيلة ورفجومة



ورسيج
الديديت
فريني
بنو مسارت
بنو مسرة
بنو الليث
بنوواسين
بنوتاجرة
ورسيك
برمرحتا
ورجلة
وركلا
منجصة
مرنجيصة
نمالة
نمالتة
الغانا (دمر)
جراو
زاكيا
وانتين
بنو يرنيان
مغراو
يفرن
واسين
ورنيد
ديزردين
صغمار
برزال*
يطوفت
ورتانين
غرزول
تفورت
اشقاء
اشقاء

المصـــادر والمراجـــع

أولا : المصـــــادر

(أ) المخطوطـات :

- الأزدى (جمال الدين أبو الحسن على بن ظافر ، ت ٦٢٣ / ١٢٢٦) ٠

  أخبار الدول المنقطعة ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ٨٩٠ تاريخ ٠

- بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥ / ١٣٢٥) ٠

  زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة ، جزء ٦ ، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ، برقم ٢٤٠٢٧ ٠

- الدرجينى (أبو العباس أحمد ، ت منتصف القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) ٠

  طبقات الاباضية ، الجزء الأول ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ١٢٥٦١ ح ٠

- أبو زكريا (يحيى بن أبى بكر ، ت النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) ٠

  كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ٩٠٣٠ ح ٠

- العمرى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله ، ت ٧٤٨ / ١٣٤٧) ٠

  مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، جزء ٥ ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ٤٣٧٦ ح ٠

- العينى (أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين ، ت ٨٥٥ / ١٤٥١) ٠

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، الأجـزاء ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ١٥٨٤ تاريخ ٠

- مجهـول ٠

تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين والأندلسيين ، ملحق على مخطوط كتاب تحفة الألباب تأليف ابن الربيـع الغرناطى الاندلسى ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ١١ ش تاريخ ٠

- المغربى (محمد الشطيبى) ٠

كتاب الجمان فى أخبار الزمان ، مخطوط بدار الكتب ، برقـــم ١٤١٦ تاريخ ٠

- النعمان (القاضى أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيـون ، ت ٣٦٣ / ٩٧٤) ٠

١ - المجالس والمسايرات ، الجزءان ١ ، ٢ ، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ، برقم ٢٦٠٦٠ ٠

٢ - افتتاح الدعوة الزاهرة ، مخطوط بمكتبة جامعة القـاهرة ، برقم ٢٤٠٨٨ ونشر جزء منها فى ملاحق كتاب Ivanov :
Ismaili-Tradition Concerning the Rise of the Fatimids, Bombay, 1942.

- النويرى (شهاب الدين أحمد ، ت ٧٣٢ / ١٣٣٢) ٠

نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزان ٢٢ ، ٢٦ ، مخطوط بـــدار الكتب ، برقـم ٥٤٩ معـارف عامة ٠

(ب) المصـادر المطبوعـة :

- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكـر القضاعى البلنسى ، ت ٦٥٨/١٢٦٠) ٠

١ - الحلة السيراء ، الجزءان ١ ، ٢ ، ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ م

٢ - التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الأول ، القاهـرة ١٩٥٥ م ٠

- ان الأثير (محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ، ت ٦٣٠ / ١٢٣٣) ٠

١ - الكامل فى التاريخ ، الأجزاء ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، طبعة سنة ١٨٧٣ م ، بدون مكان ·

٢ - اللباب فى تهذيب الأنساب ، الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، القاهرة ١٩٣٨ م ·

- الادريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد ادريس الحمودى الحسنى ، ت ٥٥٨/١١٦٣) ·

نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، الجزء الثالث ، طبعة نابولى ١٩٧٢ ، الجزء الخامس ، طبعة نابولى ١٩٧٥ ·

- الاصطخرى (ابراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى ، ت النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) ·

المسالك والممالك ، تحقيق ، محمد جابر عبد العال الحينى ، القاهرة ١٩٦١ م ·

- الاندلسى (محمد بن محمد الاندلسى الوزير السراج ، ت ١١٤٩ / ١٧٣٦) ·
الحلل السندسية فى الأخبار التونسية ، الجزء الاول ، تحقيق ، محمد الحبيب الهيلة ، تونس ١٩٧٠ م ·

- الأنصارى (أحد النائب ، ت القرن التاسع عشر الميلادى) ·

المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ، الطبعة الثانية ، ليبيا بدون تاريخ ·

- ابن بسام (ابو الحسن على ، ت ٥٤٢ / ١١٤٧) ·

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ، القاهرة ١٩٤٥ م ·

- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك ، ت ٥٧٨ / ١١٨٢) ·
الصلة فى تاريخ ائمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم ، الجزءان ١ ، ٢ ، القاهرة ١٩٥٥ م ·

- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى ، ت ٧٧٩ / ١٣٧٧) ·

تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الاسفار ،الجزء الأول ، القاهرة ١٩٣٩ م ·

- البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، ت ٤٢٩ / ١٠٣٧) ٠
الفرق بين الفرق ، تعليق محمد بدر ، القاهرة ١٩١٠ م ٠

- البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، ت ٤٨٧ / ١١٠٣) ٠
المغرب فى ذكر بلاد افريقيـــة والمغرب ، الجزائـــر ١٨٥٧ م ٠

- البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى ، ت ٢٧٩ / ٨٩٢) ٠
فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٠١ م ٠

- التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد ، ت أوائل القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) ٠

رحلة ، تقديم حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ م ٠

- ابن تغربردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، ت ٨٧٤ / ١٤٦٩) ٠
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الجزءان ١ ، ٤ ، القاهرة ١٩٦٣ ، وهى نسخة مصورة عن طبعـــة دار الكتب ٠

- ابن جبير (عز الدين أبو الحسن الجزرى) ٠

الرحلة المسماه تذكرة بالأخبار فى اتفاقيات الأسـفار ، تحقيق ، حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ م ٠

- الجزنائى (أبو الحسن على ، ت أواخر القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) ٠

زهرة الآس فى بناء مدينـــة فاس ، الجزائر ١٩٢٢ م ٠

- الجوذرى (ابو على منصور العزيزى ، ت النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) ٠

سيرة الأستاذ جوذر ، تحقيق ، محمد عبد الهادى شـــعبرة ، محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٥٤ م ٠

- ابن حـزم (على بن محمد بن سـعيد ، ت ٤٥٦/١٠٦٣) ٠
جمهرة أنسـاب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القـاهـرة ١٩٦٢ م ٠

- ابن حماد (ابو الحسن على بن حمادة ، ت ٦٢٨ / ١٢٣١) ٠

أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم ، نشر فاندرهيدن ، الجزائـــر ١٣٤٦ / ١٩٢٧ .

- الحميـدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله ، ت ٤٨٨ / ١٠٩٥) .
جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوى النباهة والشـعر ، تحقيق ، محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ١٩٥٢ م .

- الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، ت ٧٢٧ / ١٣٢٧)
صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبـر الأقطار ، تحقيق ليفى بروفنسـال ، القاهرة ١٩٣٧ م .

- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبى ، ت النصف الثانى من القـرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) .

صورة الأرض ، بيروت ، بدون تاريخ .

- ابن حيان (حيان بن خلف بن حسين ، ت ٤٦٩ / ١٠٧٦) .

المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٥ م .

- ابن خرداذبة (أبو القاسـم عبيد الله بن عبد الله ، ت حوالى سـنة ٣٠٠/٩١٢ - ٩١٣) .

المسـالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩ م .

- الخشنى (أبو عبد الله محمـد بن الحارث بن أسد ، ت ٣٦١ / ٩٧٢) .
قضاة قرطبة وعلمـاء افريقيـة ، القاهرة ١٣٧٢ م .

- ابن الخطيب (لسان الدين بن محمد بن الخطيب السليمانى ، ت ٧٧٦ / ١٣٧٤) .

١ - أعمال الاعـلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام : الجـزء الثانى نشر ليفى بروفنسال تحت عنوان : تاريخ أسبانيا الاسلامية ، بيروت ١٩٥٦ م .

٢ - الجزء الثالث من كتاب أعمال الاعـلام ، نشر : أحمـد مختار العبادى ، ومحمد ابراهيم الكتانى تحت عنوان : تاريخ

المغرب العربى فى العصر الوسيط ، الدار البيضاء ١٩٦٤ م ٠
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨/١٤٠٦) ٠

١ - مقدمة كتاب العبر ، بيروت ١٩٥٦ م ٠

٢ - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الأجزاء ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، بيروت بدون تاريخ ٠

٣ - التعريف بابن خلدون ، ورحلته شرقا وغربا ، تحقيق ، محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ١٩٥١ م ٠

- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس احمد ، ت ٦٨١ / ١٢٨٢) ٠
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جزءان ، بدون تاريخ ٠

- الدباغ (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصارى ، ت ٦٩٦ / ١٢٩٧) ٠
معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، الجزء الاول ، تحقيق ، ابراهيم شبوح ، تونس ١٩٦٨ ، والجزءان ٢ ، ٣ ، تونس ١٣٢٠/ ١٩٠٢ ٠

- ابن دحية (عمر بن الحسن بن على ، ت ٦٣٣ / ١٢٣٥) ٠

المطرب فى أشعار أهل المغرب ، تحقيق ، مصطفى عوض عبد الكريم ، القاهرة ١٩٥٤ م ٠

- ابن الدلائى (أحمد بن عمر بن أنس العذرى ، ت ٤٧٨ / ١٠٩٤) ٠

ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، نشر عبد العزيز الأهوانى جزء من الكتاب تحت عنوان : نصوص عن الاندلس ، مدريد ١٩٦٥ م ٠

- الدوادارى (ابو بكر عبد الله بن أبيك ، ت بعد سنة ٧٣٦ / ١٣٧٦) ٠
كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس ، نشر تحت عنوان : الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق ، صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٦١ م ٠

- ابن ابى دينار (ابو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى ، ت أواخر القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى) ٠

المؤنس فى أخبار افريقية وتونس ، تحقيق ، محمد شمام ، تونس ١٩٦٧ م ٠

ـ الرقيق (ابراهيم بن القاسم القيروانى ، ت النصف الاول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى) ٠

نشر جزء من كتابه تحت عنوان : تاريخ افريقيـة والمغرب ، تحقيق ، المنجى الكعبى ، تونس ١٩٦٨ م ٠

ـ ابن أبى زرع (أبو الحسن بن عبد الله بن أبى زرع الفاسى ، ت النصف الاول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) ٠

الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تعليق ، محمد الهاشمى الفيلالى ، الرباط ١٩٣٦ م٠

ـ ابن سعيد (على بن موسى بن محمد ، ت ٦٨٥ / ١٢٨٦) ٠
المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الاول ، تحقيق شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٦٤ م ٠

ـ السلاوى (احمد بن خالد الناصرى) ٠

الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، الجزءان ٣٠١ ، تحقيق ، جعفـر الناصرى ، ومحمد الناصرى ، الدار البيضاء ١٩٥٤ م ٠

ـ السمعانى ٠

الأنساب ، ليدن ١٩١٢ ٠

ـ السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكـر ، ت ٩١١ / ١٥٠٥) ٠

١ ـ تاريخ الخلفا ، تحقيق ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٤ ٠

٢ ـ لب الالباب فى تحرير الانساب ، طبعة سنة ١٨٤٠ م ٠

ـ ابن شاكر الكتبى ٠

فوات الوفيـات ، الجزء الأول ، القاهرة ١٨٨٢ م ٠

ـ ابن الشباط (محمد بن على بن الشباط المصرى التوزرى ، ت ٦٨١ / ١٢٨٢) ٠

وصف الأندلس وصقلية ، قطعة من كتاب صلة السـمط وسـمة المرط ، صحيفة معهـد الدراسات الاسلامية فى مدريد مجلد ١٤ ، سـنة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ ٠

- الشماخي (أحمد بن سعيد بن عبد الواحد ، ت ٩٢٨ / ١٥٢٢) .
السير ، بدون تاريخ .

- الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، ت ٥٩٩ / ١٢٠٣) .
بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ، مدريد ١٨٨٤ م .

- ابن أبي الضياف (ت ١٢٩١/١٨٧٤) .
اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، تونس ١٩٦٣ م .

- ابن طباطبا (محمد بن على المعروف بابن الطقطقى ، ت القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) .
الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، القاهرة ١٣١٧ هـ

- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠ / ٩٢٢) .
تاريخ الرسل والملوك ، بيروت ، بدون تاريخ .

- ابن ظافر (جمال الدين على ، ت ٦٢٣ / ١٢٢٦) .
أخبار الدول المنقطعة ، مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٢ م .

- ابن العبرى (غريغوريوس أبى الفرج هارون ، ت ٦٨٥ / ١٢٨٦ م) .
تاريخ مختصر الدول ، تحقيق ، أنطون صلحانى ، بيروت ١٩٥٨ .

- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الحكم بن أعين ، ت ٢٥٧ / ٨٧١) .
فتوح مصر والمغرب ، تحقيق ، عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١ م .

- عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ - ٨٥٤ م) .
مبتدأ خلق الدنيا ، نشر ، محمود مكى جزء منه تحت عنوان : باب استفتاح الأندلس ، ضمن مقال بعنوان : مصر والتاريخ العربى الاسبانى ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلد الخامس ، القسم الاسبانى ، عدد ١ ، ٢ ، ١٩٥٧ م ، مدريد ١٩٥٧ م .

- عبيد الله بن صالح .
نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، نشر ليفى بروفنسال ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، مجلد ٢ ، ١٩٥٤ م

- ابن عذارى (محمد بن عذارى المراكشى ، ت القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) .

البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب ، الجزء الاول ، تحقيق ، ليفى بروفنسال ، كولان ، ليدن ١٩٤٨ م ، الجزء الثانى ، تصحيح ، دوزى ، ليدن ١٨٤٩ م ، الجزء الثالث ، نشر ، ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٣٠ م ٠

- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم القيروانى ، ت ٣٣٣ / ٩٤٤) ٠
طبقات علماء افريقية وتونس ، تحقيق ، على الشابى ، نعيم حسن اليافى ، تونس ١٩٦٨ م ٠

- ابن غالب الغرناطى (محمد بن ايوب ، ت القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) ٠

قطعة من كتاب فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس ، نشر ، لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، نوفمبر ١٩٥٥ م ٠
- الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد ، ت ٥٠٥ / ١١١١) ٠

الاقتصاد فى الاعتقاد ، تحقيق ، ابراهيم آكاه ، حسين آتاى ، انقرة ١٩٦٢ م ٠

- ابن غلبون (محمد بن خليل الطرابلسى ، ت القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى) ٠

تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، نشر وتصحيح ، الطاهر أحمد الزاوى ، القاهرة ١٣٤٩ هـ ٠

- أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل ، ت ٧٣٢ / ١٣٣٢) ٠

١ - المختصر فى أخبار البشر ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٠٧ م ٠

٢ - تقويم البلدان ، باريس ١٨٣٠ م ٠

- ابن الفرضى (عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى ، ت ٤٠٣ / ١٠١٢ - ١٠١٣) ٠

تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، الجزءان ١ ، ٢ ، القاهرة ١٩٦٦ م ٠

- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد) ٠

مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٨٨٥ م ٠

- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦ / ٨٨٦) .
الامامة والسياسة ، الجزء الثانى ، تحقيق ، طه محمد الزينى ، القاهرة ١٩٦٧ م .

- القزوينى (زكريا بن محمد بن محمد ، ت ٦٨٢ / ١٢٨٣)
آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٩ م .

- ابن القوطية (محمد بن عمر بن عبد العزيز ، ت ٣٦٧ / ٩٢٧) .
تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق وتعليق ، عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ١٩٥٧ م .

- القيسرانى (أبو الفضل محمد بن طاهر ، ت ٥٠٧ / ١١١٣) .
الأنساب المتفقة ، نشر ، De Jong ، طبعة ١٨٦٥ م .

- كتاب زهرة المعانى ، الجزء المنشور فى ملاحق كتاب Ivanov :
Ismaili-tradition Concerning the Rise of the Fatimids, Bombay, 1942.

- المالكى (أبو بكر عبد الله بن أبى عبد الله ، ت نهاية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) .

رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وافريقية ، الجزء الاول ، تحقيق ، حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥١ م .

- الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب ، ت ٤٥٠ / ١٠٥٨) .

الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

- مجهول (ت نهاية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) .

أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، مدريد ١٨٦٧ م .

- مجهول .

ذيل مشتمل على نص بعض أوراق من تاريخ مبتور الاول والآخر ، ومجهول الاسم والمؤلف ، وملحق على الجزء الثالث من كتاب البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب ، باريس ١٩٣٠ م .

- مجهول (ت القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى) .

مفاخر البربر ، نشره ، ليفى بروفنسال تحت عنوان : نبذ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى ، الرباط ١٩٣٤ م .

- مجهول (ت القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) .

الاستبصار فى عجائب الامصار ، نشر وتعليق ، سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية ١٩٥٨ م.

- المراكشى (عبد الواحد بن على التميمى ، ت القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) .

المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، تصحيح وتعليق ، محمد العريان ، محمد العربى العلمى ، القاهرة ١٩٤٦ م .

- المرتضى (أحمد بن يحيى) .

طبقات المعتزلة ، تحقيق ، سوسنة ديفلد - فلزر ، بيروت ١٩٦١ م .

- المسعودى (على بن الحسين بن على ، ت ٣٤٦ / ٩٥٧) .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الاجزاء ٢ ، ٣ ، تحقيق ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ م .

- المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ت ٣٨٨ / ٩٩٨) .
احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٠٩ م .

- المقرى (أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ، ت ١٠٤١ / ١٦٣١) .

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الأجزاء ١ ، ٣ ، ٥ ، تحقيق ، احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م .

- المقريزى (تقى الدين احمد بن على ، ت ٨٤٥ / ١٤٤١) .

١ - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٨ .

٢ - البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق ، عبد المجيد عابدين ، القاهرة ١٩٦١ م.

- المكتبة الصقلية .

نشر ، امارى ، ليبزج ١٨٥٧ م .

- نخب تاريخية جامعة لاخبار المغرب الاقصى .

نشر ، ليفى برفنسال ، باريس ١٩٤٨ م .

- ابن النديم (محمد بن إسحق ، ت ٣٨٥ / ٩٩٥) ٠
الفهرست ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ٠

- الواقــدى ٠

فتوح افريقية ، نشر ، التجانى المحمدى ، تونس ١٩٦٦ م ٠

- ياقوت (شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومى ، ت ٦٢٦/١٢٢٩) ٠
معجم البلدان ، الأجزاء ١ - ٨ ، تصحيح ، أمين الخانجى ،القاهرة ١٩٠٦ م ٠

- اليعقوبى (احمد بن ابى يعقوب بن واضح ، ت ٢٨٤ / ٨٩٧) ٠
١ - البلدان ، النجف ١٩٥٧ م ٠
٢ - تاريخ اليعقوبى ، الجزء الثانى ، بيروت ١٩٦٠ م ٠

- اليمانى (محمــد بن محمد) ٠

سيرة جعفــر الحاجب ، نشر ، ايفانوف تحت عنوان ، مذكــرات فى حركة المهدى الفاطمى ٠ مجلة كليــة الآداب بالجامعــة المصرية، مجلد ٤ ، الجــزء الثانى ، ١٩٣٦ م ٠

(أ) المراجع العربية والمترجمة :

آرشيبالد لويس

ـ القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر الأبيض المتوسط القاهرة ١٩٦٠ م ٠

اقبال موسى بن علاوة

ـ دور قبيلة كتامة فى تاريخ الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه ، بمكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس ٠

أحمد عبد الرازق :

دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة ، القاهرة ١٩٧٤ م٠

بالنثيا ، جنثالث :

تاريخ الفكر الاندلسى ، القاهرة ١٩٥٤ م ٠

البراوى ، راشد :

حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨ م ٠

بروفنسال ، ليفى :

ـ الاسلام فى المغرب والاندلس ، القاهرة ١٩٥٦ م ٠

بروكلمان ، كارل :

١ ـ تاريخ الأدب العربى ، الجزءان ٢ ، ٣ الطبعة الثالثة ، القاهرة ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٩٧٥ م ٠

- ٢ - تاريخ الشعوب الاسلامية ، بيروت ١٩٧٧ م .

البشبيشى ، محمود :

- الفرق الاسلامية ، القاهرة ١٩٣٢ م.

بلبع ، عبد الحكيم :

- ادب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجرى ، القاهرة ١٩٦٩ م .

بونار ، رابح بن احمد :

- المغرب العربى ، الجزائر ١٩٦٨ م .

الجابرى ، محمد عابد :

- العصبية والدولة ، الدار البيضاء ١٩٧١ م .

الجيلالى ، عبد الرحمن بن محمد :

- تاريخ الجزائر ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ١٩٦٥ م .

حسن ابراهيم حسن :

- ١ - الفاطميون فى مصر ، القاهرة ١٩٣٢ م .

٢ - عبيد الله المهدى ، القاهرة ١٩٤٧ م .

٣ - المعز لدين الله ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٤ - تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ م .

حسن احمد محمود ، احمد ابراهيم الشريف :

- العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، الطبعة الاولى ، القاهرة .

حسن احمد محمود :

- ١ - الحضارة الاسلامية فى بلاد المغرب والاندلس ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٢ - قيام دولة المرابطين ، القاهرة ١٩٥٧ م .

حسن الباشـا :

ـ الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ م ٠

حسن حسنى عبد الوهاب :

١ ـ خلاصة تاريخ تونس ، تونس ١٩٦٨ م ٠

٢ ـ ورقات عن الحضارة العربيـة بافريقية التونسـية ، الجزء الأول ٠

حسن على حسن عبد العواد :

ـ دولة الادارسة بالمغرب ، رسـالة ماجستير ، بمكتبـة جامعة القاهـرة ٠

خالد الصـوفى :

ـ تاريخ العرب فى الأندلس ، بنغازى ١٩٧١ م ٠

دبوز ، محمد على :

ـ تاريخ المغرب الكبير ،الجزءان ٢ ، ٣ ، القاهرة ١٩٦٣ م ٠

دوزى

ـ تاريخ مسـلمى اسبانيا ، الجزء الأول ، القاهرة ٠

رزق الله منقريوس :

ـ تاريخ دول الاسلام ، الجزءان ١ ، ٢ ، القاهرة ١٩٠٧ م ٠

الزاوى ، الطاهرى احمـد :

ـ تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ، القاهرة ١٩٦٣ م ٠

سرور ، محمد جمال الدين :

ـ سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ١٩٦٧ م ٠

سعد زغلول عبد الحميد :

ـ تاريخ المغرب ، القاهرة ١٩٦٥ م ٠

السيد عبد العزيز سالم :

ـ تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٦٦ م ٠

الشعراوى ، احمد ابراهيم :

ـ الامويون أمراء الأندلس الأول ، القاهرة ١٩٦٩ م ٠

شعيرة ، محمد عبد الهادى :

ـ المرابطون تاريخهم السياسى ، القاهرة ١٩٦٩ م ٠

شكرى فيصل :

ـ المجتمعات الاسلامية فى القرن الأول الهجرى ، القاهرة ١٩٥٢ م ٠

صابر محمد دياب :

ـ سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثانى الهجرى حتى نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٧٣ م ٠

العبادى ، احمد مختار :

١ ـ فى التاريخ العباسى والفاطمى ، بيروت ١٩٧٢ م ٠

٢ ـ فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ٠

عبده بدوى :

ـ مع حركة الاسلام فى افريقية ، القاهرة ١٩٧٠ م ٠

على عبد الواحد وافى :

ـ عبد الرحمن بن خلدون ، القاهرة ، أعلام العرب ٤ ٠

على يحيى معمر

ـ الاباضية فى موكب التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ م ٠

عنان ، محمد عبد الله :

١ ـ دولة الاسلام فى الأندلس ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٠ م ٠

٢ – ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكرى ، القاهرة ١٩٣٢ م

فلهوزن ، يوليوس :

– تاريخ الدولة العربيــة ، القاهرة ١٩٦٨ م ٠

ماجد ، عبد المنعم :

١ – التاريخ السياسى للدولة العربية ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٧٥ ، والجزء الثانى ، القاهرة ١٩٧١ م ٠

٢ – ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، القاهرة ١٩٦٨ م

٣ – نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧٣ م ٠

٤ – تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٣ م ٠

٥ – مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، القاهرة ١٩٥٢ م ٠

٦ – العصر العباسى الاول ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٧٣ م ٠

ماجد والبنا :

– الأطلس التاريخى للعالم الاسلامى فى العصور الوســطى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ٠

متــز ، آدم :

– الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جــزءان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ٠

محمد الشــاذلى النيفر :

– تاريخ قفصــة ، وعلمائها ، تونس ١٩٧٢ م ٠

محمــد الطالبى :

– تاريخ قفصــة ، وعلمــائها ، تونس ١٩٧٢ م ٠

محمــد كــرد على :

– الاسلام والحضارة العربية ، جزان ، القاهرة ١٩٦٨ م ٠

محمد مختــار :

- التوفيقات الالهــاميــة ، القاهرة ١٣١١ هـ ٠

محمود اسماعيل عبد الرازق :

١ - سياسة الأغالبة الخارجية ، القاهرة ١٩٧٢ م ٠

٢ - الحركات السرية فى الاسلام ، القاهرة ١٩٧٣ م ٠

٣ - قضايا فى التاريخ الاسلامى ، بيروت ١٩٧٤ م ٠

٤ - الخوارج فى المغرب الاسلامى ، بيروت ١٩٧٦ م ٠

٥ - مغربيات ، فاس ١٩٧٧ م ٠

مشرفة ، عطيــة مصطفى :

- نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ، الطبعة الثانيــة ، القاهــرة ٠

مؤنس ، حســين :

١ - فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٩٤٧ م ٠

٢ - فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩ م ٠

ابن منصور ، عبد الوهاب :

- قبائل المغرب ، الجزء الأول ، الرباط ١٩٦٨ م ٠

الميــلى ، مبــارك :

- تاريخ الجزائر ، الجزء الثانى ، بيروت ١٩٦٣ م ٠

النص ، احســان :

- العصبية القبليــة واثرها فى الشعر الأموى ، بيروت ١٩٦٤ م

النصولى ، انيس زكريــا :

- الدولة الأموية فى قرطبة ، الجزء الأول ، بغــداد ١٩٢٦ م ٠

يحيى بو عزيــز

- الموجز فى تاريخ الجزائر ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ١٩٦٥ م ٠

(ب) المراجع الأوربية :

— Abun-Nasr, J. :

A History of the Maghreb. London, 1975.

— Bel, A.

La Religion Musulmane en Berbérie. Paris, 1938.

— Bernard, A.

Le Maroc, Paris, 1913.

— Brunschvig, R.

La Tunisie dans le Haut moyen age, Le Caire, 1943.

— Condé, J.A.

History of the Dominion of the Arabs in spain. Trans. by Mrs. Foster. Vol. I London.

— Fournel, H.

Les Berberes, Etude sur Conquete de L'Afrique [illegible] Arabes. Vols. 1, 2, Paris, 1875.

— Gautier, E.F.

Le Passé de l'Afrique du Nord. Les Siècles obscurs du Maghreb. Paris, 1952.

— Hill, D.

Islamic Architecture in North Africa. London, 1976.

— Hitti, P.K.

History of the Arabs, London, 1943

— Hole, E.

Andalus : Spain under the Muslims, London 1958.

— Holt, P.M.

Egypt and the Fertile Crescent. J.S.A., 1066.

— Hopkins, J.F.

Medieval Muslim Government in Barbery until the 6th Century of Hijra. London, 1958.

— Idris. H.R.

Contribubution à L'Histoire de L'Afrikia. Tableau de la vie Intellectuelle Administrative A Kairoun sour Les Aglabites et Les Fatimites.

— Ivanov. W.

Ismaili-tradition concerning the Rise of the Fatimids, Bombay, 1942.

— Julien, A.

History of North Africa, trans. by John Petrie. 1970.

— Lane-Poole, S.

1- The Moors in Spain. London, 1887.

2- Catalogue of the Collection of Arabic Coins in the British Museum, Vol [illegible], 1879.

3- Catalogue of the Collection of Arabic Coins presented in the Khedivial Library at Cairo. London, 1879.

— Lavoix, M.H.

Catalogue des monnaies Musulmane de la Bibliotèque Nationale, t 2, «L'Espagne et Afrique». Paris, 1891.

— Le Tourneau, R.

La Revolte d'Abou-Yazid aux me siècle, Le Cahier de tunisie 1953, Tunis, 1953.

— Lewis, B.

The Arabs in History. New York, 1967.

— Mamour, P.H.

Polemics on the Origin of the Fatimid Caliphs. London, 1934.

— Marçais, G.

1- Le Berberie Musulmane et L'Orient au Moyen age, Paris, 1946.

2- L'art · L'art de I'slam. Paris, 1946.

3- L'Architecture Musulmane d'occident :
Tunisie, Algerie, Maroc, Espagne et Sicile. Paris, 1955.

— Masqueray, E.
Chronique d'Abou-Zakaria. Alger, 1878.

— Mercier, E.
Histoire de L'Afrique Septentrionale depuis le temps. Les plus reculés jusque la Conquéte Françαis, Vol. 1. Paris, 1888.

— O'leary, D.L.
A Short History of the Fatimid khalifate. London, 1923.

— Osborn, R.D.
Islam under the Arabs, London, 1876.

— Provinçal, L.
Histoire de l'Espagne Musulmane, Vol. 2 Paris, 1950.

— Read, J.
The Moors in Spain and Portugal. New Jersey, 1974.

— Sauvaget
Introduction to the History of the Muslim East. Los- Angelos, 1965.

— Scott, S.P.
History of the Moorish Empire in Europe, Vol. 1. Philadelphia and London, 1904.

— Sha'ban, M.A.
Islamic History A New Interpretation. Cambridge, 1971.

— Terrasse, H.
Histoire du Maroc, Vol. 1, New York, 1975.

— Vatikiotis, P.J.
The Fatimid Theory of State, Lahore, 1957.

— Williams, J.A.
Themes of Islamic Civilization. Los Angelos, London, 1971.

— Wûstenfeld — Mahler'sche : Vergleichungs (tabellen der Mohammeda-nischen Und Christlichen Zeitruchnung, Leipzig, 1926.

(أ) الدوريات والمجلات العربيــة :

اسماعيل العربى-:

ــ غرناطة عاصمة بنى زيــرى ، مجلة أوراق ، المعهــــــد الأسبانى العربى للثقافة ، عدد ١ سنة ١٩٧٨ ، مدريـــد ١٩٧٨ م ٠

امبرتو رتيزنتيانو

ــ منتخبات من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطــار ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢٠ ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦ م ٠

ســعد زغلول عبد الحميد :

ــ فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والاسطورة الشعبية ، مجلة كليــة الآداب ، جامعــة الاسكندرية ، مجلد ١٦ ، ســنة ١٩٦١ م ، الاسكندرية ١٩٦١ ٠

العبادي ، احمــد مختــار :

ــ الضفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كليـــة الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد ٢٠ ، ســنة ١٩٦٧ م ، الاسكندرية ١٩٦٧ م ٠

ــ سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، صحيفــة معهد

الدراسات الاسلامية فى مدريد ، مجلد ٥ ، عدد ١ ، ٢ ، سنة ١٩٥٧ م ، مدريد ١٩٥٧ م .

عبد الهادى التازى :

- نظرية جديدة فى تاريخ بناء جامع القرويين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، مجلد ٦ ، عدد ١ ، ٢ ، سنة ١٩٥٨ م ، مدريد ١٩٥٨ م .

محمد بن تاويت التطوانى :

- دولة الرستميين أصحاب تاهرت ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، مجلد ٥ ، عدد ١ ، ٢ ، سنة ١٩٥٧ م ، مدريد ١٩٥٧ م .
- نشأة دولة الخوارج بالمغرب ، مجلة البحث العلمى جامعة محمد الخامس ، عدد ٤ ، ٥ ، سنة ١٩٦٥ م ، الرباط ١٩٦٥ م .

محمد المنونى :

- نظم الدولة المرينية . مجلة البحث العلمى ، جامعة محمد الخامس ، عدد ٢ ، مايو / أغسطس ١٩٦٤ م ، الرباط ١٩٦٤ .

محمود على مكى :

- التشيع فى الأندلس الى نهاية ملوك الطوائف ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، مجلد ٢ ، عدد ١ ، ٢ ، سنة ١٩٥٤ م ، مدريد ١٩٥٤ م .

مؤنس ، حسين :

- ثورات البربر فى افريقية والأندلس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، مجلد ١٠ ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٨ م .

(ب) الدوريات والمجلات الأوربيـــة :

— Cambridge Medieval History, Vol. 2.

— Cherbonneau, M.

Document indetis sur l'heretique Abou-Yazid Mokhalied Ibn Kaidad de Tademket. Traduits de la cronique d'Ibn Hammad, Journal Asiatique, Tome 20, Paris, 1852.

— Encyclopaedia of Islam, led and 2ed Editions.

— Hassan Ibrahim

Relations between the Fatimids in North Africa and Egypt and the Umayyads in Spain during the 4th century A.H. (10th century A.D.), Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University. Vol. 10, Part 2, Cairo, 1948.

— Le Tourneau, R.

North Africa. The Cambridge History of Islam, Vol. 2. Cambridge, 1970.

— Provinçal, L.

La Politica Africana de 'Abdal-Rahman III. Al-Andalus, Vol. [illegible], [illegible], 1946.

فهرســت الكتــاب

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥ ـ ٨
تمهيـــــد	٩ ـ ٤٢
الفصل الأول : زناتة ، بطونها ومضاربها ومذاهبها	٤٣ ـ ٩٥
الفصل الثانى : دور زناتة السياسى قبل قيــام الخلافــة الفاطمية	٩٧ ـ ١٥٢
الفصل الثالث : زناتة وقيام الـ[illegible]ـه الفاطميه	١٥٣ ـ ١٨٦
الفصل الرابع : ثورة زناتة الكبرى على الفاطميين	١٨٧ ـ ٢٤٨
الفصل الخامس : الصراع بين زناتة وصنهاجة	٢٤٩ ـ ٢٩٨
الخاتمة	٢٩٩ ـ ٣٠٦
الملاحـــق	٣٠٧ ـ ٣١٦
ثبت المصـــادر والمراجـــع	٣١٧ ـ ٣٤٢

رقم الايداع ٧٨٢٥ / ٨٦

شركة سعيد رأفت للطباعة
شارع خالد بن الوليد - أمام فندق السلام
تليفون : ٢٥٨٩٩٣٢

